البعث الإسلامي

شعارنا الوحيد

إلى الإسلام من جديد

تصدرها: ندوة العلماء، لكهنؤ (الهند)

البعث الإسلامي

شهرية إسلامية جامعة

رئاسة التحرير : سعيد الأعظمي
واضح رشيد الندوي

الاشتراكات السنوية

في الهند	٣٠ روبية، ثمن النسخة ٣ روبيات
في العالم العربي	٨ دولارات أمريكية أو ما يعادلها بالبريد العادي ١٥ دولاراً بالبريد الجوي
في افريقيا الجنوبية والشمالية وامريكا وأوربا	٢٠ دولاراً بالبريد الجوي ٨ دولارات بالبريد العادي
في باكستان	٥٥ روبية بالبريد العادي مع اجرة البريد

الاشتراكات في باكستان ترسل إلى:
مجلة «البلاغ» كراچي رقم ١٤
(باكستان)

المراسلات
العنوان: البعث الإسلامي، ندوة العلماء، لكهنؤ - الهند
برقياً: NADWA LUCKNOW
الهاتف: [illegible]

البعث الإسلامي

شخصية إسلامية مستقلة

نطمح إلى تكوين شخصية إسلامية قوية بارزة تتمثل في دوائر الحكم كما تتمثل في دوائر الثقافة، تتمثل في البرلمان، كما تتمثل في المسجد، وتتمثل في أوساط الفكرية وأجهزة الإعلام، كما تتمثل في كلام الواعظين، وفي جهاد المصلحين وجهود الدعاة والعاملين.

وحينئذ يكون العالم الإسلامي كله كتلة واحدة ذات شخصية إسلامية مستقلة لا يسيغ موسسة، ولا يتبع الإدارة، ولا يتخذ موقفا إلا وهو وفق عقيدته، حريص على [illegible]، محافظ على سماته وملامحه، متمسك بأهدافه وغاياته، مسلم في السلم والحرب، مسلم في الغنى والفقر، مسلم في الحكم والإدارة، مسلم في الإعلام والتربية، مسلم في الصناعة والعلم، مسلم في السياسة والفن.

محمد الحسني (رحمه الله)

رئاسة التحرير

سعيد الأعظمي　　واضح رشيد الندوي

● العدد الخامس ● المجلد الرابع والعشرون

● صفر ١٤٠٠هـ ● ديسمبر ١٩٧٩ - يناير ١٩٨٠م

في .. هذا العدد

بسم الله الرحمن الرحيم

أخي القارئ !

سرت عدوى الاختطاف من الطائرات إلى الرجال البارزين فى شرقنا الإسلامى أيضاً ، فقد جرى اختطاف داعية و عالم كبيرين فى لبنان ، من قبل أناس مشبوهين و بالأصح مأجورين .

أما الداعية الاسلامى فهو الأستاذ فتحى يكن الأمين العام للجماعة الاسلامية فى طرابلس (لبنان) اختطفه بعض العملاء التابعين للسلطات السورية ، و ذلك فى الأسبوع الأول من شهر ذى الحجة الحرام و سبقه بأيام عديدة اختطاف فضيلة الشيخ عبد الرحمن المجذوب .

ظاهرة الاختطاف هذه تسترعى انتباهنا قبل كل شئ إلى ما يجرى اليوم فى عالمنا الاسلامى من محاولات التطويق والتضييق ، تطويق العمل الاسلامى و تكبيله بالسلاسل والأغلال ، وتضييق خناق الدعاة والعاملين فى مجال الدعوة الاسلامية ، مع استخدام كل نوع من أساليب العنف و التهديد ، والتعذيب .

كما تشير هذه الظاهرة إلى ارتفاع نسبة نجاح العمل الاسلامى ، وإخفاق جهود التضليل و إبلاس القائمين بها و فزع المشرفين عليها ، كما تدل على قلق الجبناء وانسحابهم عن الميدان حتى جر بهم الفزع من إحباط الجهود والمساعى الدعوية ومن وضع العراقيل فى طريق الدعوة الاسلامية إلى اختطاف الاسلاميين من الدعاة و العلماء .

فطوبى لكم هذه المحنة يا أبطال الرجال « فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به و ذلك هو الفوز العظيم » .

وسحقاً لكم يا أشباه الرجال وعملاء الاستعمار : « فاعترفوا بذنبهم فسحقاً لأصحاب السعير » . (وصدق الله العظيم)

سعيد الأعظمى

كيف نستقبل القرن الهجرى الجديد ؟

الأمة الاسلامية على أبواب القرن الخامس عشر للهجرة ، استقبلته أو سوف تستقبله على اختلاف القولين ، و لكن الذى لا مراء فيه و لا خلاف ، أن هذه الأمة تتهيأ للوقوف فى موقف حساب دقيق لمنجزاتها وأعمالها ، لأرباحها وخسائرها ، التى تمت لها فى القرن المنصرم ، و تستعد لعملية استعراض جديد لما مر عليها عبر قرن كامل من أحداث و أحوال و ظروف و أوضاع ، و ذلك هو شأن الأمم الحية والشعوب ذات الوعى و التاريخ ، فانها تعود إلى ملفات العمل فينة لأخرى ، و تراجع حسابها بشئ كثير من الواقعية و الجد ، فاذا ظهر لها خلل ما فى جانب تسرع إلى سد ذلك و إصلاحه و تستدركه بكل ما يمكن من أسلوب و طريق .

هذه المناسبة الكريمة تتيح لها فرصة طيبة للاعتبار بالماضى والتخطيط للمستقبل ، إنها توفر وقتاً مناسباً للتفكير فى دعوتها ورسالتها من جديد ، و البحث عن العوامل التى كان لها أوفر حظ من التأثير فى حياتها ونشاطها ، وكان لها أكبر نصيب فى بناء تاريخها وتكوين لحمته وسداه فى مختلف المجالات الحيوية و العملية ، إن هذه المناسبة من أقوى الدواعى لهذه الأمة إلى استذكار ما حظيت به فى مأة سنة الماضية من أداء مسئوليتها نحو العالم الغربى و أممه المختلفة التى لم يكن لها علم بالاسلام البتة ، و ما لقيته من نجاح فى ميدان الدعوة الاسلامية و فى مجالات العمل الاسلامى المتعددة ، ولاشك فان رقعة النشاط الاسلامى اتسعت إلى مدى بعيد فى كل مكان ، وتعرفت شعوب وأمم كثيرة بهذا النشاط ورحبت به ، ودخلت فى نطاقه ، كذلك تدعو هذه

المناسبة إلى استعراض الجهود التى بذلت فى المجتمعات الاسلامية شرقاً وغرباً لشرح محاسن الدين الاسلامى والمنهج الاسلامى للحياة ، سواء بالتأليف والكتابة أو الاتصالات و الاجتماعات ، مع ملاحظة مدى النجاح و الاخفاق فيها و ما ظهر من التركيز على جبهة الانطلاق للدعوة الاسلامية من قبل الدعاة و المصلحين الذين مضوا فى القرن المنصرم .

هناك صور كثيرة واضحة للجهود الاصلاحية و الدعوية و صور شتى غامضة فى نفس هذا المجال ، و قد جربت الأمة كلا من هذه الصور و الأشكال واطلعت على جوانبها و ملامحها بوضوح ، و هى الآن فى موقف الحكم الصحيح ، و موقف « تصحيح المسيرة » كما يقولون ، إنها تستطيع أن تضع خطة شاملة للعمل الاسلامى مع مطلع القرن الهجرى الجديد فى ضوء التجارب الماضية ، و فى ضوء الحقائق التى توصلت إليها طوال قرن كامل من الزمان ، و تركز على الجوانب العملية و المناحى الجدية التى لم تلق من العناية المطلوبة ما تستحقه ، و ظلت مهملة إلى حد كبير .

ولا ينبغى أن يفوت الأمة الاسلامية و هى فى مرحلة الانتقال أن تجعل المجتمع الاسلامى الأول الذى أسسه الرسول ﷺ والحياة الاسلامية الأولى التى عاشها الصحابة رضى الله عنهم ومن تبعهم ، منطلق العمل الاسلامى الخالص الذى تريد أن تخطط له ، وتتحمل مسئوليته ، ولا يفوتها التغييرات الهائلة التى حدثت فى نظرة الانسان المعاصر و رؤيته نحو الأشياء و حكمه فيها ، و ذلك بفضل رقيه فى جميع مجالات الحياة المادية و فى تقدمه فى العلوم والصناعات ، ومن أجل الأيدلوجيات الحديثة التى عملت فى النفس و المجتمع و اختمرت بهما ، معنى ذلك أنها لتعيين مسار العمل و وضع الخطة الصحيحة للمستقبل تحتاج إلى يقظة كبيرة وذكاء واسع ، وتفكير عميق ، لكى تستفيد من خبرات الماضى و تجارب الحاضر ، و تدرك عمق المسئولية و أبعادها ، التى

تنوء بها و تسد تلك الثغرات التى ورثتها من الماضى .

ثم إن العودة إلى الحياة النزيهـــة التى وجدت فى العصر الأول من القرن الهجرى الأول ودراستها بعمق و صبر و تحقيق من لوازم التخطيط والبناء للمستقبل، بل الحق أن لنا فى آثار ذلك العصر الأول دليلا أكبر على العثور على ركيزة العمل و علامة كبرى لما نبحث عنه من أساس واقعى للنجاح و لما نحتاج إليه من أسباب القوة و النصر و الغلبـــة ، إذ لم يكن ذلك العصر من مصادفات الزمان بل سبقته جهود و جهاد و تضحيات كبيرة ، و لعل الفساد الذى شمل الحياة الانسانيـــة قبل الاسلام أوسع رقعة من فساد اليوم ، وأكثر رسوخاً فى الطبائع والعادات ، ولكنه تغير بالصلاح و الخير بفضل رسالة الاسلام و الجهود التى بذلهـــا الرسول ﷺ و صحابتـــه رضوان الله عليهم فى أقل مدة ، حتى خضعت الأمم المتحضرة الراقية للاسلام و ارتضته كدين شامل كامل .

على ذلك الأساس المتين و الأصل الثابت يقوم كل جهد و عمل فى مجـال الاصلاح و التربية و التوجيه و التجديد ، و هو ضمان للنجاح و الانتصار فى كل زمن ، و قد ظهرت فى بعض الأحيان جهود إصلاحية كانت صلتها بمصـــدر القوة ضعيفة فباءت بالفشل ، وسببت ضرراً كبيراً للسلمين و نشاطاتهم فى مختلف المجالات الدينية ، ومن هنا يصبح الرجوع إلى الأصل من واجب الأمة قبل بدء أى نشاط فى مجال الدعوة و العمل ، وبذلك ينال القبول و النصرة من الله تعالى والترحيب و القبول من الناس أيضاً ، أفليس وجود الجماعات والأحزاب المتعددة التى ظهرت بمفاهيم جديدة للدين وتصورات خاطئة لحب الله ورسوله برهاناً على صدق ما أشرنا إليه ، وحجة على أن فكرتها عن الدين ينقصها شئ كثير من الفهم الصحيح للدين ، و من التصور الواضح النقى لمكانة المؤمن و مسئوليته فى هذا العالم .

وبمناسبة توديع القرن الرابع عشر واستقبال القرن الخامس عشر للهجرة النبوية على صاحبها ألف ألف تحية وسلام يحسن بنا أن ندرس معنى الهجرة ومكانتها و أحكامها فى الاسلام ، و كيف كانت الهجرة فى الحقيقة قفزة نحو مستقبل باسم لامع للاسلام ، ومن أقوى عوامل النصر والفتح المبين للسلمين ، وإن كانت الهجرة خاصة بالنبي ﷺ و بأصحابه رضى الله عنهم قبل فتح مكة ، و لم يعد لها ذلك الحكم بعد الفتح لقول الرسول ﷺ « لا هجرة بعد الفتح و لكن جهاد و نية » و لكن التضحيات الضخمة بالنفس و الأهل و المال التى لا تفارق معنى الهجرة لا تزال أساساً لكل فتح مبين ، و لكل سعادة دينية و دنيوية ، و إن عمل الدعوة والعمل الاسلامى لا يمكنه أن يقوم و يثمر بدون دوافع التضحية و الايثار و الاخلاص و هى الشرط الأساسى الأول للبدء بأى نشاط دينى و عمل إسلامى .

فى العالم الاسلامى اليوم تحركات واستعدادات لاستقبال القرن الهجرى الجديد على النطاق الشعبي و الرسمى كليهما ، ويبدو أن المسلمين فى كل بلد إسلامى يتفاءلون بهذا الحادث التاريخى العظيم ، ويتطلعون إلى مستقبل باسم لامع ويرجون من الله أن يكون القرن الجديد مبدءاً للعودة إلى المجد الاسلامى و العز التليد الذى فقدوه من زمان واستلبه منهم انشغالهم بما ليس من شأنهم و انصرافهم عن مركزهم إلى أمور لا تمت إليهم بصلة ، فشاع الفساد من أجل ذلك على أوسع نطاق وغطاهم من كل ناحية و فى كل مكان « ظهر الفساد فى البر و البحر بما كسبت أيدى الناس ليذيقهم بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون » .

أرى أن هذا الوقت أصلح شئ بالنسبة إلى الجماعات الاسلامية و الدول الاسلامية لانجاز بعض المهمات و بدء بعض المشاريع الدعوية عسى أن يكون ذلك نقطة انطلاق للسلمين ومصدر إشعاع للامم والشعوب و مشعل هداية و نور للعالم كله ، فعلى سبيل المثال يمكن أن نتجه إلى الأمور التالية :

١ـ التركيز على دراسة السيرة النبوية فى ضوء الكتاب و السنة بعمق و بصيرة وتأمل ، مع ملاحظة خلفيات هذه السيرة ، واعتبارها مصدر إشعاع فكرى ودعوى

وعملی للسلم ، ويمكن أن يخصص لموضوع السيرة و دراسته على هذا النمط والأسلوب العملي وقت أو حصة فی مدارسنا و جامعاتنا و مراكز الدعوة و الارشاد ، و في المساجد و الجوامع ، بالخطب و المحاضرات ، و القيام بعرض هذه السيرة العطرة فی المجالات العملية ، لكی تكون باعثة على التقليد والاتباع لكل مسلم فی كل مكان ، ويجد فيها المسلم نموذجاً كاملا للحياة الانسانية فی كل جزء وجانب ، وفی كل النواحی الحيوية التی تتمثل فی الانسان كأب و زوج و أخ و صديق و كداعية و عالم و أستاذ و مرب و تاجر و جندی و ما إلى ذلك .

٢- وضع كتب و مجاميع حول السيرة العطرة تشمـــل الموضوع فی أسلوب موضوعی خالص مع استخلاص النتائج الايجابية المؤثرة التی تخاطب العقول و تدعو إلى الاعجاب بها و اتباعها .

٣- تأسيس المكتبة الاسلامية التی تحتوی على كتب و مؤلفات إسلامية خالصة فی مختلف اللغات تعرض الفكر الاسلامی النقی و تضیء جوانب الفكر وتبعث الثقة فی النفوس بالاسلام ، و تقدم حلولا كاملة لجميع الأزمات و المشكلات العالمية التی يجتازها العالم المعاصر ، و تمر بها المجتمعات الانسانية على جميع المستويات .

ولا يخفى أن العالم كله يسوده اليوم قلق و اضطراب وفوضى سياسية واجتماعية و أزمات اقتصادية وصناعية و نفسية ، وألوان من المحن و عوامل الشقاء والتعاسة و الدمار ، وهو أحوج ما يكون إلى علاج للتخلص من هذا البلاء و الخروج من هذه المصيبة !

أفليس فی تعاليم الرسول و حياته و سيرته التی كانت منحة من الله خالدة للانسانية كلها ، ولكل عصر وجيل وفی كل زمان ومكان ، أفليس فيها حل كامل لهذه المحن و المشكلات و علاج كاف لهذه الأدواء والأمراض التی يعانی منها الانسان اليوم ، والله سبحانه و تعالى يقول : « لقد كان لكم فی رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً » ؟

سعيد الأعظمی

التوجيه الإسلامي

على مائدة القرآن الكريم :

رسول الله ﷺ كقائد حربي

بقلم : الكاتب الاسلامي و المفسر الشهير المرحوم عبد الماجد الدريابادي
تعريب : الأستاذ نور عالم الندوي

[تبوىء المؤمنين مقاعد للقتال]

ترتيب صفوف القوات ترتيباً لائقاً ، وإقامة الخطوط الدفاعية على استراتيجية حكيمة ، يحملان أهمية قصوى في فن الحرب الحديث كأهميتها في زمن « سكندر » و « دارا » و يشغل شرح أهمية « الموقع » (position) في كتب السياسة الحربية الحديثة حيزاً كبيراً ، وقد كان سيدنا محمد ﷺ - بجانب كونه سيد الانبياء وأفضل الرسول - قائداً عصامياً منقطع النظير .

يقول أحد مؤرخي الاسلام الأفرنج (Ton andre) في القرن العشرين وهو يتحدث عن عبقريته ﷺ القيادية :

« . . . . . . و على العكس من معانديه الذين ، لم يكونوا يتصفون بشئ فوق الهمة و الشجاعة . . استطاع (محمد ﷺ) أن يبتكر طريقة للحرب جديدة ، و أن يستخدم - بالعكس من تهور أهل مكة - الحزم و الحكمة و الضبط الدقيق ، و التنسيق المحكم »

ضوء على جانب من معركة أحد :

[إذهمت طائفتان منكم أن تفشلا]

« الهم » لها معاني كثيرة « الهم : قد يراد به الكفر ، وقد يراد به حديث

النفس (١) و المراد هنا هو المعنى الآخر ، كما ذهب إليـــه فخر الدين الرازى وصاحب روح المعانى ، [طائفتان] والمراد من « طائفتان » بنوسلمة من الخزرج ، و بنوحارثة من الأوس (٢) .

إن هاتين الطـائفتين قد تسرب إليهما الفشل وضعف الارادة وخور الهمة ، مما رأنا من صنيع عبد الله بن أبى ، ولـكن رافقهما التوفيق الالهى ، والعطف الربانى ، فما تخطيتا حديث النفس إلى العزم والتطبيق ، وإنما مر ذلك بقلوبهم مرور الطيف العابر ، و هذه الخاطرة كان السبب فيها نظرهم إلى قلة عـــددهم و عددهم ، إذاً فكانت نابعة من الضعف المادى و لم تكن ناتجة من الضعف الايمانى و التفكك العقائدى ، و الارتياب فى حقيقة الدين الذى احتضنوه ، و الشريعة التى اعتنقوها .

« ذلك نه إنما كان ذلك منهما عن ضعف أو وهن أصابهما من غير شك فى دينهما (٣) .

يقول المؤرخ الانجليزى فى القرن التـــاسع عشر « باسورث اسمث » و هو يصف الغزوات الابتدائيـة :

« إن هذه المظاهر تفوق روايات «هومر» إخلاصاً وإيثاراً وشجاعة وبسالة (٤) .

نزول الملائكة « خلال المعركة » :

[يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين]

(مسومين) يعنى مميزين بعلامات واضحة « أى معلمين بعلامات » (٥) .

(١) التفسير الـكبير . (٢) أنظر سيرة ابن هشام

(٣) ابن هشام .

(٤) محمد و المحمدية (Mohammad & Mohamdenism) ص ٢٠٨

(٥) تفسير القرطبي .

أما نزول الملائكة في الواقع ومساهمتهم العملية للمؤمنين في القتال مع الكافرين ، فان القرآن قد سكت عن ذلك ، والروايات تؤيد كلا الرأيين : الايجابي و السلبي ، ولكن ليس هناك دليل قاطع على الأول أو الثاني . .

« لم تتعرض الآية الكريمة لنزول الملائكة و لا لقتال المشركين و قتلهم ، بل هو أمر مسكوت عنه في الآية » (١)

« قال ابن عباس و مجاهد لم تقاتل الملائكة إلا يوم بدر ، و قال بعضهم إنما كانت الفائدة في كثرة الملائكة أنهم كانوا يدعون و يسبحون و يكثرون الذين يقاتلون يومئذ ، فعلى هذا لم تقاتل ملائكة يوم بدر ، وإنما حضروا الدعاء بالتثبيت و الأول أكثر » (٢)

ورد في رواية عامر الشعبي أنه بلغ المسلمين أن كرز بن جابر المحاربي ارتحل يعين الكفار ، فمن أجل نزع المخافة من قلوب المسلمين و تثبيتهم أكد لهم أن الملائكة على استعداد لنصرتهم ، وبما أن كرزاً لم يحضر القتال ، فلم تمس الحاجة إلى نزول الملائكة وقتالهم للمشركين .

فبلغت الكرز الهزيمة فرجع ، و لم يمدهم بالخمسة » (٣)

« فبلغ كرزاً و أصحابه الهزيمة فلم يمدهم ، ولم تنزل الخمسة » (٤) .

وصرح العلامة الآلوسي البغدادي أن الكلام إذا كان يتعلق بغزوة أحد فواضح أن الامداد بالملائكة لم يقع فيها ، إما إذا كان يتعلق بغزوة بدر ، فانه أمر مختلف فيه فيما بين العلماء :

---

(١) البحر المحيط .

(٢) تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)

(٣) تفسير الطبري . (٤) نفس المصدر

« و فى ذلك ترديد و تردد ، لأن هذا الكلام إن كان فى غزوة أحد فلا شبهة فى عدم و قوع ذلك ، و لا بملك واحـــد ، لعدم و قوع الشرط ، و لذا وقعت الهزيمة ، و إن كان فى غزوة بدر ـ كما هو المعتمد ـ فقد وقع اختلاف فى أنهم أمدوا بهذه الخمسة الآلاف ، أو لا ، فذهب الشعبى إلى أنهم أمدوا بغيرها » (١)

و اتفق معظم رجال التفسير على أن الامـــداد بالملائكة قد وقع بمنـــاسبة غزوة بدر . إلا أن أبا بكر الأصم التابعى يرفض ذلك بكل شدة و يعضد رأيه بكثير من الدلائل .

« أجمع أهل التفسير و السير أن الله تعالى أنزل الملائكة يوم بدر ، و أنهم قاتلوا الكفار ، و هذا قول الأكثرين ، وأما أبو بكر الأصم فانه أنكر ذلك أشد الانكار ، و احتج عليه بوجوه » (٢)

ثم هنـاك سؤال هام يطرح نفسه : ما هى نوعية نصرة الملائكة للمؤمنين يوم بدر ، أ هم ساهموا مساهمة عملية و باشروا القتال ، أم اقتصروا على تثبيت قلوب المجاهدين و قذف الرعب فى قلوب الأعداء .

« اختلفوا فى كيفية نصرة الملائكة ، قال بعضهم بالقتال مع المؤمنين ، و قال بعضهم بل بتقوية نفوسهم و إشعارهم بأن النصر لهم ، و بالقـــاء الرعب فى قلوب الكفار » (٣)

الموت و الحياة بيد الله : « و الله يحيى و يميت »

أسبـاب الموت و الحياة بيد الله تماماً ، و لذلك فصرف النظر عن مسبب الأسباب ، والعلة الحقيقية فى الموت أو الحياة ، إلى الأسباب الظاهرة العـارضة ،

---

(١) روح المعانى

(٢) التفسير الكبير (٣) التفسير الكبير و البحر المحيط

جعل الرحلة ، أو الجهاد ، سبباً مباشراً فى الموت أو القتل . . إنه لجهل أى
بل ، و سفاهة لا سفاهة بعدها .

يقول أحد الاخصائيين فى (علوم العمران) « Denison » فى كتابه
« Emation as abasis of ciulization » .

« إن عقيدة القضاء و القدر لدى المسلمين ، و تفويضهم كل الأمور التكوينية
ل الله ، و عقيدة الشهادة ، (يعنى اعتقادهم أن الشهيد يدخل الجنة رأساً ، حيث
تمتع بسبعين من الحور ، و الظروف الذهبية) كل ذلك أكسبهم قدراً كبيراً من
وة الصمود و الثبات و الثقة و الاعتماد فى ميادين الحرب » (١)

إن هذا المستشرق الأمريكى رغم أنه لا يؤمن بعقيدة القضاء والقدر ، وبعقيدة
لشهادة و غيرها ، لكنه لا يسعه إلا أن يعترف بمصلحة هذه العقائد ، و قوتها
لافادية .

(١) راجع كتاب « Ematsion as abasis of ciuilization » ص ٢٠٦

غاية التعليم و التربية فى العالم الاسلامى و منهاجه

[هذه الخطبة ألقاها سماحة الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى فى جامعة كراتشى (باكستان) فى ١٢/ يوليو ١٩٧٩م، بمناسبة حضوره فى المؤتمر الآسيوى الأول الذى عقدته رابطة العالم الاسلامى وقد استمع إليها أساتذة الجامعة و طلابها ، والمسئولون عنها ، بالاضافة إلى عدد وجيه من خبراء التعليم والثقافة و الاجتماع والسياسة و الصحافة ، و القادة و الزعماء ، و المسؤلين عن المراكز التعلمية و الثقافية .

و قد عرب الكلمة الأستاذ نور عالم الندوى ، أستاذ كلية اللغة العربية ، بجامعة دار العلوم ندوة العلماء] « التحرير »

العلم حقيقة :

صاحب السعادة رئيس الجامعة ، وأصحاب السعادة و الفضيلة أساتذة الجامعة ، و طلابها و طالباتها ، و إخوتى الأعزاء !

على الرغم من أنى لا أومن بتقسيم فى العلم ، و إنى أعتقد أن العلم وحدة لا تتجزأ ولا تقبل التوزيع و التصنيف ، و لا يصح تقسيمه بين قديم و جديد ، و شرقى و غربى ، و عملى و نظرى ، إنى أرى ـ كما يرى الدكتور محمد إقبال ـ أن التوزيع بين القديم والجديد لا يقول به إلا قاصرو النظر ، ضيقو الفكر . . بل إنى لا أومن بتقسيم العلم إلى دينى و دنيوى أيضاً ، إنى أرى أن العلم حقيقة

او تجربة لا يملكها بلد دون بلد أو أمة دون أمة ، ولا ينبغی أن يكون كذلك ، ولن يمكن ذلك ، كما إنی لا أومن بتحديد منابع اخری فی الحياة تحديداً خغرافياً ، أو سياسياً ، أو عنصرياً ، أو قومياً .

على كل فانی أومن بأن العلم وحدة لا تتجزأ ، و ما يراه النـاس كثرة أراه وحدة ، و وحدية العلم هی صدقه ، و واقعيته ، و كونه حقيقة ، و ولوعه بالحقيقة و نشدان الصدق و الواقعية .

على الرغم من ذلك كله أشكر صاحب السعادة رئيس الجـامعة ، و المسؤلين عنها إذ اختاروا للتحدث إلى هؤلاء الطلبة الأعزاء ، و إلى هذه الأزهار و البراعم الناعمة فی حديقة الاسلام ، رجلا ينمی ـ عن فهم ، وعن قصد أوخطأ ـ إلى منهاج التعليم القديم ، و من هنالك أرى لزاماً أن أعترف برحابة صدوركم وسعة أفقكم ، و انفتاح أنظـاركم ، حيث أنكم ما أبهتم بهذا الفرق بين القديم و الجديد الذی يراه قصار النظر منالناس .

إنی لا أومن ، لا فی العلم ولا فی الأدب و لا فی الشعر ، ولا فی الفلسفة والحكمة ، بأنه من تزی بزيه الخاص فهو العالم أو الأديب أوالشاعر ، أو الفيلسوف و الحكيم ، و أن من تخلی عن هذا الزی فليس يستحق الخطـاب و لا يستحق الاهتمام والالتفات ، فضلا عن الاستماع إليه ، ومن سوء الحظ أن ذلك قد راج رواجاً كبيراً فيما يتصل بالأدب والشعر ، فيتهم بقلة الأدب من يحضر ندوة علمية أو أدبيـة أو شعرية ولا يحمل « لافتة الأدب » ، ولا يتزی بزيه الخاص ، و أصبح الناس لا يغفرون جريمة من لم يرتدوا زی الأدب و الشعر ولم يتمكنوا من الحصول عليـه من « دكانه » من الأدباء و الشعراء الموهوبين الذين جبلوا على فطرة الأدب و سليقة الشعر .

على كل فانى ارى أنها خطوة جريئة منكم أن دعوتمونى لالقاء الكلمة فى هذه الجامعة - على الرغم من أنى أومن بآفاقية العلم و شموله و حيويته و لا أراه ملكا لأحد ، أو لجهة ، أو لبلد ، أو لأمة ، فخزائن الله زاخرة ، وهى مفتوحة لكل من كان مخلصاً فى الطلب ، صادقاً فى العزم - إنها تستحق التقليد ، و أود أن تدعو مدارسنا القديمة رجال المدارس الجديدة و المثقفين العصريين ، و أن توجه جامعاتنا و مدارسنا العصرية الدعوة إلى أولئك العلماء و الأفاضل الذين أخلصوا فى طلب العلم ، و لم يقصروا فى الاستفادة من التجارب الانسانية العظيمة ، و الانتاجات البشرية العلمية و الأدبية .

الغاية الأولى و الأساسية من التعليم :

أيها السادة ! إن قلبى مفعم بعواطف الشكر ، حيث أتيح لى فرصة لالقاء كلمة أمام هذه المجموعة الطيبة التى تشتمل على كثير ممن قد يلعبون غداً دوراً خطيراً لا فيما يتعلق بهذا البلد وحده ، بل على مسرح العالم الاسلامى ، وقد يمسكون زمام إدارة البلاد ، أو يتاح لهم أن يوجهوا توجيهاً تربوياً تعليمياً على الأقل .

وفقنى الله ان أقرأ كثيراً وكثيراً فيما يتصل بالتعليم والتربية وغايتهما المنشودة ، و الفائدة التى يجب أن تجنى منهما ، لكنى أكتفى بهذه المناسبة بتقديم شهادة واحدة فيما يتعلق بتعريف العلم وتحديد غرضه لخبير تعليمى بريطانى معروف (Sir percy - neinn -) من مقال له كتبه لدائرة المعارف البريطانية .

« لقد سلك الناس مسالك مختلفة فى التعريف بالتربية ، و لكن الفكرة الأساسية التى تسيطر عليها جميعاً : أن التربية هى الجهد الذى يقوم به آباء شعب ومربوه لانشاء الأجيال القادمة على أساس نظرية الحياة ، التى يؤمنون بها ، إن وظيفة المدرسة أن تمنح للقوى الروحية فرصة التأثير فى التلميذ ، تلك القوى الروحية

التى تتصل بنظرية الحياة ، و تربى التلميذ تربية تمكن من الاحتفاظ بحياة الشعب ، وتمد يدها إلى الأمام (١) .

إن هذا التعريف بالتعليم و التربية هو أروع و أجمع و أكثر تواطؤاً مع العمل والتطبيق من بين جميع المحاولات التى بذلت فى سبيل التعريف بالتعليم والثقافة .

ما هى غاية التربية ؟ و ماذا يراد من ورائها ، و لماذا تبذل المواهب الفنية على التعليم ، و لماذا تنفق قوى الأمة بسخاء و على طريقة منظمة ، ألكى يوجد التعليم فجوة بين الأمة و بينما تعتز به و تتبناه من معتقدات ، وأغراض ، وتراث حضارى و علمى ، و تصورات ، و سواء أكان كل ذلك مما ينبغى الاعتزاز به أم لا ، لكن الشئ الذى تحبه ، و المعتقدات التى تعتز بها ، و التصورات و القيم والمثل (Values) و العقائد (Concepions) و الأفكار (Idias) التى تتغنى بها و التراث الذى توارثته من آبائها وأسلافها ، من وظيفة التعليم الأولى أن يربط بين الأمة و بين هذه الأشياء ، و ينقل هذا التراث إلى الأجيال القادمة ، و النشء الجديد ، ذلك التراث الذى أفرغ عليه سلفها خير قواهم ومواهبهم ، و بذلوا مدة طويلة من وقتهم ، و ربما قاتلت تلك الأمة فى سبيله و حاربت وجاهدت ، وضحت بعزها وشرفها ، ومجدها التليد ، ومن الفضول أن نتعرض بهذه المناسبة لما إذا كانت القيم التى حاربت الأمة من أجلها قيماً صالحة أم لا ، لكن مسئولية التعليم أن ينقل هذا التراث إلى الأجيال المتلاحقة ، ولا يقتصر على النقل و التصدير فحسب ، بل يعمقه فى القلوب و الأذهان ، و يجعل القلوب و العقول تسيغه و تتذوقه ، و لا يعود نائياً لديها أو أجنبياً عندها ، بل يعود مألوفاً لها و محبوباً عندها ويصير طبيعة لها .

---

(١) دائرة المعارف البريطانية ، بند « التعليم » (Education)

أمة محمد ﷺ أمة ممتازة ، فى خصائصها
و مزاياها ، و صياغتها و عناصر تركيبها :

أرى أن هذا التعريف بالتربية بقلم خبير بريطانى تعريف جامع جداً ، لكن إذا كان الأمر أمر أمة ، عقائدها وقيمها ليست من عند نفسها ، بل نابعة من الوحى الالهى ، والكلام الالهى ، والنبوة والرسالة ، والعلم اليقينى الغيبى الأزلى الذى لا يحول و لا يزول و لا يتغير قليلا أو كثيراً ، فهنالك تتضاعف المسؤلية و تتضخم .

فاذا كان هناك تعليم يزعزع عقائد تلاميذه ـ من شعور أو من غير شعور ، عن قصد أو عن غير قصد ، عن خطأ أو عن خطة مدبرة ـ ويزعزع جذور قيمهم فى قلوبهم ، ويفكك عراها ويمزقها : ويثير فى قلوبهم شكوكا وشبهات لا تزول ، وصراعاً نفسياً (Mental Conflict) ويتجاوز هذا الصراع الأفراد إلى الحياة الاجتماعية للأمة ، ويتحول الصراع إلى حرب دامية شعواء بين تلك القيم والمفاهيم والتصورت و المعتقدات ، و الأفكار والعقائد ، و بين ذلك الجيل المثقف بذلك التعليم وتلك الثقافة .. أيها السادة ! إنى لا أومن بالاسلام كتراث (Legacy) و لا أرى ذلك تعريفاً رائعاً بالاسلام ،

و لذلك فانى لست معجباً بالكتب التى وضعت على (Legacy of islam) و (Heritage of islam) إنى أرى الاسلام رسالة للحياة ، لا أراه قادراً على مسايرة الزمان فحسب ، بل أراه قائداً للزمان و موجها له ، لا أراه رفيقاً للزمان فى رحلة الحياة ، بل أراه محاسباً للزمان و مراقباً له (Gaurdian) فاذا كان هناك مثقف بالتعليم العالى يقع فريسة الشك والارتياب فى جميع قيمه وتصوراته ومعتقداته ، أو يعود يراها دمى يسلى بها الصبيان و الأطفال ، أو أسطورة يتعلل بها السذج و الجهال ، أو يصبح لا يتحمس لها ، و لا يقاتل فى سبيلها ، و لا يدافع عنها ،

ولا يغامر من أجلها إذا مست الحاجة إلى ذلك ، إذا كان ذلك فان هذا التعليم عدو لدود لمن يحصله يجب أن يفر منه فرار الانسان من الأسد بل أكثر من ذلك .

قضية البلاد الاسلامية أهم و أخطر :

أيها السادة ! و إذا ما أتحدث إليكم فى هذا الحفل الكريم ، و فى رحاب هذه الجامعة الكريمة ، وعلى جزء من ربوع باكستان ، فانى أخاطب العالم الاسلامى كله ، أخاطب تركيا ، أخاطب مصر و الشام و العراق ، و أخاطب المملكة العربية السعودية التى انعقد فيها منذ شهور مؤتمر عالمى للتعليم الاسلامى (All World Islamic Education Conference) حضره من باكستان الأستاذ إحسان رشيد ، و صاحب السعادة و المعالى اے کے بروهى ، وحضرته أنا من الهند ، و قد صرحت عند ذلك - فى المحاضرة التى ألقيتها - أن الأمر يصبح ذا خطورة و حساسية و تعقيد إذا كان يتعلق ببلد إسلامى ، تعيش فيه أمة ذات شخصية (Perso nality) وذات خصائص ومميزات ، ذات دعوة ورسالة ، مكلفة بقيام دور فريد فى العالم البشرى ، تنبع معتقداتها و قيمها و مثلها ، و تصوراتها و أفكارها ، و وجهات نظرها من الوحى الالهى ، فاذا كان التعليم يحدث صراعاً فى مثل هذا الجيل ، ويحمله يخلع معتقداته و تصوراته العريقة بعد ما يتخرج فى جامعة عصرية ، و يصبح و كأنه أمة جديدة أو أمة أجنبية تبدو نابية قلقة فيما بين الشعب المسلم ، و يحصل من ذلك كله تعقيد جديد ، و تحدث مشكلة جديدة (Problem) و يحدث صراع مرير - و قد يكون صراعاً دموياً - بين هذا الجيل المثقف و بين عائلته الاسلامية و آبائه و أمهاته ، و بين المجتمع الذى هو عضو فيه ، و بين تاريخه و تراثه ، و قيمه و مآثر أسلافه ، و بين منصبه و مكانته التى حباها الله إياه ، و بين رسالة الاسلام ، و العمل الاسلامى ، و آمال الأمة الاسلامية وأحلامها ، إذا كان

كل ذلك، فانى لا أرى فى هذا التعليم خيراً، ولا أراه خدمة للانسانية (Service) بل إنه سوء خدمة (Disservice) .

المسؤلية الأولية لجامعة إسلامية فى بلد إسلامى :

و معذرة إليكم فانى لا أشير إلى جامعة بعينها ، ولا إلى المسؤلين عن جامعة محددة ، و إنما أتعرض لأمر مبدئى ، و أريد أن أقرر أن المسؤلية الأولى والأهم و الأقدم لجامعة تقوم فى بلد إسلامى، هى أن تؤكد إيمان الأمة بالعقائد والأفكار التى تؤمن بها ، و الحضارة التى تحتضنها ، و الدعوة و الرسالة التى تتبناها ، و الخصائص و المزايا التى تحملها ، حتى لا يعود هذا الايمان إيمان رجل عادى (Layman) أو إيمان رجل الشارع (Man of street) بل يكون إيمان عالم، إيمان مثقف ، إيمان دارس ، ويطمئن عقله كما يطمئن قلبه، ولا يعود كما يقول الدكتور محمد إقبال «قلبه مؤمن وعقله كافر» مخاطباً فيلسوفاً غربياً . . وإذا كان الصراع لا يجوز بين الفرد والجماعة ، فانه كذلك لا يجوز بين القلب والعقل فى حياة المرء الانفرادية ، فاذا كانت هناك جامعة تسبب هذا الصراع ، أو يسببه مناهجها التعليمى و منهجها العملى ، و نظامها الادارى ، و بيئتها العلمية ، فذلك شؤم لا شؤم بعده للبلد الذى تقوم فيه الجامعة . .

لا بد من اطمئنان القلب و العقل معاً :

أيها السادة طلبتم منى أن أتحدث حول موضوع مناهج الجامعات الاسلامية و غايتها . . إن الغاية الأساسية للجامعات الاسلامية ، أن توجد الايمان بتلك الأشياء التى أشرت إليها ، الايمان الذى يأتى عن طريق العلم و الثقافة و الدراسة ، و عن الشعور و التفكير ، و عن طريق اطمئنان العقل ، وعن الدراسة المقارنة ، و إذا كان هنـــاك رجل إنما يؤمن قلبه و لا يطمئن عقله ، و هو يعلل عقله

و يسليه ، و يحاول أن لا يستيقظ عقله ، كشأن الأمم غير المسلمة العديدة التى ترى بقاء دياناتها ورقيها فى عدم يقظة الشعور ، و تحاول أن يظل أتباعها سادرين فى سبات الغفلة ، مسدوداً عليهم منفذ النور والهواء ، و من هنا وقع بين الكنيسة والعلم (Church & Science) ذلك الصراع الدموى الذى تقرؤن قصته المؤلمة المفجعة فى كتاب « الصراع بين الدين والعلم » (Confict Beitween Religion & Science) للعالم الأمريكى المعروف « درابر » (Johnwi William Drapper) ، وإنما وقع هذا الصراع لأن الكنيسة كانت ترى أن الخير كل الخير فى تبلد الشعور الانسانى ، بل كانت تعمل فعلا على تجميده و إماتته ، و كانت تؤمن بأن من الخير والسعادة أن يكون الانسان محدود العلم قاصر المعرفة ، بل عديم العلم جاهــلا ، و ما دام الحال على هذا المنوال . كان الايمان بالكتــاب المقدس راسخاً قوياً ، و كانت المسيحية عميقة الجذور ، بعيدة الغور فى المجتمع ، ذلك أن العهد العتيق كان يشتمل على كثير مما لا يؤيده العلم الحديث ، بل ينفيه و يفنده ، فكانت الكنيسة رأت من المصلحة أن لا يتيقظ شعور المسيحى ، و لا يتفتح وعيه ، و لا يتسع أفقه ، و لا يتقدم العلم ، فحاولت أن تقف فى وجه العلم لأنها ظنته عدواً لها لدوداً ، و خصماً محارباً حانقاً ، و لكنها اضطرت أخيراً أن تضع السلاح أمام مد العلم وسيله الجارف ، وتياره العنيف ، لأنه حاجة الانسانية ، ومقتضاها الطبيعى ، وعاطفة الانسان الداخلية ، و نعمة الله الغالية ، و ضرورة العــالم البشرى ، جعله الله لكى يخضر و ينمو ، و يورق و يثمر ، لا لكى يذوى و يذبل ويموت ، أو هل تموت الحقائق ؟ ! على كل فان العلم كسب المعركة ، وذاقت الكنيسة هزيمة و عاراً وشناراً منقطع النظير ، أمام العــلم و تطلع الانسان إليه و طلبه الجامح له .

و تلك هى قصة مشئومة وقعت فى العالم المسيحى ، و لكنها تركت آثارها

على دنيا البشر كلها ، و على جميع الديانات تقريباً ، و قد جعلت الناس يفهمون أنه لا يمكن أن يتقدم العلم والعقل معاً ، وأن يساير الدين العلم ، ولا بد هنا بصفتى دارساً للتاريخ ، أن اعترف - مع الأسف - أن هذا التفكير الخاطئ قد نال بعض نصيبه من المفعول فى بعض الدول الاسلامية و لو لبعض الحين ، لكنه ما لبث أن لقى حتفه ، لأنه يتنافى مع روح الاسلام و طبيعته ، و لم يدم هذا الصراع المصطنع فى العالم الاسلامى طويلا ، ولأنه لم يكن وليد خطأ فى داخل العالم الاسلامى ، و إنما كان قد نشأ عن طريق أوربا المسيحية ، ولكنه غاب وانقشع كسحابة صيف ، أو بسرعة أكثر منها .

مصير العلم مرتبط بالقلم :

أرى أن من واجبات الجامعات الاسلامية أن تحاول أن لا تقع جفوة بين العلم و الدين كما وقعت بينهما فى العالم المسيحى ، أو فى دنيا الديانات التى لم تكن فيها رابطة بين العلم والعقل ، بل إن نشوءها كان مديناً للجهل ، فقد تولدت و ازدهرت بمعزل عن العلم و العقل بل على غفلة من العلم و العقل ، ففيها مجال لنشوء الفجوة والجفوة بين العلم والدين وبين العلم والعقل ، ولكن لا يتصور ذلك فى الدين الذى أعلن دعوته منذ اليوم الأول بل منذ اللحظة الأولى بما يلى :

« إقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم ، الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم » .

الدين الذى لم ينس هذا القلم المتواضع حتى فى الحلقة الأولى من وحيه ، و لم ينسه لدى هبوب النفحة الأولى من النفحات الربانية ، لم ينس أن يؤكد أن مصير العلم مرتبط بالقلم ، لم ينسه فى خلوة غار حراء التى أدركها هنا نبى أمى يتلقى الرسالة الالهية لهداية البشرية ، ذلك النبى الذى لا عهد له بالقلم ، و لم يعرف من ذى قبل كيف يحرك القلم ، و لم يتعلم فن الكتابة و القراءة بتاتاً ، شئ لن يجد

الانسان نظيره فى تاريخ العالم البشرى ، و لا يمكنه أن يتصور هذا المكان العالى ، لا يمكنه أن يتصور أن ينزل وحى على نبى أى بين أمة أمية فى منطقة لم تعرف القراءة و الكتابة المعرفة تذكر . فضلا عن المدارس و المعاهد و دور التعليم و الجامعات ، فى الوقت الذى لأول مرة تم فيه اتصال السماء بالأرض بعد مدة قرون ، ولا يبتدىء هذا الوحى بكلمة « أعبد » ولا بكلمة « صل » أو ما إليهما من الكلمات المتجانسة ، و إنما يبتدىء بكلمة « اقرأ » يخاطب المنزل عليه بالقراءة و لا عهد له بها ، لكى يقرر و يؤكد له أن الأمة التى يكلف بهدايتها و تربيتها و تعليمها هى أمة ليست ولوعاً بالعلم فحسب ، بل ستكون معلمة العالم ، مولعة بنشره و تصعيده وترقيته ، و العهد الذى يقوم فيه بوظيفة الهداية و التبليغ والتربية و التعليم ، إنه ليس عهد الأمية و الوحشة و الجهل ، و عهد الظلمة و الهدم و التخريب ، و إنما هو عهد العلم و العقل و التفكير ، و عهد النظر و الحكمة ، و عهد البناء والتعمير ، و عهد حب الانسانية ، و عهد الرقى و التقدم .

كانت التجربة الفريدة الطريفة ـ لوصح التعبير ـ فى تاريخ الديانات و تاريخ العالم أن الوحى الأول الذى نزل على النبى الأمى بين الأمة الأمية كانت بدايته بكلمة « اقرأ» « اقرأ باسم ربك الذى خلق » كان من الخطأ الفادح أن انقطعت صلة العلم بالرب ، فحاد عن الصراط المستقيم ، فجاء الوحى الالهى الذى نزل على النبى الأمى يصله بالله ، ويربطه بالرب تبارك وتعالى ، حيث جاء ذكر العلم مقروناً باسم الرب ، لكى يعلم البشر ضرورة بداية العلم و التعليم و القراءة باسم الرب ، الذى وهب هذه النعمة الغالية و من بها على عباده ، و هو الذى خلقه ، فلا يتقدم تقدماً متزناً إلا تحت توجيهه وهدايته ، إن الآية التى نتحدث عنها ، إنها ذات ثورة و انقلاب عظيم فى التفكير و العقلية و النفسية ، قرعت الآذان البشرية فى بداية الاسلام ، و كان ذلك

شيئاً لم يخطر من أحد على بال ولم يتصوره فى حال من الأحوال ، لو سئل الأدباء و الحكماء و الفلاسفة و العلماء فى العالم البشرى عن افتتاحية هـذا الوحي الذى سينزل على النبي الأمى ، لم يكن أحد منهم ـ يعرف طبيعة تلك الأمة التى نزل بينها الوحى ، ويعرف عقليته ـ ليقول أنه سيبتدى بكلمة « اقرأ » كان لهم أن يتنبأوا بكل شئ ، ولكن لم يكن لهم ليتكهنوا أن الوحى سيكون استهلاله بكلمة « اقرأ » ثم إنه لم يبتدىء بكلمة « العلم » و إنما بالقراءة ، و القراءة تتضمن الكتابة والقلم والورق بينما العلم قد يكون وهبياً ، لا يحتاج إلى القلم والقراءة و الكتابة والورق ، مما دل على أن هـذا العلم سيكون وليد القلم ، وليد الورق ، وليد الكتابة ، وليد المكتبات و الكتب و المؤلفات والصحف ، وليد التجارب ، وليد الذكاء « اقرأ باسم ربك الذى خلق » .

هذا الدين لن يفارق العلم :

مما يجب الانتباه له أن الوحى الالهى أكد أن طبيعة هذا الدين أنه لن يفارق العلم لأن الرسالة الأولى التى وجهته إلى البشرية تأمر بالقراءة ، فكيف يسوغ أن يبقى المسلمون جاهلين لا يعرفون القراءة ، و المسلم الذى قطع صلته عن العلم ليس بمسلم حقيق ، ولا يجوز له أن يدعى أنه ممثل صحيح للاسلام ، ثم يجب الانتباه لهذه الدعوة الثورية « اقرأ باسم ربك الذى خلق » كيف ينبه الوحى الالهى أن تكون هـذه الرحلة ـ رحلة العلم ـ فى هداية هاد كامل و ليس هو إلا الله العليم الكريم ، لأن الرحلة طويلة شاقة معقدة خطرة ، و الطريق وعرة ذات منعطفات تعترضها بحار و أنهار ذات عمق سحيق ، و تتخللها غابات كثيفة فيها سباع مخوفة ، و حيات و عقارب سامة ، و كل حيوان ضار .

لكنه ليس بمجرد علم ، ليس عبارة عن معرفة بالدى واللعب ، وليس عبارة عن

التسلية ، وليس مما يحرش فيما بين الانسان و الانسان و الأمة و الأمة ، و ليس عبارة عن معرفة طرق ملء البطون ، و عبارة عن تحريك اللسان و لوك الكلمات بل هو « اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ و ربك الأكرم الذى علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم » .

أفهل رفع من قيمة القلم أحد فى التاريخ البشرى أكثر من ذلك ، حيث يذكر بهذه الأهمية ، و بهذا التمهيد الكريم ، فى خلوة غار حراء ، و فى الوحى الأول الذى ينزل من السماء ، ذلك القلم الذى ربما لم يكن بالامكان تواجده فى بيت من بيوت مكة ، لا أكاد أدرى لئن رحتم تبحثون عنه رجعتم بفائدة أم لا ، هل وجدتموه فى بيت ورقة بن نوفل ، أو أى رجل تعلم الكتابة فى ديار العجم ، أم لا ، القلم الذى ربما لا تجدون ذكره فى دواوين الشعراء العرب الجاهليين المعاصرين مهما قلبتم الصفحات ، و أعدتم القراءة .

عصارة كل علم و ثقافة « علم الانسان ما لم يعلم » :

ثم دل على حقيقة خالدة ذات انقلاب عظيم ، و هى أن العلم لا حد له ولا نهاية ، فقال : « علم الانسان مالم يعلم » وليس العلم الحديث (Science) إلا انعكاساً لـ« علم الانسان مالم يعلم » وكذلك التكنولوجيا ليست إلا مظهراً لـ « علم الانسان مالم يعلم » و ينزل الانسان على القمر ، و لا يعنى ذلك إلا « علم الانسان مالم يعلم » و يغزو الفضاء ، و يقلص سعة العالم ، و يطوى أرجاءه طياً ، و يسخر أشعة الشمس - كما يقول الدكتور محمد إقبال - ويشق طريقه بين النجوم والكواكب و يحلم بالنزول بين السماكين . إن كل ذلك ليس إلا عبارة عن « علم الانسان مالم يعلم » . .

على كل فان الأمة التى كان أساسها الأول على القراءة ، و خاطبها الوحى

الالهى الأول بذكر القلم ، إن تلك الأمة لن تفارق العلم و المعرفة ، لأنها تلازمه ملازمة الظل أو ملازمة الغريم .

ثم يجب أن يكون فى الاعتبار لدى إقامة كل مدرسة أوجامعة أو اتخاذ منهج تعليمى لتعليم هذه الأمة ، أن يكون الهدف من كل ذلك ترسيخ الايمان بالعقائد والحقائق التى آمنت بها من ذى قبل ، و أن يتأتى هذا الترسيخ عن طريق القلب والعقل معاً ، و لا يكفى اطمئنان القلب أو العقل فقط ، لأنه حينئذ سيحدث صراع بينهما فى الحياة الفردية للانسان ، وسيتدرج هذا الصراع إلى الحياة الجماعية . . وعلى ذلك فيتخرج جيل يتصارع مع مجتمعه ، و يتصارع مع دينه و عقيدته ، و تضيع كل القوى فى إزالة أنقاض هذا الجيل ، فقد رأى بعض قادة بعض الأمم الاسلامية أنه يجب أولا إزالة الأنقاض ، و ركزوا كل عنايتهم على إزالة الأنقاض من العقائد و الحقائق ، و استنفدت هذه العملية كل قواهم ، و استغرقت فرصة أعمارهم ، و لم يتمكنوا من عرض دعوتهم ، و نشر رسالتهم ، و زرع أفكارهم التى كانوا بصدد نشرها .

فاذا كان هناك منهاج تعليمى يعمق إيمان الأمة بالعقائد و الحقائق التى تحضنها فهو منهاج موفق ، ولاسيما بالنسبة إلى الانسان المسلم الذى جاء يحمل رسالة ويحتضن دعوة ، فيجب أن يكون منهاجنا التعليمى و الثقافى بحيث يرسخ الايمان فى قلب المثقف ، و قلب الدارس ، و قلب الطالب الجامعى ، و قلب الفيلسوف ، و قلب المفكر ، و يجعلهم جميعاً توفر لهم عقولهم دلائل لذلك ، و يستخدمون الثروة العلمية القديمة والجديدة المنتشرة على ظهر البسيطة فى تحقيق هذا الغرض الأكبر ، لتقرير هذه الدعوى الكريمة . . أيها السادة إذا استطاعت جامعة أن تصنع ذلك فهى الجامعة التى تستحق أن تسمى جامعة ، و أعتقد أن ذلك خير تعريف بجامعة ما .

العناية بتربية السيرة :

و الوظيفة الثانية للجامعات هي تربية السلوك و السيرة ، فلتوجد الجامعات سيرة يربأ صاحبها أن يبيع ضميره بحفنة من شعير - كما يقول الدكتور محمد إقبال - إن الفلسفات و النظم المضادة للاسلام ترى أن إنسان اليوم يمكن شراؤه في السوق بقيمة أوبأخرى ، فان لم يرض بهذه الكمية من الثمن فسيرضى بكمية أكثر منها ٠ ٠ و سر النجاح الحقيقي لجامعة ما أن تربي السيرة ، فتخرج رجالا من المثقفين لا يرضون أن يبيعوا ضمائرهم بأي قيمة مهما كانت رفيعة غالية ، ولا تستطيع فلسفة هادمة أو دعوة منحرفة ، أو حكومة ذات سياسية خاطئة ، أو قوة مدمرة ، مهما كانت لبقة ذات دهاء أن تشتريهم بأي ثمن غال ، ويقولون بملء أفواههم بلسان المقال أو بلسان الحال : « نرى العنقاء أكبر أن تصادا » ٠

و يقولون بلسان الدكتور محمد إقبال :

« إن حرية القلب هي سيادة و سلطان ، أما العناية الزائدة بالبطن فهي مدعاة للموت ، والخيار بيديك ، فاما هذا وإما ذاك » « يا أيها الطائر اللاهوتي : (يخاطب الانسان المسلم) اعلم أن الموت خير من القوت الذي يقصر جناحك ويمنعك من التحليق ٠

والمسئولية الثانية للجامعة الاسلامية أن تخرج شباباً يقفون حياتهم لخدمة الأمة ، و يستعدون للتضحية و الفداء ، ينعمون بالجوع بما لا ينعمون بالشبع و الري ، و التنعم و التمتع بالحياة (LIFE ENJOY) ويطيبون نفساً بالحرمان ما لا يطيبون بالوجدان ، و يصرفون أوقاتهم و قواهم الخيرة ، و مؤهلاتهم الفكرية و العلمية ، و الرصيد العلمي و الفكري الذي زودتهم به جامعاتهم ، في رفع رأس الأمة عالياً ، و في إعلاء كلمة الله ، و تعزيز البلد ، و إنقاذ الوطن ، و في صنع أمة ذات رسالة ، و بناء بلد مسموع الكلمة مرهوب الجانب ٠

فهذان أمران لا بد منهما ، الأمر الأول أن توفر الجامعات الاسلامية غذاءاً يشبع العقل و القلب معاً ، و ضوءاً ينير لهما الطريق فى وقت واحد ، حتى يتجها جنباً إلى جنب وبتعاون متبادل (CO-OPERATION) إلى تعزيز الايمان بالحقائق و العقائد التى آمنت بها الأمة .

و لا بد أن يكون نصب أعينكم هو تخريج الرجال ذوى الأهليات العالية ، و أريد أن أصارحكم بهذه المناسبة أن قيمة بلد من البلاد ليست فى كثرة جامعاتها و معاهدها ، إنها نظرية بالية قد تقادم عهدها ، و أصبح أصحابها يعرفون بالرجعية ، و قصر النظر ، بل القيمة فى كثرة أبنائه الذين يقفون حياتهم للبحث و الدراسة ، و نشر العلم و الثقافة ، و تثقيف الأمة و الشعب ، و رفع معنويات أمتهم ، و صنعها أمة ذات قلب و ضمير أبى ، و فى كثرة الشباب الذين ينقطعون إلى خدمة الدين و العلم و الأمة و البلد ، ضاربين الشهرة الكاذبة ، و رقيهم الشخصى عرض الحائط ، وذلك هو المقياس الحقيق الأصيل ، الذى يقاس به البلد و الأمة ،وليكن هذا هو المقياس الوحيد فى الشرق و الغرب ، فلا نقيم لبلد قيمة إلا نظراً إلى عدد الشباب الذين يتسامون عن لذائذ الحياة الرخيصة ، و المناصب و الجاه ، و التقدم الشخصى ، و يتوفرون على العمل الجاد البناء ، و على العمل العلمى الايجابى النافع ، على رفع مستوى الأمة عقلياً و فكرياً ، على التوصل إلى نظرية علمية ذات أهمية ، على بحث علمى مضن يتطلب الصبر والتحمل ، على تعزيز البلاد من جميع النواحى .

تلك هى أهداف حقيقية يجب أن نصبو إليها ، ونضعها فى اعتبارنا ، و نجعلها نصب أعيننا ، أما مجرد التعليم و التثقيف ، و التأهيل لشغل الوظائف و المناصب ، فليس مما يثنى به على جامعة ، و ليس أبداً مما يجلب الحمد ، و يستخرج الاعجاب ، و إنى على يقين كامل أن رئيس هذه الجامعة الاسلامية و المشرفين عليها ، سوف لا يرضون بهذا الموقف ، ولايقبلون أن يكون هدف الجامعة مجرد تخريج شباب مثقفين

كمية كبيرة ، يشغلون الوظائف الشاغرة فى الادارت و المصالح والقطاعات المختلفة فى المصانع ، أو الدكاكين و المحال التجارية . . و يموتون و هم أحياء يفقـــدون شخصيتهم العلمية .

الغرض الأصيل من العـــلم
هو التوصل إلى الايمان و اليقين :

يجب أن يكون هدف الجامعة - التى قامت فى هذا العهد العصيب ، وفى هذه البلاد المتأزمة - أن تعمل على إزالة الاضطراب والقلق الذى يسود جميع الدول الاسلامية منذ مائة عام تقريباً . . تفككت عرى عقائدنا منذ بدأ الغزو الفكرى و الحضـارى الغربى ، وحدث صراع نفسى وفكرى استنفدت مقاومته معظم القوى العقلية والفكرية والعلمية لدى الدعاة . . إن ذلك لوضع غير طبيعى يجب أن يزول فى أقرب وقت ، كى تتوجه هذه القوى و القدرات إلى الأهداف البناءة و إلى إنقـــاذ البلد و دفع عجلته إلى الامام .

الحقيقة أن الأدب و الشعر ، و الفنون الجميلة ، و الحكمـــة و الفلسفة ، و التأليف و التصنيف ، ليس من وراء كل ذلك إلا غرض واحـــد ، و هو أن تتولد فى صاحبه حياة جديدة ، و إيمان جديد ، وبالتالى فى الأمة التى هو عضو فيها و المجتمع الذى هو جزء منه ،

وأود أن أنشد لكم أبياتاً قالها الدكتور شاعر الاسلام محمد إقبال وهو يخاطب الأديب والشاعر ، لأنه ينطبق على الوضع الذى نعيشه جميعاً .

« يا أهل الذوق و النظر العميق ، أنعم و أكرم بنظركم ، و لكن أى قيمة للنظر الذى لا يدرك الحقيقة ؟ لا خير فى نشيد شاعر و لا فى صوت مغن ، إذا لم يفيضا على المجتمع الحياة والحماس ، لابارك الله فى نسيم السحر إذا لم تستفد منه الحديقـة إلا الفتور و الخمول و الذوى و الذبول » .

إن الأوضاع التی نمر بها نحتاج فیها إلى أن نصنع المعجزة ، و تلك المعجزة سوف لن تتحقق إلا عن طريق الرسالة الاسلامية ، لأنها وحدها التی تحمل حاملها یصنع المعجزات و یأتی بخوارق العادات ، و یبطل المقاییس ، و یحطم المعاییر التقلیدیة ، و یسخر من كل الموازین التی آمن بها العالم الجاهلی ، يقول الدكتور محمد إقبال .

« أنا لا أعارض التذوق بالجمال و الشعور به ، فذلك أمر طبیعی ، و لكن أی فائدة للمجتمع من علم لم یكن تأثیره فی المجتمع كتأثیر عصا موسی فی الحجر و البحر ، وذلك أن الأمم لا يرتفع شأنها ومكانها فی خریطة العالم حتی تقدر علی صنع المعجزات » .

إن باكستان الیوم تحتاج إلى هذه القدرة على صنع المعجزات ، و التأثیر فی المجتمع كتأثیر عصا موسی فی الحجر أو البحر ، لأن باكستان تعود علیها مسؤلیة بعث الدول الاسلامية كلها بعثاً جدیداً ، إن علیها أن تنفخ روحاً جدیدة فی البلاد الاسلامية ، وتوجد لدیها اعتماداً جدیداً ، وایماناً جدیداً ، و نشاطاً جدیداً ، و إنتعاشاً جدیداً ، و طموحاً جدیداً ، و قلباً خفاقاً جدیداً یتحرق علی بؤس الانسانیة و شقائها ، و شجاعة جدیدة تبعث علی المغامرة و الاقتحام ، و جراءة خلقیة تستطیع بها أن تنفخ الحیاة فی هاتی الأمم و الأقوام المشرفة علی الهلاك ، التی تزل أقدامها ، و ترتعش أعصابها ، و تخفق قلوبها ، و تتعثر عقولها .

و من هنالك فان مسئولیتكم مزدوجة ، إن مسلمی شبه القارة الهندية یبذون مسلمی العالم الاسلامی كله بالنسبة إلى عددهم ، فتقدموا إلى الأمام للقيادة الفكرية للعالم الاسلامی ، واعملوا علی إیجاد الثقة بالاسلام ، و أكدوا عملیاً أن الاسلام یتمشی مع عهد العلم و التكنولوجیا ، و باكستان الیوم « معمل » سیقرر أن النظریات الاسلامية تستطیع بكل جدارة أن تساير الزمان .

وأخیراً أشكركم وأشكر رئیس الجامعة علی استماعكم لحدیثی فی جو من الهدوء والجد .

و السلام علیكم و رحمة الله و بركاته .

مراحل العمل من أجل نهضة إسلامية معاصرة

- ٣ -

فضيلة الأستاذ محمد إبراهيم شقرة

مرحلة التنفيذ و العمل :

و هذه المرحلة هي أقصر المراحل و أقلها جهداً ، بل أستطيع القول بأنها الثمرة المستطابة لتحقيق المرحلتين الأولى و الثانية ، ويمكن تحقيق هذه المرحلة الثالثة من طريقين اثنين :

الطريق الأول :

إقامة المؤسسات العلمية والاقتصادية التي يمكن من خلالها إظهار وجه الاسلام الواضح ، فيكون دور هذه المؤسسات دوراً إيجابياً يقتدر به على كشف جوانب الاسلام التي تخفى على كثير من الناس ، إذ ليس أفعل في النفوس ، و لا أظهر لمحاسن الأشياء من أن توضع النظريات والمبادىء ، تحت أعين الناس ، ليروها تسعى بين أيديهم ، أعمالا تنقل هـذه النظريات و المبادىء من عالم المثاليـة إلى عالم الواقع فتكون شاهدة على صدق تلك النظريات والمبادىء التي نزل بها الوحي على النبي الأمي ، فظلت تهب الناس جميعاً العدل والمساواة ، وتؤمن لهم الأشواق والحاجات من غير أن ينقص منها شئ ، أو يدفع في صدرها ليقتلها إلا الحاقدون على الحياة و على واهب الحياة للخلائق كلها .

وقد شاهدنا إقبال المسلمين الشديد في كثير من البلاد الإسلامية على المؤسسات الاقتصادية التي أسست من أول يوم على أحكام الاسلام ، مما أسقط ما في يد أعداء الاسلام الالداء ، و أدركوا أن مؤسساتهم ستمنى بالفشل والخيبة ، إن ظلت تلك المؤسسات الاسلامية الاقتصادية تلاحقها ، و تبسط نفوذها على واقع المسلمين و تصرف وجوههم إليها ، فأخذوا يشككون المسلمين بصلاحيتها و قدرتها على الاستمرار و النجاح .

و ما من مؤسسة اقتصادية أو علميـــة قامت على أساس غير إسلامى إلا و يمكن قيـــام مؤسسة إسلامية مقابلها أو بد لا منها تحقق أرباحاً وفيرة ، و كل من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه ، وهذا أمر مجرب لا يحتاج إلى برهنة على صدق وقوعه .

و معلوم بداهة أن هذه المؤسسات عصبها المال ، و المـــال يجرى بين أيدى الأغنياء فى بلاد المسلمين كالأنهار ، فلا يحل لهم أن يسخروا أموالهم للمؤسسات الضارة المحرمة ، و يقبضوا أيديهم به عن المؤسسات النـافعة المباحة ، و لا بأس من تسمية هذه المؤسسات بالأسماء التى عرفها الناس و ألفوها ، و لكن خير لهم أن يهجروا هـــذه الأسماء و أن يعملوا على إنساء الناس لها و تسميتها بأسمائهـــا الصحيحة ، لأن فى ذلك إحياء للتراث الاسلامى ، و بعثاً له من جديد فى نفوس أبناء الجيل الاسلامى الحـــاضر ، الذى يرتجى منه حمل النهضة الاسلامية ، و من المؤكد أن الالتفات إلى الماضى جزء من المقومات الأساسية التى يرتفع فوقها بناء النهضة ، أو يساعد على تعميق الانتماء إلى الاسلام ، وتوسيع الدائرة الشعورية بتفرد الدين بحل مشاكل » .

و يجب أن يكون اهتمامنا شديداً و على درجة واحـــدة بالمؤسسات العلمية

و الاقتصادية معاً ، فالمؤسسات العلمية تبنى روح الأمة و عقلها ، و المؤسسات الاقتصادية تمد جسدها بالقوة و المنعة ، فيكون التوازن بين العقل و الروح من ناحية و بين الجسد من ناحية أخرى ، و تولد فى الأمة طاقة ضخمة تقتدر بها على العطاء الدائم لنفسها ولغيرها من الأمم و الشعوب ، و تظل نهضتها منبعثة تنكسر عليها معاول الكيد و التخريب و تمتنع على كل الطامعين الباغين .

إن التجارب الصغيرة القليلة التى عاناها المسلمون بقيام هذه المؤسسات لتشير إشارات كبيرة إلى أن هذا الدين ، وهو يتحرك بذاتيته ـ مقطوعاً عن نصرة الحكام ـ سيكون أقدر بكثير على العطاء لو أتيح له أن يرى له دولة تذود عن شرائعه وتدافع عن عقيدته و أحكامه ، و ليس هذا قاصراً على البلاد التى سواد أهلها الأعظم مسلمون ـ بل نراه فى كل أصقاع الأرض ، حتى فى البلاد التى عامة أهلها من غير المسلمين ، وتعيش فيها الأقليات المسلمة ـ استطاعت هذه الأقليات أن تقيم لها مؤسسات علمية و اقتصادية تؤكد أصالة الاسلام ، و تثبت جدارته و قدرته على الصمود بغربته فى أوساط لا تدين بالاسلام ، بل ربما تعمل سراً وعلانية على النيل منه ، و تشويه سمعته .

و أصدق شاهد على ما نراه فى الولايات المتحدة الأمريكية ، و فى روسيا الشيوعية ، وفى أوربا الرأسمالية ، حتى إن دور العبادة فى كثير من بلاد أوربا تحولت إلى مساجد يذكر فيها اسم الله ، كان ذلك ولا ريب استجابة قوية للتجارب الصغيرة التى عانتها الأقليات الاسلامية فى تلك البلاد ، سواء أكانت تريد ذلك أم لم ترد ، و قد رأينا ـ نتيجة ذلك أيضاً ـ تحولا كبيراً فى تلك الأقليات نحو الاسلام إذ أن الكثير من هذه الأقليات غرقوا فى لجة الحياة المادية وكادوا أن يزهقوا لو لا أن تداركتهم رحمة الله فأخذوا يقاومون تلك اللجة ، حتى ظهرت

فوق أمواجها ، فألقت بهم إلى الشاطئ و هم فى الرمق الأخير ، فاحتضت عليها البقية الباقية ، و أسعفتها و أمدتها بالقليل الذى تستطيعه حتى عادت إليها روح الاسلام من جديد .

مما سبق يتبين أن المؤسسات لعبت دوراً كبيراً هاما فى حياة المسلمين داخل بلادهم و فى خارجها وهى - كما قلنا - بمعزل عن نصرة الحكام ، فكيف لو قيض الله لها حكماً صالحاً يهدى إلى الرشد ، و ينصر كلمة الله فى أرضه ؟ .

الطريق الثانى :

الاتصال المباشر بالقيادات السياسية بقصد النصح و التقويم و التعاون على تحقيق حكم الشريعة الغراء ، و قد كان قديماً يعاب على العالم أن يطرق أبواب السلاطين خشية أن يفتن فى دينه بعرض من الدنيا ، أو أن يتخذ منه الحاكم غرضاً يرمى به الناس كلما أعوزته حاجة إلى ذلك ، أوأن يحمل من رقة دينه حجة فيما يضع على رقاب الناس من مظالم وآثام ، لذا فقد كان العلماء يحذرون أشد الحذر من طرق أبواب السلاطين ، و كان أقرانه يصوبون عيون الناس إليه و يقولون (إذا رأيتم العالم يكثر الدخول على السلطان فلا تأمنوه على دينكم) .

و هذا كان فى زمان أخصبت فى الأرض شريعة السماء ، و أينعت فيه ثمار المعارف الاسلامية ، و تمكنت فيه عقيدة الاسلام من قلوب الناس ، فكيف بزمان نرى فيه الاسلام غريباً ، والدعاة إليه يحملون على ظهورهم أوصاب العذاب ، والعلماء العاملين يمسكون بأيديهم قناديل العلم ، فلا يستقر ضوؤها من الأنفاس النتنة التى تسلط عليها ، إن الأمر فى ذلك يكون أشد هولا و خطراً و أفدح شراً و الأمة قد استقر فى صدرها أنه ليس فى الامكان أبدع مما كان ، و انطفأت فيها جذوة اليقين ، و خبت فيها عزيمة الحق ، و أخنت عليها عوامل الذل ،

و رضيت - إلا ما رحم الله عنها - بما تطعم و تشرب و تلبس ، و تهنأ به في يوم ، مخلية بين دينها و بين الظالمين ينتقصونه يوما بعد يوم بالتشويه أو التحريف و أخذ ما يتفق منه مع أهوائهم ، و نشبت البغضاء في قلوب الرعاة و الرعية ، و انداحت دائرة الكراهية في نفوسهم ، حتى صدق فيهم جميعاً قول الرسول ﷺ (وشر أئمتكم الذين تبغضونهم و يبغضونكم و تلعنونهم يلعنونكم) ، و ظهرت فيهم أمارات الفتن ، و سرت في نفوسهم عدوى التفرق و الاختلاف التي كانت فيمن سبقهم و صاروا إلى حال لا يحسدون عليها حتى صار بادياً للناس أنه يصعب ، بل ربما يستحيل أن يكون ائتلاف يوماً بينهم ، أو أن تتراءى مودتهم من بعيد .

و لكن الأحداث الجسام التي تمخر عباب الحياة الانسانية اليوم تفرض على المسلمين - وبخاصة علماءهم - وبخاصة المخلصين منهم - أن يتداعوا إلى لقاء يتكاشفون فيه و يتناصحون ، و يلقون بخلافاتهم من وراء ظهورهم ، و ينسون ما كان بينهم يوماً من المنابذة و المخادعة و القطيعة ، ويضعون خطة عمل واحدة لمناصحة الحكام ، يبدون لهم فيها أن الأمة بكل فئاتها ، سئمت ما سئ به إليها ، و أنها ترقب من حكامها أن يصلوا حاضر الأمة بماضيها ، جهاداً و عدلاً و تضحية ونصحاً وإخلاصاً و رخاءاً و أمناً ، و تمكيناً لكلمة الله في الأرض . و يعلمونهم أن بقاءهم مرهون بنصرتهم دين الله ، و إنه قد حيل بينهم و بين هذا الدين ليظلوا قائمين على هوان الدنيا و هون الآخرة ، و أن يعلم الحكام أن إراقة الدماء ، و إزهاق الأرواح و تعاقب ألوان الحكم لا تنال الأمة بها خيراً ، و لا تورث إلا الأحقاد السوداء ، و لا يجتنى منها إلا الفتن و الشرور ، وأن علاج هذا كله ، وقطع دابر التفكير به لا يكون إلا باقامة حكم الله في الأرض ، و نهضة الأمة في أي عصر من عصورها ، وفي أي زمان لا يتحقق إلا بشريعة الله ، وإن السعيد منهم من يكون له فضل السبق في ذلك ، و هنا يجب التنبيه إلى أنه يجب أن يتوافر في الفئة التي تتصل بالحكام التقوى و العقل و الشجاعة ، و لا أحسب أنه يخفى على الناس من يكون كذلك و على هذه الفئة من العلماء أن تذكر الحكام بأمور :

١- إن تاريخ الأمة الاسلامية هو أعظم تاريخ سطرته الأيام .

٢- إن أعداء الأمة لا يريدون لها خيراً ، و لا يجوز أن يؤمن جانبهم على شئ من دين الأمة و مالها ، و لغتها ، و حضارتها ، لأنهم لا يحملون فى صدورهم للأمة و دينها إلا العداوة .

٣- إن التجارب السياسية التى مرت بها الأمة أثبتت فشل المبادىء و الأفكار التى اجتاحت ساحتها بعد سقوط راية الخلافة الاسلامية .

٤- إن موجة الأفكار و المبادىء الغربيه أخذت تنحسر ، و ليس أدل على ذلك من إقبال الشباب على المساجد و المكتبات الاسلامية ، و هـذا إيذان بأن الاسلام ، سيكون له الغلبة و الظهور - (و يأبى الله إلا أن يتم نوره و لو كره المشركون) .

٥- أن يكون لهم عظة و اعتبار بما أصاب الحكام الخارجين على أمر الله .

٦- إنه سيكون لهم وقفة أمام الله الحكم العدل يوم القيامـة فيسألون عما قدمت أيديهم و وضعته لرعيتهم .

٧- أن يفهم الحكام أن هذه الفئة من العلماء لا تريد من وراء نصحها إلا وجـه الله و اليوم الآخر .

٨- أن يقدم هذا كله فى إطار من آيات من كتاب الله (فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أويخشى) ، (لا نريد منكم جزاءاً ولا شكورا) (إن أريد إلا الاصلاح ما استطعت و ما توفيق إلا بالله) .

و إذا علم الله من هذه الفئة صدق النية فسيحقق إن شاء الله كل ما نصبو إليه من نجاح و سؤدد و قوة لنهضة إسلامية تعز المسلمين و يعزها الله بالمسلمين .

هذه هى مراحل النهضة الاسلامية التى نرجو أن يعين الله إلى تحقيقها ويوفق الصادقين العاملين إلى توفير المجهود إليها .

و الله من وراء القصد و هو يهدى السبيل

الامبريالية الغربية تهدد المسلمين

(الحلقة الخامسة الأخيرة)

الكاتبة الأمريكية المسلمة مريم جميلة

تعريب : محمـــد صدر الحسن الندوى

قد بلغت نظرتنا إلى الحضارة الغربية ، و إنتاجاتها إلى حد العبادة ، و ينال « التجديد » و « التطور » و « التقدم » المادى احتراماً و تبجيلا أكثر مما نضمره لله والكتاب و السنة و خاتم النبيين محمد ﷺ .

يبدو البولنسيون المعتزون بأنفسهم فى « هوأى » أكثر استسلاماً من غيرهم فى وجه السيطرة الأمريكية والأوروبية ، و قد قاموا بمحاولات ضئيله منعزلة لمقاومة فرض الدين والأخلاق و الثقافة المادية للغرب ، واغتصاب تسعين فى المائة لبلادهم ، لم يكن سكان « هوأى » بالمحافظين فى أى عصر من العصور ، و على العكس كانت الأشياء الجديدة بالنسبة لهم أحسن من الأشياء القديمة ، كانت هذه النظرة و أثقتهم بأن الأجانب الذين يتمتعون بالتفوق فى التكنولوجيا لا بد من أن يكونوا فائقين فى كل شئ ، قد أدتا إلى الاعجاب بالأشياء كلها التى لها صلة باليانكيين والأوروبيين ، وفى نفس الوقت تأثروا إلى حد كبير بالشعور بمهانتهم .

وعلى سبيل المثال ، العظمة التى حصل عليها « كيبتن كوك » (Captain Cook) أول رجل أبيض زار « هوأى » بلغت إلى حد العبودية ، واعتقدوا أنه كان إلهاً ، وقد سحرت شخصية السكان المحليين ، بحيث إنهم خروا سجداً فور ما وقعت أنظارهم عليه لدى نزوله على الشاطئ .

لم تكن هذه النظرة مقصورة فى القبائل الهمجية و البربرية فى المناطق النائية و الأمكنة الصعبة المنال . أليس من الحقيقة أن المتجددين منا أمثال السر سيد أحمد خان ، والشيخ محمد عبده ، والدكتور طه حسين ، وضياء كوك ألب ، وكمال أتاتورك ، و جمال عبد الناصر ، وحبيب بورقيبة ، ينظرون إلى الامبرياليين بنفس النظرة ؟

و بالاضافة إلى الحقائق التاريخية للاستعمار والامبريالية و التغريب ، أصبحت البلدان الاسلامية التى كانت كأعضاء جسد واحد تتجسد فيها الوحدة رغم الفوارق أكثر انعزالا وفرقة بين مختلف أجزائها مما كانت فى الماضى ، إن هناك كلاماً طويلا عن المواصلات الميسرة فى هذه الأيام ، و لكن ليس هناك فى الواقع اتصال فى المجالين العلمى و الحضارى بين المناطق المختلفة من العالم الاسلامى فى هـــذه الأيام ، و ليس بالنسبة لزمن الخلافة بل بالنسبة لعهد ما بعد الحملات المنغولية ، و الأجزاء الساحقة للعالم الاسلامى التى كانت تشكل أعضاء جسد واحد و تعمل بانسجام فيما بينها منذ القرون ، انفصلت بجراء الامبريالية الغربية الأجنبية، وسيطرت عليهم القومية فى الأجزاء التى خلفها الاستعمار ، و نتيجة لفقدان وسائل الاتصالات بين الأجزاء المختلفـــة للعالم الاسلامى صار الاتصال بالتلفون بين أى عاصمة من عواصم العالم الاسلامى وبين لندن وباريس أسهل من الاتصال من عاصمة إسلامية بعاصمة إسلامية أخرى ، و فى بعض الظروف لا يمكن التحدث بالتلفون مع بلد إسلامى آخر بدون واسطة بلاد أوربية كبيرة ، وعلى سبيل المثال ، الشخص الذى يريد التحدث بالتلفون من بيروت إلى طهران سيندهش بهذه الحقيقة .

إن البعث الجديد من وجهة النظر الاسلامية تعنى إحياء المثل والقيم الاسلامية ليس إلا ، وليس مجرد يقظة أو إحياء عام ، وليس كل أمارة حياة لمارة الحياة

الروحية ، وليس كل نشاط يوجد بين المسلمين نشاطاً إسلامياً حقيقياً ، وليس البعث الاسلامى إلا ما يوصف بلفظ « التجديد » (Renewal) و هى أعمال يقوم بها « المجددون » حسب المصطلحات العقائدية فى الاسلام ، و يختلف المجدد بهذا المعنى كل الاختلاف عن المصلحين (Reformers) الذين هم فى هذا الزمان من المفسدين (Deformers) لأنهم يتوخون تضحية التقاليد الاسلامية لأجل مصالحهم أو لمصلحة الوقت ، التى يعتبرونها من الأمور التى لا مناص منها فى ضوء الظروف الراهنة ، و الانسان يندهش إذا تصور ما كان يحدث للاسلام وقت الحملة المنغولية وبعده ، إذ كان مثل هؤلاء المصلحين حاولوا جهدهم المستطاع لجعل الاسلام مطابقاً لحاجات الزمان فى عهد المنغوليين الغزاة و مطابقاً لمناهج حياتهم الوحشيـــة ، إن التجديد الاسلامى الحقيق لا يعنى إحداث شئ جديد فى الاسلام ليساير العصر ، بل معناه تطبيق الاسلام فى ضوء القرآن و السنة .

إن المستعمرين و الامبرياليين لم يقولوا لنا فحسب إننا متخلفون بالنسبة لهم بل قالوا لنا : إن حضارتنا و منهج حياتنا متخلفة أيضاً ، و يقال لنا : إننا بسطاء متخلفون ، مختصون بالقرون الوسطى ، متجمدون ، خرافيون ، وأصبح منهج حياتنا منخوراً ومهجوراً ، فى هذا العصر الراقى ، ويقال لنا : إن ذلك يرجع أساسياً إلى مواضع الضعف فى الاسلام نفسه ، و هم يناشدوننا بأن نكون متقدمين ، متحركين عقليين ، متجددين ، و متدرجين ، ونحن نقبل ذلك كله بجد مع الشعور بالخجل ، وقليل منا من يجرؤ ويقول كلمة حق بكل شجاعة وصرامة ، ويقنع الناس أننا نستطيع أن نخرج أنفسنا من هذه الذلة و المهانة و العبودية المطلقة الدائمة ، و الانقراض النهائى عن طريق إحياء الاسلام فى صورته النقية الصافية الوثيقة الحقيقية فى حياتنا ، و بإقامة الجهاد المستمر لطرد المستعمرين و الامبرياليين معاً مع مناهج حياتهم .

و من سوء الحظ أن زعامتنا السياسية و العقلية لاتخاف الله فى أى مرحلة من مراحل الحياة ! إنها تخاف قوة و سلطة أخرى غير الله ، و هى قوة الاتحاد السوفيتى و الولايات المتحدة الأمريكية ، إنهم لايمثلون الشعب المسلم ، و لا يمكنهم أن ينسوا و لو للحظة واحدة ، أن أمريكا و روسيا تراهم و تراقبهم فى شئونهم كلها ، يخافون على حياتهم و ممتلكاتهم وسمعتهم ، إنهم لا يجدون فى قلوبهم جرأة أن يرفعوا صوت الحق خوفاً من التعذيب والاهانة والاعتقال ، وبتعبير آخر أننا صرنا جبناء خلقياً و خلقياً ، نخاف الموت و الخسارة المادية ، و قد نسينا أن الله تعالى يكرر ذكر الموت فى كتابه العزيز القرآن الكريم ، ويبين بتفصيل عاقبته فى الآخرة ، يقول القرآن الكريم : « و لكل أمة أجل ، فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة و لا يستقدمون » و يقول : « و كل نفس ذائقة الموت » و لامناص لما منه ، ويؤكد القرآن أهمية الجهاد و يبين أننا لا نستطيع أن نهرب من الموت فى أى شكل من الأشكال و سيصيبنا الموت ، و لو كان لنا حفظة أو كنا فى بيوت مشيدة ، فاذا ثبت أننا لا نستطيع أن نهرب من الموت ، فبقى هذا السؤال المحتوم كيف نموت ؟ أنموت موت النبلاء والشجعان ، أو نؤثر موت الزغانف الأذلاء العاجزين فى حالة الخوف و الوجل ، نحن نعتقد أننا سنموت فى أى ساعة من الحياة ، أفلا يكون خيراً لنا أن نموت موت الشهداء والمجاهدين فى سبيل الله فى مقتبل حياتنا و عنفوان شبابنا و شرخ أعمارنا ، لأن هذه الفترة من الحياة تكون مكتملة خلقيا و عقلياً ، و سيكون هذا العمل فى صالح المجتمع ، و هذه الشهادة فى سبيل الله خير من الموت فى المستشفى بين أنين وألم ، نتيجة الاصطدام المفاجيء أوالنوبة القلبية أوالضربة الفاجعة أوالشيخوخة والسرطان (Cancer) و لا يمكن أن تنقذ أنفسنا من السيطرة الأجنبية بدون إنشاء قيادة جديدة ، القيادة التى لا تخاف الموت و الخسارة المادية ،

القيادة التى تعقد العزم على أن تصل إلى النهاية بدون قطع آخر خيط للرجاء ، حتى فى محاولاتنا البدائية المحكوم عليها بالفشل ، عليهم أن لا ييأسوا ولايشعروا فى النفس بالضيق ، بل يستمروا فى ذلك العمل ، ويحاولوا محاولة مكثفة للنجاح فى إنشاء قيادة صحيحة مستقيمة ولو استغرقت قروناً ، القيادة التى تخاف الله وحده و تهدف إلى ثواب الحياة الآجلة إزاء هذا العالم الفانى العاجل كما يطالب القرآن منا بقوله : « ولئن قتلتم فى سبيل الله أومتم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون » .

إن الوضع يحتم علينا ، أن نؤكد بكل صراحة و وضوح أنه من واجب القيادة السياسية و الثقافية للسلمين أن تواجه التحديات السياسية و العلمية بكل شجاعة وثقة بالنفس ، ورؤية حرة ، بغرض الاحتفاظ بالقيم الاسلامية الخلقية والعقلية ، فلابد لنا أن نوحد صفوفنا ، ونزيل عنا الشعور بمركب النقص نفسياً وثقافياً ، و فى هذه النهاية سنحصل على الاقتناع بهذه الحقيقة بأن يسجلنا التاريخ منزهين عن اللعنة القبلية والامبريالية والاستغلال ، ولا ننقطع فى هذه الصورة عن العيش فى حالة دفاعية فحسب ، بل سنقوم بالهجوم فى ضوء القرآن والسنة . وهو العلاج الوحيد الذى به نستطيع أن ننقذ الانسانية من الدمار و الانتحار الجماعى .

إن إعلان الحق ، ورفع كلمته بجراءة ، وبدون خوف و حذر يحمل وزناً ، و قوة وتأثيراً على النفوس ، و تحريكا يفوق تصور أحـــد منا ، حتى و لو كنا متشائمين فى مسألة مكافحة الغزو الخارجى ، و غير واثقين بنجاح مجهوداتنا و معالجة أمراضنا ، نظراً لغلبة الفكر الغربى و سيادته الكاملة ، فان كنا نعانى من مثل هذا الشعور فأقل واجب علينا أن نقول الحق ، ونكشف الزيف و المغالطات التى تسربت إلى عقولنا عن الفكر الغربى ، ثم يجب أن نكون واثقين بأن نتائج مجهوداتنا لاتنحصر كلياً على ما نبذل و نقوم به ، و إنما تخضع لارادة الله ، و هو الذى وعـــد فى قرآنه الكريم :

« و قل جاء الحق و زهق الباطل إن الباطل كان زهوقا » .

الدعوة الإسلامية

مراحل الدعوة إلى الحق

(الحلقة الأولى)

الأستاذ أمين أحسن الاصلاحى
تعريب : الأستاذ نور عالم الندوى

كل دعوة حق تمر - فى طريق الوصول إلى منزل النجاح - بثلاث مراحل فى عامة الأحوال (١) .

١- الدعوة .

٢- الهجرة .

٣- الحرب .

إن الناس - معظمهم - اليوم لا يعرفون إلا الثورات التى حدثت حيناً بعد آخر فى كل من أوربا ، و أمريكا ، وروسيا ، و تركيا ، وما إليها ، فقد يحسبون أن المراحل التى مرت بها هذه الثورات ، هى التى تواجه كل ثورة و كل انقلاب و المناهج والأساليب التى استخدمت فى هاتى الثورات هى التى تغنى فى كل ثورة ، و ذلك يرجع إلى سوء الفهم الذى وقع فريسته الناس من أجل أنهم لم يشهدوا

(١) ولابد أن نضع فى الاعتبار كلمة « عامة الأحوال » فقد لا تمر دعوة بهذه المراحل الثلاث ، ولكن الدعوة فى أغلب الأحيان تواجه ثلاث مراحل ، و قد يمكن فى هذا العهد الديمقراطى أن تنجح الدعوة فى مرحلتها الأولى و تقضى لبانتها و لا تحتاج إلى المرحلتين الأخريين أصلا .

ثورة إسلامية مجردة، ولو شهدوا لعرفوا مدى الاختلاف والفرق العميق الدقيق فيما بين الانقلابين : الانقلاب الاسلامی الذی يتحقق تحت إشراف و توجيه العاملين فی ضوء المنهج النبوی ، والانقلاب الذی تقوم به الحركات السياسية المحضة ، ومن أجل أن يتضح بينهما الفرق جلياً واضحاً ، نريد أن نتحــدث عن مختلف مراحل الانقلاب الاسلامی المجرد ، و خصائص كل مرحــلة من مراحله ، و مقتضيـاتها و متطلباتها بالايجاز :

المرحلة الأولى : الدعوة

المرحلة الأولى هی : مرحلة الدعوة ، و الطبقة التی تخاطب بالدعوة أولا هی طبقة أصحاب السلطان والنفوذ ، لكن هذه الطبقة تكون مترفة فرحة بوضعها الحالی ، بطرة بنعمها ولذائذها ، فلا تحسب للــدعوة حساباً بادیء ذی بدء ، و يضـــع الداعی جهوده فی وضـع الأصبع على مفاسد النظام البــاطل المعاصر : الفكری ، و الأخلاق ، و السياسی ، و الاجتماعی ، و يحدد لها العاقبة الوخيمة ، التی لا بد أن يواجهها النظام الباطل اليوم أو غداً ، لكنها لا تكاد تتأكد - نظراً إلى السير الحثيث الذی يسيره ركب هذا النظام - من أن سيارة هـذا النظام محتم سقوطها فی وهدة لأن هنالك فساداً كبيراً فی آلاتها ، وذلك أن الأوضـاع الظاهرة إذا كانت عادية بل موالية ، فما أصعب على الانسان أن يؤكد للغافلين و المترفين من الضعف الداخلی فی نظام باطل ، فانهم - بما هم فيه من الفرح و الطرب والغفلة - لايتغافلون عن ضعفهم و نقصهم فحسب بل يرون هـــذا الضعف و النقص من محاسنهم ، و يسفهون من يصفها بالمساویء ، إنهم يعملون بفلسفة لا تعترف لشیء ما بأساس أخلاق ، و مبدأ معنوی ، لأن العالم كله عندهم عبارة عن « الحظ » و «الصدفة» أو يدور حول قطب القوة و الطاقة ، ولذلك فكل المواعظ و النصائح التی يتقدم

بها الداعى إليهم فى تفنيد هذا المعنى، يرونها فارغة جوفاء، ولا يتوصل - أولا - صوت هذا المسكين إلى قصورهم الشامخة وبروجهم العاجى، و لو وصل، و قرع أسماعهم، يرونه صوتاً فى واد و نفخاً فى رماد، أو نداءاً فى غير ميعاد، و لا يبرحون عاكفين على ملذاتهم و مألوفاتهم، لا يرون نقصاً فى فكرهم، و لا فساداً فى نظامهم، ولا خللا فى أسلوب حياتهم، و قد يصحو بعضهم بنداء الداعى الصارخ من سباته العميق، ويسترعى شيئاً من انتباهم، لكن الاستكبار والاعجاب بالنفس يحول بينهم و بين الاذعان للحق، أو تتمثل أمامهم المصالح الشخصية، و تفتل منهم فى الذروة و الغارب، و تربتهم، فيغرقون فى النوم العميق، غير أن هذا النداء لا يضيع هدراً، بل يعمل عمله فيمن يحملون الطبائع السليمة، و يعيشون تقززاً من النظام الباطل المعاصر، أو - على الأقل - لا يتصلون به اتصالا مغرضاً، فيندفعون إلى الايمان بالدعوة، ومعظمهم الفقراء ومن تنكرت لهم الحياة من الذين لم تسكرهم السيادة والقيادة، ولم يقلقهم الخوف على المصالح والأغراض ولم تدفعهم العصبية العمياء على الانتصار للنظام الباطل السائد، ويفقدون - إلى حد كبير - تلك الوسائل و الأسباب التى تبطر المرء وتعميه وتصمه فلم تمت قلوبهم كلياً بل لا تزال البقية الباقية من الحياة تعمل عملها. فيدب فيهم - بأدنى فعل - دبيب الحياة، و يسبق منهم إلى الحق شباب أولوهمة قوية، و قد صرح القرآن الكريم أنه لم يؤمن بدعوة سيدنا موسى عليه السلام أولا إلا فتية، وقد حدث مثل ذلك قليلا أو كثيراً فيما يتصل بدعوة سيدنا محمد ﷺ، فالذين لبوا دعوته فى فجر البعثة كان معظمهم الشباب، و ذلك أن الشباب، تجرى فى عروقهم دماء حارة، وتأخذ بمجامع قلوبهم أخلاق قوية، فتثور غيرتهم طبيعياً، و تسهل إثارتها على عجل، ثم إنهم لا يبالون بالمعارضة، و لا يكترثون بالمصالح، فاذا ما يدركون حقية شئ،

فهنالك لا يهمهم ما عسى أن يسببه الايمان به من مصائب و خسائر فى الأرواح و الأموال ، فيؤمنون به على غير تفكير فى هـذه الأمور كلها ، فاذا اعترضت العقبات و المصائب فى طريقهم فانها تشحذ حماسهم و تشعل عاطفتهم ، بدل أن تفترها .

و المحن التى يواجهها المؤمنون بالحق فى بداية الدعوة ، لا ترجع إلى أصحاب السلطان و النفوذ ، لأنهم - كما أسلفت آنفاً - لا يلقون بالا إلى الداعى والدعوة فى أول أمرها ، بل العوائق والمصائب كلها تنبعث من البيئة التى يعيش فيها فيحدث الصراع بين الولد و والده ، والأم وبنتها ، و الأخ و أخيه ، والعم وابن أخيه ، و الخال و ابن أخته ، و الرجل و مرأته ، و السيد و المسود ، و العبد ومولاه و الأستاذ و تلميذه ، فيركز الأب كل حيله و تدابيره على أن يمنع ابنه من قبول الحق ، فيذكره بحقوقه عليه و آماله فيه ، و يضع نصب عينيه مشكلاته المالية ، و قلة حيلته و شيخوخته ، ويعرض مسئولياته وتبعاته ، ويعد الأخطار و المصائب فى هذه السبيل التى يتصدى لاختيارها ، و يبكى على بؤس الأسرة وشقائها ، وعلى ضياع أمانيه و رجائه ، و أخيراً يهدده باقصائه من البيت و قصه من الأسرة ، و تحريمه عليه الضيعة و العقار ، و لو استطاع فيؤذيه و يضربه ، و ذلك كله كى يمتنع الابن عن إرادة الاذعان للحق ، وأن يتراجع عنه ، ويرتد منه لو قبله وآمن به ، و مثل هذا تصنعه الأم مع بنتها ، و الأخ مع أخيه ، و العم مع ابن أخيه و الخال مع ابن أخته ، والرجل مع امرأته ، و السيد مع خادمه والمولى مع رقيقه وعبده ، كل يصنع مع كل من تحته كل ما يستطيع أن يصنعه من أجل استرجاعه من الحق الذى آمن به حسبما يسمح به نفوذه فيه و سلطانه عليـه ، و تمكنه منه ، و يريد أن يستوفى ثمن حقوقه التى تعود عليه ، و الصلة النسبية التى تربط به ، فى

صور إكراهه على عبادة الباطل ، و العكوف على الضلال القديم ، و أن يضرب - أمام حقه - حق صاحب الحق الأكبر ، عرض الحائط .

و قد ذكر القرآن تلك المشكلات التى تعترض سبيل الدعوة فى عهدها المبكر و قد عرض توجيهات مبدئية ترسل الضوء على الطريق لمعالجتها ، وذلك فى سورة العنكبوت ، و بما أن المجال لا يتسع هنا للتفصيل فسنوجزه فى السطور الآتية :

والتوجيه الأول فى هذا الصدد ، أن الله قد قرر للتمييز بين الكاذبين والصادقين أنه يمتحن المؤمنين بالحق ، بصور عـــديدة ، و بأساليب كثيرة ، حتى يتضح جلياً ما إذا كانوا صـــادقين فى إذعانهم للحق أو كاذبين ، فيجب أن لا يتزعزعوا و لا يتضجروا من المحن و المصائب ، بل يجب أن يتلقوها فى صبر و ثبات و بسمات عريضة ، إيماناً منهم بأنهم سوف يحظون بالنجاح بعد ما ينتهون من هذه « المقررات الامتحانية » .

« ألم ، أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا و هم لا يفتنون ، و لقد فتنا الذين من قبلهم ، فليعلمن الله الذين صدقوا و ليعلمن الكاذبين (١) » .

وتلاه القرآن بتوجيه فيما يتصل بممانعة الوالدين التى يواجهها المؤمنون بالحق ، و هذا التوجيه هو الذى سيستخدم فيما يتعلق بجميع من يعترضون طريق الحق إذا كانوا فى منزلة الوالدين :

« و وصينا الانسان بوالديه حسناً ، وإن جاهداك لتشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما (٢) » .

يعنى أنه بما كان الحق الالهى أجل و أعظم من حق الوالدين ، فيجب على المرء أن لا يقيم وزناً لمعارضتهما فيما يتصل بعبادة الله تعالى .

---

(١) العنكبوت : ١ - ٢ (٢) العنكبوت : ٨

و قد رد القرآن الكريم رداً حاسماً ، على ما يعرضه الأبوان و الشيوخ ـ فى الأغلب ـ على الشباب من الخطة العاطفية فى هذا الشأن ، حيث يقولون : خذوا بنصائحنا ، و اهتدوا بهدينا ، واسلكوا طريقنا فان رأيتموه باطلا فلنحمل خطاياكم ، و لا مسئولية عليكم .

« وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ، ولنحمل خطاياكم ، وما هم بحاملين من خطاياهم من شئ ، و إنهم لكاذبون ، وليحملن أثقالهم و أثقالا مع أثقالهم ، و ليسئلن يوم القيامة عما كانوا يفترون » (١) .

وقد ضرب القرآن مثلا ـ بعد هذه التوجيهات المبدئية ـ بثلاثة أنبياء عظام : سيدنا نوح ، و سيدنا إبراهيم ، وسيدنا لوط ، عليهم السلام ، أولئك الذين تمثل نماذجهم العملية ذلك الموقف الذى يجب أن يقفه المرء من أقربائه الأعزاء وأصدقائه الأحباء ، إذا ما حالوا بينه وبين الحق ، و يدل على أنه كيف يقذف وراءه ظهرياً كل عصبية وحمية جاهلية لآصرة اللحم والدم ، إذا وقفت فى وجه الحق واعترضت سبيل امتداد الدعوة ، و هناك ثلاث أواصر هى أعز الأواصر وأحبها لدى المرء ، وهى آصرة البنوة ، و آصرة الأبوة و الأمومة ، و آصرة الزوجية ، و قد أصبح نوح عليه السلام قاسى القلب بالنسبة إلى آصرة كآصرة ابن ، و قد أعلن إبراهيم عليه السلام انعزاله فى سبيل هذا الحق عن شخصية محترمة عطوف كشخصية الأب ، وقطع لوط عليه السلام علاقته عن امرأته الحبيبة لهـــذا الحق وحده . أما كل العلائق والأواصر فانها تأتى بعد هذه الأواصر الثلاث فى الأهمية والاحترام ، فلئن لم يكترث بها عباد الله المقربون مقابل الحق والدعوة ، فما بالك بغيرها من الأواصر والصلات .

و أوضح بعد تقديم هذه الأمثلة المحترمة ، أن قطع وشائج اللحم و الدم ،

(١) العنكبوت : ١٢ - ١٣ .

و قص أواصر الرحم و النسب ، و إن كان يعنى هدم الأسرة الآهلة ، وتخريب البيت العامر ، لكن الذين يتشجعون لهذه التضحية العظيمة من أجل إعلاء كلمة الله و فى سبيل الحق وحـــده ، فان الله يكفل تعمير بيتهم الخرب ، و تنظيم أسرتهم المتفككة ، ويضاعف لهم فى الحياة الدنيا ما يفقدون فى هذه الحياة ، أما ما يستوفونه فى الآخرة ، فهو فوق ذلك كله .

« و وهبنا له إسحاق و يعقوب و جعلنا فى ذريته النبوة ، و الكتاب ، و آتيناه أجره فى الدنيا ، و إنه فى الآخرة لمن الصالحين (١) .

وأكبر ما يثبط الانسان عن مخاصمة البيئة التى يعيش فيها ، هو مشكلته الاقتصادية ، لا شك أن قطع علائق الحب شئ يحتاج إلى رصيد كبير من الهمة و الشجاعـــة لكنه لو استطاع بهمته القوية ، و قوته الايمانية أن يفوز فى هذا الامتحان ، فان نفض اليـــد من المجتمع الذى كان يعيش على وسائله الاقتصادية شئ غير ميسور ، لأن العالم كله خارج هذا المجتمع غريب عنه وجديد عليه ، و أجنبي له ، و للقضاء على هذه الوسوسة قـــد أكد القرآن الكريم ، أن عبادة الله شئ لا انفكاك عنـــه للانسان ، مهما كان حاله وماله ، ومهما اضطر إلى أن يفارق داره و أهله و آله ، ومن يحرم الأهل و الأولاد ، والدار و الوطن ، فان أرض الله سوف لا تكون ضيقة عليه ، و إذا وافته المنية فى هذه السبيل ـ و كل ستوافيه المنيـــة ـ فان له السعادة الدائمة و النعم الباقية فى الجنة الخالدة ، و إذا مد الله فى حياته فلا تهمنـه قضية الاقتصاد ، و التفكير فى لقمة العيش ، فما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها ، و ليس هناك دابة تحمل معها رزقهـا حيثما حلت و سارت ، و لكن الله كفيل برزقها ، فكيف بانسان كرمه الله فى البر و البحر .

(١) العنكبوت : ٢٧

« يا عبادى الذين آمنوا ، إن أرضى واسعة فإياى فاعبدون ، كل نفس ذائقة الموت ، ثم إلينا ترجعون ، و الذين آمنوا و عملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفا تجرى من تحتها الأنهار ، خالدين فيها ، نعم أجر العاملين ، الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون ، و كأين من دابة لا تحمل رزقها ، الله يرزقها و إياكم ، و هو السميع العليم ، ولئن سألتهم من خلق السماوات و الأرض و سخر الشمس والقمر ليقولن الله ، فأنى يؤفكون ، الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له ، إن الله بكل شئ عليم » (١) .

والذين يثبتون فى محاربة البيئة التى كانوا يتنفسون فيها ، ويودعون كل وشيج من وشائج اللحم و الدم وداعاً لالقاء بعده ، فانهم - طبعاً - يبحثون عن العلاقة القلبية لدى كل من يشاطرونهم الوحدة فى العقيدة و الهدف - و إن لم يكونوا يتحدون معهم فى الرحم و الدم - الذين كلهم يصارعون مجتمعهم من أجل الحق و العقيدة ، و الانسان « اجتماعى » طبيعة و خلقاً ، لا يستطيع أن يعيش وحده ، و من ثم فاذا ما يقلب ظهر المجن لعلائقه القديمة و أواصره الحالية ، فانه مضطر أن يقيم علاقات جديدة ، لأن ذلك حاجته الطبيعية الأكيدة ، لا يمكن نشوء حياته صحيحاً بدونها ، وهذا هو السبب فى أن العلاقة فيما بين أهل الحق تتوطد بمثل مايشتد تصارعهم مع مجتمعهم الفاسد ، حتى يبرزون كأسرة متميزة مستقلة فى المجتمع حتى يأخذون طابع جمية مستقلة ، يخضع لتأثيرها النظام السائد شيئاً فشيئاً .

وعندما يدخل الدعاة إلى الحق فى هذه المرحلة ، ينتبه أصحاب السلطان والنفوذ ، و يعودون ليتأكدوا أن الشئ الذى كانوا يرونه وسوسة وجنوناً من بعض « المجانين العقلاء » أصبح واقعاً جاداً ، يشكل خطراً - إذا لم يحسبوا له حسابه - على نظامهم

(١) العنكبوت : ٥٦ - ٦٣

الذى يحملون لواءه ، و الذى من أجله و بفضله يتمتعون بما يتمتمون به من عز وسيادة ، وهنالك يشدون أزرهم للقضاء على الدعوة ، ولا يتحرجون من كل مايستطيعونه من جور و ظلم و طغيان ، و بما أن هذا الظلم يقوم به أصحاب السيادة و القيادة فانه يشتمل على كل ما يمكن أن يستخدمه إنسان فى ظلم إنسان آخر ، فالتاريخ يشهد أن أبناء الحق أحرقوا فى النار على أيدى أصحاب النفوذ والسلطة ، وقددوا بالسيوف تقديد اللحم بالسكاكين ، ونشروا بالمنشار ، وجعلوا لقمة سائغة للكلاب والضوارى ، و وضعوا على الرمال الملتهبة المحرقة ، وزج بهم فى السجون ، وأقصوا عن أوطانهم ، و إن كان العالم المعاصر بدأ يصرخ بحرية الفكر والرأى و جعل يعترف به مبدئياً ، لكنه ربما لم يتغير بعد للدعوة التى تريد إخراج الناس كلهم و جوانب الحياة كلها ، من قيادة الجاهلية والطاغوت إلى طاعة الله وحده ، فليكن العاملون فى حقل الدعوة على استعداد لمواجهة جميع الأوضاع التى واجهها أهل الحق فى كل زمان و مكان ، و فى كل عصر و مصر ، من ذى قبل .

« أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ، و لما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم ، مستهم البأساء و الضراء ، و زلزلوا حتى يقول الرسول و الذين معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب (١) » .

و هذا الموقف وإن كان عصيباً شديداً على أبناء الحق ، لكنهم إذا ما ثبتوا على الجادة ، رغم أنواع المظالم و أصناف المصائب التى يصبها أرباب السيادة القائمة عليهم ، فانهم يعودون يهابون قوتهم المعنوية ، وتشق الدعوة طريقها خلال الأشواك ، حتى الذين كانوا يتضايقون بذكرها ، ويتقززون من اسمها ، سيصبحون يسعون وراء التوصل إلى نقطة يرضى بها الخصمان ، وينقضى بها الصراع القائم ، أما المصالحة على

(١) البقرة : ٢١٤ .

دا ، فذاك شئ لا يرضى أبناء الحق - طبيعيا - كما لا يرضى به المعارضون فيضطر
منون أن لا يلينوا و لا يستكينوا و يواجهوا الموقف بالصرامة و الصمود ، كما
واجهوا من ذى قبل أصناف الظلم و الأذى التى لا نهاية لها ، ويؤكدوا لهؤلاء
ى أنهم سوف لا يتنازلون عما يدعون إليه قيد شعرة ، وقد نزلت الآية الكريمة
جيه أهل الحق فى هذه المرحلة :

« و إذا تتلى عليهم آياتنا بينات ، قال الذين لا يرجون لقاءنا : ائت بقرآن
ر هذا ، أو أبدله ، قل : ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسى ، إن أتبع إلا
يوحى إلى ، إنى أخاف - إن عصيت ربى - عذاب يوم عظيم » (١) .

و لقطع رجاء المسالمة الذى يرجوه أهل الباطل وضح القرآن الكريم على
ان النبي ﷺ موقف أبناء الحق من جديد ، حتى لا يعود هناك طمع فى المصالحة
التفاهم :

« يا أيها الناس إن كنتم فى شك من دينى فلا أعبد الذى تعبدون من دون
ه ، و لكن أعبد الله الذى يتوفاكم ، و أمرت أن أكون من المؤمنين ، و أن
م وجهك للدين حنيفاً ، و لا تكونن من المشركين » (٢) .

و مثل هذه الدعوة إلى المصالحة قد تؤثر بعض التأثير فى بعض أهل الحق ،
رون المصلحة فى أن تتحقق فى صورة من الصور ، و للقضاء على نقطة الضعف
ذه نزل القرآن بهذا التوجيه الربانى :

« فاستقم كما أمرت ، ومن تاب معك ، و لا تطغوا ، إنه بما تعملون بصير ،
لا تركنوا إلى الذين ظلموا ، فتمسكم النار ، و مالكم من دون الله من أولياء ،

(١) سورة يونس : ١٥ .

(٢) سورة يونس : ١٠٤ .

ثم لا تنصرون ، وأقم الصلاة طرفى النهار و زلفاً من الليل ، إن الحسنات يذهبن السيئات ، ذلك ذكرى للذاكرين ، واصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين » (١)

و عند ما يقطع أبناء الحق هذه المرحلة بنجاح ، ولا يرضون بتغيير وتطوير ونقدں وزيادة على اقتراح أوضغط من المعارضين ، بل يستمرون فى القيام بدعوتهم بجميع أجزائها دون تعديل ، و فى غير خوف و إشفاق ، يضطر أصحاب المعارضة ـ من أجل إيقاع الهزيمة عليهم إلى أن يجربوا حيلة أخرى جديدة ، فيحاولون أن يصطادوا زعماء الدعوة والقائمين عليها بحبائل الطمع والاغراء ، ويعرضون على الدعاة ـ فى كل سخاء ـ كل ما يمكن أن يطمع فيه الناس فى هذه الحياة الدنيا من ضخيم ثروة و أعز منصب و جاه ، و مساهمة تامة فى المنافع والأرباح الموجودة ، ولا يطالبون مقابل ذلك كله إلا أن يرضى الداعى بتعديل وتغيير فى الدعوة التى أقضت مضاجعهم و حرمت عليهم راحتهم ، و هذه البلية تأتى أقوى و أشد على أهل الحق من جميع البلايا الهائلة فى الماضى ، فلما ضرب أحمـــد بن حنبل رضى الله عنه بالسياط ما لو ضرب به الفيل لصرخ ، لم يلن و لم يضعف ، و لم يقل كلمة أف ، على حين انصباب السياط عليه ، لكن الخليفة انهزم أمام عزيمته ، و اضطر أن يغير حيلته ، جعل يجزل للامام الجوائز والصلات ، و وصف الامام هذه الصلات و الأعطيات بأنها أشد و أشق من السياط .

وهذه المرحلة مرحلة محنة قاسية للدعوة ، وذلك لأن حب الحياة أفتن للانسان من كراهية الموت ، فكثير من رجال العزيمة و الاخلاص الذين يحطمون سلاسل الحديد و الفولاذ بضربة من قوة إيمانهم يقبلون فى سرور أن يتحلوا بسلاسل الذهب

(١) سورة هود : ١١٢ ـ ١١٥ .

و الفضة، ثم لا يفكرون أبداً أن يتخلصوا منها ، والذين لا يستطيع أن يسخرهم عفريت الخوف و الهيبة ، يصرعهم شيطان المطامع و الاغراءات بكل سهولة .

ولنا ـ للنجاح فى امتحان هذه المرحلة ـ فى رسول الله أسوة حسنة عبر تاريخ الدعوة ، و إنما جربته قريش وجربت أصحابه أنهم سوف لا يتراجعون عن دعوتهم بحيلة من الحيل ، ولا يرضون بتعديل ما فيما هم فاعلون ، حضرت قريش رسول الله ﷺ تسأله عماذا يريد ، هل يريد المال ، فستعطيه أوفر ما يطلبه من المال ، هل يريد الزواج فى بيت شريف ، فكل من قريش سيرضى بأن يحقق أمنيته فى كل فرح و سرور ، هل يريد السيادة و الملك ، فتتخلى له عن ذلك ، و لكن بشرط أن أن يتوقف عن هذه الدعوه ، و يتخلى عنها ، و ينفض يده منها لأنهـا حرب على دين الآباء و الأجداد ، غير أن النبى ﷺ لم ينبس ببنت شفـة فى الاجابة على التساؤلات ، و الاستجابة لهذه الاغراءات ، بل اكتفى بتلاوة آيات من القرآن الحكيم و أعاد فى طيها فى أسلوب ساحر أخاذ تلك الدعوة التى من أجلهـا كان يستقبل الأذى أشكالا من قريش ، و قطعت قريش رجاءها منـه عند ما قرعت هذه الآيات سمعها .

و حينما يمر أصحاب الحق بهذه المرحلة فى سلام و نجاح ، ففى جانب تبلغ الدعوة آخر غايتها فى التبليغ وإتمام الحجة ، حتى يذعن لها كل فى من قلبه ذرة من القوة الخلقية و الانسانية ، جهاراً ونهاراً ، ويخضعون لها فى قلوبهم ، و يتربصون فرصة ملائمة للجاهرة و الاظهار ، و فى جانب آخر ييأس المعارضون كلياً من الضغط على الدعوة و توهين شأنها ، فيندفعون جهدهم للقضاء على الداعى و الدعوة ، واستئصال شأفتهما ، و اقتلاع جذورهما من الأعماق ، دون اكتراث بالنتائج و المكاسب

و ذلك هو الموقف الذى عنده قذف سيدنا إبراهيم فى النار ، و كيدت الجبابرة لقتل سيدنا موسى ، و اشتق سيدنا عيسى المسيح ، و أعدت قرارات من قبل أرباب الحل و العقد فى قريش فى « دار الندوة » ضد النبى ﷺ ، فقال قائل : احبسوه فى دار و اجعلوا القيد فى رجليه ، و قال قائل : أخرجوه من قريتكم ، و أخيراً اتفقت كلمتهم على رأى أبي جهل ، أن يثوبوا عليه بالسيوف وثبة رجل واحد و يضربوه ضربة رجل واحد ، حتى تتفرق دمه فى القبائل ، و لا تستطيع بنو هاشم أن تأخذ الدية و الثأر .

وعند ما تبلغ الدعوة فى هذه المرحلة الخطرة الحرجة التى يصبح فيها الدعاة بحيث لا يمكنهم الحفاظ على أنفسهم فى بنى جنسهم و قومهم و عشيرتهم ، فهنالك تدخل الدعوة فى مرحلة البراءة و الهجرة .

« يتبع »

« بقية المنشور على ص ٦١ »

و بالجملة فان هذه الآية لا تنفى وجوب الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر أبداً ، بل تؤكد فريضته أبلغ التأكيد ، والقرآن والسنة كلاهما يعتبر الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر من أهم فرائض الدين ، و لم يشك فى ذلك أحد العلماء إلى عصرنا هذا ، فاذا أردنا أن نشهد دين الله فى مجتمعنا فى مكانه اللائق ، ونتمنى أن تكون كلمته هى العليا فى العالم فلا سبيل إليه إلا أن نأمر بالمعروف و ننهى عن المنكر و هو الذى يطالبه منا الله عز و جل ، و هو الطريق الذى سلكه رسله و أنبياؤه ، « و من يطع الله و رسوله فقد فاز فوزاً عظيماً » .

الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر

(الحلقة الثالثة الأخيرة)

الاستاذ جلال الدين عمرى
تعريب : محمد أجمل أيوب الندوى

إجماع الأمة على وجوب الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر :

لا تجد أحداً من العلماء المتقدمين أو المتأخرين من لم يعتبر الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر أساساً للدين و فريضة عظيمة من فرائض الأمة الاسلامية ، قال الضحاك :

« الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر فريضة من فرائض الله كتبها الله على المؤمنين » (١) .

و استهل الامام الغزالى بحثه فى الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر بقوله :

« الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر هو القطب الأعظم فى الدين ، و هو المهم الذى ابتعث الله له النبيين أجمعين ، و لو طوى بساطه ، و أهمل علمه و عمله لتعطلت النبوة ، و اضمحلت الديانة ، وعمت الفترة ، و فشت الضلالة ، و شاعت الجهالة ، و استشرى الفساد ، و اتسع الخرق ، و خربت البلاد ، و هلك العباد ، و لم يشعروا بالهلاك إلا يوم التناد ، و قد كان الذى خفنا أن يكون ، فانا لله و إنا إليه راجعون ، إذ قد اندرس من هذا القطب عمله وعلمه ، و انمحق بالكلية

(١) فتح القدير للشوكانى ٢ : ٣٦٢ .

حقيقته ورسمه ، فاستولت على القلوب مداهنة الخلق ، وانمحت عنها مراقبة الخالق ، و استرسل الناس فى اتباع الهوى و الشهوات استرسال البهائم ، و عز على بساط الأرض مؤمن صادق لا تأخذه فى الله لومة لائم ، فمن سعى فى تلافى هذه الفترة وسد هذه الثلمة إما متكفلا بعلمها ، أو متقلداً لتنفيذها ، مجدداً لهذه السنة الداثرة ، ناهضاً بأعبائها ، ومتشمراً فى إحيائها كان مستأثراً من بين الخلق باحياء السنة أفضى الزمان إلى إماتتها ، و مستبداً بقربة تتضاءل درجات القرب دون ذروتها » .

ثم يبدأ الباب الأول مصرحاً بقوله :

« الباب الأول فى وجوب الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر و فضيلته ، و المذمة فى إهماله و إضاعته ، ويدل على ذلك بعد إجماع الأمة عليه ، وإشارات العقول السليمة إليه الآيات و الأخبار و الآثار » (١) .

و يقول العلامة أبو بكر الجصاص رحمه الله :

« أكد الله تعالى فرض الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر فى مواضع من كتابه وبينه الرسول ﷺ فى أخبار متواترة عنه فيه ، وأجمع السلف وفقهاء الأمصار على وجوبه » (٢) .

و يقول العلامة ابن حزم :

« اتفقت الأمة كلها على وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بلا خوف من أحد منهم » (٣) .

(١) إحياء علوم الدين ٢ : ٢٦٩ (دار الكتب العربية الكبرى ، مصر ، ١٣٣٤)
(٢) أحكام القرآن ٢ : ٥٩٢ .
(٣) الفصل فى الملل و الأهواء و النحل ٤ : ١٧١ (مطبعة التمدن ١٣٢١) .

و قال الامام النووى :

« قد تطابق على وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر الكتاب و السنة و إجماع الأمة ، و هو أيضاً من النصيحة التى هى الدين » (٥) .

و يقول الامام الشوكانى :

« وجوبه ثابت بالكتاب والسنة ، هو من أعظم واجبات الشريعة ، وأصل عظيم من أصولها ، و ركن مشيد من أركانها ، و به يكمل نظامهـــا ، و يرتفع سنامها » (١).

الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر ، فريضة على الأمة الاسلامية ، ويجب على الدولة الاسلامية أن لا تدع المسلمين ليهملوا هـذه الفريضة المهمـــة ، و يرى الامام ابن تيمية رحمه الله أن الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر ، والجهاد، من أظهر أحكام الشريعة المتواترة ، فان أهملتها طائفة من طوائف الأمـة و جب على الدولة الاسلامية محاربتها ، فهو يقول :

« كل طائفه خرجت عن شريعة من شرائع الاسلام الظاهرة المتواترة ، فانه يجب قتالها باتفاق أئمة المسلمين ، و إن تكلمت بالشهادتين ، فاذا أقروا بالشهـادتين وامتنعوا عن الصلوات الخمس وجب قتالهم حتى يصلوا . . وكذلك إن امتنعوا عن الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر و جهـــاد الكفار إلى أن يسلموا ، و يؤدوا الجزية « عن يد و هم صاغرون » (٢) .

تأويل صحيح لآية كريمة :

و لن يكمل هـذا البحث حتى نقف على آية كريمة من سورة المائدة تقول :

(١) شرح صحيح مسلم للنووى ١ : ٥١ (أصح المطابع ، دلهى ، ١٣٤٩)
(٢) فتح القدير ١ : ٣٣٧ .
(٣) مجموعة فتاوى ابن تيمية ٤ : ١٨١ .

« يا أيها الذين عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم » (١)

كلمات الآية توهم - بادىء ذى بدء - أن الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر لا حاجة إليه أصلا فضلا عن وجوبه ، و حسب الانسان لنجاته أن يصرف إلى نفسه فيصلحها ويزكيها ، ولكن أجمع المفسرون على أن هذا التأويل للآية تأويل غير صحيح لأنه يعارض كثيراً من نصوص القرآن و السنة ، والحق أن الآية المذكورة تبشر المؤمنين الذين استقاموا على الحق فى بيئة كافرة مشركة ، و دأبوا على القيام بعمل الدعوة إلى الدين بأن القوى المعادية لهم لا تستطيع أن تنال منهم أو تمسهم بسوء إذا لم تفتر هممهم ، واعتصموا بحبل الله جميعاً ، و عضوا على دينه بالنواجذ و لم يحيدوا عنه قيد شعرة ، وليس فيها ما يشير إلى أن فلاح المؤمنين غير منوط بفريضة الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر ، و ذهب بعض المفسرين فى تفسير هذه الآية إلى نكتة هى أن الآية تقول : إنكم إن كنتم مهتدين فلن يضركم الضالون شيئاً ، و إنما يكون الانسان مهتدياً إذا لم يقتصر على إصلاح نفسه بل يسعى لاصلاح غيره أيضاً ، و الذى يترك السعى لذلك فانه جائر عن قصد السبيل مهما كان صالحاً متورعاً فى نفسه ، و إن ما ذهبوا إليه ليس نكتة لطيفة فحسب بل هى تمثل روح الكتاب و السنة ، يقول العلامة الزمخشرى فى تفسير الآية :

ليس المراد ترك الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر ، فان من تركهما مع القدرة عليهما فليس بمجتهد و إنما هو بعض الضلال الذين فصلت الآية بينهم و بينه » (٢) .

(١) سورة المائدة الآية ١٠٤ .

(٢) الكشاف ١ : ٣٨٦ .

و قال العلامة أبو السعود :

« و لا يتوهمن أن فيه رخصة فى ترك الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر مع استطاعتهما ، كيف لا و من جملة الاهتداء أن ينكر على المنكر حسبما تفى به الطاقة » (١) .

و به قال العلامة الجصاص و لفظه :

« و من الاهتداء اتباع أمر الله فى أنفسنا و فى غيرنا ، فلا دلالة فيها إذن على سقوط فرض الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر » (٢) .

و قال أبو بكر رضي الله عنه فى خطبة له (٣) :

« يا أيها الناس ، إنكم تقرأون هذه الآية على غير موضعها :

« لايضركم من ضل إذا اهتديتم » وإن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه عمهم الله بعقابه » .

و فى رواية أخرى (٤) .

يا أيها الناس إنكم تقرؤون هذه الآية « يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لايضركم من ضل إذا اهتديتم » وإنكم تضعونها على غير موضعها وإنا سمعنا رسول الله ﷺ يقول : إن الناس إذا رأوا المنكر و لا يغيروه أوشك الله أن يعمهم بعقابه » .

« البقية على ص ٥٦ »

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ٤ : ١٩٩ - ٢٠٠

(٢) أحكام القرآن ٢ : ٥٩٢

(٣) جامع البيان فى تفسير القرآن ٧ : ٦٠ .

(٤) مسند أحمد ١ : ٩ ، و رواه أيضاً أبو داؤد و الترمذى و ابن ماجة و النسائى و غيرهم .

دراسات وأبحاث

حول مفهوم الخلافة الاسلامية

الأستاذ خالد سالم

الخلافة هي رئاسة عامة للمسلمين جميعاً فى الدنيا لاقامة أحكام الشرع الاسلامى وحمل الدعوة الاسلامية إلى العالم ، وهى عينها الامامة ، فالامامة والخلافة بمعنى واحد و قد وردت الأحاديث الصحيحة بهاتين الكلمتين بمعنى واحد ، ولم يرد لأى منهما معنى يخالف معنى الأخرى فى أى نص شرعى ، أى لا فى الكتاب ولا فى السنة ، لأنهما وحدهما النصوص الشرعية ، و لا يجب أن يلتزم هـذا اللفظ أى الامامة أو الخلافة ، وإنما يلتزم مدلوله ، و إقامة خليفة فرض على المسلمين كافة فى جميع أقطار العالم ، والقيام به كالقيام بأى فرض من الفروض التى فرضها الله على المسلمين ، هو أمر محتم لا تخيير فيه و لا هوادة فى شأنه ، والتقصير فى القيام به معصية لله .

والدليل على وجوب إقامة الخليفة على المسلمين كافة السنة و إجماع الصحابة ، أما السنة فقد روى عن نافع قال : قال لى عمر سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من خلع يداً من طاعة الله لقى الله يوم القيامة لا حجة له ، ومن مات و ليس فى عنقه بيعة مات ميتة جاهلية . فالنبى ﷺ فرض على كل مسلم أن تكون فى عنقه بيعة و وصف من يموت وليس فى عنقه بيعة بأنه مات ميتة جاهلية ، والبيعة لا تكون إلا للخليفة ليس غير ، و قد أوجب الرسول على كل مسلم أن تكون فى عنقه بيعة لخليفة ، و لم يوجب أن يبايع كل مسلم الخليفة .

فالواجب هو وجود بيعة فى عنق كل مسلم ، أى وجود خليفة يوجب فى عنق

كل مسلم بيعة بوجوده ، فوجود الخليفة هو الذي يوجد في عنق كل مسلم بيعة سواء بايع بالفعل أم لم يبايع ، و لهذا كان الحديث دليلا على وجوب نصب الخليفة ، وليس دليلا على وجوب البيعة لأن الذي ذمه الرسول هو خلو عنق المسلم من بيعة حتى يموت ، و لم يذم عدم البيعة ، و روى هشام بن عروة عن أبي صالح عن هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « سيليكم بعدى ولاة فيليكم البريرة والفاجر بفجوره فاسمعوا لهم وأطيعوا في كل ما وافق الحق ، فان أحسنوا فلكم ، و ان أساءوا فلكم و عليهم » و روى مسلم عن الاعرج عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « إنما الامام جنة يقاتل من ورائه و يتقى به » و روى مسلم عن أبي حازم قال : قاعدت أبا هريرة خمس سنين فسمعته يحدث عن النبي ﷺ قال « كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي وإنه لا نبي بعدى ، و ستكون خلفاء فتكثر قالوا : فما تأمرنا ؟ قال : فوا ببيعة الأول فالأول و أعطوهم حقهم فان الله سائلهم عما استرعاهم » وعن ابن عباس عن الرسول ﷺ قال « من كره من أميره شيئا فليصبر عليه فانه ليس أحد من الناس خرج من السلطان شبراً فمات عليه إلا مات ميتة جاهلية » فهذه الأحاديث فيها إخبار من الرسول بأنه سيلي المسلمين ولاة وفيها وصف للخليفة بأنه جنة أي وقاية ، فوصف الرسول بأن الامام جنة هو أخبار عن فوائد وجود الامام فهو طلب ، لأن الاخبار من الله ومن الرسول إن كان يتضمن الذم فهو طلب ترك أي نهى ، و إن كان يتضمن المدح فهو طلب فعل ، فان كان الفعل المطلوب يترتب على فعله إقامة الحكم الشرعي يترتب على تركه تضييعه ، كان ذلك الطلب جازماً ، وفي هذه الأحاديث أيضاً إن الذين يسوسون المسلمين هم الخلفاء ، وهو يعني طلب إقامتهم ، وفيها تحريم أن يخرج المسلم من السلطان وهذا يعني أن إقامة المسلم سلطاناً أي حكماً له ، أمر واجب ، على أن الرسول ﷺ أمر بطاعة الخلفاء وبقتال من ينازعهم في

فى خلافتهم وهذا يعنى أمراً باقامة خليفة و المحافظة على خلافته بقتال كل من ينازعه فقد روى مسلم أن النبي ﷺ قال : « و من بايع إماماً فأعطاه صفقة يده و ثمرة قلبه فليطعه إن استطاع فان جاء أخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر » . فالأمر بطاعة الامام أمر باقامته ، والأمر بقتال من ينازعه قرينه على الجزم فى دوام إيجاده خليفة واحد ، وأما إجماع الصحابة فانهم رضوان الله عليهم أجمعوا على لزوم إقامة خليفة لرسول الله ﷺ بعد موته ، وأجمعوا على إقامة خليفة لأبى بكر ثم لعمر ثم لعثمان بعد وفاة كل منهم ، و قد ظهر تأكيد إجماع الصحابة على إقامة خليفة من تأخيرهم دفن رسول الله ﷺ ، عقب وفاته و اشتغالهم بنصب خليفة له مع أن دفن الميت عقب وفاته فرض ويحرم على من يجب عليهم الاشتغال فى تجهيزه ودفنه الاشتغال فى شئ غيره حتى يتم دفنه ، و الصحابة الذين يجب عليهم الاشتغال فى تجهيز الرسول و دفنه اشتغل قسم منهم بنصب الخليفة عن هذا الاشتغال بدفن الرسول ، و سكت قسم منهم عن هذا الاشتغال وشاركوا فى تأخير الدفن ليلتين مع قدرتهم على الانكار و قدرتهم على الدفن ، فكان ذلك إجماعاً على الاشتغال بنصب الخليفة عن دفن الميت ، و لا يكون ذلك إلا إذا كان نصب الخليفة أوجب من دفن الميت .

و أيضاً فان الصحابة كلهم أجمعوا طوال إيام حياتهم وجوب نصب الخليفة ، ومع اختلافهم على الشخص الذى ينتخب خليفة فانهم لم يختلفوا مطلقاً على إقامة خليفة لا عند وفاة رسول الله و لا عند وفاة أى خليفة من الخلفاء الراشدين ، فكان إجماع الصحابة دليلا صريحاً و قوياً على وجوب نصب الخليفة .

على أن إقامة الدين وتنفيذ أحكام الشرع فى جميع شئون الحياة الدنيا والأخرى فرض على المسلمين بالدليل القطعى الثبوت ، القطعى الدلالة ولا يمكن أن يتم ذلك إلا بحاكم ذى سلطان ، و القاعدة الشرعيـة « أن ما لا يتم الواجب إلا به فهو

واجب » فكان نصب الخليفة فرضاً من هذه الجهة أيضاً .

وفوق ذلك فان الله تعالى أمر الرسول ﷺ أن يحكم بين المسلمين بما أنزل، وكان امره له بشكل جازم ، قال تعالى مخاطباً الرسول عليه السلام « فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق » وقال : « وأن احكم بينهم بما أنزل الله و لا تتبع أهواءهم و احذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك » وخطاب الرسول خطاب لأمتــه ما لم يرد دليل يخصصـــه به ، و هنا لم يرد دليل فيكون خطاباً للسلمين باقامة الحكم ، و لا يعنى إقامة الخليفة إلا إقامة الحكم والسلطان على أن الله تعالى فرض على المسلمين طاعة أولى الأمر أى الحاكم مما يدل على وجوب وجود ولى الأمر على المسلمين قال تعالى «يا أيها الذين آمنو أطيعوا الله وأطيعوا الرسول و أولى الأمر منكم » و لايأمر الله بطاعة من لا وجود له ، و لا يفرض طاعة من وجوده مندوب ، فدل على أن إيجاد ولى الأمر واجب، فالله تعالى حين أمر بطاعة ولى الأمر فانه يكون قد أمر بايجاده ، فان وجود ولى الأمر يترتب عليه إقامة الحكم الشرعى و ترك إيجاده يترتب عليه تضييع الحكم الشرعى، فيكون إيجاده واجباً لما يترتب على عدم إيجاده من حرمة و هى تضييع الحكم الشرعى .

فهذه الأدلة صريحة بأن إقامة الحكم و السلطان على المسلمين منهم فرض ، و صريحة بأن إقامة خليفة يتولى هو الحكم و السلطان فرض على المسلمين و ذلك من أجل تنفيـــذ أحكام الشرع لا مجرد حـــكم و سلطان ، أنظر قوله ﷺ « خيار أئمتكم الذين تحبونهم و يحبونكم و يصلون عليكم و تصلون عليهم ، و شرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم ، قيل يا رسول الله أفلا ننابذهم بالسيف فقال لا ما أقاموا فيكم الصلاة » فهو صريح فى الاخبار بالأئمة الأخيار و الأئمة الأشرار ، و صريح بتحريم منابذتهم بالسيف ما أقاموا الدين لأن إقامـــة

الصلاة كناية عن إقامة الدين و الحكم به فكون إقامة الخليفة ليقيم أحكام الاسلام ويحمل دعوته فرضاً على المسلمين أمر لاشبهة فى ثبوته فى نصوص الشرع الصحيحة فوق كونه فرضاً من جهة ما يحتمه الفرض الذى فرضـــه الله على المسلمين من إقامة حكم الاسلام و حماية بيضة المسلمين إلا أن هذا الفرض فرض على الكفاية فان أقامه البعض فقد وجد الفرض و سقط عن الباقين هـــذا الفرض ، و إن لم يستطع أن يقيمه البعض ، ولو قاموا بالأعمال التى تقيمه فانه يبقى فرضاً على جميع المسلمين ، و لا يسقط الفرض عن أى مسلم مادام المسلمون بغير خليفة .

و القعود عن إقامة خليفة للمسلمين معصيـة من أكبر المعاصى لأنها قعود عن القيام بفرض من أهم فروض الاسلام ، و يتوقف عليـه إقامـة أحكام الدين ، بل يتوقف عليه وجود الاسلام فى معترك الحيـاة ، .فالمسلمون جميعاً آثمون إثماً كبيراً فى قعودهم عن إقامة خليفة للمسلمين ، فان أجمعوا على هـذا القعود كان الاثم على كل فرد منهم فى جميع أقطار المعمورة ، و إن قام بعض المسلمين بالعمل لاقامـــة خليفـــة و لم يقم البعض الآخر فان الاثم يسقط عن الذين قاموا يعملون لاقامـة الخليفة و يبقى الفرض عليهم حتى يقوم الخليفة ، لأن الاشتغال باقامة الفرض يسقط الاثم على تأخير إقامته عن وقته وعلى عدم القيام به لتلبسه بالقيام به ، ولاستكراهه بما يقهره عن إنجاز القيام به ، أما الذين لم يتلبسوا بالعمل لاقامة الفرض فان الاثم بعد ثلاثة أيام من ذهاب الخليفة أى يوم نصب الخليفة يبقى عليهم ، لأن الله قد أوجب عليهم فرضاً ولم يقوموا به ولم يتلبسوا بالأعمال التى من شأنها أن تقيمه ، لذلك استحقوا الاثم فاستحقوا عذاب الله و خزيه فى الدنيا و الآخرة ، و استحقاقهم الاثم على قعودهم عن إقامة خليفة أو عن الأعمال التى من شأنها أن تقيمـه ، ظاهر صريح فى استحقاق المسلم العذاب على تركه أى فرض من الفروض التى فرضها الله عليه ،

لاسيما الفرض الذى به تنفذ الفروض ، و تقام أحـــكام الدين ، و يعلو أمر الاسلام ، و تصبح كلمة الله هى العليا فى بلاد الاسلام ، و فى سائر أنحاء العالم .

و أما ما ورد فى بعض الأحاديث من العزلة عن الناس و من الاقتصار على التمسك بأمور الدين فى خاصتـه لا تصلح دليلا على جواز القعود عن إقامـة خليفة ولا على إسقاط الاثم عن هذا القعود ، والمدقق فيها يجدها فى شأن التمسك بالدين لا فى شأن الترخيص بالقعود عن إقامة خليفة المسلمين ، فمثلا روى البخارى عن بسر بن عبيد الله الحضرمى أنه سمع أبا إدريس الخولانى أنه سمع حذيفة بن اليمان يقول « و كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير و كنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركنى ، فقلت : يا رسول الله إنا كنا فى جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير ، فهل بعد هذا الخير من شر قال نعم . قلت وهل بعد ذلك الشر من خير ؟ قال نعم ، و فيه دخن ، قلت و ما دخنه ؟ قال قوم يهدون بغير هدى تعرف منهم وتنكر ، قلت فهل بعد ذلك الخير من شر ؟ قال نعم ، دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها ، قلت يارسول الله ! صفهم لنا: قال هم من جلدتنا ، يتكلمون بألسنتنا قلت فما تأمرنى إن أدركنى ذلك ؟ قال تلزم جماعة المسلمين و إمامهم ، قلت : فان لم يكن لهم جماعة و لا إمام ، قال : فاعتزل تلك الفرق كلها و لو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت و أنت على ذلك » . فان هذا الحديث صريح بأن الرسول يأمر المسلم بأن يلزم جماعة المسلمين وأن يلزم إمامهم ، و يترك الدعاة الذين هم على أبواب جهنم ، فسأله السائل فى حالة أن لا يكون للسلمين إمام و لا لهم جماعة ماذا يصنع بالنسبة للدعاة الذين هم على أبواب جهنم ، فحينئـــذ أمره الرسول أن يعتزل هذه الفرق ، لا أن يعتزل المسلمين و لا أن يقعـد عن إقامة إمام ، فأمره صريح « فاعتزل تلك الفرق كلها » وبالغ فى وصف اعتزاله لتلك الفرق إلى درجة

أنه و لو بلغ اعتزاله إلى حد أن يعض على أصل شجره حتى يدركه الموت و هو على ترك تلك الفرق التي على أبواب جهنم و معنـاه تمسك بدينك و بالبعد عن الدعاة المضلين الذين على أبواب جهنم، فهذا الحـديث ليس فيه أى عذر لترك القيام بالعمل لاقامة خليفة و لا أى ترخيص فى ذلك ، و إنما هو محصور بالأمر بالتمسك بالدين و اعتزال الدعاة الذين على أبواب جهنم ، و يبقى الاثم عليه إذا لم يعمل لاقامة خليفة ، فهو مأمور بأن يبتعد عن الفرق الضالة ، ليسلم بدينه من دعاة الضلال و لو عض على أصل شجره ، لا أن يبتعد عن جماعة المسلمين و يقعد عن القيام بأحكام الدين و عن إقامة إمام للسلمين .

و مثلا روى البخارى عن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله ﷺ « يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بهـا شعف الجبال و مواقع القطر يفر بدينه من الفتن » فان هذا يعنى اعتزال جماعة المسلمين والقعود عن القيام بأحكام الدين و عن إقامة خليفة المسلمين حين تخلو الأرض من الخلافة بل كل ما فيه هو بيان خير مال المسلم فى أيام الفتن و خير ما يفعله للهروب من الفتن و ليس هو للحث على البعد عن المسلمين واعتزال الناس .

وعليه فانه لا يوجد عذر لمسلم على وجه الأرض فى القعود عن القيام بما فرضه الله عليهم لاقامة الدين ، ألا وهو العمل لاقامة خليفة للسلمين حين تخلو الأرض من الخلافة ، و حين لا يوجد فيها من يقيم حدود الله لحفظ حرمات الله ، ولا من يقيم أحـكام الدين ، و يجمع شمل جماعة المسلمين تحت راية لا إله إلا الله محمد رسول الله . و لا توجد فى الاسلام أى رخصة فى القعود عن القيام بهـذا الفرض حتى يقوم ،

أسرة تيمور وأثرها فى الثقافة العربية المعاصرة

الدكتور محمد راشد
القسم العربى بجامعة عليجراه الاسلامية (الهند)

قبل بضع سنوات كنت مشتغلا بتحضير مقالة عن أديب الشام وكاتبها العلامة محمد كرد على ، وكنت حريصاً على أن أقرأ كل ما كتب هذا البحاثة من مقالات علمية و لغوية ، و أبحاث سياسية و تاريخية ، و ما ترك من المذكرات الشخصية و الرسائل ، و كانت غايتى من هذه الدراسة أن أعرف شخصيته و عصره من خلال كتبه ، أثناء قراءتى كتابه (المذكرات) لفتت نظرى عبارة جميلة يصف فيها مصر و أهل مصر حين وردها أول مرة سنة ١٩٠١ حتى وصل فى وصفه الجميل الرائع إلى دار أحمد تيمور باشا ، فيقول :

« لما هبطت مصر أول مرة فى ١٩٠١ أرادنى أحد أصدقائى وأظنه الأستاذ السيد رشيد رضا صاحب المنار على أن أزور أحمد تيمور بك ، و قال إن فى بيته اليوم اجتماعاً يضم شيخنا الامام الشيخ محمد عبده وجماعته فبادرت شاكراً له دلالته ، فدخلنا داراً قوراء على الطراز القديم من البناء ، وكان فى الجلسة طائفة من العلماء و الأدباء و منهم فيما أذكر حسن باشا عاصم ، و قاسم بك أمين ، و أمين فتحى باشا زغلول و الشيخ عبد العزيز شاويش ، و الشيخ محمد المهدى ، و الشيخ حسن منصوب و الشيخ أحمد الاسكندرى ، و لا أذكر إن كان فى الجمع يومئذ سعد باشا زغلول ، و حفنى بك ناصف ، و إسماعيل بك صبرى ، و محمود سامى باشا البارودى ، و حافظ بك إبراهيم و على بك بهجت ، و إسماعيل بك رأفت ،

و عبد العزيز بك محمد ، و السيد محمد البلادى ، و الشيخ أحمد إبراهيم ، والشيخ عبد الوهاب النجار ، فان الجمع ما كان يقل من عشرين رجلا ، وهولاء كانوا من حلقة الأستاذ الامام وأصدقاء أحمد تيمور ، تمثلت لى يومئذ ظاهرة من ظواهر عظمة مصر بعظماء رجالها ، ورأيت عطفا على غريب صعلوك شاب أكبرت معه ما شهدت تناهى المصريين فى التأدب و الرقة خصوصاً إذا كان من هذا الطراز الممتاز ، و لقيت ذلك اليوم من أدب صاحب الدار ما يعرفنى فانعقدت بيننا أواخى الاخاء » (١)

من هنا قادنى الشوق إلى دراسة هذا الرجل الذى أسس مدرسة لغوية وثقافية كما أسس مكتبة عربية نادرة كانت هى نواة لمكتبة عظيمة فى مصر، وجمع حوله ثلة أدبية علمية فكرية أخذت الحركة السياسية و الاجتماعية و العلمية بيدها ، الأسماء التى ذكرها العلامة كرد على فى العبارة السابقة قد لمعت فى الأفق الأدبى و العلمى و الفكرى و السياسى . كان أحمد تيمور همزة وصل بين هؤلاء الأعلام ، و كانت داره دار علم ، و ندوة ثقافية ، قد ورث أحمد تيمور هذه الدار عن أبيه وجده ، هذه الدار التى كانت تحوطها العظمة و الهيبة فى حياتهما ، فجاء أحمد تيمور فأضاف إلى هذه الدار البهاء و البهجة ، هذه الدار التى كان يغشاها القواد و الوزراء ، و رجال الحكم فى حياة أبيه وجده فصار رواد العلم و هواة الأدب و اللغة يغشونها فى حياته ، فصارت مدرسة فكرية واسعة يشع نورها فى مصر بل فى العالم العربى كله جاء جده أحمد مع جد شاعر العصر أحمد شوقى بك إلى مصر ، و كانا من أبناء الأكراد من مدينة موصل فى العراق أرسلهما والى عكا إلى محمد على الكبير ، و أوصاه بهما خيراً قائلا بأن النجابة بادية عليهما ، و أنهما

(١) المحاضرات ص ٤١٢

سيلوان البلاء الحسن فى خدمة الدولة المصرية ، فعين جد صاحبنا فى وظائف الدولة ، و ترقى حتى صار فى آخر حياته من قواد محمد على الكبير و كان ابنه إسماعيل تيمور رئيس الديوان الخديوى ، و كانت ولادة أحمد تيمور ١٨٧١ فى عهد الخديوى إسماعيل باشا ، و لم يلبث والده إلى أن توفى و ترك له من عمره ثلاثة أشهر و نصف شهر ، فقام بأمره بعد وفاة أبيه المرحوم محمد توفيق بك زوج أخته عصمت عائشة التيمورية ، و كفله كما يكفل أولاده ، يحدثنا المؤرخون بأن زوج عصمت عائشة هو الذى كفله فأحسن الكفالة ، و قام بأمر عقاراته وأمواله لحفظها وصانها من الضياع ، و لكن الذى كفله كفالة حقيقية ، و رباه تربية حسنة فهى أخته نفسها التى كانت سيدة فاضلة ، وأديبة كبيرة ، و شاعرة نابغة ، وأمرأة مثالية بمعنى الكلمة ، و وجهته وجهة سليمة و ربته على توقير العلم والعلماء ، وعلى حب الفضيلة ، فهى التى صانته من الضياع و التهور ، فقد وجد فى حجرها حب الأخت الكريمة ، و عاطفة الأم الحنون ، و شفقة المربية و المعلمة .

كانت عائشة التيمورية تمثل فى القرن التاسع عشر النهضة الفكرية و خاصة النهضة النسوية فى مصر ، فى وقت لم تكن الحياة الاجتماعية المصرية تشجع المرأة على إبراز مواهبها الأدبية ، انحدرت هذه الشاعرة من عناصر تركية ، جركسية ، كردية ، تقلب أبوها إسماعيل تيمور فى المناصب الرفيعة زماناً بين حكم محمد على و إسماعيل ، و كان يجيد التحدث و الكتابة باللغات التركية و العربية و الفارسية و الفرنسية و الانجليزية و الايطالية ، و حين رأى فى بنته عصمت نزوعاً إلى الثقافة فشجعها و أخذ بيدها ، و رتب لها أستاذين أحدهما لتعليم اللغة الفارسية ، و الثانى لتلقين العلوم العربية ، لحفظت جانباً من القرآن ، و درست دواوين الشعراء ، و درست أمهات كتب الأدب ، واستعانت ببعض أديبات النساء على دراسة العروض وطلبت

تنظم القصائد و الموشحات و الأزجال بالعربية و التركية و الفارسية حتى اتسق لها في كل لغة من اللغات الثلاث ، ديوان ، و قد طبع ديوانها العربي (حلية الطراز) غير مرة - شعرها يشبه في شكله وموضوعه شعر معاصريها ، فقد نظمت في المجاملات في الغزل ، في النواحي الأخلاقية و الدينية و لكن شعرها ينفرد بطابعه الرقيق و بتصويره لفجر النهضة النسائية في مرحلتها الأولى ، و بعضه يرتفع إلى مستوى عال في صدق العاطفة و قوة التأثير ، كانت ولادتها ١٨٤٥ في العهد الأخير من حكم محمد علي ، و كانت وفاتها ١٩٠٢ في حكم الخديو عباس حلمي الثاني ، فقضت في حياتها نحو ٦٠ عاماً ما شهدت فيها تطور مصر في عهد سبعة من حكامها : محمد علي و إبراهيم و عباس الأول و سعيد و إسماعيل و توفيق و عباس الثاني ، فعصرها حافل بجلائل الأعمال و زاخر بمختلف النهضات التي هيأت لعصرها عصر تكوين مصر الحديثة ، كانت هي في شبابها إذ قامت في مصر ثورة شعبية لم تعرف مصر في حياتها ثورة أكبر منها و هي الثورة العرابية التي اهتزت لها مصر من أقصاها إلى أقصاها ، اشترك فيها الشباب و الكهول ، و العلماء و الشيوخ ، و الكتاب والمفكرون و الخطباء و الصحفيون ، و الشعب كله يهتف بحياة عرابي قائد الثورة ، و بسقوط الوالي ، هنا بقيت هذه النابغة في حيرة من أمرها أهي تشايع العرش الذي عاشت في أحضانه منعمة مرفهة ، أم تساير الشعب الذي تستمد منه القوة والحياة ، و لكنه يظهر أن الأنوثة المترحة التي كانت ترفرف على جميع جوانب منهـا قد غلبتهـا فلم تخض غمار الثورة بل لم ترد أن تساير الشعب الذي كان يلعب بالنار و الدم فبقيت متجهة الوجهة التي ترى فيها السلام و الوئام ، وكانت تنشد أنشودة الحب و الغرام ، و تغرد كالبلبل الشادي الذي لا يهمـه إلا الطرب و الفرح ، و كانت تعيش هذه الحياة الهادئة الرضية إلى أن خطفت المنية ابنتهـا (توحيده)

التي كانت ترلها عروساً ، وقد هيأتها للزفاف ، فبقيت سبع سنوات وهي لا تكف عن البكاء و النواح حتى كل بصرها و شاخت حياتهـا قبل أن تبلغ الأربعين ، نفضت يدها بعد ذلك من الدنيا و عاشت للشعر الباكي و الأدب الحزين تلقي على مسمع الدنيا أبيات قلبهـا الثاكل ، و تملأ الأفق بأناشيد الحس المرهف و المزاج الرقيق و الأنوثة الشاعرة المتململة المتحركة ، فبكت و أبكت حين قالت :

كم قابلتني ليـال ريحها سعر — بطيئة السير ترمى بالشرارات
لا قيتها بجميل الصبر من جلدي — وبت أسقي الثرى من غيث عبراتي
أقوم و الضيم تطويني نوائبه — طي السجل و لم أسمعه آناتي
و لم أزل أشتكي بثي و مظلمتي — لعالم الجهر مني و الخفيات
فيالهـا من جراح كلما اتسعت — أعيت طبيبتي رغما من مداواتي

كانت هذه الشاعرة الأديبة النابغة موجهة و مشرفة و مربية لأحمد تيمور ، ترعرع و شب على اللحن الحلو حيناً و على اللحن الشجي حيناً آخر ، و رأى في داره كتب اللغة و الأدب و الشعر ، فدرس اللغة الفرنسية في المعهد الفرنسي للاعيان ، وعلى أستاذ خصوصي في بيته هو الأستاذ عبيد بك ثم أتقن اللغة العربية و التركية و الفارسية ، و عني بدراسة المنطق على الشيخ حسن الطويل و اللغة على الشيخ الشنقيطي الكبير ، إذ كان يجمع بين الثقافتين العربية و الغربيـة ، فلندعه يتحدث عن نفسه :

« خرجت من المدارس بعد تلقي العلوم و أنا في سن العشرين ، و قد علق بالعقيدة شئ من آثار التربية لهـذه المدارس ، إلا أني كنت مولعاً منذ الصغر بالاسلام و محاسنه و مطالعة السيرة النبوية و مناقب الخلفاء ، ثم لما لم أجد عند بعض علماء الدين حينئذ ما يشفي غلتي سمعت عن الشيخ حسن الطويل فقيل لي إنه

زنديق فقلت : إذا لم أجد طلبتى عند من يشاع عنهم الصلاح والورع فلعلى أصيبها عند الزنادقة ، فقرأت عليه العلوم العربية والمنطق ، وأعدت عليه الصرف بتوسع ، وعلوم البلاغة ثم طرفاً من الحكمة ، فلما رآنى مجداً فى التحصيل قرأ على كتب الأدب .

عاش أحمد تيمور كأخته عائشة التيمورية حوالى ستين عاماً ، باحثاً و دارساً ، لا ينتهى من قراءة كتاب إلا أكب على الآخر ، كان يجد المتعة النفسية فى قراءة كل كتاب ، يعلق عليه الهوامش ، ويقيد منه النوادر ، ويرتب الموضوعات ، أعتقد بأن إنتاجه كان أقل بنسبة دراساته الهائلة و مطالعاته الواسعة مع ذلك وهو يعد من أحسن الأبحاث فى اللغة و القاموس ، وكان من دعاة استعمال الفصحى و اختيار الأسلوب العربى الصميم ، و كتب الأبحاث التاريخية القيمة ، و ألف فى تراجم مشاهير الشرق ، وكانت هذه الأبحاث نواة صالحة للابحاث العلمية والأدبية و التاريخية ، فقد كان أحمد تيمور يمثل الثقافة العربية و الاسلامية بمعنى الكلمة ، و كان مغرماً بجمع النوادر و المخطوطات يطير فرحاً إذا سمع عن كتاب مخطوط نادر ، و يجلبه مهما كلفه من المال ، فقد أنفق جل ماله فى جمع الكتب و فى خدمة العلماء ، و إعانة الطلبة المحتاجين المعوزين ، قد جمع فى مكتبته من أنفس الكتب و أندرها و كانت تضم حوالى عشرين ألف مجلد ، و قد أهداها إلى أمته من حبه الخالص للعلم و حبه الخالص لمصر وفاءاً لحقها عليه ، فى هذا الجو العلمى و الأدبى و الفكرى تعلم أبناؤه الثلاثة : إسماعيل ، و محمد ، ومحمود ، مع توقير الأدب و العلم ، و دقة الملاحظة ، فقد شاء القدر أن تمتد حياة هذه الأسرة فى خدمة اللغة و الأدب و الثقافة ، فأكمل هؤلاء الثلاثة دراستهم فى مصر ، و يخف محمد و محمود إلى فرنسا لدراسة الحقوق فأخفقا فيها لأنهما خلقا للفن و الأدب ، و كانت الحياة الأدبية و الفنية تنتظرهما بفارغ الصبر ، فيعود محمد إلى مصر بعد أن

أتقن اللغة الفرنسية ، و توسع فى دراسة القصة و المسرح ، و قد ملأ حقيبته من الثقافة الغربية ، بجانب دراسة اللغة العربية دراسة عميقة على أبيه لأن داره كانت أول مدرسة أدبية و فكرية و ثقافية له ، فبقى أثرها فى حياته الأدبية والفنية ، فقد كان يتمتع بذكاء حاد ، و إحساس مرهف ، وبصيرة نفاذة اجتمعت له الخصائص الفنية كلها ، كان يحترق للفن ويهتز له ، ويرف لكل جديد أينما وجد ، بهر الناس لقصصه و مسرحياته استقبله الشباب و هواة الأدب ، إذ وجدوه شاباً قوى البيان متين الأسلوب ، رصين الفكر لم تمهله المنية أن يستمر فى دنيا الأدب و الفن بل خطفته فى عز شبابه ، فكأنه كان نجماً ساطعاً قد هوى و أحرق ، فترك أسى فى قلوب الناس و حسرة و شجى ، و كان أبوه أحمد تيمور قـــد عقد آماله بهذا الشاب فلم يتحمل هذه الصدمة العنيفة ، و بقى كما يقول فى جواب رسالة للعلامة كردعلى :

« شكراً لسيدى الأخ الأعز على ما تفضل به من مواساتى فى مصيبتى العظيمة التى هدت ركنى ، و نغصت على ما بقى من أيامى » و لكننا نرى أيها السادة أن ربة الفن لم تغادر هذه الدار بل حمل محمود تيمور المشعل الذى سقط من يد شقيقه محمد فقد حمله بجدارة و مهارة ، و إن كان أقل من أخيه ذكاء و فطنة ، و لكنه كان أصبر منه على القراءة و الدراسة ، و بقى طول حياته مجداً و مجتهداً للفن ، يقدم إلى الناس كل يوم شيئاً جديداً من الفن الرفيع ، يقتبس الفكرة لفنه من صميم الحياة المصرية ، ويمد يده إلى الثقافة الغربية فيحولها فى الأسلوب العربى المتين ، فقد كان براً لأبيه يذكر فضله كما كان براً لعمته عائشة تيمورية التى كانت تحب أولاداً فيها أكثر من أبنائها ، فقد كان يذكر دائماً أيامه الحلوة عندها حينما كان الأشقاء الثلاثة يذهبون إليها فتدللهم و تمسح على رؤسهم ، وتدعو لهم بالنجاح و التوفيق ، فكتب الله التوفيق لهم طول حياتهم ، يقول فى مقدمة ديوانها حلية الطراز :

منذ النشأة الأولى ، و أنا أستمد منك العون فى ذلك الجانب المرموق من حياتى ، جانب النزعة الأدبية التى أعتز بها وأعانى ، فلأنت الآخذة بناصرى فى طليعة من كان عوناً من أب و شقيق و صديق ، لقد كان قصائدك باكورة ما قرأت وما حفظت بهذا تعملت يا عمتاه فى مطلع أيامى أن الأثر الفنى يقدر باستجابة القلوب له و استشعار البصائر إياه قبل أن يقدر برجحانه فى موازين العقول و الأذهان ، فالفن الصادق هو الفن الذى يجد الناس على اختلاف ألوانهم و تفاوت مداركهم صدى فى الأفئدة و تجاوبا فى المشاعر » .

أعتقد بأن محمود تيمور قد سار بهذا المنهج القويم لفنه و برسم الطريق بنفسه مستعينا بالذخيرة الهائلة من اللغة و التاريخ و يقدم إلى الناس ما يجدون فيه غذاء روحياً قبل أن يجدوا فيه غذاء عقلياً ، بكلمة أخرى هو يخاطب القلوب قبل أن يخاطب العقول ، يتقرب إلى المشاعر قبل أن يتقرب إلى الأذهان ، و يؤمن بالدين قبل أن يؤمن بالفلسفة بمنطق سليم و لغة عذبة أصيلة كأنها تنبع من معين متدفق زلال ، لمحمود تيمور فضل كبير على الأدب الحديث ، فقد ضرب للادباء و الفنانين مثلا رائعاً و للكاتب كيف يخلص لفنه بل يذيب له حشاشة نفسه ، لا يكل و لا يمل تنميته و تنويعه ، فقد استمر على هذا المنوال إلى آخر حياته و لم يسقط المشعل الذى حمله إلا بعد أن خطفته المنية قبل سنتين .

هكذا بقيت الأسرة التيمورية خادمة للغة العربية و مساهمة فى الثقافة و الفكر ، و لم يزل مشعل العلم و الفن ينتقل من يد إلى يد بين أبنائها أكثر من قرن كامل ، ولو جمع و طبع ما تركته هذه الأسرة من الفن و اللغة و الأدب و الثقافة لتكونت منها مكتبة ثقافية كبيرة ، رحم الله هذه الأسرة رحمة واسعة ، و نفع بها الأمة العربية و الاسلامية .

الفجر الجديد

للأخ ع حسان

طال المنام على الهوان فأين زمجرة الأسود
واستنسرت عصب البغاث و نحن فى ذل العبيد
قيد العبيد من الخنوع و ليس من زرد الحديد
فتى نثور على القيود ، متى نثور على القيود

الليل طال و أمتى لا تستفيق من الهجود
همدت على اليأس الشديد وصولة الباغى الشديد
و أنا المؤرق جفنه يرنو إلى الأفق البعيد
طال اشتياقى للضياء ويقظة البطل الشهيد

يا إخوة الهدف العتيد و إخوة الدرب العتيد
يا صرخة الاسلام و الاسلام مطوى البنود
يا ثورة الحق المبين على الضلالة و الجحود
هيا فقد آن الأوان لمولد الفجر الجديد

★ ★ ★ ★ ★ ★

بين تجربة و تجربة

واضح رشيد الندوى

كانت التجربة والتحليل و التطور بالاستنتاج العلمى من مقومات الفكر الغربى و إليها يرجع فضل التقدم العلمى و الصناعى الهائل الذى تحقق فى مختلف مجالات العلم و الحياة ، وصار التطور بفضل التجارب التى أجراها الباحثون الغربيون ميزة للحضارة الغربية ، فيصادف كل متتبع لحركة العلم و الفلسفة بأصنافها المختلفـة آراء و نظريات شغلت الفكر العالمى دهراً ثم حلت محلها آراء و نظريات جديدة سواء كان ذلك فى علم النفس أو علم الاجتماع أو الأدب ، و السياسة و التكنولوجيا ، فقد كان التطور و التغير سمة للفكر و العمل فى سائر المجالات .

كان الطب مثل العلوم و المعارف الأخرى عرضة للتغيير ، و خاضعاً لنتيجة التحليل ، و دراسة طبيعة الانسان و مزاجه ، و المناخ الذى يعيش فيه و دراسة الأسباب للأمراض و الفيروس الزى يسبب المرض ، فلم يكن من الحكمة أن تعد وصفة المريض قبل دراسة حالته ، و أسباب مرضه ، و تكوينه الخلق ، و تقدير حرارته و قوته وتحمله ، فقد يكون دواء نافعاً لمريض ضاراً لآخر ، وبقدر معرفة هذه الأمور ، و إدراك الدوافع ، يقاس حذق الطبيب ، فظلت التجربة والتحليل و اختراع الأدوية المضادة للأمراض عملية مستمرة .

ذلك حال الجسد و نظامه و ذلك تأثير المناخ و العصر و البيئة على صحة

الانسان ، فما بال الروح و طبيعة الانسان و أحاسيسه و مزاجـــه ، إنها أدق و ألطف من انفعال جسده و أسرع من تجاوبها و تأثرها .

إن هناك تطوراً فی الطب ، و تطوراً فی كل علم من العلوم الطبيعية و غير الطبيعية ، أما تربية الانسان و تغذيته الروحية ، ومتطلباته الطبيعية و تقويم حياته و مثلها ، و سلوكه مع بنی جلدته ، وإعداده ليكون وحدة بناء للجتمع الذی يعيش فيه ، فهی أمور يغفلها المفكرون فی دول القيادة الفكرية و الحضارية اليوم ، لأنها كانت فی الواقع مجال الدين ، فلما قاطعت الحضارة الدين و أخرجته من الحياة على حد تعبيرها أغفلت هذا المجال أيضاً فيلاقی كل إهمال .

بل تتنحى الدراسات العلمية عن دراسة هذا المجال فمثلا يدرس أحد أسباب تدهور صحة الانسان وحالته الخلقية و لا يجری تجارب فی ما يسمى بالطب الروحانی مثلما يجری فی الطب الجسمانی ، فقد كانت طبيعة الانسان أولى بالدراسة و الفحص و كشف أسرارها و حل مشاكلها و معضلاتها و معالجة ما تعانی من عاهات خلقية تسبب شقاء لغيرها من بنی الجنس البشری .

كان المفكرون قبل سيادة الحضارة الغربيـــة ، يقولون إن شقاء الانسان فی الدول المتخلفة و التدهور الخلقی ، يقوم على أساسين ، الجهل و الفقر ، فاذا انتشر العلم و توفر المال زالت عن هذه الدول المآسی و الآلام ، فكان العـــلم و توفير أسباب الغنى و الرفاهية ركيزة من ركائز الحضارة الغربية ، ولكن يندهش من يتابع الأحداث اليومية فی أرقى الدول فی العلم ، والرفاهية الاجتماعية ، و التی يؤمها وفود من طلاب العالم ، وتغذی الدول الفقيرة ، وتتكفل حاجاتها كالولايات المتحدة ، وفرنسا و دول أوربية أخرى حينما يجـــد نسبة الأعمال الاجرامية ، فيها تفوق غيرهـا

من الدول ، فقــد أصبحت جرائم القتل و النهب و التفسخ الخلقى و المواليد غير الشرعية ظاهرة عامة فى هذه الدول فضلا عن الاغتيالات السياسية التى تكثر وتزيد فيها عن غيرها من الدول ، فقد اغتيل رئيسان أمريكيان و تكررت اغتيالات الزعماء السياسيين و الاجتماعيين ، منهم الزعيم المسلم الثائر مالكم إكس ، و كـذلك أسفر انقطاع التيار الكهربى فى نيويورك و مدن راقية أخرى عن حالة فوضوية لا يمكن أن توصف .

كانت الحروب الدامية تعزى إلى الدين ، و كذلك الصراع الطبقى و لكن العالم خلال المنتصف الأول من هذا القرن عانى من حروب نشأت على حوادث إقليمية محدودة ، أو على أساس أيدلوجيات وضعية سياسية واجتماعية ، كلفت العالم ما لم تكلفه الحروب الناشئة على أساس الدين فى التاريخ كله . ولا يزال يشقى سكان كبود و و يتنام و كوريا ، و عدة دول أخرى فى آسيا و أفريقيا نتيجة للصراع الأيدلوجى الذى نبع من الحضارة المعاصرة .

كذلك كانت الحرية الفردية ، و حرية الرأى و الفكر و العقيدة ، فانها نالت اهتمام الفكر المعاصر ، ولـكن العالم فى حكم الاشتراكية التى كانت أكثر الأيدلوجيات المعاصرة مطالبة بها يشعر باختناق ، فقد طالبت الاشتراكيــة برفع قيود الدين و المثل عن الانسان ، و لكنها بدورها سلبت الانسان سائر حرياته ، إلا حرية التهجم على الدين ، وأخرجت الانسان من عبادة الخالق ، إلى عبادة الحكام والولاة و الخنوع أمامهم .

لم يكن فشل هذه النظريات و النظم فى تحقيق سعادة الانسان و إعطائه ما لم يكن يتمتع به قبلها ، حادثة إقليمية ، و إنما أصبح ظاهرة طبيعية يلاحظها كل ذى عينين ، وإن الذين لايزالون يرددون ذلك الدرس القديم باسم العلم والثقافة

و الحضارة الانسانية ، إنما يخدعون أنفسهم أو يخدعون مصالحهم ، و كان العالم العربي فى أحسن موقف للاعتبار لأنه جرب كلا النظامين .

لقد كانت الحياة فى البلاد التى صدرت هـذه الأفكار إلى الدول النامية ، تتطلب أن يتقدم دعاة ومفكرون لانقاذها من ويلاتها ، ويرشدوها إلى حل مشاكلها ويقدموا إليها تجارب تاريخهم الماضى ، حيث سعدت الانسانية بتأسيس مجتمع متكافل متكامل نزيه ولاتزال بقايا تلك المجتمعات أونماذج لتلك المجتمعات توجد فى بعض أنحاء العالم حيث يصان شرف الانسان الحقيق ، و يتمتع بحرية حقيقية اعترف بها عدد من الغربيين .

إنها تجربة ، و الحضارة المعاصرة ، تقوم على أساس حصيلة التجارب ، والبحث العلمى ، فهل تدرس أوربا تلك التجربة ، و تعتبر من تجربة نفسها ، قبل أن تقوم قوة جديدة تفضح مهازلها للانسانية .

بريطانيا تحت الحكم الأجنبى

كانت بريطانيا فى المنتصف الأول للقرن العشرين دولة كبرى فى الحقيقة ، فقد كانت الدول الثلاث فى القارة الهندية ، و سيلان ، و الملازيا ، و عدة دول أخرى فى جنوب شرق آسيا ، و فى القارة الأفريقية خاضعة لها ، و بلغ امتدادها حداً قيل فيه « إن الشمس لا تغرب فى الامبراطورية البريطانية » ثم بدأت رقعة الحكم البريطانى تتقلص ، باستقلال دول كثيرة فى آسيا و أفريقيا ، و لكن ارتباط بريطانيا الطويل بالاستعمار ، والاستبداد كان قد خلف على عقلية البريطانيين نوعاً من الارستقراطية ، و الترفع ، والأنفة الزائدة ، وحافظوا عليها زمناً طويلاً ،

وكان من وسائلها التمييز بين البيض و الملونين فى بريطانيا نفسها و الدول الأخرى التى كانت تخضع لنفوذها كأفريقيا الجنوبيـــة ، و لا يزال كثير من الناس الذين لا تخون ذاكرتهم يستذكرون المعاملة القاسية المزرية التى كان يعامل بها البريطانيون مع غيرهم فى البلاد التى حكموها و فى بريطانيا نفسها مع المواطنين من غير البيض.

ولا يستغرب إذا كانت بعض الفيلات و الأحياء فى بريطانيا لا تزال تحمل لوحات تقول « ممنوع الدخول للآسيويين و الكلاب » فلم يكن أحد يجرؤ أن يدخل المنطقة المحرمة ، أوالمنزل المحرم ، و فى أفريقيا التى يصفها البيض بالسوداء لأغلبية سكانها من السود ، لا تزال التفرقة العنصرية تمارس ، فتوجد حافلات وأوتوبيسات و قطارات ، وكذلك محلات تجارية لا يستطيع غير البيض و هم السكان الأصليون للنطاقة أن يدخلوها ، كذلك الكنائس ، فكان هذا الثالوث و هو الاستعمار والمسيحية و البياض أو البيض المسيحيون المستعمرون ، سمة للحضارة والحكم الذى كانت بريطانيا رائدة له فى مطلع القرن الحالى .

كان ذلك عهداً ، وقد أجليت بريطانيا من سائر مستعمراتها وجيوبها ، وممتلكاتها و محمياتها ، و تضاءلت داخل جزيرتها التقليدية ، و كان نفسها الأخير كدولة كبرى المغامرة الفاشلة التى قامت بها خلال العدوان الثلاثى على مصر .

تعانى بريطانيا منذ جلائها من أنواع من المشاكل المالية ، والسياسية ، و قد كانت مشكلة روديسيا ، و جنوب أفريقيا وإيرلندا الشمالية من أعبائها الاضافية التى تثقل عاتقها ، و تهدد ما تبقى من شرفها التليد .

كانت مآثم بريطانيا كبيرة ، ولو قيل إنها هى المسئولة عن تشتت المسلمين وقهرهم وإذلالهم فى العالم لما كان من المغالاة ، فهى مسئولة عن تفكيك الخلافة العثمانية ، وعن تشويه التاريخ الاسلامى ، و تأليب العرب على الأتراك ، ثم استعبـــاد العرب ،

وتوزيعهم على دويلات متناحرة أشبه بالقبائل العربية قبل الاسلام، وإثارة الشعور بالقوميات لتقسيمهم لكيلا يتحدوا فى المستقبل، و قضيــة فلسطين، و قبرص، و كشمير، هى القضايا التى نثرت بذورها و روتها بريطانيا وكــذلك تقسيم دول كثيرة لتندلع نيران الحرب الأهلية و يتاح لبريطانيا الفرصة للتدخل، و الوساطة على الأقل .

تعانى بريطانيا الآن وهذا هو سجلها الذى ينطق عليها بحق من مشكلة مالية كادت تشتت شملها، و تهينها على الصعيد العالمى، فيريد حكامها أن ينجدوا اقتصادها المنهار بالتقشف، و قد زادت متاعب بريطانيا المالية أخيراً بحيث إن الحكومة البريطانية اتخذت خطوة فوق العادة بإيقاف عـدة أقسام فى إذاعات ما وراء البحار، فى ضمن إجراءات التقشف، و قــد كانت الاذاعــة البريطانيـة البقية البـاقية لبريطانيا العظمى الاستعمارية، و كان لها تأثير كبير فى تعبئة الرأى العام لم تفكر الحكومات السابقة أثناء إجراءات التقشف فى التخفيف فى هذا القطاع، لأن الاذاعة البريطانية كانت تقوم بدور كبير فى توجيه الرأى العام فى صالح بريطانيـا بقلب الحقائق وإيعاز المخربين، و قد كانت أكثر الاذاعات العالمية استقبالا .

لا شك أنه يشكل موشراً إلى تدهور الوضع فى المملكة البريطانية، فقد كانت التبرعات التى جمعتها الملكة إليزبيت خلال زيارتها للدول العربيـة قد مكنتها من مواجهة هذا الضغط لبعض الوقت .

و قد حمل تدهور الوضع السياسى و القلاقل الاجتماعية و انهيار الاقتصاد البريطانى رغم الدعم العربى الذى يساندها عن طريق الزوار العرب، بعض المتندرين فكتبوا على بعض الجدران فى بريطانيا كما ذكره أحد المراسلين الذين زاروا أخيراً ما يشير إلى طبيعة الوضع المتفاقم فتقول كتابات على الجدران فى بعض الاحياء: «ممنوع للبريطانيين فى بريطانيا تحت الحكم الأجنبى» و هى نكتة واضحـــة بدون شك فى مدلولها و لا تحتاج الى شرح .» و تلك الأيام نداولها بين الناس » .

العالم الاسلامي

ليس الحل فى المصطلحات و الهتافات

فضيلة الأستاذ محمد الرابع الحسنى الندوى
رئيس كلية اللغة العربية بدار العلوم ندوة العلماء

إن كثيراً من المصطلحات و الهتافات العربية التى راجت فى أوساطنا العلمية، بل فى بيئاتنا العامة قد فرضت نفوذها و سلطانها على عقولنا و رغباتنا فيشتاق إليها الناس بدون أن يعرفوها أو يحاولوا معرفة حقيقتها، و منها مصطلحات الحرية و الديمقراطية، وطلب الحكومة و النظام السياسى عن طريقها التى تشتاق إليها الناس اليوم بشدة ولكن هل يحقق تحقيقها غرضنا المطلوب و هدفنا المنشود.

خذوا مثلا عملية الانتخابات التى يعتمدون عليها اليوم، فانها ليست ذريعة لانتخاب نيابة تكون منتخبة لأكثر أهالى البلاد إذا قارنا الأمر بالواقع العملى الثابت.

و حيث إن حق إدلاء الصوت خاص بمن وصلوا إلى سن البلوغ الكامل وهى ١٨ سنة فى بعض البلاد و ٢٠ سنة فى بلاد أخرى فان عدد أولئك المواطنين الذين يحق لهم الادلاء بأصواتهم، من كل دائرة من الدوائر الانتخابية لا يربو على نصف سكان البلاد وهولاء النصف من السكان يعطى لهم الحق أن يدلوا بصوتهم لمن شاءوا من المرشحين لا تمنعهم من ذلك سيرة المرشح السيئة أو أدواءه الخلقية أو الدينية أو انطواءه على أثرة أو غرض خسيس، لأنه لا يشترط فيه حسب المبادىء الديمقراطية السائدة أن يكون مطبوعاً على الخلق الطيب وسلامة الضمير، و الشعور النبيل نحو الأمة و البلاد، لأن الديمقراطية السائدة اليوم لا اهتمام فيها بأخلاق الناس و سيرتهم، حسنة كانت أو سيئة، إنما الاشتراط فيها أن يكون أبناء

الوطن بالغبن من العمر إلى الحد المقرر ، و بذلك لا يمكن أن ينال أصوات أكثر الناخبين و هم من الدهماء و البسطاء طبعاً ، إلا المرشح الذى يحتال لكسب مودتهم باغراءات مختلفة أو بطرق أخرى مثل دعاية صاخبة تملأ الأسماع وترضى الأهواء ، و لا يمكن المرشح المادى النبيل أن ينال طريقاً إلى النجاح فى مثل هذه الأجواء .

ثم إن سلمنا أن غالبية الناخبين قد تكون فى تأييد المرشح الصالح الجدير بالانتخاب لأن الناخب صاحب عقل و بصيرة فكيف يمكننا أن نقول إن المرشح الناجح يصبح لكسبه لأكثر أصوات الناخبين من دائرته ممثلا صحيحاً لهذه الدائرة ، لأن الناخبين وهم نصف سكان الدائرة لا يحتملون مشقة القدوم إلى مراكز إدلاء الصوت منهم بل إنما يأتى لادلاء الصوت خمسون فى المائة منهم فى عامة الأحوال . أما فى مناسبات المعركة الانتخابية الحامية ، فقد يبلغ عددهم إلى أكثر من خمسين فى المائة ، لا تحصل أصواتهم لمرشح واحد بل إنما تتوزع أصواتهم إلى عدة مرشحين على حسب عدد المرشحين فلاينال المرشح الناجح إلا ثلث الأصوات أونصفها أو أكثر منه بقليل و بذلك لا يدل الحساب إلا على أن أكثر ما يناله الناجح من أصوات التأييد لا يتجاوز عشرة أو عشرين فى المائة من أهالى الدائرة كلهم .

فكيف يزعم المرشح الناجح أنه مندوب دائرته و ممثلها ما دام لم ينتخبه من هذه الدائرة إلا نحو عشرة فى مائة مواطن فحسب . . . . . .

وهؤلاء المنتخبون يشكلون المجلس النيابى من الحزب الذى له أغلبية فى المجلس و الغالبية تتكون من أكثر من خمسين فى المائة من أعضاء الممثلين ، و قد يكونون ستين فى المائة و ما حوله ، أما باقى الأعضاء ، فلا تأثير ولا تمثيل لهم فى إدارة البلاد و تصريف شئونها ، فأعضاء الحزب الحاكم بذلك لايمثلون كما يدل الحساب إلا نحو ستة أو سبعة شخص من كل مائة مواطن ، أما الاربعة والتسعون الباقون فلا موافقة بل لا تمثيل لهم فى الحكومة ، فكيف إذن يحق لحكومة ديمقراطية اختيرت

بالطريقة المذكورة أن تزعم لنفسها أنها ممثلة للشعب .

و إذا سلمنا أن هناك طريقاً لنيل أصوات أغلب و أعظم عدد لأفراد الشعب ، فان ذاك أيضاً لا يبلغ بطالبه إلى المطلوب .

لقد ظن الشرقيون بسبب القهر و الظلم اللذين اكتووا بنارهما من عدد من حكامهم و حكوماتهم فى السابق أن تطبيق الفكرة المستقاة من الجمهورية و الديمقراطية هو الحل الوحيد و به ستصلح شئونهم و تزول عنهم مصائبهم ، ولكنهم لم يفهموا أن الحل ليس في المصطلحات و الهتافات ، بل إنما الحل فى الأيدى التى تطبق المصطلحات و هذه الأيدى لاتصلح بمجرد المصطلحات والحديث عنها فى كل وقت و فى كل آن إنه لا بد من إصلاح القلوب وتربيتها على الروح الانسانية والأخلاقية الصحيحة ، و هى لا يمكن إلا بما أمكن فى عهد الرسول عليه السلام و عهد خلفائه الراشدين ، عند ما أطلقت الحريات و لكن لا كما تطلق اليوم ، و عمت المساواة بين الناس لا كما تعم اليوم ، وطبقت العدالة بين الناس و لكن لا كما تطبق اليوم ، و عند ما كان يختار الحاكم بالنظر إلى مدى التزامه بالسيرة المستقيمة الطيبة و إلى حزمه و كياسته فى الرعاية بمصالح عامة الأمة ، ثم كان يطلق له مجال العمل على حسب فهمه واجتهاده ، وعند ما كان ينظر إلى جدارة الحاكم من ناحية رحمته بالعامة و التزامه بالسيرة الطيبة و خوفه من الله ، لا من ناحية كسبه لأصوات عامة الناس ، فان الذى لا يخاف الله لا يلتزم بالحق ، بل يلتزم بهوى نفسه و بمن يخافهم من الناس و إذا لم يكن له سبب خوف من أحد فانه يهمل حبله على غاربه و يتحرر ليفعل ما يشاء ، و إن كان خوفه من أصوات الناس يسعى لارضائهم و إشباع رغباتهم و يصرف عنايته عن المصالح الحقيقية و عن الالتزام بالحق فهو إذن يسعى لينجح فى كسب أهواء الناس بطريق من الطرق فيطمئن من الخطر الآتى منهم ، ويتناسى و يتغافل عن كل ما سواه و يفعل ما يشاء .

العالم الاسلامى يبحث عن شخصيته

الأستاذ المرحوم محمد الحسنى

للمعسكر الغربى الرأسمالى شخصية دينية و سياسية و اجتماعيـــة يعرفها الجميع ، و للمعسكر الروسى شخصية أخرى مميزة واضحة الأهداف و المعالم ، و للمعسكر الصينى الشعبي شخصية ثالثة يخاف منها المعسكران ، فهل للمعسكر الاسلامى أو للعالم الاسلامى شخصية دينية و سياسية واجتماعية ، يعرفها الجميع ؟ شخصية واضحة الأهداف والمعالم ، بارزة الشعارات والشارات ؟ كلا ! فالأمر عندنا يختلف عن هذه المعسكرات المتنافسة ، و التكتلات المعاصرة كل الاختلاف ؟ فان شخصيتنا فى الوقت الحاضر شخصية موزعة مبعثرة فيها شركاء متشاكسون ، شخصية مائعة تميل تارة إلى هذا وتارة إلى ذاك ، لاتتمسك بدينها فتنتصر ، ولا تنساق مع الغرب المادى كل الانسياق فتطمئن ، لا تقتنع بما عندها من عقيدة و إيمان ، و منهج وسلوك كل الاقتناع ، ولا ترضى بما عند المعسكرات الأخرى من كفر و إلحاد ، و عبث و فساد كل الرضا ، و تحاول التوفيق بين تراثها القديم وبين العالم الجديد ، من غير أن تثق بالأول كبير ثقة ، أو تعرف الآخر عميق معرفة ، فتجمع بذلك بين جهلين ، جهل بتراثها ، وجهل بعالمها ، ولو قدرت دينها ، و عقيدتها وتراثها حق القدر ، و عرفت عالمها المعاصر بمشكلاته و أزماته ، و فقره و إفلاسه ، و بؤسه و حرمانه كل المعرفة ، لفازت بالحسنيين ، فالحكمة ضالة المؤمن حيثما وجدها فهو أحق بها .

و أصبح مبلغ هذه الشخصية الاسلامية من رسالتها الساميـــة و علمها النافع للانسانية ، الهادى للبشرية كلمات فى كتاب أو هتافات فى خطاب ، أو تسبيحات

بين المنبر و المحراب ، أما خارج هذه النواحى الثلاث فلا تجد هناك إلا شخصية فرنسية أو إيطالية أو صينية .

شخصية واعظ دينى ، و مصلح اجتماعى إذ رأيتها على المنبر ، و شخصية تاجر إيطالى أو خبير هولندى إذ رأيتها فى البيت أو المكتب أو الديوان .

لا تؤاخذونى أيها السادة ! فهى قصة المسلمين جميعاً ، سواء كانوا فى باكستان أو تركيا أو المغرب الاسلامى ، فالعلماء - رحمهم الله - لهم شخصية مزدوجة ، شخصية الخطيب حين يصعد المنبر ، وشخصية الموظف حين يقبض الراتب ، والساسة لهم شخصية مزدوجة شخصية ابن البلد و المواطن الأول و المناضل البطل حين يواجه الجماهير بكلام فارغ ، وشخصية السياسى الشاطر حين يساوم فى عرض البلد وكرامة الوطن ، بل يبيع بلاده أحياناً فى المزاد العلنى ، والتجار لهم شخصية مزدوجة شخصية الرجل الوادع الرقيق القلب ، وطنى النزعة ، إسلامى العاطفة ، حين يمد يده بأكياس الجنيهات لبناء المساجد و الرباطات ، وشخصية التاجر القاسى الذى لا يبالى بشيوع الخمر بين الفتيات ، و ازدياد عدد المدمنين و المدمنات ، و تخبط الشباب فى حيرة البطالة والسآمة والضياع إذا كان ذلك باعثاً على تضخم ميزانيته ، وازدياد وارده و صادره .

إن شخصيتنا شخصية مستعارة ، استوردناها من الغرب كما استوردنا الغسالات و الأدوات المنزلية ، و هى شخصية ملونة تجمع بين المزاج الفرنسى ، و الطابع الأمريكى و السمة الانجليزية ، و السلوك الروسى ، وطغت هذه الأنواع والألوان على لونه الاسلامى ، و قضت عليه فى بعض الأحيان .

فما هى هذه الشخصية الاسلامية ؟ لندع الحكم فى هذا الأمر للقرآن حتى لا يكون هذا الأمر مثار شبهة أو موضوع مناقشة و جدال .

« و ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون و رجلا سلماً لرجل ، هل يستويان مثلا ، الحمد لله ، بل أكثرهم لا يعلمون » . (سورة الزمر)

أنظر كيف يبت القرآن في هذه المشكلة بالقول الفصل والحق الواضح المبين « وجلا سلماً لرجل ».

إذا فتلك هي سمة الشخصيـــة الاسلامية ، و طابعها البارز الشاخص الحي ، الذي تكاد تلمسه بالبنان قبل أن تحسه بالوجدان ، وما أروع البيان و أبلغ التشبيه حين تبدو حقيقة نابضة يراها كل واحد ، و لو لم يبلغ رتبة العلماء .

و يشرح القرآن هذه الناحية في موضع آخر ، فكأنه يفسر الآية المذكورة تفسيراً ، و يزيد الاجمال إيضاحاً و بياناً .

« يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة و لا تتبعوا خطوات الشيطان ، إنه لكم عدو مبين » . (سورة البقرة) .

و الآن انحلت العقدة ، و تذللت العقبة ، و ظهرت المعجزة على أرادتها على من يؤمن و من لا يؤمن !

الشخصية الاسلامية إذا شخصية أصيلة ، مستقلة الخيال و الوجدان و العمل و التنفيد ، تؤثر و لا تتأثر ، تغلب و لا تغلب ، تعلو و لا يعلى عليها .

إذا تقلدها أحد تقلدها لآخر أيام حياته ، بل لآخر ساعاته و أنفاسه ، إذا قسنا باعتبار الزمان ، و تقــلدها في بيته و منزله و ديوانه و متجره ، و عرشه وتاجه ، ورئاسته وفخامته ، إذا قسنا باعتبار المكان .

فهي شخصية واحدة متميزة تجدها متحمسة نشيطة في السوق أو النـــادي كما تجدها قائمة را كعـــة في زاوية من زوايا المسجد ، أو ساجده خاشعة تحت جناح الليل ، أنظر ما كان جواب القوم حين سألهم هرقل ، و قـــد دهش بانتصارات المسلمين المتتابعة عن سيرتهم و أخلاقهم ، فقالوا : « إنهم رهبان بالليل و فرسان بالنهار » .

شخصية اختلفت ميادينها و صورها و أشكالها ، و اتحدت نيتها ، و حقيقتها و غايتها و أهدافها ، فالعاطفـــة التي تحثها على النضال و القتال في أطراف النهار

هي نفس العاطفة التي تحثها على الدعاء و المناجاة ، والتضرع و الابتهال ،آناء الليل .

و العاطفة التي تحثها على الاعداد الصناعي والتنظيم الحربي و الاستعانة بالتكنية والعلم ، هي نفس العاطفة التي تحثها على إصلاح ما بينه وبين ربه ، فهي غاية الغايات و سر الوجود ، و أصل الحياة .

إنها ليست شخصيته المعتكف في المسجد ، القانع بما عنده و عند غيره من متاع الدين و العلم والتقوى ، الجاهل بتيار الحياة وسيلها العنيف وأمواجها الزاخرة الهادرة ، إنها شخصية العالم و المجاهد ، و العابد و الزاهد ، و البطل و الفارس ، و الحاكم و المسئول ، و القائد والمعلم ، الزاهد فيما عند الناس من متاع والحريص على الهداية و التقوى ، فاذا توجه إلى أسباب التجارة و وسائل الحياة النافعة ـ لا الارستقراطية الضارة ـ لم يتوجه إليها إلا بدافع الدين ، ومصلحة الاسلام والمسلمين ، كما توجه إليها عدد من أغنياء الصحابة ، فكانوا سبب قوة الاسلام و شوكته .

إننا لا ندعو إلى هجر مرافق الحياة أو ترك استعمالها فلا تزال الحاجة ماسة إلى العناية الزائدة ببعض نواحيها الهامة ، و لا نعارض الأخذ بالأسباب ، فنصيبنا فيه ضئيل حقير ، لا يفي بحاجات الزمن المتطورة و وسائله المتغيرة ، و إنما ندعو إلى تكوين شخصية إسلامية قوية بارزة تتجلى في دوائر الحكم كما تتجلى في دور العبادة ، تتجلى في البرلمان ، كما تتجلى في المسجد ، و تتجلى في أوساط التربيـــة و أجهزة الاعلام ، كما تتجلى في كلام الواعظين ، و جهاد المصلحين وجهود الدعاة والعاملين .

و حينئذ يكون العالم الاسلامي كله كتلة واحدة ذات شخصية إسلامية مستقلة لا يصنع مؤسسة ، ولا يقيم إدارة ، و لا يقف موقفاً إلا و هو وفي بمبدئه ، حريص على شخصيته ، محافظ على سماته و ملامحه ، متمسك بأهدافـــه و غاياته ، مسلم في السلم و الحرب ، مسلم في الغنى و الفقر ، مسلم في الحكم والادارة ، مسلم في الاعلام و التربية ، مسلم في الصناعة و العلم ، مسلم في السياحة و الفن .

فضيلة الشيخ عبد الرحمن محمــــد الدوسرى

إلى رحاب الرحمــــة و المغفرة

سعيد الأعظمى الندوى

تلقت أسرة ندوة العلمــــاء من الرياض نبأ وفاة فضيلة العالم الجليل الشيخ عبد الرحمن محمد الدوسرى رحمه الله فى ١٦/ ١١/ ١٣٩٩هـ بأسى بالغ و حزن عميق جداً ، فانا لله و إنا إليه راجعون ، فقد كان الفقيد الجليل ذا صــلة عميقة بندوة العلماء و سماحة مولانا الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى ، و كان من أقدم و أجل كتــاب مجلة البعث الاسلامى التى تشرفت بنشر تفسيره القيم للقرآن الكريم ، إلى أطول مــدة ، بعنوان « صفوة الآثار و المفاهيم للقرآن الكريم » و قــد تكرم من أول يومه بتوسعة نطــاق هذه المجــلة و إيصالها إلى الجهات المعنية و المراكز الحساسة ، و كان يرى ذلك أكرم مسئولية له فى مجال الدعوة الاسلامية

كان جريئاً غيوراً شجاعاً فى قول الحق فكان لا يبالى بأكبر منصب و أعظم مصلحة فى الصراحة الايمانية و الصــدع بالدعوة و الجهر بالايمان ، و يرى نفسه مسئولا عن الدفاع عن قضــايا الاسلام و المسلمين ، و عن خذل أعداء الاسلام على قارعة الطريق و الكشف عن خباياهم و نواياهم و مؤامراتهم و دسائسهم بكل مايملك من قوة وجهد و وسيلة وإمكانية ، فكان الفقيد يؤم جوامع المملكة السعودية و مساجــدها فى الرياض وفى المدن الأخرى و يتفضل بالقــاء كلمات صريحة يحذر فيها من نتائج الغفلة و النسيان ، و يشرح للناس نشاطات أعــداء الاسلام وجهودهم فى سبيل هدم القيم الخلقية والايمانية فى المجتمع الاسلامى .

كان ذا ثقافة عالية فى الدين ، متبحراً فى العلوم الشرعية يحفظ القرآن الكريم و يفسره ، و يحفظ كمية كبيرة من الآثار و الأحاديث الصحيحة ، فيستعين بها فى محاضراته و خطبه و مواعظه التى كان يلقيها فى المحافل و المساجد و الجوامع و المؤتمرات و الأسواق ، أضف إلى ذلك نشاطه الدعوى و همته العالية وطموحه فى أمر الدين ، وكم كان يحرص على إعادة ثقة المسلمين بالاسلام إليهم ، وتربية الشباب فى ضوء الكتاب و السنة حتى ينهضوا بأعباء الدعوة و الجهاد فى العالم و يقوموا بمناصرة قضايا المسلمين و العالم الاسلامى .

و مع الأسف أنه كان وحيداً فى هذه المعركة لم يجد من يرافقه فى هذه الرحلة الدينية وخدمة الدعوة الاسلامية باستمرار ، و لكنه رغم ذلك كان مبجلا لدى جميع طبقات الناس و المجتمع باخلاصه لله و بخدمته فى سبيل الله ، و لعل السبب فى ذلك كان أسلوبه الخاص فى الدعوة و التربية الذى يتسم بالجراءة النادرة و الغيرة الشديدة ، و الحمية الاسلامية و الجهر بالحق مهما كانت الظروف .

و قدر لى أن أرافقه فى بعض المناسبات الدعوية فى الكويت و فى الرياض فشهدت فيه من الجراءة ما لا أستطيع أن أصفه ، و من عدم المبالاة بلومة اللائم فى سبيل الكلمة الصريحة أمام أى إنسان عظيم ، و أشهد أنه كان داعية مخلصاً يتحرق على ما أصاب المسلمين من ضعف وتزعزع فى إيمانهم وعقيدتهم ، ويتأسف على إهمال دول المسلمين شأن الاسلام .

كان يمارس التجارة بين الرياض والكويت ودائماً يتردد بين هذين البلدين وقد رأيته فى الكويت لأول مرة منذ أكثر من عشر سنوات فى منزل فضيلة الشيخ الحاج عبد الرزاق الصالح المطوع (حفظه الله و أطال بقاءه لخدمة قضايا الاسلام و المسلمين) و قد كنا نتصل قبل ذلك بالمراسلة فلما لقيته لم يحطنى كثيراً بكلمات المجاملة و لكنه أبدى حبه و اهتمامه بى و صحبته فى بعض الاجتماعات الدينية و لمست فيه من الصراحة و الجراءة و الاهتمام بأمور المسلمين ما يندر نظيره فى هذا الزمان ، ومن عجيب حكمة الله أن الفقيد رحمه الله كان عنده شئ من اللكنة

فى لسانه إذا تكلم ، ولكن هذه اللكنة كانت تزول فى محاضراته و خطبه ومواعظه لا تعترضه بسوء البتة .

كان يتصف بالأخلاق الإسلامية و ينذر حياته و نفسه لمن كان يتصل به فى شأن من شئون الدين فيرعاه بكل ما كان يستطيع من الرعاية ، و لا يدخر وسعاً فى مناصرة القضايا التى لها صلة بالمسلمين .

خلف وراءه ذكريات باهرة من التضحية والايمان والصلابة فى الدين والعقيدة و الغيرة الشديدة على الاسلام ،و آثاراً أخرى من المؤلفات و الكتب التى وضعها خدمة للعلوم الدينية و الدعوة الاسلامية .

و لنترك نجل الفقيد الأستاذ الفاضل إبراهيم الدوسرى يتحدث لنا عن بعض نشاطاته و آثاره العلمية و الدعوية ، يقول :

★ نشاطه الاسلامى : كان ذا همة عالية و نشاط إسلامى كبير و دعوة إلى الله سبحانه لا يعرف فيها الراحة و الهدوء فينتقل من مكان إلى آخر واعظاً مرشداً حاثاً على التمسك بدين الله تعالى ، و أبرز أوجه نشاطه نجدها فى :

★ مؤلفاته : كان مولعاً بالبحث و المناظرة و القول الرصين مما كان له أثره فى تكوينه العلمى و الروحى .

و صار له نشاط فى نشر العلم و التوعية الروحية بالقاء المواعظ والمحاضرات المتوالية فى المساجد و المدارس والأسواق ويعطى كل موقف حقه الملائم له بحيث لا يلقى شيئاً فى المدرسة مما يلقيه فى المسجد مراعياً المناسبة و الاختصاص . و من أبرز مؤلفاته تفسيره الكبير للقرآن إذ صاغه بأسلوب خطابى مسترسل فيه الموعظة المؤثرة و الافادة النافعة و اسمه « صفوه الآثار و المفاهيم » .

و قد انتهى فيه إلى آخر سورة المائدة و خطته فيه أن يتمه عشرين مجلداً وفيه أدق الايضاحات المؤثرة فى دحض المبادىء الهدامة كالشيوعية والماسونية ، وقد *نشرت مجلة البعث الاسلامى الهندية كثيراً منه من سنوات أوائل الستينات، كذلك يذاع فى إذاعة القرآن الكريم من الرياض ، ونسأل أن يهيأ رجلا فاضلا عالما لاتمام*

تفسيره بذات النهج الذى خططه رحمه الله . . و يحرص أبناؤه على طباعة هذا التفسير القيم وعلى رأسهم ابنه الكبير الأستاذ عبد الرحمن و تزيد مؤلفاته رحمه الله على ٣٥ مؤلفاً أكثرها رسائل وأهمها التفسير المذكور ، والأجوبة المفيدة فى مهمات العقيدة ، و الحق أحق أن يتبع ، و قصيدة فلسطينيات و هو المطبوع من كتاباته و بقية ما كتب ما زال مخطوطاً و أكثره فى مسائل الفقه و التوحيد و الآداب الشرعية ، إما نثراً أو شعراً، و من ذلك كتابه « الجواهر البهية فى نظم المسائل الفقهية » على مذهب الحنابلة الأحمدية « ١٢٠٠ بيتاً » .

٢- نشره العلم : من خدمته لدين الله القيام بشراء مجموعات كبيرة من الكتب و توزيعها على مكتبات المدارس و الجامعات و غيرها من المكتبات العامة و كل ذلك يحتسبه لله ، ومن الخير له بعد وفاته أن له مكتبة كبيرة تبلغ زهاء ثلاثة آلاف كتاب من أمهات الكتب و المراجع ، ستوقف لجامعة محمد بن سعود الاسلامية بالرياض . و يخصص لها جناح بذلك »

ليست وفاته خسارة رجل أوعالم أو داعية فقط بل إنها خسارة أمة ودعوة ،و خسارة كلمة حق و صراحة إيمانية ، و نحن إذ ندعو للفقيد الجليل أن يتغمده الله بغفرانه و يسكنه فسيح جنانه ، نبتهل إلى الله القدير أن يلهم أهله و أولاده و أصدقاءه وذويه الصبر و السلوان .

هذا و قد بعث سماحة مولانا الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى و فضيلة الشيخ محمد معين الندوى و فضيلة الأستاذ محمد الرابع الندوى و سعيد الأعظمى الندوى ، و الأستاذ واضح رشيد الندوى ودكتور اشتياق حسين قور وصول نبأ وفاته بالبرقية التالية إلى نجله الكريم و هذا نصها :

« نشعر بفداحة حادث وفاة و الدكم المرحوم و مرارته ، وندعو الله تعالى أن يتناوله بالرحمة و المغفرة و يلهمكم و أسرتكم و ذويه الصبر و السلوان »

اختطاف الداعية فتحي يكن

في صباح يوم السبت ٢٧ - ١٠ - ١٩٧٩م ، وبينما كان الأستاذ فتحي يكن ، أمين عام الجماعة الاسلامية في لبنان يهم بالنزول من سيارته أمام مدرسته ، أحاطت به سيارتان مدججتان بالجنود و السلاح . . بينما انتظرت أخرى على رأس الشارع . . و أجبرت هذه العناصر المجهولة المعروفة الأستاذ فتحي على الركوب معهم . . . وحينما طالبهم بايصال ابنه الرضيع الذي لم يبلغ السنتين بعد ، دفعوه دفعاً إلى سيارتهم و قذفوا بابنه في الشارع . . و ساروا بسرعة هائلة . في طريقهم إلى دمشق .

و بعد بحث و مداخلات و مراجعات علم أهل و أخوة الأستاذ فتحي الأمور التالية :

١- إن الذين اختطفوه هم عملاء النظام السوري .

٢- إن الأستاذ فتحي موجود حالياً في دمشق .

٣- إنه يتعرض لأشد أنواع التعذيب .

و السؤال الذي نريد أن نوجهه إلى حكام دمشق و نريد كذلك أن يسمعه ضمير الأمة الاسلامية و قادة العرب في كل مكان :

أي عرف أو قانون أو نظام يبيح لنظام دمشق أن يخطف شخصاً آمناً من بلده في لبنان إلى دمشق التعذيب و الاضطهاد

ثم إن دمشق كانت تتهم الاخوان المسلمين بالارهاب . ، فماذا نسمي هذه الحادثة ، و من قبلها عشرات الحوادث المماثلة غير الارهاب ، فمن هم الارهابيون إذن ، الإخوان العزل من كل سلاح إلا سلاح الايمان ، أم الفئة المدججة بالسلاح ، المحتكرة لكل مال . . . ثم إن دمشق تتهم المسلمين بأنهم يحبون الدم

و البطش . . فما يطلق على هذه الحادثة و عشرات غيرها . . هل هو السلام أم البطش و الدم .

و سؤال أخير . . فقد كنا نعرف من قبل أن دمشق حضرت إلى لبنان لإقرار الامان و تأمين المسلمين . . فما بالها تسلط حرابها على المسلمين فى الشمال والجنوب . . وهل فى نية الحكم السورى أن يقيم تل زعتر جديداً لبنانيا هذه المرة على كل حال . . إن النظام السوى يلعب بالنار .

. . و يستهتر بكل مقدرات وحرمات المسلمين ، ولا بد أن يعرف المسلمون فى كل مكان أن المسلمين أحياء . . و لهم مشاعر متقيظة مؤمنة و أن القانون إذا لم يأخذ لهم حقهم . ، فسيأخذون حقوقهم بأنفسهم ، وحمزة سيد الشهداء و رجل قام إلى إمام جائر فأمره فنهاه فقتله .

مع الشكر لمجلة « المجتمع » الغراء الكويتية

كتب حديثة :

★ « ابن كثير ، حياته و مؤلفاته »

وصل إلى إدارة المجلة هذا الكتاب الذى وضعه الدكتور مسعود الرحمن خان الندوى أستاذ اللغة العربية بمركز الدراسات الآسيوية الغربية بجامعة عليكراه الاسلامية فى الهند كرسالة للدكتوراة فى قسم الدراسات الاسلامية بجامعةعلى كراه الاسلامية ، و قد نالت تقديراً جيداً من المشرفين على قسم الدراسات الاسلامية .

درس الدكتور مسعود الرحمن الندوى فى هذه الرسالة حياة ابن كثير وعصره وثقافته و نشاطه العلمى دراسة تحقيقية إكاديمية و هيأ للمشتغلين بتاريخ أعلام الاسلام

ودراسة حیاتهم زاهداً طیباً وأتحف المکتبة الاسلامیة بزیادة قیمة یستحق علی ذلك الشکر و الثناء من المعنیین بالتراث و التاریخ و الدراسة و التحقیق .

و یحتوی الکتاب علی أربعة أبواب :

(١) عصر ابن کثیر سیاسیاً و اجتماعیاً و علمیاً و فکریاً .

٢ حیاة ابن کثیر و أخبار أسرته .

٣ ـ ثقافة ابن کثیر .

٤ ـ نشاط ابن کثیر العلمی و التربوی .

أصدر الکتاب مرکز الدراسات الآسیویة الغربیة بجامعة علی کراه الاسلامیة الهند ، وهو مطبوع طباعة جیدة علی الحروف الحدیدیة .

ونحن إذ نهنئ الدکتور مسعود الندوی علی تقدیمه هذه الحیاة الحافلة بجلائل الأعمال وعظائم الأمور إلی أصحاب العلم والثقافة نرجو للکتاب کل ازدهار وقبول .

★ « نخبة من علماء العلوم والفنون الاسلامیة العربیة فی الهند وخدماتهم العلمیة »

هذا الکتاب وضعه الدکتور محمد یونس النجرامی الندوی أستاذ اللغة العربیة بالقسم العربی بجامعة لکناؤ (الهند) بلغة أردو وهو فی الواقع رسالته التی أعدها لنیل درجة الدکتوراة من جامعة لکناؤ ، و التی تغطی تراجم رجال العلوم و الفنون الاسلامیة العربیة فی الهند بین الفترة (١٨٥٧م - ١٩٧٤م) .

و مما لا شك فیه أن خدمات مسلمی الهند فی مجال العلوم و الفنون کثیرة و متنوعة ، یعتز بها التاریخ الاسلامی الهندی و یعتبرها ثروة غنیة بالتراث و الدراسات العمیقة من کل نوع ، یشهد بذلك کتاب « نزهة الخواطر » للعلامة النابغة عبد الحی الحسنی فی ٨ مجلدات ضخمة ، و کتابه ، « الثقافة الاسلامیة فی الهند » بصفة خاصة ، ولکن الدکتور النجرامی عکف علی جمع معلومات عن

أولئك العلماء ، الذين ظهروا بين ١٨٥٧ إلى الوقت الحاضر ، وقام بوضعها وترتيبها فى ضوء الدراسات التاريخية و الأسناد العلمية ، ووزع الكتاب بين أربعة أبواب :

١ - استعراض سريع لنهضة العلوم و الفنون فى الهند فيما قبل ١٨٥٧م .

٢ - تراجم العلماء من المفسرين و المحدثين و الفقهاء و المتكلمين مع الاشارة إلى خدماتهم العلمية بتفصيل .

٣ - تراجم المؤرخين و المترجمين و الفلاسفة و بيان خدماتهم .

٤ - تراجم أدباء اللغة العربية وشعرائها بذكر خدماتهم فى مجال الأدب و الشعر ،

والكتاب يسد ثغرة فى المكتبة الاسلامية الهندية كما يقضى حاجة الباحثين و المؤلفين و طلاب الثقافة الاسلامية ، فنرجو أن يجد قبولا بين الأوساط العلمية و الأدبية و التاريخية .

سماحة الشيخ السيد أبى الحسن على الندوى يسافر إلى مكة المكرمة

غادر سماحة الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى إلى مكة المكرمة فى ٢٧/ من شهر ذى الحجة الحرام ١٣٩٩هـ للحضور فى جلسات لجنة المتابعة المنبثقة من مؤتمر وزراء الأوقاف (الذى عقدته رابطة العالم الاسلامى فى العام الماضى) و ذلك ابتداءاً من غرة محرم الحرام ١٤٠٠هـ .

كما يحضر سماحته فى مؤتمر الدوحة للسيرة النبوية ، الذى تعقده وزارة الأوقاف و الشئون الاسلامية فى قطر بمناسبة استقبال القرن الخامس عشر الهجرى الجديد ، فى الأسبوع الأول من شهر محرم ١٤٠٠هـ .

و يرافقه فى هذه الرحلة الأستاذ عبـــد الله الحسنى نجل الأستاذ المرحوم محمد الحسنى (رئيس تحرير مجلة البعث الاسلامى) و يرجى أن يعود سماحته إلى الهند فى أواخر محرم باذن الله تعالى .

...بعث الإسلامي

هدفها الوحيد

إلى الإسلام من جديد

...صدرها: ندوة العلماء، لكهنؤ (الهند)

البعث الإسلامي

شهرية إسلامية جامعة

رئاسة التحرير : سعيد الأعظمي

واضح رشيد الندوي

الاشتراكات السنوية

في الهند	٣٠ روبية، ثمن النسخة ٣ روبيات
في العالم العربي	٨ دولارات أمريكية أو ما يعادلها بالبريد العادي ١٥ دولارًا بالبريد الجوي
في أفريقيا الجنوبية والشمالية وأمريكا وأوربا	٢٠ دولارًا بالبريد الجوي ٨ دولارات بالبريد العادي
في باكستان	٥٥ روبية بالبريد العادي مع اجرة البريد

الاشتراكات في باكستان ترسل إلى مجلة «البلاغ» كراچي رقم ١٤ (باكستان)

المراسلات

العنوان: «البعث الإسلامي» ندوة العلماء
ص ب ٩٣ لكهنؤ - الهند

برقياً : NADWA LUCKNOW

الهاتف : ٤٢٩٤٨ ، ٤٦٧٤٧

البعث الإسلامي

شخصية إسلامية مستقلة

ندعو إلى تكوين شخصية إسلامية قوية بارزة تتمثل في دوائر الحكم كما تتمثل في دور العبادة، تتمثل في البرلمان، كما تتمثل في المسجد، وتتمثل في أوساط التربية وأجهزة الإعلام، كما تتمثل في كلام الواعظين، وجهاد المصلحين وجهود الدعاة والعاملين.

وحينئذ يكون العالم الإسلامي كله كتلة واحدة ذات شخصية إسلامية مستقلة لا يجمع مؤسسة، ولا يقيم إدارة، ولا يتخذ موقفاً إلا وهو وفيّ لعقيدته، حريص على شخصيته، محافظ على سماته وملامحه، متمسك بأخلاقه وعاداته، مسلم في السلم والحرب، مسلم في الغنى والفقر، مسلم في الحكم والإدارة، مسلم في الإعلام والتربية، مسلم في الصناعة والعلم، مسلم في السياسة والفن

محمد الحسني (رحمه الله)

(6) ج24

رئاسة التحرير

سعيد الأعظمي — واضح رشيد الندوي

● العدد السادس ● المجلد الرابع والعشرون

● ربيع الأول ١٤٠٠هـ ● يناير / فبراير ١٩٨٠م

في .. هذا العدد

بسم الله الرحمن الرحيم

أخى القارى !

حادث الاعتداء المنكر على الحرم المكى الشريف ليس أمراً هيناً . ليس كعدوان شعب على شعب أو دولة على دولة ، إنمـــا هو فى الواقع إهدار لكرامة أقدس بقعة على وجه الأرض ، و انتهاك لحرمة بيت الله الحرام ، و أكبر إهانة لشعائر الله و حرماته .

من كان يتصور أن عام الهجرة الأخير للقرن الرابع ينبثق فجره مع أعظم جريمة يسجلها التاريخ ، و تطلع شمسه على أشلاء الأبرياء و دمائهم فى داخل الحرم الشريف أمام بيت الله العظيم ، و تنطلق من مناوره المدافع ، و يندلع من أركانه اللهيب و النيران بدلا من أصوات الأذان .

من كان يظن أن البيت الذى جعله الله للناس مثـــابة و أمناً ، و أن الحرم الذى من دخله كان آمنا ، يتحول فى لحظات قلائل إلى مناطق خوف وارهاب وإلى مجال أوسع لأشنع خطط وأبشع جريمة شهدها التاريخ المعاصر .

إنها وقاحة ولؤم لا يتجرأ عليهما من كان فى قلبه ذرة من إيمان ، وجراءة واعتداء على الله ورسوله لا يفعلهما من ينتمى إلى الاسلام فى شئ ، وإن الاسلام لبرئ من كل شخص دبر أو رضى بمثل هذه الخطة اللاعينة المجرمة وبرئ من رجل ساعد أعداء الله فى سفك الدماء واستعمال الحديد والنار فى داخل حرم الله .

بأى وسيلة نبدى ما ألم بنـا — نحن المسلمين — من بث و ألم حطما القلوب تحطيماً على ما وقع فى حرم الله و ما حدث مع بيت الله .

يا سبحان الله ! هل بلغ بنا التسفل والجنون ، إلى هذا المدى ، وماتت الغيرة فى نفوسنـا إلى هذا الحد !

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

سعيد الأعظمى

على هامش المؤتمر العالمي للسيرة والسنة النبوية

شخصية رسولنا العظيم محمد ﷺ هي النموذج المثالي الفذ للبشرية جمعاء فضلا عن الأمة الاسلامية التي هي منحة البعثة المحمدية ، و جائزتها للانسانية ، و قد أخرجها الله سبحانه و تعالى لمهمة الدعوة الجليلة و القيام بعمل الوصاية على العالم ، و حياته ﷺ الحافلة بالمكارم والمثل العليا ، والعامرة بجميع نواحي العظمة والسمو و الخلق العظيم ، هي الركيزة الأولى للانطلاق نحو الهدف الأصيل ، فنها ينطلق المسلم إلى وجهة الحياة الصحيحة ، و بها يتعين له طريقه إلى الله ، و طريقه إلى السعادة الخالدة و العزة الدائمة و السلام القائم و النجاح المستمر « و أن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه و لا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » .

إذا كانت هناك عصابة من المغرضين الحاقدين على الاسلام و المسلمين تحاول جديداً أوحاولت قديماً أن تقلل من شأن هذه البعثة العظيمة التي شملت الانسانية كلها بظلالها الوارفة ورفدها المستمر ، وإذا هناك كان ناس ، ممن أعمى بصائرهم وأبصارهم لمعان المادية وبريق الحضارة الكاذب ، يطمعون أن يوجهوا افتراءات إلى تاريخ هذه البعثة العظيمة و منتها الكبرى على الانسان ، فان وجه هذا الواقع الناصع ، و إن شفافية هذه الحياة الزكية الطاهرة لن يختفي واره غيوم الحقد و الحق و السفاهة لحة واحدة ، و كلما بذلت محاولات كريهة في هذا السبيل باءت بالفشل وأخفقت أي إخفاق ، و إن الأمة الاسلامية سرعان ما تيقظت لمحاربتها وتفنيد أصحابها وثارت ضدهم و ضيقت عليهم الخناق « يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ، و الله متم نوره و لو كره الكافرون » .

و لما قررت الحكمة الالهية إنقاذ الانسانية من أوحال الجاهلية و من ضيق المادية الطاغية و العقلية القاصرة إلى رحاب العزة و الطاعة و العلم و الايمان ، وقضى أن يمد فى عمر هذا العالم الذى يعيش فى شقاء ليس بعده شقاء ، بعث محمداً ﷺ بشيراً له بذلك ، ونذيراً له بما كان فيه من حياة وثنيه و عيش جاهلى ، بعثه برسالة عالمية ، باقية إلى آخر يوم الناس فى هذه الدنيا ، فيها كل ما يحتاج إليه الانسان من شريعة عادلة ، وقانون شامل ، ونظام للعيشه دائم ، فيها سعادتا الدنيا والآخرة و فيها أسس التربية ومبادىء التعليم والحكمة التى توفر له فرصاً غالية للطهر والعفاف و الزكاء و النمو ، و فوق كل ذلك أنزل معه كتابه المبين الذى « لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » و هو الذى يحوى بين دفتيه دستور الانسان الخالد و شريعة الله الطاهرة و قانونه العادل الرحيم ، و يفسره أقوال الرسول ﷺ وأفعاله وسيرته الطيبة التى نمت وترعرت فى ظل التربية الالهية و التاديب السماوى ، و ظهرت فيها معجزات و أمور خارقة للعادة فكانت دليلا أكبر على نبوته و برهاناً أسطع على عظمة مكانته وتفرده بالخصائص الكثيرة التى لم تكن من نصيب السابقين من الأنبياء و الرسل عليهم الصلاة و السلام « و هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته و يزكيهم و يعلمهم الكتاب و الحكمة و إن كانوا من قبل لفى ضلال مبين » .

و من هنالك كانت بعثة الرسول عليه الصلاة و السلام منة الله الكبرى على العالمين ، وسيرته العبقرية كانت المثال الأكمل للجمع بين الدنيا والدين ، بين الحاجات المادية و المطالب المعنوية ، بين الجسم و الروح ، و بين السيف و المصحف وبين ساحة القتال و محراب العبادة ، و بين العقل والعاطفة و بين العلاقة مع الانسان و الصلة بالرب ، و وجد فيها إنسان ذلك العصر ضالة القلب و الجسم ، و حكمة

الايمان والهداية، وحضارة النور والهدوء، ونضب من أجلها معين الجهل والوثنية، و انقطع خيط الشرك و الخضوع أمام الخلق الحقير، و عاد العالم من قلق النفس و اضطراب القلب و فساد العقائد و غلبة الأوهام إلى ساحة الأمن و الطمأنينة و الطاعة و التوحيد، و سار فى موكب الاسلام و السلام بخطى جثيثة.

و سنة الرسول و سيرته العطرة يحفظهما لنا التاريخ و دواوين السنة بكامل تفاصيلهما وملامحهما الأصيلة ويستطيع أن يبحث فيهما العالم عن كل شئ مما يتصل بالحياة فردية و اجتماعية و يرى فيهما وجه الحياة و صورة الانسان فى أى عصر شاء و فى أى بلد أو جيل أراد، فيبنى ما هدمه الزمان و يصلح ما أفسدته يد الحدثان، و يستقى من نبعهما الثر و من عينهما العذبة ماء زلالا وشرابا سلسالا، وقد أكد ذلك صاحب هذه السيرة العظيم ﷺ فى أحد أقواله فقال: عليكم بسنتى و سنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ، و إياكم و محدثات الأمور فان كل بدعة ضلالة».

و فى ضوء هذه الخلفية نرى مؤتمرات السيرة و السنة النبوية التى تعقد بين حين و آخر فى عواصم العالم الاسلامى، و يحضرها رؤس المسلمين من العلماء و أصحاب الفكر والدعوة ورجال القلم و الكتابة و زعماء العلم و الفقه والفتاوى، ممن يبحثون موضوع السيرة العطرة وينورون جوانبها المتعددة و يوسعونها، بغية أن تنال إعجاب العالم المعاصر فيدرك فيها شفاء من كل داء يعانى منه، وعلاجا لكل مشكلة يواجهها، و حلا لكل أزمة يمر بها.

وإن آخر هذه المؤتمرات ماعقد فى الدوحة، عاصمة الدولة القطرية فى الخليج العربى، باسم «المؤتمر العالمى للسيرة والسنة النبوية» بين الفترة ٥ - ١٠ محرم ١٤٠٠هـ فالاهتمام البالغ المدى الذى بذل فى الاعداد لهذا المؤتمر و زيادة قيمته العلمية والدينية، يعطينا

إشارات مفيدة جداً حول الموضوعية الخالصة التي أرادها المسئولون عن المؤتمر ويفيد بما يكنونه من إخلاص في بث هذا الموضوع واستعادة الثقة إلى هذه السيرة الطاهرة التي هي منبع التربية و الدعوة و التوجيه للسلمين وغيرهم ، و قد أثبت القائمون على هذا المؤتمر ، و على رأسهم فضيلة الشيخ عبد الله إبراهيم الأنصارى مدير الشئون الدينية في دولة قطر ، أنهم لا يريدون زيادة عدد واحد فقط في قائمة المؤتمرات الاسلامية و اللقاءات الدينية التي تقام بين آونة و أخرى في ربوع العالم الاسلامى و الدول الشرقية و الغربية ، و لكن الهدف الخالص الذى يسعون وراء تحقيقه هو أنهم يعتقدون في ثقة و إيمان أن اهتمام المسلمين بالسيرة النبوية و سنة الرسول قد انتقص إلى حد مدهش ، فلابد من لفت انتباههم إلى هذا الجانب الحيوى العظيم الذى لا يكتمل إسلام المرء و إيمانه بدون التفانى في حب الله و رسوله و طاعتهما ، فقد قال الله تعالى « و من يطع الرسول فقد أطاع الله » و قال : « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله » .

وقد أثمر المؤتمر قبل عقده ثماراً جنية فنشر المسئولون عنه ، كتباً قيمة حول السيرة و السنة ، و أخرى حول الدعوة الاسلامية و الفكر الاسلامى و التراث الاسلامى ، أحرزوها لجمعوها حتى تكونت مكتبة إسلامية قيمة أهديت إلى كل عضو حضر المؤتمر ، و تكفل المؤتمر نفسه إيصالها إلى مقر الأعضاء ، كما كلف الأعضاء المدعوون كتابة البحوث والمقالات العلمية والتحليلية التي جمعت بين الأصالة والعمق و الابداع ، فكانت ذخيرة علمية غالية حول السيرة و مناحيها المختلفة ، إذا جمعت كلها في مجلدات و طبعت كانت أغلى هدية للعلماء و الباحثين في العالم كله ، و أطيب زيادة تذكر و تشكر في المكتبة الاسلامية الواسعة .

هذا عدا ما ألقيت من كلمات قيمة في المؤتمر ، يتميز كلها بالمعنى الجميل الجليل

و أخص بذلك كلمة أستاذنا الكبير سماحة مولانا الشيخ أبى الحسن الندوى التى ارتجلها نيابة عن الوفود ، و هى منشورة فى هذا العدد ضمن أخبار المؤتمر و بيان منجزاته و أعماله .

أما القرارات و التوصيات التى اتخذها المؤتمر فهى تلفت الأنظار و تبعث الأمل و أنها سوف لا تلقى مصيرها - شأن القرارات و التوصيات - من الانطواء فى غضون الملفات و بقائها حبراً على الورق بل إنها سوف تجد إلى التنفيذ سبيلا ، نظراً إلى ما تحرص عليه دولة قطر و أميرها المسلم سمو الشيخ خليفة بن حمد حفظه الله من تحقيق أهداف هذا المؤتمر الكبير و هى :

١- إبراز جوانب الهداية و العظمة و القدوة فى سيرة النبى ﷺ و سنته لتقديمها للمسلمين خاصة و للبشرية عامة .

٢- تجلية المفاهيم الاسلامية الصحيحة بشأن التربية و الدعوة و الاعلام من خلال سيرة النبى الكريم و سنته و هديه .

٣- تقديم حلول - فى ضوء السنة والسيرة - للمشكلات الاجتماعية عامة ومشكلات الشباب خاصة .

٤- تثبيت مكانة السنة فى التشريع الاسلامى والحياة الاسلامية فى مواجهة التيارات المنحرفة التى يغذيها خصوم الاسلام .

٥- الكشف عن كنوز تراثنا و مصادرنا فى السيرة والسنة و العمل على إحيائها و إخراجها فى ثوب عصرى يليق بمكانتها فى غرس الاعتزاز بها و الاستفادة منها لأجيالنا المسلمة .

٦- ربط العلماء العاملين فى حقل السنة والسيرة وتعريف بعضهم ببعض على مستوى

« البقية على صفحة ١٠٠ »

التوجيه الإسلامي

إبراهيم عليه السلام إمام النوع البشرى

بقلم : الكاتب الاسلامى و المفسر الشهير المرحوم عبد الماجد الدريابادى

[قال : إنى جاعلك للناس إماماً] .

و قد جاء عهد الامامة هذه فى التوراة (العهد العتيق) بما يلى :

« و أجعلك لشعب كبير و أباركك ، و أكبر اسمك ، و تكون مباركاً بارك مباركيك ، و ألعن لاعنيك ، و تتبارك بك جميع قبائل الأرض » (١) .

ولا يزال إبراهيم عليه السلام متفرداً بامامة وسيادة العالم الدينية وحده حتى يوم ، و لا تزال إمامته مكان اعتبار واعتراف لدى جميع الديانات التى تمت إلى توحيد بصلة ما - كاليهودية و النصرانية - فضلا عن الاسلام .

يعرفه - عليه السلام - عالم كبير انجليزى درج فى ختام الربع الأول من القرن العشرين ، بما يلى :

« لم تكن شخصية إبراهيم كسيد بدوى ، يقوم بالنهب و السلب و الاغارة ، التغلب على الدولة - و إنما أهميته الحقيقية هى فى ناحية الدين . و لم يكن الجد لأعلى لجيل فى الواقع . بل كان مؤسساً لحركة دينية و كان - كمحمد جاء بعده بألفى عام - زعيم الأمة السامية و قبائلها ، و هو مؤسس الديانة الاسرائيلية طبق رواية التوراة » (٢) .

---

(١) الخلائق : ١٢/ ٢ - ٣ .

(٢) دائرة المعارف البريطانية ج ١/ ص ٦٠ ط ٤ .

و لنقرأ مرة ثانية الجمل المخطوط عليها ، حتى ندرك مدى هـــذا الاعتراف الصارخ بالتجانس و التشابه بين حبيب رب العالمين : محمد ﷺ و خليله : إبراهيم عليه السلام ، على لسان أوربا ، يا سبحان الله العزيز القدير !

و قد استنتج الفقهاء من الآية ، أن امتثال الأوامر الالهية الحقيق ، والنجاح فى الابتلاء الالهى ، يبلغـــان بالانسان إلى الامامـــة الدينية ، و يؤهلانه لذلك و أن ما يسعد به الأولياء و صالحو الأمة من العلماء بعـــد الأنبياء و الرسل من الامامة الدينية - حسب مؤهلاتهم - هو مظهر هذا القانون الطبيعى .

مركزية الكعبة و محبوبيتها :

[و إذ جعلنا البيت مثابة للناس و أمناً] .

المراد من « البيت » هو بيت الله الحرام أوحرم الكعبة ، وهذا البناء المكى هو أقدم البيوت لعبادة الله على وجه الأرض ، و أعلن القرآن بأقدميته فى كلمات صريحة فقال : « إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا و هدى للعالمين » .

و قد عزت على المسيحية أقدميتها ، كما عزت عليها قدسيتها و جلالتها ، غير أنها لم تستطع - رغم قصارى جهدها - أن تقدم ولا دليلا واحداً على انكارها لذلك حتى اليوم ، فاضطر الكاتب «الانجليزى باسورث سمث » فى الأخير من القرن العشرين أن يعترف :

« هذا هو المعبد الذى يرجع قدمه إلى ماوراء التاريخ (١) » .

ثم يكتب محيلا على المؤرخ الرومى القديم الشهير (Diodorus Seculus) الذى درج قبل المسيح عليه السلام بقرن كامل : إن هذا المعبد كان أقدم معبد فى عهده

(١) محمد و المحمدية ص ١٦٦ .

كذلك ، و كان أقدس و أعظم مرجع للاجيال العربية كلها (١) .

بناء الكعبة :

[و إذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت و إسماعيل] .

وكلمة [يرفع] جديرة بالتأمل والتوقف ، فانها تدل على أن القواعد لم توضع لهذه المرة بل هى موضوعة من قبل ، وربما على يد آدم عليه السلام ، وكل ما صنعه إبراهيم ، أنه رفع قواعده من جديد ، لكون البناء قد انهدم و اندرس ، و ما تعمله المسيحية نحو الكعبة و قدمها من الحقد و الضغينة لا يحتاج إلى البيان ، لكنها رغم ما بذلت من محاولات كتابية مكثفة ، نحو إثارة النقع حول قدمها لم تستطع أن تصنع شيئاً ، و قد بقيت أقدميتها حقيقة ناصعة بيضاء ، يقول مترجم القرآن باللغة الانجليزية جارج سال (Sale) فى مقدمته لترجمة القرآن الكريم :

« إن مكة و قد تطلق عليها بكة ، و هما كلمتان مترادفتان ، معناهما مكان تجمع عظيم ، من أقدم مدن العالم بالتأكيد ، و يرى البعض أن المراد منه مدينة « ميسا » » فى التوراة هى مكة .

ثم يقول :

« قد كان معبد مكة مكان تقديس وإجلال لدى العرب أجمعين كمعبد غارق فى القدم و فيما قبل محمد بقرون طويلة » .

و يقول باسورث اسمث فى محاضراته على عنوان « محمد و المحمدية » ، « Mohammad And Mohammadnism »

« يرجع بناء الكعبة ـ كما تقول الروايات ـ إلى إبراهيم و إسماعيل ، بل و إلى شيت و آدم ، و اسمها (إيل) نفسه يدل على أن بناءه الأول قد تم على

(٣) أيضاً ، و راجع تفسير القرآن باللغة الانجليزية لكاتب هذه السطور .

يد أحد من أمثال هؤلاء الكبار (١) » .

و شهادة « سروليم ميور » لها أكبر قيمة وأهمية ، يقول فى مقدمة كتابه « حياة محمد » .

« نحن مضطرون أن نعترف بأن تاريخ ديانة مكة قديم جداً ، و الروايات تشهد بأن الكعبة لا تزال مركز العرب منذ عهد مجهول . و الموطن الذى يعترف بقدسيته هذه المساحة الواسعة ، يدل - بدوره - على أن بناءه عريق فى القدم جداً (١) » .

إن هذه الشهادات قد أدلى بها أعداء الاسلام أنفسهم ، أما كتب التفسير و الحديث و السير لدينا فهى زاخرة بالروايات المؤكدة لأقدميتها .

إسماعيل عليه السلام :

ما يحتله سيدنا إسماعيل عليه السلام من المكانة فى الاسلام كنبي صادق ، واضح لا يحتاج إلى الذكر ، أما معجزته العظيمة ، فهى أن الأمم التى ظلت تواصل الهجو والطعن فيه وفى أمه ، لا تزال كتاباتها حتى اليوم تعترف بعظمته وسموه ، و جلالة شأنه ، فها هى هذه دائرة المعارف اليهودية تسوق الشهادة الآتية لبعض أحبار اليهود :

« من رأى إسماعيل فى المنام ، يكن مستجاب الدعوات لدى الله تعالى » (٢) .

كانت أمه هاجر بنت ملك مصر ، وكانت الأسرة الملكية المصرية فرعاً من فروع قبيلة إبراهيم انتقل من العراق إلى مصر واستوطنها ، ولما مر إبراهيم عليه السلام

---

(١) النبي و الاسلام « Mohammad And Mohammadnism » ص١٦٦

(٢) مقدمة حياة محمد (ﷺ) ص ١٠٢ - ١٠٣ .

(٣) دائرة المعارف اليهوديه ٦/ ٤٦٨ .

بمصر فى إحدى رحلاته ، أنزله ملك مصر فى بلاطه كسيد الأسرة وجد القبيلة ، و لما أراد أن يرتحل أهدى إليه الملك بنتاً له هدية الاكرام و الاحترام ، و قال له متواضعاً - كعادة المضيفين فى الشرق - إنها هدية إلى جاريتك ، و لا تزال اللغة الأردية لدينا تتداول هذا المصطلح العرفى ، فكل امرىء - مهما كان كبيراً و سرياً كريماً - يقدم بنتـه إلى زوجها لدى الزواج ، قائلا « إنها جاريتكم » فاستغل المعاندون و المغرضون هذا العرف الشرقى كوثيقة تاريخية معتبرة ، فلا تزال أم إسماعيل « جارية » لديهم ، لكن الحقيقة لاتتغير مهما أنكرها المنكرون ، وتحامل عليها الجاهلون ، فجاء فى دائرة المعارف اليهودية نقلا عن كبار أحبار اليهود :

« إنما دهشت هاجر لما رأت الملك - بفتح اللام - أما طهارة ذيلها ، فلا أدل عليها من أنها لم تتنكر لابراهيم عليه السلام و ظلت وفية له حتى بعد ما فارقها ، و قيل إن معانى اسمها « المتزينة » و« المتحلية » و ذلك لأنها كانت متحلية بمكارم الأخلاق و حسن الأعمال (١) » .

و جاء فيها فى مكان آخر رواية تقول :

« قد وهبه - عليه السلام - الملك ابنته كجارية » (٢) .

و جاء فى مجموع قصص اليهود الذى قام بتأليفه و نشره « كنز برك » Iginz Berg فى أربعة أجزاء :

« قد عزم ملك مصر على أنه سيجعل إبراهيم ذا قوة و شوكة من كل ناحية . . حتى أهدى إليه ابنته . فانتهى بها تعليم وتربية سارة إلى أن أشبهت سارة فى تقواها وزهدها ، وأصبحت صالحة من كل ناحية لأن تكون قرينة إبراهيم» (٣)

(١) دائرة المعارف اليهودية ج ٦ ، ص ١٢٨ .
(٢) أيضاً ١١ / ٥٥ (٣) قصص اليهود لكنز له ج ١ ص ٢٢٧ - ٢٢٨

واجب العلماء و الطبقة المثقفة :

سماحة الشيخ السيد أبي الحسن على الحسنى الدوى

[هذه المحاضرة ألقاها سماحة الشيخ الندوى فى جامع « فيصل آباد » (باكستان) فى ٢٢ يوليو ١٩٧٨م ، واستمع إليها النخبة الممتازة من العلماء والمثقفين بالثقافة العصرية ، وأساتذة مراكز الثقافة العصرية و المدارس الاسلامية ، و المسئولون عن القطاعات السياسية و الاجتماعية ، و الدوائر العلمية والأدبية و الثقافية و الصحافية]

قال بعد ما حمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، وصلى على نبيه العظيم وسلم :

أصحاب الفضيلة و السعادة : رجالات العلم ، وأساتذة المدارس و الجامعات !

قبل أن أدخل فى حديث موسع ، أريد أن أضع أمامكم نقطة مبدئية بالايجاز :

قد تضاعفت اليوم مسئولية العلماء و المثقفين ، إن دعوة أو حركة — إذا كان قادتها من أولى الطبقة العليا فى الأمة ، من أصحاب الذكاء الموهوب و رجالات الفكر و الرأى ، و ذوى التعمق فى الكتاب و السنة و العلوم الدينية — تكون ذات تعمق وجدية ، و نضج و اكتمال ، و توازن و اعتدال ، يرجى فيها أنها سوف لا يواكبها انحراف عن الخط المستقيم فى أى مرحلة من مراحلها ، و تكون — فى طول الطريق — على نجوة من العاطفية والتطرف ، والسطحية والابتذال .. و العلماء و أصحاب الفكر كانت مسئولياتهم عظيمة ضخمة فى كل العصور الاسلامية ، لكنها اليوم تضخمت و اتسعت و ازدوجت أكثر من ذى قبل ، وأصبح رجال

العلم و الفكر ، و قادة الجماعات الدينية و المسئولون عن المؤسسات و الحركات الاسلامية ، فى موقف صعب معقد ، وأصبح الشعب الاسلامى يتطلع إليهم كنقذى الانسانية ، و يرى أنهم سيقومون بالتوجيه السديد ، و القيادة الناجحة ، ويتفادون بالحركات الدينية و المحاولات الاسلامية ، من السطحية ، و التطرف ، والمغالاة ، حتى لا يعتقد فيها أحد أنها كسحابة صيف عن قليل تنقشع ، أوكزبد يذهب جفاء ، بل يرى الناس فيها أنها راسخة الجذور ، بعيدة الغور .

مأثرة العلماء فى الدول الاسلامية :

أيها السادة ! لو لم يكن العلماء و رجال الاجتهاد و الفقه يقفون من وراء خلافة بنى أمية و خلافة بنى العباس ، لما وجدت هذه القوانين الاسلامية المدونة التى تغطى جميع مناحى الحياة ، و يستوعب الحياة الانسانية من المهد إلى اللحد ، و لما كان الاسلام متجلياً فى صورة نظام للحياة منسق و مرتب .

إن التاريخ يصب المدح والثناء على القادة و الفاتحين ، فبطولات قادتنا أمثال طارق بن زياد ، و محمد بن القاسم ، و عقبة بن نافع ، و موسى بن نصير ، و مآثرهم ، ساطعة فى صفحات التاريخ ، سطوع الشمس فى الضحى ، لكن الذين كانوا يقومون بتنفيذ قوانين الله فى البلاد المفتوحة للاسلام و يحلون المشاكل والقضايا التى كان يواجهها المسلمون فى تلك المناطق الجديدة ويحققون حاجات كانت تستجد فيها و يقومون بتوجيهات فى الأحوال و الأوضاع المتجددة . . فقلما يعرف الناس قيمة خدماتهم ، و مدى تأثيرهم فى البلاد و العباد على حين إنه لو لم تكن عقول رجال الاجتهاد و الفقه و الحديث تعمل عملها من وراء السيوف الفاتحة للبلاد ، و الأيدى الشجاعة المخضعة لعباد الله لله وحده ، و لو لم تصاحب الحكومات التى كانت تنظم البلاد و تضبط الأمور ، و تدير الشئون ، لكانت تلك

المحاولات كلهـــا ، و الفتوح كلها ، و الدول و الحكومات جميعها ، جوفاء . لاروح فيها و لا حياة .

الفاتحون للمسلمين يقعون مفتوحين للاسلام :

ولنذكر مثلا أن التتار زلزلوا العالم الاسلامى ، وفككوا عراه ، وجعلوا أهله قطيعاً من غنم ، أو لحماً على وضم ، فما كان هناك أمة أذل من المسلمين على ظهر هذه البسيطة ، ولو رأيت صور هذا العهد التى لا تزال تضن بها المتاحف اليوم ، لوجدت أن مسلماً ، معقودة لحيتـــه بذيل الحصان ، و يقوده التتارى ، كان لكل شعب وقوم فى العالم قيمة فى أعينهم إلا الشعب الاسلامى ، و لا سيما مسلمى تلك المنـاطق التى كانت مهد حضارة المسلمين و ثقافتهم ، أعنى منـاطق إيران و ماوراء النهر ، التى كانت مركز الفقـــه فى العهود الأخيرة و سيما الفقه الحنفى . . لكنكم تعلمون أن هؤلاء التتر الذين فتحو المسلمين ، وقعوا مفتوحين للاســـلام ، أولئك الذين لم تستطع سيوف المسلمين أن تخضعهم ، و لكن أخضعتهم حضـــارة المسلمين وثقافتهم ، وعلومهم ، واطرحوا على عتبتها عبيـداً بارين ، وخدمة منقادين مستسلمين .

وذلك لأن التتر لم يكن عندهم تراث على ، و رصيد من الحضارة والمدنية ، و القوانين المدونة الشاملة ، و الكتب و المؤلفات ، بل كانت عنـدهم دساتير قبلية تقليدية بسيطة و أعراف قومية وحشية كانت متبعة فى مناطق جبال قراقرم و مما حواليها ، فاحتاجوا إلى العلمـــاء المسلمين و رجال الفكر و الاجتهاد من المسلمين ، و ما أن احتكوا بهم ، و ترددوا إلى بلاطهم ، حتى أخـذوا بعلومهم و ذكائهم ، و فكرهم و اجتهادهم ، و استهوتهم الحضارة الاسلامية ، فأسلموا بمجموعهم .

و قد قررت فلسفة التاريخ كبده هـــام ، أن القوة الحربية و الاستراتيجية لاتكسب النجاح ما لم تساندها العقول المفكرة ، وقوة التشريع والتقنين ، والمؤسسة المنظمة . . و قـــد كان المسلمون أولى ذكاء و مواهب ، كان لديهم منابع التفكير

و الاجتهاد ، و حضارة متقدمة ، و ثقافة عظيمة ، و تراث على عريق عتيـــد ، وتجربة موسعة دقيقة فى باب التقنين والتشريع ، يتمتعون بأهلية فائقة لحل المشكلات و القضـايا المدنية ، و قد اضطرت الأوضاع التتر أن يستنجدوا المسلمين فى هذه النواحى كلها ، فكان ما كان .

إن هذا الدين نابع من العلم :

و من واجبات العلماء و المسلمين ، و أساتذة الجامعات ، و معلمى المدارس و الكليـــات ، و رجال القانون ، و الأدباء ، و المفكرين ، أن يثبتوا فى العصر الحاضر ، أن هذا الدين لا يمت إلى الجهل بصلة ما ، إنه ليس وليد الجهل ، أو القوة الحربية ، إنه وليد المعرفة ، و الهداية الالهية ، و الوحى الالهى ، و العلم الربانى ، إنه يستطيع أن يرافق الزمان فى كل أوضاعه و ملابساته ، و مشكلاته و معضلاته ، ويقدر على أن يوجه المدنية ، و يراقب الحضارة و يتعهدها ، ويمنعها من الشذوذ و الانحراف ، و التفسخ و الفساد ، و الهدم و الافساد .

إن هذا العمل العظيم ، لايستطيع أن ينهض بعبئه إلا علماء الدين و الطبقة المثقفة العليا ، و إنه لمسئوليـة عظيمة على أكتافهم ، لأنه خطر كبير على دين أو أمة يعتقد فيهما الناس أنهما لايتصلان بالعلم ، بل إنهما عدوا العلم ، وصديقا الجهل ، يضرهما العلم و ينفعهما الجهل ، لأن الناس حينئذ يرون أنهما لا يستطيعان أن ينفذا فى القلوب ، و يتملكا على العقول ، و يقنعا النفوس ، فلهما صولة وجولة مادامت السيوف تحميهما ، والقوة الحربية تقف من ورائهما ، و يخيم الجهل رواقه عليهما ، و ما أن يسطع نور العلم حتى ينقشعان ، كالظلمات تنجاب عن إشراق الشمس .

وتلك هى قصة المسيحية ، التى لم ترافق العلم ، و إنما برزت كحركة روحانية اجتماعية ، نعم قد وجهها المسيح عليه السلام توجيهاً نبوياً صحيحاً ، فأثرت تأثيرها

المطلق بحكم قبوليته ، و قدسيته ، و قوته الروحية ، و شخصيته القوية ، و فراسته النبوية ، أما بعده ، فلم تتمتع إلى زمن طويل بتوجيــــه سديد من الأذكياء أولى الألمعية و البصيرة الايمانية ، فتشوهت صورتها وسيرتها ، و لما دخلت فى أوربا ظن الناس أنها لا تستطيع أن تساير الزمان ، فلا بد من عزلهـــا عن شئون الحياة ، و لتعش حبيسة المغارات و الكهوف ، و الأديرة ، و الكنائس .

المسيحية لا تحمل شريعة مستقلة :

كانت أوربا وقتذاك تقفز قفزات واسعة ، تقطع مراحل الرقى و التقـــدم بخطى حثيثة ، تتـــدفق فى المجتمع الاوربى قوى الرقى و الانطلاق ، و كان هناك صراع عنيف حول « التنازع للبقاء » و كانت المسيحية التى كانت فى دور طفولتها و لم تحظ بتدوين و شرح وتنسيق ، و لم يكن لديها قانون مستقل ، فكانت تعتمد على القوانين اليهودية ، و تتطفل على مائدة الشريعة الموسوية ، بتغيير يسير وتعديل خفيف ، و من ثم قال المسيح عليـــه السلام : « و لأحل لكم بعض الذى حرم عليكم » ولم يقل إنى جئتكم بشريعة مستقلة ، إذاً ، فكانت المسيحية تصلح ما أفسدته اليهودية ، و لم يكن عندها دستورها الذاتى ، وكانت جل عنايتها مصروفة إلى الرحم و الرأفة ، و الحب ، و مؤاساة الانسانية ، و الحدب على الضعفاء و المظلومين ، و تحرير المسحوقين ، و القضاء على السيادات التى ما أنزل الله بها من سلطان ،

و لما وصلت المسيحية إلى أوربا الفتية المنتعشة ، المتدفقة المتوثبة ، و تعرف بها أهلها الذين كانوا يسابقون الرياح فى ميدان التقدم ، و يمرحون ، و يرقصون رقص العواطف الهوجاء اكتشفوا سريعاً أنها ـ أى المسيحية ـ لاتستطيع أن تساير الزمن المتطور ، و المجتمع السباق ، و الركب المتقدم ، و العلم المتدفق . . هنالك فرط العلماء المسيحيون فى جنب المسيحية أيما تفريط ، فقد كان الموقف يحتم عليهم

أن يثبتوا حين ذاك مصلحة المسيحية و غناءها و أن يجودوا على المجتمع الأوربى بتوجيهات مبدئية ، و أن يستقبلوا متطلبات الوقت ومقتضيات الانسان - التى لم تكن تتعارض مع صميم المسيحية - ثم يطالبوا الناس بمراعاة روح الدين وتعاليم المسيحية فى تحقيق رغباتهم ومتطلباتهم ، لكنهم لم يصنعوا كل ذلك ، بل توزعوا فى طبقتين : طبقة الحكام ورجال الدين ، أوطبقة علماء الدين و رجال الادارة والحكم ، وعادت الطبقة الأولى ، لاتؤمن بالمسيحية إلا كعقيدة وحدها ، لا شأن لها بالحياة ، وبالحكم و تنظيم شئون الحياة ، و إدارة الحكم و السياسة ، و التشريع و القانون ، أما الطبقة الثانية ، فلم تعد وظيفتها إلا معارضة الطبقة الأولى ، و الوقوف فى طريق الرقى ، ورأوا أن التقدم هو الفرار عن الحياة ، و الهروب من ضجيجها وضوضائها و اللجوء إلى الكنائس ، و الاعتزال فى الغابات ، و العزوبة ، و العزوف عن النساء ، و الفرار من ظلها ، و اعتقدوا أن تلك هى طرق الاحتفاظ بالروحانية .

على كل فكلتا الطبقتين ألحقتا بالمسيحية ضرراً فادحاً . فالطبقة الحاكمة تحررت من كل حد و قيد ، و عادت تصوغ هيكل المدنية فى عزلة عن تعاليم المسيحية ، و صارت تستعبد الناس ، و خطا بعض المعارضين للسيحة خطوة أخرى ، فنالوا منها فى قارعة الطريق ، و جعلوها عرضة لكل تهمة و ضعف و سقطة ، و بدأت كل هذه الألاعيب منذ « سينت بال » و لا تزال المسيحية سائرة على هذا الدرب مما جعل الناس أن قطعوا آخر خيط كان يربطهم بالكنيسة ، و وقع الخليج بين الكنيسة والامارة للأبد ، وظلت المسيحية يتقلص ظلها حتى أصبحت نقطة لاتتضح .

الاسلام و العلم متلازمان :

و الحمد لله إن هـذا الخطأ لم يقع فى عالم الاسلام ، لأن الاسلام و العلم ظلا متلازمين منذ اليوم الأول ، وقد قلت فى الكلمة التى ألقيتها فى جامعة «كراتشى»

أن الدين الذي كانت بداية نزول وحيه بكلمة « اقرأ » و لم يتجرد وحيه الأول من ذكر القلم ، ما كان ليفارق العلم و القلم فى أى زمان و مكان ، و لا يمكن فى دنيا الاسلام أن يتصور أحد مفارقة الدين للعلم ، لأن الاسلام والعلم رفيقان وفيان منذ بداية الطريق . . و تعلمون أن أسرى بدر الكافرين ، كان عدد منهم لايستطيع أن يفكوا رقابهم بتقديم الفدية ، و هنالك جعلت فديتهم أن يعلم - كل منهم - عشرة أفراد من أولاد الأنصار و المهاجرين .

الاسلام لا يساير الزمان و حسب -
بل يوجهه ، و يقوم بارشاده :

قد كان أكبر واجبات العلماء المسلمين اليوم أن يربئوا بالاسلام من أن يزعم الشباب المعاصر ، أنه يقوم على ركيزة من القوة و الحكومة ، و لا يستطيع أن يجاري تقلبات الزمان و تقدم العلوم والفنون ، و قد تقادم عهده ، و ولى دوره و نفدت بطاريته ، قد كان له أن يساير العصور البدائية الساذجة المحدودة النطاق ، حينما كانت البشرية فى عهد طفولتها ، أما فى هذا العصر ، عصر المدنية المتقدمة ، المعقدة المتشعبة ، فلا يملك أن يمثل دوراً فى الحياة .

كان من أضخم مسئوليات علماء الاسلام أن يواجهوا هذا التحدى ، و أن ينسقوا هذه المدنية مع مبادىء الاسلام ، باستخدام ذكائهم ، و دراستهم العميقة ، و المرونة و النعومة التى يتمتع بها أصول الفقه فى الاسلام ، بمعونة من مبادىء الكتاب و السنة التى تستطيع أن ترشد الأجيال البشرية فى كل زمان . . والتقصير فى هذا الجانب ، أقل نتيجته هو التحرر من الحياة الاسلامية ، و التجرد من تعاليم الاسلام و أحكام الكتاب و السنة ، وأسوأ عاقبته هو الالحاد و اللادينية والثورة على الدين و الخروج على تعاليمه ، ونرى الدول الاسلامية تتوزعها هاتان العاقبتان

الوخيمتان ، اللتان تعتبران ثورة على الرسالة الالهية و التعاليم المحمدية .

و من ثم فان العمل الأول و الأهم اليوم أن نثبت أن الاسلام بروحه ، و مقاصده ، و مبادئه المتيدة ، يستطيع أن يساير الحياة ، حاشا لله ، بل يستطيع أن يقودها و يوجهها ، لأن مسايرة الاسلام للحياة هي شئ تافه متواضع لا يتفق و شأن الاسلام و مكانه و مركزه فى الحياة و الكون ، و إنما عبرت بالمسايرة تنازلا . . و مكان الاسلام الحقيق هوأنه وحــــده يقدر على أن يرشد الحياة ، و ينقذها من الأخطار و الأهوال . . و المدنيـــة التى شذت عن تعاليم الاسلام و مبادئه مدنية زائفة ، و الامارة أو الدولة التى انحرفت عن التعاليم الالهية عرضة لكل خطر ، ومصيرها الفناء و الانهيار ، مهما كانت موطدة الأركان شامخة البنيان .

يجب أن نؤثر الاسلام على جميع المصالح و الأغراض :

ومسئولية العلماء والمفكرين المسلمين ثانياً ، أن يفضلوا الاسلام على كل جماعة ، و مؤسسة ، و مدرسة ، و طائفة ، و حزب ، أيها السادة ! إذا رأيتم أن بقـاء الاسلام يتطلب أن تمحى جميع الأسمـاء و اللافتات ، و الشعارات و الشارات ، و الأحزاب و الجماعات ، فليكن ذلك موضع عنايتكم ، و لا يقمن تلكأ منكم أو إحجام للحظة واحدة ، و لتكن مصلحة الدين و العقيدة مفضـــلة على كل مصلحة حزبية أو جماعية ، و ليكن نصب أعيننا هو الدين والايمان ، وانتصارهما ، سواء رجع الفضل إلينا أو إلى غيرنا من الاخوان فى العقيدة و الدين ، و قد كان من معجزة نبي الاسلام الأعظم سيدنا محمـــد ﷺ أنه جعل أصحابه لا يطمعون فى أن تنمى إليهم مأثرة ، أو يرجع إليهم الفضل فى تحقق بطولة . كان همهم الوحيـــد هو تحقيق المأثرة و البطولة ، و إرضاء ربهم تبارك و تعالى ، ثم لا يبالون بشيء .

وقد كان الصحابة يحزنون إذا اضطروا إلى الاشارة إلى عمل قاموا به لوجه

الله الكريم ، كأنهم قد أفشوا سراً ، كان الضن به واجباً ، فقد روى الامام البخاري رحمه الله بسنده عن أبي موسى الأشعري ، رضى الله عنه ، قال : خرجنا مع النبي ﷺ في غزاة و نحن ستة نفر ، بيننا بعير نعتقبه ، فنقبت أقدامنا ، ونقبت قدماى و سقطت أظفاري ، و كنا نلف على أرجلنا الخرق ، فسميت غزوة ذات الرقاع ، لما نعصب من الخرق على أرجلنا ، و حدث أبو موسى بهذا ، ثم كره ذلك ، قال : ما كنت أصنع بأن أذكره ، كأنه كره أن يكون شئ من عمله أفشاه (١) .

ولكن اليوم تغير المقياس ، و تغيرت النفسية و العقلية ، فأصبح الهم يتركز على الانتباه إلى مأثرة ، و عمل جليل ، و بطولة نادرة ، بحق و بدون حق .

و قد ذكرتني المناسبة بقصة طريفة : كان رجل من « بنجاب » إحدى ولايات بلادكم ، اسمه غازي محمود دهرم بال (Ghazi Mahmud Dharam Pal) سمعته يقول في خطبة : أرى الصحف تنشر خبر إسلام امرىء ، فتنشره مقروناً بمن تشرف المرء بالاسلام على يديه الطاهرتين ، حتى يتسامع الناس باليدين الطاهرتين كما يتسامعون بإسلام فلان ، و ربما تكون العناية بالتنويه « باليدين الطاهرتين » أكثر من إسلام فلان ، و أكثر من ذلك أننا رأينا بعض الناس يتبادرون إلى إمامة صلاة الجنازة ، إذا كان المتوفى رجلا له شأن و مكان ، لكى تنشر الصحف خبر هذه الامامة لهذه الجنازة العظيمة .

أيها السادة ! إنها عاطفة خبيثة ، قد تعود وبالا على صاحبها ، ترون أن قريباً من أقربائكم إذا ألم به مرض يتمنى كل أقربائه ، أن يعافى المسكين ، بحيلة أو بأخرى ، و لا يبالون بالفضل يرجع إلى أحد منهم أم إلى الطبيب أم لا ، فكذلك العالم الاسلامي مصاب بالمرض اليوم ، وبلادكم مريضة ، فلتتركز عنايتكم على الشفاء

(١) صحيح البخاري : كتاب المغازي ، باب غزوة ذات الرقاع .

و الدواء ، سواء وقع الشفاء فى حسابكم أو حساب غيركم ، ولا تكترثوا بما عسى أن يسجله المؤرخون ، و أى جماعة يحبذونها ، و أى حزب يعطونه الأولوية لدى المدح و الثناء . . لم يستطع رجال التاريخ والمعنيون بفلسفته ، أن يتوصلوا بالضبط والتحديد إلى من كان له الفضل الأكبر فى دخولهم فى حظيرة الاسلام ، لأن المؤمنين المخلصين الذين عملوا على ذلك فى صمت و فى هدوء ، قد كتموا عملهم من حيث لم يستطع نظر التاريخ النفاذ إلى يومنا هذا أن يقع عليه ، و يتوصل إليه .

ليكن كل منكم جندياً صغيراً وفياً فى المعركة التى تجرى على ساحة هذا البلد من أجل إعادة الاسلام ، و الشريعة الاسلامية إلى مكانتها الأصيلة ، ومن أجل صوغ الحياة ، و المجتمع و المدنية فى قالب الاسلام . و تخليص المجتمع من المفاسد التى تسربت إليه بفعل المدنية الغربية وعلى أيدى ساستنا ، و أخلصوا العمل لله ، تسجل أسماؤكم فى سجلاته القدسية النورانية ، ولا تبالوا بالثناء الحقير ، أو التحبيذ المتواضع أو الشهرة التافهة ، فى هذه الدنيا الحقيرة الفانية بين هذا الخلق الفانى .

و ليكن موضع اعتباركم أن المعركة الحالية ليست بين مدرستين فكريتين ، و إنما هى بين الاسلام والجاهلية ، و بين الدين و اللادينية . . فتصور كأن هناك مسجداً يجرى بناؤه ، فكل من ساهم فيه سينال الجزاء حسب إخلاصه و احتسابه ، و لا ينبغى لأحد أن يبحث عما إذا كان اسمه فى أول قائمة الذين ساهموا فى بناء المسجد، و عن تسجيل كمية المساهمة التى قام بها ، يجب أن نحارب مثل هذه العاطفة الغير المحمودة ، و نتغلب عليها و نخضعها إلى حد مستطاع .

اصرفوا عنايتكم - على اختلاف الطبقات و المسالك ، و المذاهب والمناهج - إلى هذه الجبهة ، جبهة الدعوة الاسلامية ، و جبهة صوغ الحياة فى بوتقة الشريعة الاسلامية ، وليكن هذا البلد الكريم نموذج الحياة الاسلامية ، التى يمكن أن يراها

الانسان بالعيان ، بل يلمسها بالبنان ..

لا بد من الايثار وتقديم التضحية :

و الأهم من كل ذلك ، أن نعمل الايثار ، و نتجنب الخصام ، و بقدر ما تكون حياتنا بسيطة ، و معيشتنا ساذجة ، و بقدر ما تكون حياتنا مشفوعة بالايثار و التضحية ، تأتى النتيجة أحسن و الثمرة أحلى بقدر ذلك . والشئ الذى يكمن فيه الخطر العظيم ، هو التخاصم والتطاحن ، ومن هنالك يتحتم أن نتحاشى عن التعرض للباحث الدينية لأن لها محلها و وقتها ، . و قد صرح الامام أحمد بن عبد الأحد السرهندى (المعروف بمجدد الألف الثانى) فى إحدى رسائله ، أنه قد كان السبب فى تقزز الامبراطور المغولى « أكبر » من الاسلام و خروجه من ربقته هو تناقر العلماء كالديوك ، فقد كانوا يناقشون مناقشة ساخنة حول المسألة المطروحة ، وكل منهم كان يحاول جهده أن يثبت تفوقه على الآخرين ، شأن الذين يسعون وراء الجاه و المنصب ، و شأن المتهالكين على زهرة الدنيا و نعيمها ، من عباد المادة و المعدة ، و هنالك فكر « أكبر » و قال فى نفسه : إنهم أخس من وزرائنا ، وملئنا ، ورجال حكومتنا ومن الماديين المتهافتين على حطام الدنيا . ولما بلغ الشيخ السرهندى أن الامبراطور « جهانكر » ابن « أكبر » يريد أن يخص عدداً من العلماء لبلاطه يستشيرهم ، و يأخذ بنصائحهم ، كتب إلى النواب سيد فريد ، و قال : أشر على الامبراطور أن لا ينتقى لبلاطه إلا عالماً واحداً يخاف الله ، و يخشى حسابه ، و حذار أن يجمع بين عدد من العلماء . . و ذلك إن دل على شئ فانما يدل على فراسة الشيخ السرهندى و ألمعيته البالغة حيث أدرك الحقيقة ، و أشار بالصواب ، و لكن لا أقول : إنه يجب الاقتصار على عالم واحد فى كل قضية ، وفى كل مناسبة ، و فى كل موقف ، و لكنى أريد أن أؤكد أن تخاصم

العلماء و تطاحنهم يؤدى إلى مثل هذه النتيجة المكروهة المؤلمة المشار إليها .

إن الخطر - يا سادة - إذا كان قائماً على الرأس كالسيف المصلت ، فلكل حق أن يحذر منه ويشير بأخذ العدة التى يقاوم بها الخطر ، حتى الطفل له حق أن يقول : إن الباب - مثلا مفتوح يخاف منه اقتحام السارق . . فأريد أن يكون الأمور المشار إليها موضع عنايتكم ، و لا يشغلكم عنها شئ .

أولا : أنقذوا الطبقة المثقفة بالثقافة العصرية أن تظن أن تعاليم الكتاب و السنة ، والفقه وأصول الفقه الاسلامى ، لا تقدر على مجاراة المدنية المعاصرة ، ولا تستطيع أن تحل القضايا المتجددة ، لأن ذاك شئ خطر جداً ، قد يؤدى إلى الالحاد و اللادينية .

ثانياً : لا بد أن يراكم الشعب ورجال الحكومة أرفع من مستواهم أنفسهم ، و ذلك بالحياة البسيطة التى تحيونها ، و بالقناعة باليسير القليل من متاع الحياة ، و لا يرينكم تتطلعون إلى المرتبات العالية ، و الامتيازات الكثيرة ، و المنافع الكبيرة ، التى يتمتع بها الوزراء والحكام ، و لا يرينكم تتحلب شفاهكم لما يتقلبون فيه من عيش رغيد باذخ ونعيم خافض ، و يملكونه من قصور شاهقة وسيارات فاخرة ذات النوعية الممتازة . .

أصارحكم أيها السادة أن البلاد اليوم تحتاج إلى الزاهدين القانعين الذين يفترشون الغبراء ، لأن هذه الطبقة العالية لا تخضع إلا لأمثالهم ، و لكن لا أشير عليكم أن تتكلفوا الزهادة و أن تصنعوا صنيع الزهاد ، لكن الواقع أن الناس يرتمون فى حضن من يرونه زاهداً فيما عند الناس ، قانعاً بما قسم الله له ، ترون أن الشيخ السرهندى لماذا خضع له امبراطور عصره ؟ لأنهم رأوا أن هذا الرجل الأبى ، لا يتردد إلى البلاط ، و لا يطوف على الأمراء و الكبار ، و لا يشفع لأحد

و إنما يذكر ربه خاليا قانتاً فی ناحية مفردة ، وينصح الناس ، ويخلص لهم الود ، ويسدى إلينا بالتوجيه والمشورة ، و كذلك صنع جميع علمائنا العاملين ، لم يختلفوا إلى الملوك ، و لكنهم راقبوهم من بعيد ، و وفروا للحكومة رجالا أمناء ، و دعوا لها و لم يبخلوا عليها بمشورتهم الغالية ، ولكنهم كانوا يقولون : خير أن تصطلى بالنار من بعيد ، أما إذا ألقيت يدك فيها تحرقها .

تلك هی أمور عدة وضعتها أمامكم ، وقد تحدثت عنها فی مناسبات كثيرة ، و عصاراتها أن الوقت هو وقت محنتنا و محنة العالم الاسلامی كله ، يجب أن تثبت جدارتنا وصلاحيتنا ، و أخاف أن شعور الناس بضعف صلاحيتنا قد يلحق ضرراً بالاسلام ، و يسجل المؤرخون و يتحدث الناس : أن هذه الخسارة قد جلبها عدم أهلية العلماء و قلة كفاءتهم ، و معذرة إليكم إذا بدرت منی كلمة ساءتكم ، و ختاماً أتضرع إلى الله العلی القدير أن يوفقنا لهذه الغاية ، و ييسر لنا المهمة ، ويهدينا سبيل الرشاد .

و السلام عليكم و رحمة الله و بركاته

مفهوم القوميات الزائف

بقلم : الأستاذ أنور الجندى

لقد كانت مؤامرة « الاقليميات و القوميات » التى فرضها النفوذ الأجنبى على العالم الاسلامى خلال القرن الرابع عشر الهجرى من أكبر العوامل المدمرة التى قضت على الوحدة الاسلامية و الخلافة الاسلامية و روح الاخاء الاسلامى القادر على مواجهة الخطوب والأحداث ، و ما تزال المفاهيم الوافدة التى أصبحت مسلمات فى هذا المجال أكبر عقبة أمام وحدة إسلامية شاملة ، لقد ساعد على تعميق الفروق تلك الدعوة إلى القوميات المحلية بكل ما تحمل من اعتزاز بالماضى وتمجيد للحضارات الوثنية التى قاومت الاسلام و التى هزمها الاسلام سياسياً و عسكرياً .

لقد كانت الدعوة إلى القوميات مؤامرة مسمومة استهدفت تدمير الوحدة الاسلامية الجامعة تحت مظلة الخلافة ، و لقد جاءت الدعوة إلى الوحدة العربية فى أول أمرها محاولة لرد التحدى الذى قامت به الطورانية فى تتريك العرب الداخلين تحت لواء الدولة العثمانية إبان حكم الاتحاديين ، ولكن هذه الدعوة العربية لم تلبث أن أصبحت هدفاً فى حد ذاتها و حملت معها سموم المفهوم الواحد فأعلت شأن الجنس و العنصر ، و حاولت أن تكون كياناً خاصاً مستقلا ، كما حاول دعاتها إخراجها من مفهوم الاسلام ومضمون التكامل من العروبة والاسلام ، إلى مفهوم القوميات العلمانى المفرغ من العقيدة و الثقافة و التاريخ الجامع ، و إدخال مفهوم غربى يرى أن الدين ليس عنصراً بحكم أنه مفهوم لاهوتى ، بينما الاسلام ليس ديناً

بمفهوم العبادة وحدها و لكنه دين و منهج حياة ، و لذلك فان مفهومه يختلف ، لقد حاول النفوذ الأجنبي أن يجعل الوحدة العربية هدفاً نهائياً بينما لم يكن فى الحقيقة إلا مرحلة نحو الوحدة الاسلامية .

و لقد صاحب الدعوة إلى أقلمة الوحـــدة العربية و تغريبها و إخراجها من مفهومها الأصيل الواضح دعوات إلى أقلمة البلاد الاسلامية : تركيا و أفغانستـــان و إيران ، وباكستان ، فى محاولة لحجب المفهوم الاسلامى الجامع وراء مفهوم قومى يحاول إحياء التاريخ القديم السابق للاسلام فدعت تركيا إلى الطورانيـــة و دعت إيران إلى كورش و قال الفرس إنهم منحدرون من أصل آرى و قال الترك إنهم منحدرون من أصل مغولى ، واستهدف كل هذا القضاء على روح الاسلام الجامعة التى أعلت من شأن الاخاء الاسلامى القائم على المفهوم الانسانى ، و بدأت صيحات النحل القديمة و العروق و الدماء بحيث حاولت أن تنال من الوحدة التى صنعهـا الاسلام والتى جمعها القرآن و بدأت تظهر ثقافات فارسية و تركية و هندية لا تتقيد كثيراً بالانتماء الاسلامى .

و كانت هذه من أشد ألوان الحروب الثقافيـة و المؤامرات التغريبية التى واجهها العالم الاسلامى لأنها اعتمدت على التقسيمات السياسية و اعترت بالحـــدود الاقليمية ، و فى إطار هذه المحاولة لتمزيق الوحدة الاسلامية الجامعة كانت محـاولة النفوذ الأجنبي بإثارة الخلاف بين الدولة العثمانية فى تركيا والدولة الصفوية فى إيران ، على أساس خلاف بين السنة و الشيعة ، ومن ثم اتسع مكان هذا الخـلاف بحكم إثارة الخلافات حتى لا يجتمع أهل لا إله إلا الله على عقيدتهم الجامعة .

و انتشلت فى أقطار كثيرة الدعوة إلى النحلة القديمـة فدعا المصريون إلى الفرعونية واللبنانيون إلى الفينيقية والعراقيون إلى الآشورية والبابلية وظهرت دعوات

البربرية وغيرها ، و كلها كانت محاولات استعمارية تغريبية للقضاء على التكامل الجامع بين الحلقات الثلاث الوطنية و العربية و الاسلامية ، يتبين من البحث التاريخي أن هذه المذاهب قد بادت و أنه لا سبيل إلى إحيائها لأنها لا تملك لغات و لا تراثاً و لا ثقافة ، وإن مثل الفرعونية والفينيقية ليست جنساً من أجناس البشر و لكنها عصر من عصور الحكم وقد تبين أن هذه كلها موجات خرجت من الجزيرة العربية ، و اندامجت في هذه المنطقة شرقاً و غرباً و إن صلة ألسنتها البائدة باللغة العربية صلة وثيقة .

و ظهرت دعوات أخرى إلى الرابطة الشرقيـــة ، و إلى الوحدة النيلية ، وإلى الهلال الخصيب وإلى سوريا الكبرى ، وكلها دعوات أرادت أن تنال من مفهوم الاسلام الجامع و تحول دون الوحـدة الاسلامية القائمة على ترابط العرب والترك والفرس والهنود والأفارقة و الماليزيين والاندونيسيين بالاسلام ديناً و ثقافة و فكراً و أن القرآن هو اللغة الجامعة بين هذه العناصر التي تلتقي تحت اسم (لا إله إلا الله ، محمد رسول الله) و التي بلغت الآن في مطالع هذا القرن ألف مليون من المسلمين .

وهكذا كانت الفكرة العربية في مرحلة من المراحل باستعلائها العنصري مخاصمة للسلمين ، وكانت بمفهومها الفكري الوافد محاولة للقضاء على الفكرة الاسلامية وكانت بتركيبها العلماني المادي محاولة لحجب المفهوم الاسلامي الجامع .

و لم يكف النفوذ الأجنبي أن يمزق البلاد الاسلامية إلى أحزاب سياسية ، و لكنه ذهب إلى تمزيقها من ناحية إعلاء العنصر و الدم و العرق ، وتقديمه على وحدة الفكر الاسلامي الجامعة التي ليست بمفهوم الدين اللاهوتي المفرق الذي عرفته أوربا في المسيحية ، فكانت قومياتها صراعاً معه ، ذلك أن الاسلام دعا إلى الاحتفاظ

الهوية الخاصة مع الالتقاء على صعيد التعارف العام ، و الأخوة الانسانية ٭

و لقد تبين فساد النظرية التى تقوم بالخصائص الاقليمية و الفوارق القومية ، ذلك أن الفكر هو الذى يشكل الأمة ، والفكر الاسلامى هو الذى يشكل الأمة الاسلامية ، إن فوارق القوميات و الأقاليم من حيث اللون أو العادات أو اللهجات والتقاليد أو المعطيات المادية فانها كلها فوارق قليلة الأثر ، تدخل فى نطاق الفروع و الجزئيات التى لا تؤثر على المعانى الكبرى و القيم الأساسية

و لقد حاول النفوذ الأجنبى أن يوجد فوارق بين أبناء الأمة الاسلامية عن طريق التعليم و الثقافة و أساليب الاحتلال والسيادة العسكرية والسياسية ، ولكن المسلمين كانوا يتنادون بقوة أمام الأحداث الخطيرة ويتجمعون بسرعة أزاء الأزمات التى تصيب أى جزء منهم .

إذا أن بالعراق مريض　　　　أمسك الشرق جنبه فى عمانه

و لا ريب أن كل هذه المؤامرات و المحاولات إنما تستهدف إخفات صوت الاسلام و إضعاف طابعه الموحد الجامع تحت أسماء تاريخ عربى و جامعة عربية و حضارة عربية و ثقافة عربية فضلا عن المواطنة و القوميات الضيقة و إعلاء التاريخ الاقليمى كالفرعونية والفينيقية أوالقول بأن اللغة العربية لغة العرب وحدهم ، أوإعادة تفسير التاريخ الاسلامى على أنه تاريخ قومى ، وهكذا نرى المسلمين و قد تبعثروا على نحو سبعين جنسية معزولة عن الأخرى ومحبوسة وراء أسوار الأقليات والقوميات ، أو نرى عروبة مقطوعة عن الاسلام فكراً و عن المسلمين جغرافيا ، و لقد حاولت الدعوة المسمومة إلى الاقليمة و القومية بمفهومها الغربى أن يصبغ كل شئ بلونها ، حتى القيم العامة ، فظهر ما يسمى التربية العربية و القانون العربى والاجتماع العربى ، وليس فى ذلك شئ صحيح كلية لأن قيم التربية والقانون والاجتماع

إنما هى قيم إسلامية أساساً .

و ليس من ريب فى أن النفوذ الغربى حين عمل على تعميق مفهوم القوميات والأقليميات فى البلاد الاسلامية كان يعمل من أجل إسقاط الجامعة الاسلامية وإقامة القومية اليهودية ، و كانت دعوته إلى العالمية تهدف إلى القضاء على الذاتية الاسلامية التى شكلها الاسلام و صهر وحدة المسلمين الفكرية فى أتون الأممية العالمية ، و كان هدف اليهودية العالمية أن يحطم الوحدة الاسلامية كما حطمت وحدة العالم المسيحى الذى كان قائما تحت لواء الكنيسة .

لقد علت صيحة القوميات و اشتعلت نارها فى الخمسينات و الستينات فى أفق العالم الاسلامى وظن الكثير من الكتاب أن القوميات سوف تقضى على مفهوم الوحدة الاسلامية الجامع ، وظنوا أن القومية دين ، أومنهج متكامل ، لقد بلغ من سفه السفهاء أن قالوا : الدين جزء من القومية ، و هذا كله كلام منقول من مفهوم القوميات الوافد الذى نشأ أساساً من خلال علاقه المسيحية كدين بالقوميات الأوربية ، و لكن إذا جئنا لننظر فى أفق الفكر الاسلامى هل نستطيع أن نقول إن الاسلام دين لاهوتى كالمسيحية يصارع القوميات ، و هل نستطيع أن نقول إن العلاقة بين العروبة و الاسلام كالعلاقة بين المسيحية و القوميات الغربية ؟ إن هذا القول يعنى أن الاسلام دين لاهوتى و الحقيقة أنه منهج حياة ونظام مجتمع ، ومن ثم فانه ليس ديناً بمعنى يحمل الصدام مع العناصر أو الأمم ، فقد أعلن القرآن أن الله خلق الناس شعوباً و قبائل ، و جعل بينهم التعارف والتلاق وليس الخصومة و الصراع .

ومن ثم فان الدعوة إلى القوميات مضادة للفطرة لأنها تخلق الخلاف و التمزق

و لذلك فقد سقطت كما سقطت دعوات الديمقراطيـة و الاشتراكية و غيرها مما لا يجد قبولا فى الروح الاسلامى و المزاج الاسلامى القائم على الأخوة و التكامل و الرحمة و الانفتاح على أهل القبلة جميعاً .

و لقـد اتقدت هذه الدعوى و تعالى نارها ، ثم هبطت و أصبحت ركاماً بعد أن فشلت فى أن تحقق هدفاً ، ذلك أن الأصالة الاسلامية التى عمقت فى التربة أربعة عشر قرناً لا يمكن أن تقتلع جذورها بهـذه السهولة ، لقد كانت الصيحة مصطنعة و لم تكن أصيلة ، و من ثم انطوت ، و لكن علينا أنه نعمق هذا الفهم حتى لا تجيء القوى الأجنبية فتثير هـذه الفئة مرة أخرى فى خلال القرن الخامس عشر و هى لن تتوانى أن تفعل إذا وجدت إلى ذلك منطلقاً .

« يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود و النصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ، ومن يتولهم منكم فانه منهم ، إن الله لايهدى القوم الظالمين »

سورة المائدة الآية ٥١

البعث الاسلامى وتحررنا من نير العبودية

الكاتبة الأمريكية المسلمة مريم جميلة
تعريب: واضح رشيد الندوى

يحتفل المسلمون فى سائر أنحاء العالم بعام ١٤٠٠ من التقويم الهجرى ، إنه ليس بمناسبة تقام فيها الأفراح أو يحتفل بها كيوم عيد ، و إنما يستحق أن يعتبر يوماً يبعث على التفكير ، و محاسبة النفس ، يوماً لاستعراض مواطن الضعف ، و الاستكانة ، و المكاسب و النكسات ، والتفكر فى المستقبل .

لقد شهد القرن الذى نحن على وشك إتمامه ، سقوط الامبراطورية العثمانية على أعقاب الحرب الكونيـــة الأولى ، و إنهاء الخلافـــة فى ١٩٢٤م و إعلان مصطفى كمال بأن تركيا دولة علمانية قومية ، و بها اكتملت مرحلة الانحطاط التى كانت قد بدأت بسقوط الأندلس ، ثم فرض علينا الحكم الأجنبى الاستعمارى مثلما فرض على شعوب غير أوربية أخرى فى العالم و لا نزال نساق بخطى حثيثة ونندمج إلى تيار الحضارة الغربية الحديثة ، لقد انقضى عهد الاستعمار ، و لكنه لم يمنح السيادة السياسية إلا رمزيا ، فان الاعتماد العسكرى والاقتصادى لم يزل سائداً ، ومن الناحية الأيديولوجية والثقافية إننا مستعبدون اليوم أكثر مما كنا فى الماضى وقد تعدت هذه التبعية إلى حد يهـــدد ذاتيتنا و شخصيتنا كمسلمين ، لقـــد وصل الغرب إلى حافة إفلاس روحى و خلق يكاد يطوى بساطـــه ، و هو فرصـــة مواتية أخيرة لتحرير أنفسنا من العبودية الاستعمارية قبل أن تفتك بنا تلك الأمراض والأسقام التى يعانى منها الغرب ، إننا لا نزال نعتمد على تاريخ يؤلفـــه غيرنا لنا فلننهض

لنكتب تاريخنا بأيدينا ، و أن نقود ولا نقاد ، كما يقاد العميان ، نخلق و نوجد ، و لا نقلد و نتبع .

يؤثر استعباد فكر و نظرية على نموها ، ونشأتها الطبيعية وترعرعها ، و يجرحها و يعطلها ، و قد تعيش كمعوق ، و لكنها لا تستطيع أن تزخر و تزدهر و تنمو نمواً مطرداً صحيحاً ، ويزداد كل يوم ضعفها ووهنها ، إن ما بين النظرية الحرة المطلقة و النظرية المستعبدة المقهورة ما بين الصحة ذات الحيوية و القوة المتدفقة ، والمرض الفتاك الخطير ، إن لم نقل ما بين الموت والحياة ، فاذا كانت المجموعة ذات نظرية مثل كائن حى ، فان الأقسام المختلفة للحكومة التى تنشئها هذه المجموعة تشكل أعضاء ذلك الكائن الحى ، فان استعبدت النظرية ، تغير أعمال سائر الأقسام التابعة لتلك الحكومة التى تسير فى ضوء تلك النظرية واضطربت ، و كانت النتيجة الحتمية لذلك الاضطراب تضرر النظرية ذاتها و اضطرابها ، و بالتالى يقف النظام التعليمى الذى يغذيها بدم الحياة كما يزود القلب الجسم بالدم ، عن عمله ، ويصبح غريباً وأجنبياً بل ينقلب محارباً لها ، وإذا انقطعت تغذية تلك النظرية المستعبدة ، وألقيت عليها قيود ، سلبت الحرية ، و ضاق خناقها ، وضعفت دوافعها ، و مناعتها ، بينما تتقوى و تتدعم دوافع النظرية الغازية سواء بسواء و بذلك تبدو النظرية الغازية أقوى ، و أمتن حيوية بالنسبة لتلك النظرية المقهورة المقيدة المكبوتة .

إن العبودية و الرق شقاء أكبر يعانى منه فرد من الأفراد ، و هو عائق كبير ، و حاجز ضخم يعترض فى سبيل نشأته ، و ثقته بالنفس ، إنه يخدم أعداءه ولا تتقاضى نظير خدمتهم سوى قطعة خبز و يساوم وجوده الطبيعى ، ويبيع ضميره و شرفه ، و لكن قليلا من العبيد من يشعر ما يخسره ، إنه يعتبر فرصة الحياة التى تتاح له منة عليه و إحساناً ، فلا يمكن أن يتوقع من أمثال هؤلاء العبيد أن

يقوموا بعمل خلاق عال ، سواء أفي ميدان العلم و الفن ، أو الفلسفة ، كذلك الشعوب ، مادامت تتمتع بحرية ، تخترع و تكتشف وتوجد ، و تزيد من معرفتها و تضيف إلى معارف العالم ، و إذا أصبحت فريسة للاستعباد انقطع اختراعها ، و كفاءاتها التخليقية ، إن الذاتية ودوافعها للتطور والنمو لا تنشأ ولا ترتقي إلا في جو الحرية المطلقة ، وقد أصيب الذين ساهموا في المعرفة الانسانية في الماضي عندما كانوا أحراراً ، بالجمود والتعطل بعد ما استعبدهم غيرهم ، فتغيرت طبائعهم ، وزالت عنهم الدوافع إلى العمل و الابتكار ، وعجزوا أن يضيفوا شيئاً إلى ما أسهم به سابقوهم ، إن العالم لا يستطيع أن يؤول ما هو السبب لموت القريحة رغم السلام و التعليم التي كانت وقادة متفتحة عامرة و من سوء الحظ للعبيد أنهم لا يدركون الآثار السيئة التي تتركها العبودية على فكرهم » (١) .

إن عواقب الاستعمار الثقافي الذي حل اليوم محل التدخل السياسي المباشر ، أكثر خطراً ، مما كان الاستعمار السياسي يتضمنه في الماضي ، فان الغرب اليوم يقوم بتصدير مثله ، و قيمه ، و بتعبير أصح . إباحيته و عدم تقيده بالقيم ، إلى العالم الاسلامي بوسائل الأفلام المستوردة ، و برامج الاذاعات المسموعة و المرئية بالانجليزية ، واللغات المحلية معاً ، بالاضافة إلى نشر كتب كثيرة يؤلفها المستشرقون و الخبراء لتشويه وجه المسلمين وتراثنا الاسلامي ، و يحمل هذا الغزو الثقافي الذي يجري عن طريق وسائل الاعلام العام تأثيراً لتدمير طرق حياتنا الأصيلة ما يفوق في أضرارها وعواقبها أضرار نظام التعليم وحده ، لأن نظام التعليم كان يؤثر على طبقة محدودة من الأثرياء الذين كانوا يتحملون نفقات التعليم في عهد الاستعمار ، أما وسائل الاعلام الحديثة فانها تؤثر على الجماهير المتعلمين منهم و غير المتعلمين ، و الفلاحين و العمال جميعاً .

(١) أيديولوجية المستقبل ، محمد رفيع الدين ، مطبعة دين محمدي ، كراتشي ١٩٥٦ ص ٢٧٠ – ٢٧١ ، ٢٩٩ .

ثقافة الأجنبية قبل كل شئ بازالة شعور الغربة و الوحشة من قلوب
بالنسبة للثقافة الأجنبية و تغرس فيهم الأنس و الألفة إزاء الكتب
روها ، و الأفلام التى ينتجها مخرجوها ، ليتأكد المقهورون بالثقافة
ن هناك أوجه شبه كثيرة و مماثلة كبيرة بينهم و بين الغزاة ، فلا
اختلاط بهم ، و إنشاء علاقات عائلية عن طريق الزواج و الصداقة
الاسبقيات فى رفع الحواجز بين الغزاة و المقهورين ، و التى يجب
و الثقافى ، كسر حاجز اللغة أواجتيازه ، وتقوم بهذه المهمة الاذاعات
ـدم برامج مفضلة حسب أذواق المقهورين فى لغتهم ثم ينشئ غزاة
الاستعلامات التى توزع منشورات ، و أفلاماً ، و ينشئون مكتبات
قصـات ، و برامج الموسيقى ، و لذلك يوجهون الدعوة إلى رجال
ضيين من بلادهم لعرض برامجهم ، و تمثيل ثقافتهم و مجتمعهم ، وبهذه
الخوف والشعور بالغربة و الوحشة إزاء الثقافة الأجنبية ، و تزول
يب » .
أتى المرحلة الثانية من الغزو الفكرى ، و هى مرحـلة دعوة الشباب
و الطامحين من هذه البلاد إلى زيارة بلاد الغزاة ، و فى هذه المرحلة
زوار الجوانب اللامعة و الساحرة التى تخلب الفؤاد ، و تجذب القلب
اب ، فتنتخب مواقع و مواضع خاصة مؤثرة للزيارة ، و لا يسمح
داخل البلاد ، لكي لا تقع أنظارهم على الجوانب المظلمـة للمجتمع ،
القلق و الشقاء الذى يعانى منـه المواطنون العاديون لتلك البلاد ،
القهر و الفساد ، و الظلم و الاستبداد ، و عـدم المساواة التى تعم
المجتمع ، فيعود الزوار مرتاحين واثقين بأن بلاد العدو نموذج حى
، و الحياة الروحانية ، و أنها خير أسوة لبلادهم . « يتبع »

الدعوة الإسلامية

مراحل الدعوة إلى الحق
(الحلقة الثانية)

الأستاذ أمين أحسن الاصلاحى
تعريب : الأستاذ نور عالم الندوى

المرحلة الثانية ، البراءة و الهجرة :

و المرحلة الثانية من مراحل الدعوة إلى الحق ، هى مرحلة البراءة والهجرة ، وهى تبتدىء حينما يكون الدعى قد جرب بيئة و مجتمعة تجربة دقيقة شاملة ، قد اختبر كل فرد من أفراد المجتمع و احتك بكل عضو من أعضائه ، و قد قبل الدعوة منهم كل من كان لديه ذرة من صلاحية الايمان و الاذعان ، و قد بلغ الغيظ من معارضى الدعوة كل مبلغ ، حتى يئسوا من كل رجاء فى التفاهم مع الدعوة ، أو إضعاف شأنها ، فصمموا على أنهم سيجتثون الدعوة و الداعية من الجذور و الأعماق ، ففى مثل هذا الموقف حينما يعود الدعاة إلى الحق يشعرون أنهم لا يستطيعون التنفس فى الجو و أنتم سيختنقون ، فضلا عن نشر الدعوة وتبليغ الرسالة ـ يضطر أبناء الحق أن يعلنوا انفصالهم عن هذه البيئة الظالمة وجلاءهم منها بدون رجعة ، إلى مكان يمكنهم فيها أن يعيشوا طبق عقيدتهم أو يستطيعوا البقاء على إيمانهم ، أما الأنبياء الكرام عليهم السلام فان الله هو الذى يحدد لهم ميعاد الهجرة و مكانها ، فيأمرهم الله عن طريق الوحى أو الرؤيا أن يخرجوا إلى مكان كذا فى وقت كذا ، لأن العمل الدعوى قدتم على أهل وطنهم ، وقامت الحجة على بنى جنسهم ، لأن الهدف الجذرى من بعثة الأنبياء هو تبليغ الرسالة و إتمام

الحجة ، فما دامت الحاجة تمس إلى إقامتها بين ظهرانى القوم من أجل تحقيق هذا الغرض ، لا يسمح الله بالهجرة ، و مفـــارقة القوم ، فاذا ما تم ذلك ، فهم مسموحون بالجلاء عن الوطن ، و أما بدون هـــذا السماح فلا يجوز لهم الخروج أبداً ، و ذلك أنه قد يمكن أن يفارقوا القوم مدفوعين بشدة الغيرة و الحمية للحق ، و لم يتم واجب البليغ و إتمام الحجة بعد ، و مثل ذلك حدث مع سيدنا يونس عليه السلام ، حيث قد فارق قومه بضغط من حمية الحق ، ولم يأت ميعاد الفراق بعد ، فعتب عليه السلام ، و أمر بمعاودة القوم ، و سعد بالايمـان بالحق عدد وجيه من قومه بفعل هذه الدعوة التى قام بها سيدنا يونس عليه السلام من جديد .

أما الدعاة إلى الحق من غير الأنبياء و الرسل ، فانهم يحـــددون ميعاد هذه الهجرة بتحريهم و اجتهادهم ، و يجب عليهم أن يضعوا فى اعتبارهم لدى الاجتهاد و التحرى عدة أمور مبدئية ، تلك هى :

١ - إن الهجرة ليست بضرورةلازمة لزوم الشروط ، بل إنها خاضعـــة للأوضاع و الحاجة الماسة إليها ، و وظيفة الدعاة إلى الحق الحقيقية أن يعملوا على إدخال حب النظام الحق فى قلوب الناس عن طريق الدعوة والتبليغ ، فاذا ما أحبوه واحتضنوه فليطبقوا هذا النظام - باستخدام قوتهم الجماعية - تطبيقاً عملياً ، فما داموا يستطيعون فى أرضهم أن يعرضوا على أهلها الدعوة دون معارضة مكرهـــة ، لا يجوز لهم أن يهاجروها ، و لو استغرقت الدعوة مدة عمرهم دون أن يجـــدوا آذاناً صاغية تستجيب لها ، و دون أن يتمكنوا من إقامة نظام للحياة حسب دعوتهم و عقيدتهم . فقد أنفق سيدنا يوسف عليه السلام فرصة حياته فى الدعوة ، وبما أن عمله الدعوى لم يواجه - بحكم حب الملك له ، وإعجابه به - معارضة ترغمه على التوقف ، فظل يقوم به إلى آخر وقت من حياته ، وإن لم يجد فى مصر أناساً يستخدمهم فى تأسيس نظام إسلامى محض .

٢ - إن المعارضة القليلة لا تكون مبرراً كافياً لمهاجرة مجتمع إلى مجتمع آخر، لأن الدعوة - إذا كانت غريبة في كل جوانبها و أفكارها و قيمها وعقائدها ومبادئها الاجتماعية و السياسية، عن الأفكار و القيم و المبادىء الاجتماعية و السياسية السائدة - لا بد أن تلقى معارضة و زهداً من عامة الناس، لكن هذه الكراهية لا يمكن أن تكون سبباً كافياً لفرار المرء عن ذلك المجتمع كارهاً متقززاً متضجراً، فقد استمر الأنبياء في عملهم، دون يأس و ملل، رغم هذه المعارضات، ثم إن الصمود في وجه هذه المعارضة ضروري لاتمام الحجة على المعارضين، و لامتحان عزيمة الدعاة إلى الحق أيضاً، وبدون هذا الامتحا لا ينال أهل الحق جزاءهم من الله على إيمانهم بالحق، كما أن أصحاب الباطل لا ينالون العقاب على انتصارهم للباطل، و تلك هي مقررات امتحانية لا بد أن يمربها أبناء الحق، و لا يكرمون بأوسمة النجاح إلا بعد ما يكتوون بهذه النار، أما إذا بلغ القوم من معارضتهم إلى أنهم لا يكادون يتحملون وجود أصحاب الحق فيما بينهم، و يقررون بالاجماع استئصالهم، فحينئذ يجوز للدعاة إلى الحق أن يفتوا بكفرهم، و يعلنوا براءتهم، و يهاجروهم لآخر الأبد، ويتضح من خلال سرد القرآن الكريم لما جرى للأنبياء مع قومهم، أنهم لم يعلنوا براءتهم ولم يقرروا هجرتهم إلا إذا صمم القوم على رميهم بالحجارة، أو قتلهم، أو إجلائهم من الوطن، ولم يهاجر نبي من وطنه ما دام لم يبت المهاجرون في قضيتهم بمثل هذه الخطوة الحاسمة النهائية.

٣ - إن الهجرة التي يقوم بها الأنبياء تختلف اختلافاً مبدئياً عن الهروب الذي يقوم به قوم من أجل وحشية قوم آخر، فهذا فرار من قوم إلى قوم، وتلك هي هجرة للباطل إلى الحق، و من ثم فيحتاج الدعاة إلى الحق قبل مباشرة الهجرة أن يستعرضوا أمرين: أولا: ما هو موقف القوم الذين يريدون أن يهاجروهم من قبول

الحق ، وثانياً ، ما هو موقف القوم الذين يحاولون أن يهاجروا إليهم من الانتصار للحق ، ومن أجل هذا الاستعراض يحتاجون إلى أن يجربوا الوضع من كل ناحية ، و يستخدموا كل حيلة ، ويسلكوا كل طريق لكي يعلموا ماإذا كان هناك صلاحية ما فى هذه التربة لقبول غرس الحق ، فاذا وجدوا فيها صلاحية يمكنهم أن يستغلوها ، رأوا هذه الأرض أحرى و أحق أن يبذلوا فيهـا جهودهم الاصلاحية ، أما إذا تأكدوا بعد استعراض دقيق أنها لا تصلح لشئ ، فهنالك يسرحون طرفهم فى الأنحاء خارجها ، لكى يعرفوا ما عسى أن يكون هنـاك أصلح أرض لزرع دعوة الحق . و غرس الرسالة الالهية ، فيلقون عصا الغربة فى مكان يقع عليه اختيارهم بعد التحرى . لكى يجربوا فيه حيلتهم .

و الدعاة الحق من الأنبياء ، كما أنهم يقررون الهجرة عن اجتهادهم ، كذلك يختارون مكان الهجرة أيضاً بتحريهم و اجتهادهم ، و الأمور المبدئية التى يجب أن يضعوها نصب أعينهم على حين الاختيار و الاجتهاد ، هى أن يكون المكان المهاجر إليه ملائماً للدعوة و لأهداف الدعوة ، سواء كانت له أهمية بالنسبة إلى الاعتبارات الأخرى أم لم تكن ، فقد تكون « دار الهجرة » صحراء قاحلة كما هاجر سيدنا إبراهيم عليه السلام إلى صحراء الحجاز ، و قد تكون موطن اللبن و العسل كما قـد هاجر سيدنا موسى عليه السلام بقومه إلى الشام ، وربما يحتاج الداعى فى البحث عن هذا المكان الملائم ، أن يخرج من وطنه ، كما قـد خرج إبراهيم و موسى عليهما السلام ، و قد يجعل الله جزءاً من القطر الذى ظهرت فيه الدعوة ملائماً للدعوة ، كما حدث لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا يمكن الجزم فيما يتعلق بدعوة ما فى أول أمرها ، بأنها تؤتى ثمارها فى الأرض التى تغرس فيها شجرتها ، أو بالعكس ، و الذين ينهضون لزرع الحق لا يجوز لهم أن يعتمدوا فى هذا الصدد على تقديرهم

وتخميهم ، بل الله هو الذی يوجههم فی ذلك توجيهاً رشيداً ، ذلك الذی من أجل ابتغاء رضوانه نهضوا لبذر بذور الحق ، و لكن مما لا شك فيه أن بذور الحق - إذا عزم الزارعون على ريها بالدموع و الدماء - لا تضيع هدراً ألبتة ، و إذا ما تنكر لها جزء من الأرض ، فان جزءاً آخر يرضى بهذه الخدمة المشرفة ، و إذا تنكر لها الشرق و كادت أن تذبل فيه ، يقبل عليها الغرب ، فتنمو فيها ، وتترعرع ، وتخضر ، حتى يأتی يوم ، يمتلیء بثمارها اليانعة مناطق لا تعد من أرض الله ، و يشبع بها أقوام ليسوا بها بكافرين .

و هذه الهجرة كما قلت آنفاً ليست هروباً من إيذاء المعارضين فحسب ، بل إنها طريق إلى تحقيق أغراض الدعوة الأساسية التی سوف نشير إلى بعضها إشارة ، موجزة فی السطور القادمة باذن الله .

١ - أولا تحقيق المتطلبات العقيدية و الفكرية لأبناء الحق فانهم مهاجرون فی الواقع و النية و الارادة منذ أن ذاقوا لذة الحق و الايمان ، لأنهم ، عادوا كارهين للمعتقدات السائدة ، و العادات المألوفة ، و الأعمال الرائجة ، و يودون أن لو تخلصوا منها بأی حيلة ، و أصبحوا متقززين من المجتمع المعاصر ، و يبغون مجتمعاً يستطيعون أن يتنفسوا فيه الصعداء ، ويرون النظام المتبع لدى الناس سلاسل و أغلالا فيريدون أن ينجوا منها بحيلة أو بأخرى ، قد انتبه شعورهم الايمانی وحسهم الاسلامی ، فيجدون رائحة كريهة مؤذية فی كل جانب من جوانب المجتمع ، و هم دائماً فی بحث عن المجتمع الذی فيه هواءاً عليلا ، و رياً طرياً ، و يكونون فيه بنجوة من هذه الرائحة المتعفنة ، و كل لحظة يقضونها فی هذا المجتمع المتفسخ المنتن ، إنما تكون فی حساب القيام بواجب التبليغ وحده ، و إذا ما تم هذا الواجب تدعوهم ضرورتهم الطبيعية إلى أن يفارقوه على عجل و دون تمهل ، و أن

يهاجروا فى الظاهر ما هاجروه فى الباطن ، تلك هى حقيقة الهجرة ، و إذا وضعنا ذلك فى الاعتبار ، فان الهجرة الحقيقية إنما هى هجرة من هاجروا بقلبهم و قالبهم ، و ظاهرهم و باطنهم ، و جسمهم و روحهم ، لا هجرة من هاجر جسمه ، و أما قلبه فهو عالق بوكره الأول .

٢ - ثانياً : للقيام بمحاولة نهائية لاثارة حركة فى قلوب من يحملون ذرة من الحياة ، و ذلك أن أصلح أفراد المجتمع - الذين تتفق كلمة أعضاء المجتمع المعارضين للدعوة كلهم على صلاحهم وخيرهم ، وعلى اتصافهم بالعطف و المواساة ، و الصدق و العفاف ، و الأمانة و النزاهة ، و الذين يغتبط المستهزؤن بهم فى أعماق قلوبهم وقرارة نفوسهم ، بتقواهم وورعهم ، وكبر شأنهم ، وعظمة نفوسهم - حينما يفارقون مجتمعهم ، و يفارقون علائقهم و وشائجهم ، و يفارقون حقوقهم و استحقاقهم ، ودارهم و مالهم ، و متاعهم و أثاثهم ، حتى إنهم يفارقون أعز أقربائهم ، و أحب أحبائهم ، و أصدق أصدقائهم ، مفارقة مشفوعة بالعطف دون الغضب ، و بالتألم و التفجع دون التقزز ، و بروح التقوى و الانقياد لأمر الله ، و النزول عند رضا الله ، دون عداء شخصى ، أو مطمع ذاتى ، فان هذا المنظر العجيب ، و المشهد الغريب ، بمكان يحرك ساكنى القلوب ، ونائمى الجفون ، وغافلى النفوس ، إذا كان هناك ذرة من الشعور الانسانى ، و الحس المعنوى ، إن ذلك يفعل فعله فى كل من يحملون فى جانب من جوانب قلوبهم قيمة للحق ، و وزناً للحقيقة ، و لكن لا يؤثر تأثيراً ما فى كل من قست قلوبهم فهى كالحجارة أو أشد قسوة ، وعندئذ فيدخل هؤلاء الذين قد تأثروا الآن بالدعوة من فورهم فى الصف الاسلامى ، و يحسنون إسلامهم و يخلصون ولاءهم ، و تلك هى هزة أخيرة يقوم بها الدعاة ،

يتنبه بها جميع من لم تمت قلوبهم . (١)

٣ ـ ثالثاً ، لتزكية أبناء الحق ، فان التميز بين المخلصين منهم وغير المخلصين لا يقع ما دام لم تأت مرحلة الهجرة ، فقد يلتف كثير من الناس الذين يحملون جراثيم النفاق حول أبناء الحق المخلصين ، ويكونون قد نجحوا فى إلقاء الستار على نفاقهم ، و قد يكون منهم من يحملون فى جوانت قلوبهم الخافية ـ بالاضافة إلى حب الأعزاء و الأقرباء ـ حب المال و العقار ، و ربما يكون ذلك بالخفاء فى مكان لا يدركونه هم أنفسهم ، فتأتى الهجرة كمقياس لهؤلاء و هؤلاء يمحص بين الغث و السمين ، و بين الأصيل و الزائف ، و يقع انفصال كامل بين عباد الله المخلصين ، وبين الذين فى قلوبهم مرض أو كان لهم غرض ، إن الهجرة فى الواقع أدق من الشعر و أحد من السيف كجسر « الصراط » فلا يعبره إلا المؤمنون المخلصون مائة فى المائة ، فلئن كان هناك شائبة من الغرض الدنيوى ، أو النفاق ، فربما يمكن أن يحرز المرء المهاجر نجاحاً فى الامتحانات الأخرى ، و لكن إخفاقه

(١) يقولون : إن أكبر العوامل التى عملت فى إسلام عمر بن الخطاب رضى الله عنه هو إسلام أخته و ختنه . لكن دراسة التاريخ الممعنة تدل على أن الذى أثر فيه تأثيراً بالغاً ، هو هجرة الحبشة ، فانه لما رأى أن أصلح أفراد القوم يعانون من أنواع الأذى و المصائب فى فرح و سرور ، حباً للاسلام ، حتى عادوا يهاجرون وطنهم الحبيب من أجله ، و كان منهم عدد قد لاقى العتاب و العنت على يده أيضاً ، فهنالك بدأ يحدث التحول فى قلبه ، حتى أزاح اللثام عن الحقيقة كلياً إسلام أخته وزوجها ، و هنالك وقائع كثيرة فى سيرة ابن هشام تؤكد أن واقع هجرة الحبشة كان العامل الأكبر فى إحداث التحول فى قلبه ، رضى الله عنه وأرضاه . .

فى امتحان الهجرة محتم .

٤ ـ رابعاً ، لكى تتسنى تربية و تنظيم أبناء الحق فى جو نظيف حر ، حتى يتأهلوا لنزع السلطان و القوة من أيدى أبناء الجاهلية ولتأسيس الحضارة الصالحة ، وتقلد مسئولية إمامة وقيادة وتوجيه العالم ، والمجتمع الكافر الذى يملك فيه الكفر الأمر المطاع و الكلمة المسموعة لن يكون ملائماً لهذا الغرض ، فالدعوة الحقة كشجرة تستطيع أن تنبت فى كل مكان ، لكنها لا تستطيع أن تنمو و تترعرع إلا إذا اجتثت من مكانها و غرست فى مكان لا تغشاها فيه شجرة أخرى بظلالها ، و هنالك يستوفى متطلباتها الطبيعية ، و تتدرج فى نموها و نشوئها على بطبيعتها ، فتورق ، و تتشعب ، و تخضر و تثمر ، حتى تمتد بجذورها المتشابكة إلى أعمق الأعماق ، وتكون أغصانها المترامية ملء الجو ، وما لم يكن ذلك ، تظل قوتها مقرورة متقاصة ، و أهلياتها مكبوتة . فلا تدرك الأقارب أسرارها ، و لا تطلع الأجانب على عجائبها و خوارقها و معجزاتها ، و مهما تكن المبادىء المتفرقه المعدودة جذابة خلابة عادلة ، لكن روحها الحقيقية لا تتجلى ما لم توضع و تجرب و تتبدى فى إطار نظام للحياة مستقل متكامل فى مجتمع كافر ، و نظام باطل للحياة يمكن القيام بمواعظ التوحيد و الطاعة الالهية ، و وحدة بنى آدم ، و خوف الآخرة ، و قد تؤثر هذه المواعظ فى كثير من الناس الذين يتمتعون بالفطرة السليمة ، لكنه حينما تقوم هيئة اجتماعية فى جو حر على أساس هذه المبادىء ، و تبرز كل جوانبها و شعبها و تبدأ القيام بوظائفها الطبعية ، يعود الأقارب مدهوشين أمام صلاحيتها و بركاتها و عجائبها ، كما تحار فى قوتها و غنائها و صنائعها الأجانب .

و الهجرة التى تتحقق فى إطار هذه الأغراض و الشروط ، تتمخض عن نتائج آتية :

١ـ أولا : تعود الدعوة تنتشر بكل شدتها وحدتها ، و السبب فى ذلك أن كلمة الحق تحمل فى طيها قدرة غريبة على الامتداد و الانتشار و الغلبة ، و الطبائع البشرية و طبيعة هذا الكون مستأنستان بهـا طبيعياً ، و كل منهما تريد أن تحتضنها وتربيها ، لكنه ما دامت مطوية فى غلاف الباطل ، فهى كشجرة ذابلة ذاوية ركبتها كروم أجنبية ، تمتص عصارتها ، و تتغذى بجسمها ، و ما أن تتخلص من هـذه الكروم ، و تجد تربة صالحة ، وجواً حراً طليقاً ، حتى تبرز قوتها الخافية المكبوتة ، و ما هى إلا أيام و أسابيع حتى تعود تتغذى بجو فوقها ، و أرض حولها و من تحتها ، فاذا هى ضخمة خضراء مترامية الأغصان ، متشابكة الشعب ، متكاثفة الأوراق ، متوافرة الأشجار ، تأوى إليها القوافل ، و تشبع بها الأمم و الملل .

٢ـ وثانياً : يتلاشى الباطل من فوره أو تدريجياً ، وذلك لأن الباطل يقوم على غير أساس ، ولا ينسجم انسجاماً مع الطبيعة البشرية ولا مع هذا النظام الكونى ، إن الله خالق هذا العالم لهدف نزيه و تسرى فى نظامه التكوينى روح نزيهـة ، و لذلك فيشق على طبيعتـه أن يربى باطلا محضاً — جرد من كل جزء من أجزاء الحق — فاذا ماوجد فيه باطل فانما يوجد مشوباً بأجزاء الحق ، لأن الباطل كحشائش شيطانية متطفلة أو ديدان متطفلة (Parasites) تعيش بفضل الحق ، و عندما يحرم أيدى الحق كلياً — كما يحدث هجرة أبناء الحق — فمحال أن يعيش البـاطل . إن الجسم إذا خرجت منه لدى الروح لا بد أن تنتفخ وتتفسخ ، وكذلك حال المجتمع الذى يرىء منه أبناء الحق ، وهاجره كلياً إلى مجتمع آخر ، ولذلك نرى أن الأنبياء الكرام مهما هاجروا قومهم ، فلم يمهلهم الله ، بل صنع معهم أحد الأمرين :

١ـ لو كان أهل البـاطل يمثلون الأكثرية ، و أهل الحق يشكلون الأقلية القليلة بعث الله عليهم عذاباً من السماء ، فجعلهم كأن لم يغنوا بالأمس ، وأورث الأرض أهل الحق .

٢- لوكان أهل الحق فی عدد وجيه ، أمروا أن يتحدوا أهل الباطل ، و يغلبوهم على أمرهم ، و يجردوهم من كل أمر و سلطان .

و فی كلا الوجهين لا بد من غلبة الحق و مغلوبية الباطل ، و كـ الالهی لا يقاوم و لا يغالب ، فكذلك ينتهی التصادم بين الحق و البا الأول و انهزام الثانی ، و لا يمكن أن يصمد الباطل فی وجـــه الـ و الأنبياء الكرام و الجماعة التی تعمل تحت قيادتهم ، كمحكمة إلهية للباط و إنهم يحكمون فيما بين الحق و الباطل بكل إنصاف و نزاهة و أمانة الباطل قوياً مدلا بقوته، تائهاً بسلطانه ، لا يسعه إلا أن يخضع لحكم ا

أما الأنبياء الكرام فان النتائج المذكورة أعلاه لا بد أن تظهر بعد و العقل و الشريعة كلاهما يشهدان أنها ستظهر لو عملت جماعة على نفس رسمه الأنبياء عليهم السلام ، و بما أن إتمام الحجة على المجتمع لا يمـ بدون الأنبياء ، فنزول العـــذاب الالهی بهجرة دعاة الحق من غير بضروری ، كما نزل على الأمم التی هاجرها الأنبيـاء ، و على كل فهما بين الحق و الباطل ، فسينصر الله الحق ، و يبطل الباطل ، إذا أخذ بالمتطلبات التی هی ضمان ارتفاع الحق .

و بعد هذه الهجرة ، تدخل الدعوة إلى الحق فی مرحلة ثالثة ، الجهاد و القتال .

« يتبع »

دروس من السيرة العطرة والأسوة الحسنة

بقلم : فضيلة الشيخ محمد شحاتة أبوالحسن البيلاوى
معهد إعداد القضاة بسلطنة عمان

لا نريد - فى هذه العجالة - أن نتبع المنهج التجريبى التقليدى ، فنؤرخ لرسول الله ﷺ فى ذكرى مولده ، وما حدث من إرهاصات آذنت بمشرق النور.

و لا يمكننا أن نستعرض جهاد صاحب الرسالة العظمى خلال عمر مديد ، أبرز فيه صورة للجهاد بأشد البلاء فى أقسى الظروف ، و هو يصل هذه الأمة ببارئها ، و يربيها على منهج الله .

حسبنا أن نمر سريعاً خلال سيرة مجيدة ، نستلهم فيها من جوانب حياته - ﷺ - العبر و العظات .

لقد انبثق نور النبوة المحمدية فشع من أعماق روحه الطاهرة ما نفذ إلى القلوب يغذيها و يطهرها . و إننا لتأخذنا عظمة شخصيته الحبيبة ، و قد سمت نفسه الكبيرة فعاشت مبادىء الاسلام فى حسه حتى قبض ، و قد آثر تنفيذ المنهج الاسلامى كاملا ، و على وجهه الصحيح .

و لقد فهم ذلك عنه صحابته ، و فهمه أهل بيته . تقول عائشة - رضى الله عنها - : « كان يأتى علينا الشهر ما نوقد فيه ناراً ، إنما هو التمر و الماء » .

و لقد فتحت الدنيا خيرها على رسول الله ﷺ فما غير ذلك من سلوكه ،

و كان يجيئه الخراج فيوزعــــه بين صحابته ، و يرجىء فاطمة و يقول : « حتى يكتفى الناس » .

و كانت تنصب الأموال بين يديه الشريفتين فما وقف قلبه على شئ منها . بل كان يصرفــه لفوره فى وجوه البر ، ثم يذهب إلى بيته ليربط الحجر على بطنه الشريف ، وليقول إلى أهله : « أديموا طرق أبواب الجنة بالجوع » وما كان جوعه ﷺ عن إقلال ، بل عن غنى رضيت به نفسه ، و سمت حتى زهدت متاع الدنيا و زخرفها . تقول عائشة ـ رضى الله عنهـا ـ : « ما شبع رسول الله ﷺ ثلاثة أيام متتالية ، و لو شئنا لشبعنا ، و لكنه كان يؤثر على نفسه » .

فلو أن أصحاب المبادىء استشعروا هذا العمل الكبير ، و السلوك النظيف لرسول الله ﷺ و عاشوا لمبادئهم ، يدافعون عنها ، و يخـــدمونها لغير ذواتهم ، و يؤدون بها للانسانية ما يحميها من الأنانية والأثرة و حب الذات ، لامتنع عن هذه الأرض الفساد .

لقد عاشت عظمة الأداء فى وجدان الحبيب المصطفى ﷺ فتحركت تلك الطاقة الكامنة من نور الله ، و تركت فى الناس حياة سامقة لا تدانيها حياة . فقـد كان ﷺ خير عابد عرفته هذه الأرض ، يعبد ربه فيتذوق حلاوة المناجاة ، ويتحمل فى سبيل الدعوة ما لا يطيقه غيره ، و يقول عن نفسه ﷺ : « لقد أخفت فى الله ما لم يخف أحد ، و أوذيت فى الله ما لم يؤذ أحد ، و لقد أتى على ثلاثون يوما ، ما بين يوم و ليلة ، و مالى و لبلال إلا شئ يواريه إبط بلال » .

لقد أحالت يد الرسول الكريم أخلاقيات الاسلام و مبادئه إلى واقع تاريخى لن تراه الدنيا أبداً فى أى نظام للحكم مهما سمت أغراضه .

و لقد عاشت عظمة تلك المبادىء فى حسه ، و سار صحابته على نهجه فتركوا

سيرة عطرة لا نجد مثيلها عند أية أمة من الناس .

و فى مجال العظة والاعتبار تتذكر جهاده ﷺ بعد أن نظف الجزيرة العربية من رجس الوثنية ، وأدرك أن دولة الروم والكنيسة الرومانية لن تسمحا بالظهور لهذا الدين ، الذى ينكر سلطة رجالها ، وينكر عقيدة الفداء ، و ينكر مبدأ الشركة فى الألوهية . .

و لهذا استنفر الرسول ﷺ المسلمين فى أيام قيظ و قحط لملاقاة الروم ، حتى يحسم الأمر مع أعداء الاسلام فى شمال الجزيرة و جنوبها .

و نحن اليوم نرى أن أعداء الاسلام ، و إن غيروا الرايات التى يحاربون تحت لوائها - ينتهجون نهجاً دائباً حثيثاً ضد الاسلام و المسلمين .

و يلاحظ المراقبون تلك الحملات المسعورة ، و النشاط المستريب للهيئات التبشيرية التى انتشرت فى بلاد العرب - فى غفلة من أهلها - وراحت تبشر و تباشر نشاطاً معادياً للفكر الاسلامى و للعقيدة و للسلوك .

و لا يفوتنا - ونحن نطل إطلالة عبرة وعظة - أن نلحظ موقف الرسول ﷺ من وفد نجران الذى قدم إليه المدينة و قد لبسوا أردية الكهنوت الفاخرة وتحلوا بخواتيم الذهب ، وظهرت عليهم علامات التكاثف و الثراء ، فرفض مقابلتهم على تلك الحالة ، ثم دعاهم إلى المباهلة ، فاهتزت فى نفوسهم تأويلاتهم الباطلة عن المسيح عليه السلام وعلموا أن معتقداتهم الخاطئة لا تقوى على ما قدم لهم الرسول من براهين .

و ما أشبه الليلة بالبارحة !

هل يعى المسلمون هذا الدرس ؟ هل يعونه وهم يستعرضون بمشاعرهم فى ذكرى مولد رسولهم الكريم ، جهاد صاحب الذكرى فى سبيل الاسلام ؟ هل يعون هذا الدرس فيوقفون هذا الزحف المسعور على الجزيرة العربيـــة ، و هذا المد التبشيرى

الذي يسري كالسم في أوصالها .

لقد سمعنا بالأمس القريب من يصرح بأن الجزيرة العربية ستشهد في السنوات القادمة نشاطاً ملحوظاً للكنيسة ، ولم يعلق أحد من المسلمين بكلمة !! كأننا لاندرك الخطر إلا بعد وقوعه .

فهل فهمنا مقصد رسول الله ﷺ ـ وهو يوقف زحف السيطرة الرومانية ـ و الكنيسة ـ على شمال الجزيرة العربية و جنوبها ؟ هل فهمنا ؟ ! نرجو ذلك .

عبرة أخرى يجب أن نتذكرها ـ وفاءاً لصاحب الذكرى ﷺ ـ و هي أن قدوة النبي جديرة بالاتباع و إن خالفت هوانا ، ذلك لأن الشيطان يريد إخراجنا عن أعمال الاسلام إلى تلك المظاهر السطحية البعيدة عن جوهر الدين و حقيقته و التي أصبحنا نتعلق بها و نسعى إليها .

و ما ضعف المسلمون اليوم إلا لأن قدر النبي ﷺ قد ضعف في نفوسنا حتى تغيرت ظواهرنا ثم تغير بواطننا من بعد ، ثم فقدنا القوة الفعالة لاقتدائنا بالنبي ﷺ .

وكما يقول إقبال : « قد ضربت في مشارق الأرض و مغاربها فوجدت المدن تغص بالمسلمين الذين يفرقون من الموت ، أما المسلم الذي يفرق منه الموت فلم أر له عيناً و لا أثراً » .

حقاً صدق ، فقد كان المسلمون في عهد رسول الله ﷺ يقدمون نفوسهم رخيصة في سبيل الله . أما اليوم ؟ !

و كأن الفكرة التي تخيلها أبو الحسن الندوي في حديثه « وفود الأمة بين يدي نبيها » ، كأن هذا الخيال أصبح واقعاً للمسلمين اليوم حين يقول :

« . . . أشكو إليك يا رسول ! من قوم لا يزالون يعيشون في رفدك ،

يأكلون من فتات مائدتك ، و ينعمون بالشرف و الحرية فى بلاد أنت حررتها من حكومة الظالمين ، و أخرجتها إلى ضوء الشمس ، إنهم يحاولون أن ينقضوا الأساس الذى قامت عليه هـذه الأمة العظيمة ، . و يريدون أن يوزعوا أمتك الواحدة فى قوميات و عصبيات كثيرة ، و يحيوا ما أمته ، و يبنوا ما هدمته ، و يرجعوا بهذه الأمة إلى الجاهلية التى أخرجتها منها للأبد ، و يقلدون فى ذلك أوربا التائهة الحائرة المفلسة ، و يبدلوا نعمة الله كفراً . . . » .

نحن اليوم على مفترق طريق . . فاما أن نأخذ ما أتانا الرسول بقوة . . و إما أن نعلن انخلاعنا من تبعيته . . و يومها يأتى وعد الله . . و إن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم ، صدق الله العظيم

لقد قدست بعض الأمم رجالها – و لكننا لا نقدس محمداً ﷺ – مع أنه رجل الانسانية الأوحد ، بل نقدس مع محمد ﷺ ربنا و ربه .

و من هنا ، فاننا اليوم لا نحتفل – كما يفعل السذج – بهذه الذكرى العطرة احتفال المظـاهر المادية التى ما تكاد تنقضى حتى تعود سيرته الطـاهرة ، إلى ما كانت عليه من النسيان .

نحن فى حاجـة إلى إحياء سيرته ﷺ فى نفوسنا ، و أن نعيش حياتنا على هديه ، متبعين خطاه ، حتى يكون الله و رسوله أحب إلينا مما سواهما .

و إذا أردنا اليوم أن نتـذكر منهج صاحب الذكرى ﷺ فاننا نحار ، أى نواحى حياته العامرة الفياضة نأخذ . . و كل جوانبها مشرق ، وكل حياته منارات على طريق الاسلام .

دراسات وأبحاث

محمد بن عبد الله عليه الصلاة و السلام
نموذج كامل للحضارة الراقية

الدكتور عبد الحليم عويس

هذا النبي محمد بن عبد الله عليه الصلاة و السلام ، جاء يطرح مفهوماً فذاً للحضارة . . . جاء يجمع فى ظلاله - على مستوى السلوك - و فى ظلاله - على مستوى التقعيد معنى متكاملا للحضارة التى تاه فى تحديدها المنظرون .

★ الحضارة - فى ظلاله - مستوى إنسانى ينتظم كل الجزئيات الفكرية والسلوكية ،

★ مستوى إنسانى يمتد فى الزمن ، يربط بين الدنيا المحدودة والآخرة اللانهائية .

★ مستوى إنسانى يمتد فى المكان ، يكرم الانسان ، و يحدد حقوقه أنى كان ، دون تفرقة على أساس لون أو جنس . .

★ مستوى إنسانى يمتد فى الوقائع ، فلا جزئية فوق القانون ولا جزئية لامكان لها فى القانون .

★ مستوى إنسانى يمتد فى المجتمع والفرد ، والرجل والمرأة ، والقوى والضعيف ، و الجسم و الروح ، و المادى و اللامادى ، و الطبيعة و ما وراء الطبيعة ، دون انفصامية مصطنعة ، أو تشقيقية قاتلة مدمرة .

- و العجيب - الذى يمثل أبرز ظاهرة فردية فى التاريخ - أن هذا النبي الكريم قد مثل - بحياته - كل أطوار الحضارة فى مراحل رقيها ، حتى ليخيل للدارس أن - حياته عليه الصلاة والسلام - حضارة مستقلة ، تتجلى كشعاع وهاج

لكل الحضارات الباحثة عن المستوى الانسانى السامى الجدير بالانسانية المتحضرة .

إنه لا انفصام فى حياته عليه الصلاة و السلام بين قول و فعل ، و ظاهر وباطن ، وجوانب شخصية و جوانب اجتماعية ، و أعمال دنيوية ، وأعمال أخروية .

إنها جميعها كل متسق لا تصطدم وسائله ، و لا تتعارض غاياته ، و هى كلها ناضجة بالمستوى الانسانى الذى يشكل المضمون الحى للحضارة .

- فى عالم الفكر كان طلب العلم فريضة ، و عبادة ، و سلوكاً . .

- و فى عالم المادة كان بناء الحياة - بلا حدود رقيقة - تشريعاً و عبادة :

قال عليه الصلاة و السلام :

« إن قامت الساعة و بيد أحدكم فسيلة ، فان استطاع ألا يقوم حتى يغرسها فليغرسها فله بذلك أجر » رواه البخارى و أحمد .

وفى عالم العلاقات الاجتماعية الانسانية ثمة شمول يمتد إلى كل صغيرة وكبيرة و قد وضحها الرسول ﷺ فى قوله : « إن أبواب الخير لكثيرة : التسبيح ، و التحميد ، و التكبير ، و التهليل ، و الأمر بالمعروف ، و النهى عن المنكر ، و تميط الأذى عن الطريق ، و تسمع الاصم و تهدى الأعمى ، و تهدى المستدل عن حاجته ، وتسعى بشدة ساقين مع اللهفان المستغيث ، و تحمل بشدة ذراعين مع الضعيف ، فهذا كله صدقة منك على نفسك ، و تسبيحك فى وجه أخيك صدقة ، و إماطتك الحجر و الشوكة و العظم من طريق الناس صدقة ، و هديك الرجل فى أرض الضحالة لك صدقة » (رواه مسلم) - و حتى مع الحيوان و هو يذبح ثمة سلوك حضارى أخلاقى لابد أن يتبع « فان قتلتم فأحسنوا القتلة . و إن ذبحتم فأحسنوا الذبحة و ليحد أحدكم شفرته ، و ليرح ذبيحته » . (رواه السنة ما عدا البخارى) .

★ ★ ★

تبدأ الحضارة مسيرتها ـ فى ظلال محمد ﷺ ـ معتمدة على مقومين أساسيين هما : الأفكار و الانسان .

ـ و بدون أفكار حضارية تمثل الخيرة المعنوية ، أوالطاقة النفسية ، لا يمكن اشتعال مصباح حضارة .

« إن شعار لا إله إلا الله الذى أمر محمد ﷺ برفعه فى وجه الجاهلية ، جاء انقلاباً شاملا على كل المستويات الدينية و الاجتماعية ، بنواحيها الفكرية و النفسية و الأخلاقية و السياسية و السلوكية .

و هو إشعار واضح بضرورة ردالأمر كله إلى الله (الحاكم) و(المشرع) و تجريد الانسان فرداً و جماعة من الخضوع للغايات الجزئية القاصرة ، و اتباع (الهوى) و (الظن) فى كل صغيرة و كبيرة ، و كان هذا الشعار ـ و هو شعار عتد فى التاريخ امتداد الحقيقة السمحاء ـ أساساً فكرياً انطلقت منه فروع فكرية حددت موقفاً حضارياً متميزاً يمثل الأساس الاسلامى للحضارة الاسلامية والانسان المسلم ! !

ـ وكان الانسان الذى استخلصه الحضارة الاسلامية من بين التراب الجاهلى : هو الوعاء النظيف الحى ـ الذى جسد أفكار هذه الحضارة وأعطاها بعدها الحياتى و أساسها الثانى الضرورى .

ـ و من الالتحام بين الفكر و الانسان فى الزمن ـ تم ذلك الابداع الذى أطلق عليه « الحضارة الاسلامية » . . تلك التى برزت أسطع ما يكون البروز فى ظلاله ـ عليه الصلاة و السلام .

الخندق ميلاد حضارة :

من الخندق دائماً تولد الحضارة المبدعة . .

و لم توجد حضارة ولدت قبل معاناة الحمل والوضع والتعرض لمبضع الجراح وكانت الفترة التى بدأت بالهجرة ، وانتهت بالخندق هى الفترة التى تعرض المسلمون فيها لآلام الحمل كأشد ما تكون المعاناة .

وثمة موقفـان واضحا الدلالة على ميلاد الحضارة فى الخندق - لم يلقيا حقهما من التحليل الكافى ، برغم ورودهما فى معظم مصادر السيرة الزكية :

أولهما : يرويه سلمان الفارسى - ودوره فى الخندق مشهور - عندما غاظت عليه صخرة و كان رسول الله ﷺ قريباً منه - يقول سلمان :

« كلما رآنى أضرب ، و رأى شدة المكان على ، نزل فأخذ المعول من يدى فضرب به ضربة لمعت تحت المعول برقـــة ، قال ، ثم ضرب به ضربة أخرى ، فلمعت تحته برقة أخرى ، قال ثم ضرب به الثالثة ، فلمعت تحته برقـــة أخرى ، قال : قلت بأبى أنت وأمى يا رسول الله ، ما هذا الذى رأيت ، لمع تحت المعول ، و أنت تضرب ! قال - عليه الصلاة و السلام - أوقد رأيت ذلك يا سلمان ! : قال : قلت نعم ، قال : أما الأولى فان الله فتح على بها اليمن ، و أما الثانية فان الله فتح على بها الشام و المغرب ، وأما الثالثة فان الله فتح على بها المشرق » رواه الطبرى .

و ثانيهما : تلك القولة القوية الدلالة التى قالها الرسول عليه الصلاة والسلام - لما انصرف عن الخندق :

« لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا ، و لكنكم تغزونهم » .

فكان كذلك حتى فتح الله مكة و ما بعدها (كما يقول ابن هشام والطبرى)

و هكذا فى أصعب لحظات الصراع الدموى كانت تولد - فى ظلال رؤية النبوة - الاستشرافات المستقبلية للحضارة الجديدة الممتدة التى ستدين على سعتها لفكر و سلوك

النبي الكريم - عليه الصلاة والسلام - و للصفوة القادرة صانعة الخندق وحارسته

هذا النبي حضارة راقية :

- الانسان - أي إنسان ممتاز - تجتمع فيه بعض صفات السمو ، وبالتأكيد لا يوجد ذلك الانسان الذي تجمع فيه كل صفات السمو .

إلا محمداً عليه الصلاة السلام .

- و أنت و أنا قد نقتدى بانسان فى سلوك ، و لا يضيرنا ولا يضيره أن نخالفه فى سلوك آخر فهذا تحقيق للذات . .

إلا محمداً عليه الصلاة و السلام :

- و يقولون : إن خيوطاً رفيعـــة تفصل بين العبقرية و الجنون ، و بين الشجاعة و التهور ، و بين البخل والتنظيم ، و بين الكرم و الاسراف ، مما من شأنه أن يربك سلوك كثير من الناس و يجعلهم يتأرجحون يميناً و يساراً . (إلا محمد عليه الصلاة و السلام) .

- والمرء قد يكون سياسياً ماهراً فتدفعه السياسة إلى التنكر لأصدقائه ، و قد يكون تاجراً ناجحاً فتدفعه التجارة إلى الكذب والغش ، وقد يكون زوجاً ناجحاً فيخضع فى تبعية و ذل لمن يحب . و قد . . . وقد . . . وقد . . . (إلا محمداً عليه الصلاة و السلام .

- و كما نعرف من حياة الأنبياء السابقين و المصلحين الكبار فانك قد تجد فى حياتهم أسوتك فى أمور العبادات ، و لكنك لا تجدها فى أمور المعاملات ، و أنت واجدها بالتأكيد فى أمور العقيدة ، لكنك لا تجدها فى أمور الأحوال الشخصيـــة كزوج و كأب أو فى أمور الحياة الاجتماعية . كرجل يتعامل مع الناس تعاملا بشرياً يومياً . وقد . . وقد . . (إلا محمداً عليه الصلاة و السلام)

- و بروز الانسان فى بعض القيم الفاضلة قد يجره إلى النقص فى فضائل أخرى . . فالشجاعة قد تدفع إلى الغرور ، و الكرم قـد يدفع إلى طلب الفخر و الذكر الحسن ، وكثرة العبادة قد تدفع إلى الرياء أو الشعور بالكمال . . وهكذا إلا محمداً عليه الصلاة و السلام .

- و العابد قد تكون عبادته على حساب بيته أو مجتمعه .

- و العالم قد يكون طلبـه العلم على حساب أسرته أو على حساب القيم الانسانية نفسها ، و السياسى قد يظن نفسه ملكاً للأمة و ليس للزوجة أو العيال أو الأصدقاء . (إلا محمداً عليه الصلاة و السلام) .

فى ظلال النبى . . . النبي الحضارة الكاملة الراقيـة « النموذج » فى ظلال النبي . . . وجدت على نحو فريد ، الحضارة المتوازنه البشرية السماوية الواقعية . .

و فى ظلاله عليه الصلاة و السلام وجد الانسان النموذج الذى وجدت فيه كل الفضائل حياتها و تماسكها و انسجامها . . الشجاعة . . الصبر . . العمل . . الحق . الواجب . . الوفاء . . العدل . . الرحمـة . القناعة . . الكرم . . العفو . . الرفق . . التواضع . الصدق . . الأمانة . . العفة . . الحكمـة . . العقل . . الرجولة . . الرقة ! !

★ ★ ★

أجل . . . اذهب إلى ظلاله عليه الصلاة و السلام كما يذهب الهارب من جحيم المادية و الهبوط ، و قلب صفحات حياته الندية . . وسوف تجد لكل خلق من هذه الأخلاق نصيباً كبيراً لدرجة قد تطلق معها أنه عليه الصلاة و السلام كان مبتعثاً لنشر هذا الخلق وحده و تثبيت دعائمه وحسب .

لكنك إن ذهبت إلى خلق آخر فسوف تجـد أن ما هو موجود فى الخلق

الأول موجود نفسه فى الخلق الثانى . . و هكذا . .

إن أهل مكة الكفار . . . كانوا يسمونه « الصادق » و « الأمين » فكأن هاتين الصفتين محصورتان و قاصرتان و مضافتان إلى اسمه الأصلى « محمد » .

و المسلم الذى يطالع الآن صفحات النبوة يجد أن كل خلق من الأخلاق المذكورة أنفاً يمكن أن يطلق عليه ﷺ بنفس التحديد ، أى كأنه صفة قاصرة عليه . بديل عن اسمه الكريم ، فكما قال الكفار عنه الصادق و الأمين يقول المسلم : الصابر ، الوفى ، الكريم ، الرفيق . . الرحيم . . .

و هذه الأخلاق أصيلة فى ظلاله العالية . . إنها ليست قابلة للتغيير و لا للتأثير . .

إنها فوق التغيرات و المؤثرات الخارجية . . و إن كل صفة منها توضع فى مكانها السليم . .

و كل هذه الصفات انتظمت حياته عليه الصلاة و السلام على الرغم من كل تقلباتها :

فمحمد المطارد المحارب فى مكة . . هذه صفاته .

و محمد الذى يعامل النفاق و اليهود فى المدينة . . . هذه صفاته .

و محمد الفقير . . . محمد الغنى . . هذه صفاته . .

محمد الرئيس . . محمد المحارب . . هذه صفاته .

محمد الأب . . . الزوج . . . السيد . . . الراعى . . هذه صفاته .

محمد القائد النبى الانسان . . . هذه صفاته

و هكذا . . . تمتد ظلاله الكريمة على امتداد حياته كلها بلا تكلف أو رياء . . . أو قصور . . . أو اختلال .

إنها صفات أصيلة . . . تبدو وكأنها بعضه ، بعض دمه الذكى وبعض أنفاسه العالية . . . عليه الصلاة و السلام .

موكب الحضارة . . فى ظلال النبى :

الماضى فى ظلال النبى ليس عبثاً . .

إنه المسيرة البشرية بكل ألوانها . . وأمراضها و على الطبيب الأخير (عليه الصلاة و السلام) أن يستفيد من التجارب السابقة .

و الماضى ليس تفصيلات فارغة يضيع معها الحاضر . . و آفاق المستقبل . . بل إنه رؤية تركيبية كلية تهدف إلى إعطاء المضمون الأخير الذى تتمثل فيه العبرة حتى تعرف أمته كيف تنهض الأمم . . و تعرف أيضاً : كيف تسقط الأمم .

إن الماضى ليس نفياً كله و ليس مقدساً كله . ، إنه فى ظلال النبوة خابط يكشف المرض و الصحة . . و الصعود و الهبوط . . و علينا أن نختار .

و الخير و الحق و الجمال فى الماضى . . هى من دعائم دعوته بل إن دعوته امتداد لهذا الماضى النبوى الحافل . . إنه حارس هذه القيم عليه الصلاة و السلام بصرف النظر عن ماضيتها أو عن حاضريتها أو مستقبليتها .

إن القيم لا علاقة لها بنسبية الزمان . إنها حاكمة الزمان . . و حامية حركته وليست ذيلا تابعاً للأهواء المريضة و الفلسفات المغرضة و تقلبات مايسمى بالتقدم و التخلف .

هذا هو الماضى فى ظلال الحضارة النبوية الكاملة .

أما الحاضر فهو الواقع المعاش . . هو الحركة اليومية التى لا حارس لها إلا ما رسمه منهج القرآن . . . و ما صورته ظلال النبى عليه الصلاة و السلام .

إن الحاضر حلقة متصلة بالماضى . . تهىء للمستقبل فهو ليس مبتوراً عن

إجابات الماضي متخليا عنها و هو ليس انطلاقة عابرة مجنونة تسحق إنسان الحاضر اسم الجرى وراء المستقبل .

و للحاضر دوره وحقه فى ظل قوانين الله ، و فى رعاية الأخلاقيات اللائقة ىق الانسان و كرامة الانسان .

و إذا كان الحق و الخير والجمال محترما فى الماضى ، فلا بد من باب أولى ن يعيش فى الحاضر ، و أن تزدهر أزهاره فى كل ركن من أركان الحياة . . . مادة و معنى ، أفراداً و مجتمعات ، من غير انفصال عن « عبرة الماضى » أو « حق لمستقبل » والمستقبل له حقه فى ظلال النبي عليه الصلاة والسلام .

المستقبل القريب . . و البعيد معا . .

و من المعجزات الخارقة لهذا النبي الأمى الذى لم يدرس فى معهد تخطيط أو إحصاء ، أو يتدرب فى مرصد من مراصد تنبؤات السياسة . . أو التاريخ . . . من معجزاته أن كل ما تنبأ به كان صدقاً .

و كان حقاً حتى كأنه يتكلم كلماته لرسم واقعى للمستقبل . . لا زيادة فيه . و كلماته فى ذلك كثيرة . .

حديثه عليه الصلاة و السلام عن أمته التى تشبه القصعة و التى يوشك أن يتداعى عليها الأعداء بينما المسلمون كثير يشبهون السيل .

ألست ترى الحديث أصدق صورة لما نحن عليه اليوم من انتفاضه من روسيا و إسرائيل و أمريكا و أوربا ـ على أرضنا و بترولنا ! !

وأليست هذه الصورة قد صدقت على المسلمين حين اقتسمت بريطانيا وفرنسا و إسبانيا و هولندا ـ العالم الاسلامى فى القرنين التاسع عشر و العشرين ! !

و حديثه الآخر فى مدى تبعية المسلمين لليهود و النصارى : « لتركبن سنن

من قبلكم شبراً بشبر و ذراعاً بذراع ، حتى لو أن أحدهم دخل جحر ضب خرب لدخلتموه . . . قالوا : اليهود و النصارى يا رسول الله ؟ قال : فمن إذن (أى فمن غيرهم) رواه البخارى و مسلم .

ـ ألا ترانا الآن نعيش صورة هذا الحديث . . أذيالا لليهود و النصارى حتى فى ملابسنا و تسريحات شعرنا و تعلمنا الدراسات العربية و الاسلامية ! !

ـ و حديثه الآخر عن « الفتن » حين قال لأصحابه : هل ترون ما أرى ؟ إنى لأرى مواقع الفتن خلال بيوتكم كمواقع القطر رواه البخارى ومسلم « فكانت » الفتنة الكبرى . ثم كانت عشرات من الفتن الكبرى بين المسلمين بعد ذلك ! !

ـ و حديثه عن فتنة النساء بعده على الرجال .

ـ و حديثه أن الله جعل بأس أمته بينها .

ـ و حديثه فى الخندق عن خضوع كنوز كسرى و قيصر للسلمين .

ـ و حديثـــه عن الأمن الذى يمشى فى ظله الرجل من مـــكة إلى صنعاء لا يخشى إلا الذئب .

ـ . . ونترك هنا معجزاته المستقبلة الفردية التى تتعلق بأفراد كموت عمار بن ياسر على يد الفئة الباغية ! ! و موت أبى ذر وحـــده (فى الربذة) و موت « قزمان » الشجاع على النفاق ، وإخباره أن فاطمة أول أهله لحوقا به إلى الرفيق الأعلى ـ و إخباره ـ للسلمين وهو فى الثالثة و الستين فقط ، ولمعاذ بن جبل حين ذهب إلى اليمن . . بأنه قد لا يلقاه بعد عامه هذا . وبأنه قد يمر بمسجده وقبره معاً و حديثه عن قتال المسلمين لليهود . . قبل قيام الساعة ! !

و حديثه عن الفتن التى تتأتى كقطع الليل المظلم : يصبح الرجل مؤمناً ويمسى كافراً يبيع دينه بعرض من الدنيا . . « بوزارة أو امرأة أو غير ذلك » .

لقد عمدنا إلى الأطناب بعض الشئ فى ذکر کلمات الرسول المستقبلية ، وکیف أنها كانت عين الصدق . . . لنكشف حقيقة رجال المادية الجدلية اليهودية (مسيلمة العصر الحديث) كارل ماركس . . فان جميع فتاواه التاريخية المستقبلية التى سماها أذياله « تنبؤات حتمية . . كانت كاذبة ! » .

و بعد نصف قرن فقط من فتاواه ركعت الشيوعية كبلد فقير أمام الرأسمالية القوية التى تنبأ ماركس بسقوطها. ولم يسقط أى مجتمع رأس مالى ، زعم ماركس أنه سيكون ملجأ الماركسية لكن على العكس آل أمر المجتمعات الشيوعية إلى الحضيض إنسانياً . . . و مادياً . . . و فكرياً ! !

لكن النبى الأمى (الصادق الأمين) الذى خرج فى مكة قبل أربعة عشر قرناً من ظهور عصر العلم و التكنولوجيا . .

هذا النبى . . صادق لا يكذب « و ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى علمه شديد القوى » .

فكل كلمة من كلماته قبس من نور الحقيقة الالهية المهيمنة على التاريخ البشرى كله .

المهيمنة على الماضى . . بنفى الخبيث و إتمام مسيرة الحق والخير والجمال !

و المهيمنة على الحاضر . . بتحقيق خلافـــة الله فى الأرض ، و استمرار مسيرة الحق و الخير و الجمال .

و المهيمنة على المستقبل . . . برسم صورته العامة التى تتحرك وفق قوانين الله ، والتى تساعد قافلة الانسان على السير أيضاً فى طريق الحق و الخير والجمال !

يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم .

والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيماً .

يريد الله أن يخفف عنكم و خلق الانسان ضعيفاً) النساء ٢٦ - ٢٨ .

وعلى محمد العربى الهاشمى - النموذج الكامل للحضارة - سلام الله ورحمته وبركاته .

المفهوم الاسلامى لحقوق الانسان الأساسية ؛

الأستاذ صلاح الدين

« معرب »

مفهوم الحقوق الأساسية للانسان قديم فى الرؤية الاسلامية كقدم الانسان بالذات ، ذلك لأن خالق الانسان حينما خلق الوسائل الطبيعية للحياة ووفرها للانسان وضع له منهجاً طبيعياً للعيش منذ بدئه ، و لا أدل على هذه الحقيقة من القرآن الذى يشهد بأن الانسان أكرمه الله تعالى بالشعور و الحقوق و المسئوليات قبل أن يوليه الخلافة و علمه آداب الحياة مع توفير وسائلها .

فأول إنسان وطأ الأرض بأقدامه إنما بدأ حياته فى نور العلم الالهى الذى لم يكن علماً ناقصاً كما تدل عليه كلمة « كلها » فى قوله تعالى « و علم آدم الأسماء كلها » إذ ليس معنى تعليم الأشياء أنه عدها له عداً بل فسر له كل ما يتصل بها من خواص و من آثار و جوانب ، و لا شك أن الانسان ظل يتسع فى نطاق علم الأشياء مع تقدمه فى مجالات التحقيق و الابداع و لا يزال ، يقول الداعية الاسلامى الشيخ أبو الأعلى المودودى ضمن تفسير هذه الآية :

« إن نوعية علم الانسان هى أن العقل الانسانى يأخذ علم الأشياء عن طريق الأسماء و لذلك فان علم الانسان كله يشتمل على أسماء الأشياء و إن تعليم الأسماء كلها لآدم عليه السلام يعنى أنه رزق علم هذه الأشياء » (١) .

(١) تفهيم القرآن ج ١ ص ٦٤ .

إن تعليم الأسماء هذا يؤكد أن يكون الانسان على علم تام بواجباته وحقوقه ، و لما نوقشت مسألة الحقوق فى أيام آدم عليه السلام لأول مرة هنالك اتضحت حقيقة شعور الانسان باحترام الحقوق على أساس القانون الالهى ، لا على أساس الزمن و الوجدان ، فهذا قابيل هدد أخاه هابيل بالقتل لما قرب قرباناً فتقبل من أحدهما و لم يتقبل من الآخر ، أنظر كيف يتحدث القرآن :

« و اتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق إذ قربا قرباناً فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال : لأقتلنك ، قال : إنما يتقبل الله من المتقين ، لئن بسطت إلى يدك لتقتلنى ما أنا بباسط يدى إليك لأقتلك ، إنى أخاف الله رب العالمين ، إنى أريد أن تبوء باثمى باثمك فتكون من أصحاب النار ، وذلك جزاء الظالمين » (١) .

و فى الآية دلالة واضحة على ما كان يعرفه قابيل من أوامر الله سبحانه تعالى من حرمة نفس الانسان و قيمتها ، كان يعرف أن قتل النفس إثم يؤدى صاحبه إلى جهنم ، فرضى بأن لايبسط يده على أخيه وإن قتله هو ، خوفاً من الله سبحانه و تعالى .

و إن مبدأ الحقوق و الواجبات الذى كان الله سبحانه و تعالى قد منحه آدم عليه السلام لهداية الانسانية ظل ينتقل إلى غيره من الأنبياء حتى محمد ﷺ مع زيادة توجيهات وأحكام ، نظراً لما مرت به حياة الانسان فى مراحل تقدمها المختلفة و مقتضياتها المتغيرة ، و مشكلاتها و مسائلها المتجددة ، فكلما اتسع نطاق العلاقات الانسانية كلما نزلت لها أحكام حتى أتم الله تعالى مرحلة تعليم و تربية الانسانية هذه على خاتم النبيين محمد ﷺ و أعلن مدوياً مجلجلا « اليوم أكملت لكم دينكم و أتممت عليكم نعمتى و رضيت لكم الاسلام ديناً (٢) .

(١) المائدة / ٢٩ (٢) المائدة / ٣

و لكن ما هو منطلق هذا الدين الذى تم على النبي ﷺ و مصــــدره ، فانظروا إلى تاريخه يقول الله تعالى « إن الله اصطفى آدم و نوحاً و آل إبراهيم و آل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض و الله سميع عليم » (١).

كأن هداية الانسانية التى بدئت مع آدم عليه السلام ظلت قائمة من غير تعطل و لا توقف عن طريق الأنبياء الآخرين الذين تتابعوا بعده ، كما أن القرآن يشير أيضاً إلى أن التعاليم الالهية لم تعد مستمرة فحسب بل إن هناك حقيقة أعظم منها و هى أن الأنبياء كلهم إنما دعوا الناس إلى دين واحد من غير تفاوت أو خلاف المنهج كانت مهمتهم واحدة و كانوا حاملين لواء منهج واحد للحياة ذلك الذى لم يكونوا قد اخترعوه بأنفسهم ، و إنما كان منزلا من عند ربهم .

« شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا و الذى أوحينا إليك و ما وصينا به إبراهيم و موسى و عيسى أن أقيموا الدين و لا تتفرقوا فيه » (٢) .

لم يتوقف نفع هذا الدين على إصلاح العقائد فحسب ، بل إنه شمل الحياة بأسرها من العقائد إلى الشئون الحيوية كلها ، و كان يحتوى على تعليمات وإرشادات واضحة لكل جانب و كل شعبة من جوانب و شعب الحياة .

« و كتبنا له فى الألواح من كل شئ موعظة و تفصيلا لكل شئ ، فخذها بقوة ، و أمر قومك يأخذوا بأحسنها » (٣) .

و استمعوا الآن إلى القرآن فى لغته الخاصة بالحقوق و الواجبات و كيف كانت تعليماتها المفصلة .

« وإذ أخذنا ميثاق بنى إسرائيل لاتعبدون إلا الله وبالوالدين إحساناً وذى القربى و اليتامى والمساكين وقولوا للناس حسناً ، و أقيموا الصلاة و آتوا الزكاة،

(١) آل عمران / ٣٤ (٢) الشورى / ١٣ (٣) الأعراف / ١٤٥

ثم توليتم إلا قليلا منكم و أنتم معرضون ، وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم و لا تخرجون أنفسكم من دياركم ، ثم أقررتم و أنتم تشهدون (١) » .

وجاءت فى نفس السورة إشارة إلى التعليمات و الاحكام الالهية حول جميع علاقات الفرد الشاملة من السماء إلى الأرض .

« الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه و يقطعون ما أمر الله به أن يوصل و يفسدون فى الأرض أولئك هم الخاسرون » (٢) .

و أعيدت نفس الاشارة فى آية أخرى :

« و الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه و يقطعون ما أمر الله به أن يوصل و يفسدون فى الأرض أولئك لهم اللعنة و لهم سوء الدار » (٣) .

يقول الداعية الاسلامى أبو الأعلى المودودى و هو يشرح هذا العهد والميثاق ضمن تفسيره لهذه الآية .

« يعنى أن هؤلاء الناس ينقضون ذلك العهـــد الذى أمر الله به أن يوصل والذى يتوقف على دعمه وميثاقه نجاح الحياة الفردية و الاجتماعية ، إن هذا الكلام الوجيز يحمل فى طيه معانى واسعة جداً بحيث إنه يكفى لعالم الانسان الحضارى والخلق كله ويغطى العلاقات الانسانية كلها من العلاقة بين الأخوين إلى العلاقات العالمية والدولية ، و ليس المراد من نقض العهد مجرد قطع العلاقات الانسانية بل كل ما يغاير الصور المشروعة لهذا العهد من صلات و علاقات يدخل تحت حكم النقض ، ذلك لأن عاقبة الروابط و العلاقات الغير المشروعة نفس العاقبة لنقض العهد المشروع ، وتلك عاقبة تظهر فى فساد المعاملات الانسانية و تزعزع بنيان الأخلاق و المدنية » (٤) .

---

(١) البقرة ٨٣ - ٨٤ (٢) البقرة /٢٧ (٣) الرعد / ٢٥

(٤) تفهيم القرآن ج ١ ص ٦٠

تاريخ الحقوق الانسانية هذا الذى عرضه القرآن علينا يدل دلالة واضحة على أن المفهوم الاسلامى لحقوق الانسان قديم كقدم الانسان الأول ، كما أنه يبين مصدر هذه الحقوق ، فانها لا تنبع من تلك المعاهدات و الاتفاقيات التى وجدت نتيجـة للصراعات والخلافات التى عاشها الحكام فى دولهم المزعومة ، ولا أنها نتيجة جهود الفلاسفة و خبراء السياسية و القانون ، بل إنها منحة الخالق لخلقه و نعمـة الحاكم الحقيق لرعيته ، فهى مرتبطة بحياة الانسان بعروة لا انفصام لها ، وكانت هذه الحقوق ، قد تعينت منذ خلقه و لكنها جاءت مفصلة واضحة فى شريعة النبي الخاتم محمد ﷺ وهى حقوق لايحدها الزمان والمكان ، غير قابلة للتغيير و التعديل ، حتى إن الانسان إذا هاجر الكوكب الأرضى إلى كوكب آخر وسكن فيه تكفيه هذه الحقوق ولاتتغير نوعيتها أبداً كما أن تغير الزمان و المكان لا يؤثر فى تكوين الانسان الخلق و بنيته الجسمانية كذلك لا تتعرض الحقوق و الواجبات لأى تغيير فى طبيعتها و مكانتها الدائمة ، و لذلك فان هـــذه الحقوق لا تقبل التغيير و الانفصام فى أى حال ، فمسئولية الدولة ليست عن تعيين الحقوق و تقرير الواجبات بل إنها مسئولة عن تنفيذها فقط .

يزعم أهل الغرب أن تاريخ حقوق الانسان الأساسية يرجع إلى ما قبل عدة قرون ، ثلاثة أوأربعة قرون فقط ، وإن جهودهم المضنية التى بذلوها فى ترقية هذا الموضوع و توسيع نطاقه أثمرت ثماراً يانعة جنية أكلها الناس و لا يزالون يأكلون من رفدها ، إلا أن التاريخ الذى يعرضه علينا القرآن الكريم لحقوق الانسان يثبت أنها جزء من شعوره منذ بدء الخليقة ، و من أول يوم نزل فيه الانسان إلى هذه الدنيا ، و إن اكتساب هذه الحقوق و تقديرها ليس مما صنعه هو بنفسه و إنما الحاكم الحقيق هو الذى أكرمه بهذه الحقوق تدريجياً ، وحينما نسمع صدى لهذه الحقوق

الأساسية نجد أن التعاليم الالهية هى التى أيقظت فى الانسان شعوراً بهـــذه الحقوق الأساسية .

و قد جاء فى كتاب « نحن نؤمن بالله » (We Trust In God) لمؤلفه نارمان كوزنس (NormanCousins) الطبعة الأمريكية التى صدرت فى عام ١٩٥٨ حيث تناول المؤلف ذكر مؤسسى الدستور فى أمريكا وتحدث عن عقائدهم الدينية فى تفصيل ، جاء فيه : إن « بنجامن فرينكلن » (BenJamin Franklin) « جورج واشنطن » (George washngton) « جون ادمز » (John Adams) « تومس جيفرس » (Thomas Jeferson) « جمز ماديسن » (James madison) « الكزندر هملتن » (Allexender Hamilton) « سامول آدم (Samuel Adam) « جون جى » (John Jay) و« نامس بين » (Thomas Paine) كل هؤلاء الكبار كانوا يؤمنون بتعاليم المسيحية إيماناً كاملا ، و قـــد أثرت على أفكارهم و نظرياتهم تأثيراً عميقاً حتى إن « جمز ميديسن » يقول و هو يتحدث عن « الحقوق » .

« أيما حق للانسان فى هذه الدنيا إنما هو فى الواقع واجب حتمه الله تعالى على أناس آخرين غيره » .

و كذلك إذا درسنا الدساتير البريطانوية و الفرنساوية فى خلفيتها الدينيـــة وجدنا أنها تؤكد أيضاً أن التعاليم الدينية هى فى الأصل مصدر الحقوق الأساسية للانسان ، و خاصة نجـــد مصدرها فى ذلك التأثير العميق الذى تركه الاسلام فى أوربا .

إننا إذا رأينا فى مرآة تاريخ الحقوق الأساسيـــة ، للانسان الذى عرضه القرآن علينـــا وجدنا أن الاسلام وحـــده له الحق فى استعمال مصطلح الحقوق

الفطرية (Natural Rights) و الحقوق بالولادة (Birth Rights) لأن هذا المصطلح واضح غاية الوضوح بينما نرى أن المصطلحات الغربية لمفهوم الحقوق تتسم بالابهام و الغموض .

من هو الذى عين هذه الحقوق الأساسية ؟ .

يرد الاسلام على هـــذا السؤال بغاية من الوضوح على أن حامل راية نظرية الحقوق الطبيعية فى الغرب « بانثم » (Bantham) و زملاءه الآخرين لم يتمكنوا من شرح معنى الطبيعـة و من الاشارة إلى القوة المطلقة التى تعين هذه الحقوق ، و بتعبير آخر : من هو الذى منحهـــا مرسوم العمل و التأثير ، أما الاسلام فانه لم يترك أى مجال لاثارة شبهات حول هـذا الموضوع مع استعراضه جميع مناحى الحقوق الأساسية ، الفطرية منها و الولادية .

« يتبع »

« و قضى ربك ألا تعبـــدوا إلا إياه و بالوابن إحسـاناً إما يبلغن عندك الكبر أحـدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف و لا تنهرهما و قل لهما قولا كريماً ، و اخفض لهما جناح الذل من الرحمة و قل رب ارحمهما كما ربيانى صغيراً » .

★ ★ ★
★ ★ ★

المرأة

المرأة قبل الاسلام و بعده

الأستاذ سعيد بن عبد الله سيف الحاثمى

إن موضوع المرأة من مواضيع الساعة الحساسة ، لأنه إذا صلحت المرأة صلحت الأسرة وإذا صلحت الأسرة صلح المجتمع . فلذا يجب على الكتاب المسلمين أن يكثروا من الكتابة فى هذا الموضوع ليبرزوا محاسنه أمام أعين العالم .

ولا يخفى على كل ذى لب حكيم أن أعداء الاسلام قد جعلوا المرأة سلاحهم الفتاك ، و وجهوا كل الأضواء حولها لاغراء الشباب وإفساد المجتمعات الاسلامية وقد نجحوا إلى حد ما ، لأن الشباب هم مادة الاسلام بعلمهم أن المرأة هى أول معلم للولد ، و مهما كتب عن هذا الموضوع فان معينه لا ينضب .

هذا و بتوفيق من الله نتحدث عن حقوق المرأة فى الاسلام ، ذلك الموضوع - كما قلنا - لم يتطرق إليه الكتاب المسلمون كما يجب أن يتطرقوا إليه .

لننظر أولا من خلال نافذة الحضارات و الثقافات المختلفة لنرى كيف كانت البيئات و الحضارات المتباينة تعامل المرأة و بعد ذلك يمكننا أن نقارن بينها و بين ما قدم الاسلام من علاج لمشاكلها و غير ذلك من الأمور . و يمكننا بعد هذه الدراسة أن نكون باذن الله فكرة واضحة عن علاج الاسلام لهذه المشكلة وللمشكلات التى تعترض الناس عموماً . نبدأ فنقول .

أولا : فى الهند

يقول مانو فى كتاباته وأساطيره : إنه يجب على المرأة أن تخضع لحاميها (الزوج)

و عليها أن تكون فى حالة الاعتماد الكلى عليه ، أما بالنسبة للميراث فانه يكون عن طريق الذكور فقط دون البنات إذ يحرم الاناث الميراث.

كانت الزوجة الهندية تنادى بعلها : « يا سيدى أو يا إلهى أو يا ربى » لأنهم كانوا يعتبرون الزوج الاله الصغير لها ، ومن عاداتهم أن الزوجة لم تكن تأكل مع بعلها أبداً مهما كانت الظروف ، و كان لزاماً عليها أن تمشى خلفه بخطوات بعيدة عنه ، وذلك عند ما يذهبان سوياً ، بل كان الرجل قد ركز فى نفسها من شعور العبودية ما يجعلها تفتخر أن تدعو نفسها (داسى) أى أمة لزوجها و تؤمن بـ (بتى ورتا) أى اتخاذ المرأة من زوجها معبوداً لها وإلهاً .

إن الزوجة الوفية هى تلك الزوجة التى يكون عقلها و كلامها و بدنها خاضعاً لزوجها بحيث تكون مذللة له وعليها أن تكلمه بخشوع تام ، هذه هى المرأة المثلى التى تحظى باحترام و تقدير فى هذا العالم و تعيش فى الآخرة مع زوجها

ثانياً : اليونان

نلقى نظرة عابرة عما كانت عليه الحضارة اليونانية القديمة ، و كيف كانت تعامل فيها المرأة ، كانت المرأة اليونانية تجبر على الزواج دون إذنها إذ أنهم كانوا يعتبرون أن رضاها لم يكن له أية أهمية فى إتمام زواجها .

كان الوالدان يجبران البنت لتخضع لرغباتهما ، و كان عليها أن تقبل هذا الزوج الذى يعتبر سيدها و الذى اختاره لها والداها ، حتى و إن كان هذا الزوج غريباً عنها كل الغرابة و لا تعرف عنه شيئاً .

كانت المرأة اليونانية ناقصة الأهلية ، وكان يجب عليها أن تطيع أوامر أقربائها من الذكور طاعة عمياء ، ويمثل هؤلاء الأقارب من الذكور الأب والأخ والأعمام .

و قد قسم الاغريق النساء حسب معاملتهم لهن ثلاث طبقات هى :

الطبقة الأولى : كانت وظيفتها الرئيسية هى استمتاع الرجال بهن و تقديم كل أنواع اللذة الجسدية و كانت تسمى هذه الطبقة « طبقة المؤمسات » .

الطبقة الثانية : و كانت أعمالهن الأساسية هى الأخدان و هو مخادنة الرجال و الاهتمام براحتهم و الاعتناء بأبدانهم و مظهرهم العام .

الطبقة الثالثة : وهى طبقة الزوجات فكانت مهنتهن الرئيسية هى إنجاب الأطفال و الاهتمام بتربيتهم كعمل مربية الأطفال و لم ترتق حالتهن إلى أكثر من أن يكن مربيات أولاد ساداتهن .

ثالثاً : الرومان

فى الرومان : عندما نأتى إلى جيران اليونانيين القدماء ألا وهم الرومانيون ، فاننا نراهم يعتبرون المرأة ناقصة الأهلية مثل أختها فى اليونان بالضبط لافرق بينهما ، إنها كانت تعتبر أنها لا تستطيع أن تفكر لنفسها بنفسها ، و لذا كان لزاماً عليها أن يقوم أحد بالاعتناء بها ، إنها تكون دوماً تحت حماية زوجها و رعايته و ذلك أنها عندما تتزوج تنتقل هى و ما تملك فتصير ملكا لزوجها و له كل الحقوق عليها ، وعندما تقوم بأى عمل مخالف للأنظمة السائدة والقوانين المرعية ، على الزوج أن يحاكمها و يصدر الحكم عليها و يعاقبها ، فله الحق المطلق فى إصدار أى حكم عليها حتى و لو أفضى ذلك إلى الحكم بقتلها و لا أحد يعارضه فى حكمه ذلك .

و كانت المرأة الرومانية تعتبر ضمن المتاع و كأن زوجها قد اشتراها ولذلك كانوا يعاملونها كأنه اشتراها (الزوج) لمصلحته الخاصة .

لم يكن لها الحق فى الاشتراك فى الأمور المدنية ولا فى الأمور العامة ويعنى

هذا أنهم لم يكونوا يسمحون لها أن تكون وصية لأحد أو شاهدة أو كفيلة لغيرها من النساء ، بل و لم يسمحوا لها حتى أن تكون مدرسة .

و عندما يتوفى عنها زوجها فان أبناءها الذكور أو إخوة زوجها أو أعمامه لهم الحق عليها ، و على كل ما تملك ، و ذلك لأن الملكية انتقلت إليهم بعد وفاة الزوج مباشرة ، فهي شئ موروث ضمن أمتعة الزوج الراحل .

رابعاً : القبائل السلافية

القبائل السلافية : عندما نقرأ تاريخ القبائل السلافية بدقـــة و إمعان نأتي على حقائق شيقة عن حقوق المرأة لدى تلك الشعوب القديمة .

يكفينا أن نأخــــذ بعض المقتطفات من هنا و هناك من الكتاب الذي قام « أوسولينيوم » (Ossolineum) بتأليفه ، و إذا قمنا بترجمة عنوان الكتاب الترجمة الحرفية نأتي بالمعنى : المرساة المقلوبة للسفينة و أن المعلومات التي نقتبسها مكتوبة في جريدة فاكتي ٧٦ (Fakty - 76) لعدد شهر سبتمبر ٧٦ تحت عنوان يوخ أوني كوشالي (Jok oni Kochali) أي كيف كانوا يحبون ، و هي كما يلي :

في مطلع القرن الثاني عشر كتب كوسمـــاس (Kosmas) مؤلف حوادث تشكيكين أنه كان في إمكان رجل بوماري (١) (Pomme Rian) أنه كان قبل ذلك بمائة عام في إمكانه أن يتزوج بأكثر من زوجتين اثنتين ، وأنهم لم يكونوا يعتبرون كون علاقة جنسية بين شخص وزوجة شخص آخر مثلا مخالفاً للقانون أو العرف.

و نلتقي في نفس العصر تقريباً بملك بولوني يدعى بوليستا سمياتي (الشجاع) (Bolestaaw Smiaty) نراه يعاقب الزوجات الخائنات للفرسان الذين قضوا سنوات طويلة خارج بيوتهم بأنه يعاقبهن لخيانتهن لأزواجهن الذين كانوا يحاربون العدو، أنهن

(١) شعب من أصل ألماني .

لم يراعين عفتهن و قمن بعلاقات جنسية مع رجال غير أزواجهن .

ويقول لنا كاتب الحوادث الالمانى تيانمور (Thiet Mor) إن الزوجة السلافية كانت تقتل (١) بعد وفاة زوجها مباشرة لتشاركه حظه .

و قد سن الملك بوليستا تشروبى (Bolestw Chroby) قانوناً يقضى بمعاقبة كل من يغرى زوجة شخص آخر بالفساد الزوجى بالطريقة التالية :

يؤخذ الشخص المغرى إلى جسر السوق وتسمر خصيتاه بمسمار و يبقى معلقاً عليهما إلى أن يموت .

كما أنه قد مرت فترة فى حياة بنات السلافية أن يكون لكل واحدة منهن علاقة جنسية تمارسها مع الرجال ، و قد يحدث أحياناً (فى تلك الفترة طبعاً) أن يطرد الزوج عروسه التى زفت إليه حديثاً لأنه وجدها عذراء لم تصب بكارتها بشئ ، وذلك لأنهم كانوا يعتبرون أنه إذا حافظت البنت على شرفها (بكارتها) دل ذلك على دناءة منزلتها بين الفتيات . و إن أحـــداً لم يكن يريدها قبل أن تتزوج هذا الشخص . والنتيجة الحتمية لمثل هذه المعاملة (أى طرد الزوجة التى استطاعت أن تحافظ على بكارتها) تشجيع بيوت الدعارة و عند ما تنجب مثل هذه المرأة بنتاً فانها تتذكر تلك المعاملة القاسية التى عوملت بها من قبل زوجها بعد أن زفت إليه مباشرة (ألا و هى الطرد) و هنا تستثير عواطفها و يكون رد الفعل هو (٢) وأد البنت .

(١) إن هذه العملية تذكرنا بما كان يجرى فى الهند عندما كانوا يحرقون الزوجه بعد وفاة زوجها و هى على قيد الحياة ، و هذه العملية (عمليـــة حرق الزوجة حية مع زوجها الميت تسمى بالسوتى (Sutti) .

(٢) ويجرنا هذا الحديث إلى ما كانت تفعله العرب قبل الاسلام فى وأد بناتهم والفرق - كما سوف نرى - هو أنه لدى العرب كان الأب هو الذى يئد البنت و عند السلافيين نجد أن الأم هى التى تقوم بذلك العمل .

لم تكن المرأة السلافية هى الوحيدة التى كانت تئد البنات إذ أننا نرى المرأة البروسية (Prussian) نراها تئد بنتها التى أنجبتها عن طريق السفاح ، إن عملية وأد البنات هذه عبدت الطريق وسهلتها للأب «كريستيان» (Chrystian) لشراء هؤلاء البنات و تعليمهن و استعمالهن فى الكوراس للبشرين المسيحيين الذين كانوا ينتقلون من مكان إلى آخر مبشرين بالكاثولوكية .

يقول لنا كوسماس (Kosmas) أن أحـــد أمراء التشيكوسلوفاكيين المدعو بريتيستار (Bretystaw) كان يسجن السجن المؤبد كل امرأة غير متزوجة ، أو امرأة توفى عنها زوجها و قد رأوها حاملا ، و عند ما يسأل بريتيستار عن سبب سجنها يقول : لا أحد يمنعها الاتصال الشرعى بالزواج ، بالله عليك فلـــماذا يعاشرون الرجال بالطرق غير المشروعة ؟ و بعد ذلك يطابن الاجهاض للتخلص من الحمل . إن عملية الاجهاض هى كبرى ذنوب كل العصور (١) .

خامساً : الشعوب الاسكندنافية

لقد كانت المرأة الاسكندنافيـــة تحت الوصاية الأبدية بغض النظر عن كونها متزوجة أو غير ذلك ، وقد استمرت هذه الحالة ردحاً من الزمن . لم يكن للمرأة حق الزواج إلا بعد موافقة وليها ، وقد أعطى الولى الحق الشرعى عليها ، وكان له الحق كل الحق فى استعمال كل ما تملك دون معارضتهـــا ، و لم تكن تستطيع أن تنطق بالمعارضة أو الاحتجاج .

و إذا حاولت المرأة أن تتزوج دون إذن وليها و موافقتـــه فويل لها كل الويل ، و لا يقر للولى قرار إلا بعد فسخ الخطبة و معاقبتها عقاباً صارماً .

سادساً : الصين

فى الصين : كانت حالة المرأة الصينية أسوأ حالا من أخواتها فى بقية الأماكن

(١) يبدو أن عملية الاجهاض هذه كانت معروفة منذ القدم ، و إنها من أحط الأمور التى يقترفها الانسان ، ولذا نرى أن بعض رجال الدين الأمريكان يطالبون المرشحين للانتخابات بوقفها .

من العالم و ينقل إلينا أن إحدى سيدات الصين قالت : نحن النساء نحظى بأدنى درجة فى المجتمع و يجب أن يكون نصيبنا فيه أحقر الأعمال .

و يقال ألا ما أتعس حظ المرأة ، فهى المخلوقة السيئة الحظ ، و ليس فى العالم كله شئ أقل قيمة منها ، إن الأولاد الذكور يقفون متكئين على الأبواب كأنهم آلهة سقطوا من السماء ، و أما البنت فان أحداً لا يسر بمولدها ، و إذا كبرت اختبأت فى حجرتها تخشى أن تنظر إلى وجه إنسان و لا يبكيها أحد إذا اختفت من منزلها (١)

وقد جاء فى موسوعة المعارف البريطانية : كانت النساء غير المتزوجات ينتسبن إلى عائلات آبائهن وعندما تتزوج إحداهن فانها تنتقل إلى عائلة بعلها وتكون تحت امرة والديه و كبار العائلة منهم .

وعليه تنتقل كل الممتلكات التى أتت بها إلى عائلة بعلها ، كانت منزلة العروس (التى أصبحت زوجة الآن) منزلة هينة جداً ، كان فى إمكانها الاعتماد على الحماية البدنية من قبل أقاربها من أبويها إذا كان هؤلاء الاقارب مستعدين للمغامرة فى جلب عدم الموافقة و سخط أنسابهم ، أما فى الحياة الواقعية فاننا نرى أن منزلة المرأة تتقوى و تتحسن مع الزمن و بعد انجاب الأولاد الذكور خاصة و بعد أن تقوم هى بأعمال النعى و الحزن لوفاة رجال كبار من أقارب زوجها .

كان الزواج عن طريق التفاهم غير الرسمى بين رؤساء العائلات المعنية بالأمر وذلك بعد المفاوضات التى تتم عادة عن طريق وسيط (داية) بين الجهات المعنية و يكون ذلك بطرق تقليدية متعارف عليها (٢) .

كان يحق للزوج أن يطلق زوجته لأسباب معينة و معقولة ومثال ذلك الخيانة الزوجية « الزنا » على شرط أن يكون الأبوان مستعدين لقبولها فى بيتهما ثانية و إلا فسوف تذهب المرأة إلى الشارع و تكون امرأة ساقطة . « يتبع »

(١) البهى الخولى : المرأة بين البيت و المجتمع .

(٢) موسوعة المعارف ج ٤ ص ٤٠٩ .

صور و أوضاع

فانها لاتعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور

واضح رشيد الندوى

يعتبر الارتقاء العلمى من خصائص الحضارة الحديثة التى نشأت فى الغرب كما يعتبر فصل الدين عن السياسة من ثمار هذه الحضارة ولكن أصحاب العلم والفكر فى الغرب ، يظهرون بمظهر مختلف فى بحوثهم و كتاباتهم إذا اتصلت بالاسلام و المسلمين ، فيتغلب عليهم الجمود الفكرى ، و التحجر العلمى و التقليد ، و الجمع بين الدين و السياسة فى آن واحد ، كأن لهم مقياسين ، مقياساً لأنفسهم و مقياساً للسلمين و الاسلام .

كانت فترة قرن كامل لاتصال الغرب بالشرق ، وهى الفترة التى أتيحت فيها للعلماء و المفكرين و الساسة فى الغرب فرصة للاختلاط ، و متابعة واقع الحياة ودراسة التراث العلمى ، والثروة الفكرية للسلمين ، تكفى لازالة الأباطيل والشبهات التى كانت قد نفثتها أقلام المستشرقين و المبشرين الذين صنعوا التاريخ و زوروه لخدمة المصالح الاستعمارية فى بداية القرن العشرين ، ولكن الذى يتابع الحركة العلمية فيما يتصل بالشرق الاسلامى ، و بالمواضيع الاسلامية ، يصل إلى نتيجة حتمية وحيدة وهى أن الغرب لايزال يعيش فى أفكار اختلقها المبشرون الصليبيون المستشرقون الحاقدون قبل اتصالهم بالشرق ، وأن الكتاب المعاصرين يسيرون على نفس الخط التبشيرى الاستعمارى الحاقد بالنسبة للاسلام و المسلمين .

يرجع ذلك إلى فكرة تكونت فى ظروف فرض الاستعمار الغربى على الشرق ، فقد كان قادة الفكر فى الغرب يعتقدون أن استيلاءهم على الشرق لايدوم إذا لم تصحبه حملة فكرية عامة لاقتلاع ارتباط الجيل المعاصر والأجيال القادمة بماضيها الذى تعتبره الماضى المجيد ، و تحاول استرداد شرفه التليد ، ولتتلاءم طبيعتها بطبيعة الحياة التى فرضها عليها الاستعمار لا بد من قطع الصلة القائمة بتاريخها ، و بأمجادها و تجريدها عن خصائصها القومية و الخلقية و صهرها فى بوتقة جديدة .

التزم الكتاب الغربيون هذا الخط بدقة فيما يتصل بالثقافة الاسلامية والتراث الاسلامى ، و اللغات و الآداب التى يتميز بها المسلمون فى مختلف بقاع الأرض فاتسمت كتاباتهم بنهج يختلف عن النهج العام المتبع فى البحث و التحقيق و معالجة الظروف . و دراسة الطبيعة ، و الظواهر الانسانية ، و خضعت للتحوير و التعمل و الدعاية بدلا من خضوعها للموضوعية التى تعتبر من خصائص البحث المعاصر .

اختار الكتاب فى الغرب كل مجال من مجالات التأثير الفكرى ، و كان أهم و أمتع المجالات للكتابة والبحث لهم ، السيرة النبوية الشريفة التى نالت اهتمام أكثر الكتاب و تعرضت لأبشع نوع من التزوير و التحوير ، ثم كان نصيب التاريخ الاسلامى و الثقافة الاسلامية ، و كان من نتيجة هذا التصوير القاتم و العرض المغرض أن بدأ بعض المثقفين بالثقافة الغربية و المتخرجين من الجامعات العصرية ينظرون بنظرة استخفاف و ازدراء إلى الشرق ، والثقافة الاسلامية (١) و حاولوا

(١) يقول طه حسين عن المصريين : لقد عشت بهم الخطوب منذ أكثر من عشرين قرناً ، و لكنهم ظلوا رغم ذلك مصريين ، و قال : إن من السخف الذى ليس بعده سخف اعتبار مصر جزءاً من الشرق ، و اعتبار العقلية المصرية عقلية شرقية .

ربط أنفسهم بالحضارة الغربية اللامعة ، أو حضارات آلاف سنة ماضية (١) .

كان ارتباط الأمــة الاسلامية بشخصية الرسول الأعظم ارتباطاً لا يساويه ارتباط ، لا يختلف فيه متدين وغير متدين ، فكان حب الرسول عليـــه الصلاة و السلام يغمر كل قلب ، و من يراجع المكتبة الاسلامية يجد ثروة عطرة من المدائح النبوية فى مختلف اللغات الاسلامية ، و التأليف فى السيرة التى يبدو فيـــه نوع من التنافس لنيل هـــذا الشرف العظيم ، ما لا يوجد له نظير فى الديانات الأخرى و تتميز هـذه المؤلفات سواءاً كانت فى النظم و النثر بالعاطفـــة الوقادة و الهيام و روح التفانى و الفداء النابعة من الاعتراف بالجميل و الامتنان ، وفضل البعثة المحمدية على الانسانية فى مجالات الحياة .

تشاهد مظاهر هذا الحب و الصلة الروحية الوثيقة التى ربطت المسلمين عبر الأجيال برسولهم و رسول الانسانية ، كلما تجرأ حاقد على الاسلام و حاول أن ينال من شخص الرسول ﷺ فـلا يبـالى المسلمون بالعواقب و ينطلقون بدوافع الفداء لتقديم ضريبة الحب ، و واجب الوفاء و الولاء ، و لحقد الحاقدين تتكرر هذه المآسى لامتحان حب المسلمين برسولهم الأمى العربى ، و قد أثبت المسلمون فى كل مرة أن حبهم لا يتغلب عليه حب ، فلم يترددوا فى تقديم أسمى التضحيات بكل اعتزاز و سعادة ، وشعور بشرف ، و كان للهند ـ هذا البلد العجمى ـ أكبر نصيب من الحب ، و من تقديم ضريبة الحب (٢) .

---

(١) أعلن شاه إيران انتماءه إلى حضارة أربعـة آلاف سنـــة و أعلن رئيس العراق صدام حسين انتماءه إلى حضارة خمسة آلاف سنة و أعلن جمـال عبد الناصر قبلهما الانتماء إلى حضارة سبعة آلاف سنة .

(٢) و من الأمثلة لهذا التفانى احتجاج المسلمين على مثال نشرته جريدة استتسمين فى كلكتا الذى قتل فيه أكثر من أربعة مسلمين ، و هناك شواهد كبيرة لانفعال المسلمين

كان ارتباط المسلمين بهذه الصلة مصدر قلق أكبر للمستعمرين فى الغرب الذين حاولوا منذ فجر القرن العشرين إضعاف هذه الصلة بالحركة الاعلاميـــة ، بالكتب و الصحافة ، و التعليم المادى ، وقد ركز عدد من المستشرقين على هذه الناحية ، فاستهدفوا السيرة النبوية و جعلوها موضوعهم و اختصاصهم ، كذلك اهتمت بها الصحافة الغربية التى تستغل كل فرصة لبث الأباطيل لتقيس بها حرارة الايمان فى قلوب المسلمين و مدى متانة هذه الصلة التى يرتبطون بها بقادتهم .

كانت مجلة Times الأسبوعية قبل شهور نشرت صورة مزورة للرسول ﷺ وتقارير تبث الكراهية فى الاسلام و المسلمين ، و تشوه التاريخ ، فاحتج العالم الاسلامى ، و صودرت أعدادها فى بعض أنحاء العالم الاسلامى ، و قـــد فقدت الصحف الغربية رشدها وتجلى حقدها و كراهيتها للاسلام بوصول تقارير الانتفاضة الاسلامية فى مختلف أرجاء العالم ، فحاولت أن تصبغ الاسلام والمسلمين بالعنف ومعاداة الحرية ، و الجمود الفكرى ، و الارهاب و لم تحترز فيه عن النيل من شخص النبى ﷺ ، و من أحدث أمثلة هذا الحقد الدفين مقال نشرته مجلة نيوزويك الأمريكية و صورة مزورة مختلقة للرسول ﷺ فى عددها الصادر فى ٣/ ديسمبر ١٩٧٩م فقد تجرأت المجلة بكل وقاحة خارقـــة للأدب الصحفى ، و أسلوب البحث العلمى و السلوك الدولى ، و احترام المقدسات الدينية ، وتهجمت على الاسلام و المسلمين و قدمت صورة مشوهة لحرية الرأى و الفكر ، و المذاهب العقائدية و الاجتماعية فى الاسلام و أبرزت عنصر التطرف .

كان اتهام المسلمين باتباع طرق التطرف والتمزق من التهم التى اصطنعها المفكرون الغربيون قبل حوالى قرن ، و حاول الكتاب المسلمون نفى هذه التهمة كما حاولوا إزالة شبهات أخرى أثارها الصليبيون ؛ و لكن العقول الجامدة التى تعتمد على كتابات

مرضة وتخضع لأغراض الاستعمار لاتبدو مستعدة لقبول الحقائق . لأن الحقد الدفين يعشي العيون ويعمي القلوب « فانها لاتعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور » .

تغفل الصحافة الغربية التي تبرز التطرف الديني في الاسلام والمسلمين ، مظاهر التطرف الديني الذي يكاد يصبح سمة للمسيحية ، رغم ادعاء الصليبيين بالانسانية والأعمال الخيرية التي تظهر كالطحلب أوالغطاء للكوارث البشرية في ظل حكمهم ، وقد أغفلت الصحافة الغربية مجزرة ألف شخص في جونز تاون الامريكية بقيادة القس الأمريكي «جيم جونز» صدمت ضمير الانسانية كلها وهي لاتزال محفوظة في ذاكرة المعاصرين لأنها حديث العام الماضي ، وذلك إذا خانت ذاكرة المؤرخين الغربيين في أن يستذكروا مساوى الصليبيين في التاريخ القديم في الأندلس . وفي القدس وفي المستعمرات الفرنسية والبرتغالية . والبريطانية ، ومعاقل القوى التي تتبنى التبشير في العالم .

إن مثل هذه الاعتداءات الصحفية التي تتكرر حيناً بعد حين وتجرح مشاعر المسلمين اعتداءات متعمدة لاتقوم على سوء فهم أوعدم معرفة وهي تستحق عقاباً أكبر من مصادرة أعداد الجرائد والمجلات ، لأن الغرب لا يفهم إلا منطق المصلحة المادية ، والمسلمون بثرواتهم وإمكانيات استهلاكهم في خير موقف ليلحقوا العقاب الأليم .

« رفقاً بالقوارير »

ازدادت أخيراً في كثير من البلدان الاسلامية المطالبة بمنح المرأة حقوقاً مساوية لتشارك الرجل في سائر مجالات الحياة ، وكل من يحمل بين جنبات صدره قلباً إنسانيا يعترف بحقوق المرأة ، لأنها أحوج من الرجال إلى ضمانات وحقوق ، وقد وصف النبي ﷺ النساء بالقوارير ، فقال « رفقاً بالقوارير » وقد كان واقع الأمر يقتضي أن تعامل النساء معاملة النساء ، أو بأصح التعبير معاملة «القوارير» ولكن المغرضين من الرجال ينظرون إلى النساء كأنهن لسن بالقوارير وإنما خلقن من الحديد بل من الفولاذ ، وعليه يتوجب على النساء حمل المطارق والمعاول ، والأثقال على الكواهل كالرجال إلى

حمل البنادق والمدافع ، وأعمال الفلاحة وغرس الزهور ، و تربية البراعم إلى الحياة بين الحديد والنار ، إن المساواة شئ وتأمين الحقوق شئ آخر ، فلا يطالب المطالبون بتحرير المرأة ، وإنما يطالبون بالمساواة بين الرجال ، و بذلك واختلط الحابل بالنابل .

وكان من قبيل تنفيذ هـذه المطالبة إشراك النساء فى كادرات الجيش ، و لا تخلو الصحف العربيـة نفسها من تقارير تخريج دفعات من أفواج النساء فى السلاح الجوى و البحرى ، و البرى ، ولمن انقلبت لهم الموازين وبهر عيونهم التقدم الحضارى ، نقدم هذه المقتطفات من صحيفة The Baltimore Sun الأمريكية بعنوان خطر الجنس فى الجيش الأمريكى .

« يهدد الجنس الجيش الأمريكى ويضعف روحـــه المعنوية ، و يحرج النساء و يرغمهن على هجر هذه الخدمة ، نتيجة للضايقات والاستغلال التى تعانى منها النساء خلال الترقية ، و النقل و الحياة بين الضباط و الجنود » .

ذكرت الصحيفة بعد أن أجرت مقابلات مع عدد من الموظفات ، المضايقة و الاجبار فى حالة التزام النساء بالاحتشام و نقلت عن عدة موظفات أن ضبـاط الجيش يجبرونهن على التقاط صور عارية أوالاشتراك فى حفلات و برامج ثقافية ، و يكون ذلك فى كثير من المناسبات مقياساً للترقية و رفع المرتبات .

و شكت النساء أن النظام الادارى فى الجيش يمنعهن من تقديم شكوى كتابياً ، و لا يوجد اى وسيلة أخرى لمقاومة هذا الخطر .

واعترف القبطان مارى‌كور المسئولة عن توفير فرص متكافئة للنساء العاملات بأن هذه الشكاوى لها أساس و هى ظاهرة فاشية ، و لـكنها لا تستطيع أن تبين الحجم و أخبر اليفتننت الـكولونيل « جيك وهيلر » للصحيفـــة أن الجيش يعرف تفشى هذه المشكلة ، ولـكنه من الصعب التغلب عليها .

وأبدى عدد من ضباط الجيش الأمريكى استعجابهم بأن اتجاه مغادرة الجيش والتهرب عن التجنيد ينمو فى النساء ويزداد أخيراً ولعل أكبر أسبابه المضايقةالجنسية .

الاعتداء فى المسجد الحرام

إفساد لسمعة الاسلام و انتهاك لحرمات الله

الأستاذ محمد الرابع الحسنى الندوى
رئيس كلية اللغة العربية بدار العلوم ندوة العلماء

افتتح المسلمون السنة الأخيرة للقرن الرابع عشرالهجرى بمواجهة حادث فظيع وقع فى الحرم المكى الشريف ،فكان سيأ لسفك الدماء و قتل الأبرياء ، ثم حال دون حضور المصلين و الطائفين حول بيت الله الحرام لمدة أيام .

هذا المسجد الحرام الذى جاء عنه فى كتاب الله العزيز « ومن دخله كان آمناً » صار بأيدى شر ذمة من الناس مسرحاً للاعتداء و الفساد ، وبقى المسجد بعده تحت سيطرة عصابة مسلحة بأحدث الأسلحة و مزدوة بالذخيرة ، متبعة للأسلوب الحربى المتمرد لعدة أيام أصبح لسببها وضع المسجد الحرام الهادىء الآمن وضعاً مشحوناً بحالة الذعر و الخوف ، و انتشرت شائعات كثيرة وفظيعة فى كل مكان من العالم فآلمت قلوب المسلمين و أفسدت سمعتهم بين الأجانب .

من كان هؤلاء؟ وماذا كانوا يريدون بهذه العملية ؟ هل كانوا يريدون الاصلاح وتصحيح الأوضاع وخدمة الشريعة الاسلامية السمحاء وإعطاء مشاعرالحج ومقدسات الدين ما يليق بها من كرامه و احترام ، أم كانوا يريدون إعلان شريعة جديدة ، أو وصاية على الحرم جديدة ، أو تغيير السياسة والحكم ؟ وماذا كانوا يعنون بالمهدى المنتظر الذى فرضوا على المصلين أن يبايعوا على يده ؟ و قهرهم على ذلك فى هذه البقعة الآمنة الشريفة ، التى ليست إلا محل العبادة والدعاء ومناجاة الرب سبحانه وتعالى.

إن الحـــادث فظيع جداً و مؤلم حقاً و لم نستطع أن نعرف هل كان من

العصابة التى قامت به من نفسها وهى تحمل أسلحة كثيرة وحديثة ، أوكان بايعاز من العناصر الخارجية من أعداء الاسلام وحكومة البلاد ، و لم نعرف ما هى الأهداف الحقيقية من وراء هذا الحادث الفظيع و لماذا اختارت الجماعة المعتدية الحرم الشريف كمجال لتمردها و طغيانها ، فان هذا المكان الشريف كان من أبعد المواضع عن أن يكون فيه الاعتداء و تسفك فيه الدماء ، فان كان الغرض من وراء هذا الحادث سياسياً فلم يكن بيت من بيوت الله تعالى محلا لائقاً به وخاصة هذا البيت الحرام الذى ظل حتى فى أحلك أدوار التاريخ العربى مأمنا يلجأ إليه الخائفون وينجو فيه الهاربون فى الوقت الذى كان الناس يتخطفون من حوله .

و إن كان الغرض دينياً فلماذا هذا التسلح و استخدام أدوات الجرح والقتل و لماذا هذه العملية التى قامت بها الطائفة المعتدية .

إننا نخاف من أن يكون هناك إيعاز من الخارج ، ممن يريدون إفساد سمعة الاسلام و المسلمين ، و إزالة ذلك الاحترام الدينى الأكبر للمسجد الحرام الذى هو ثابت فى قلوب الناس فى العالم ، ويشهد به تاريخ الاسلام و العرب ، و ليس من المستغرب أن تكون وراء ذلك أنامل دولة شيوعية أو شبه شيوعية ، لأن الشيوعية ترى فى إثارة الفوضى و التدمير و التشاحن فى شعب من الشعوب أو دين من الأديان تحقيقاً لأغراضها ، لأن ذلك طريق فى نظرها إلى أهدافها ، والنظم الشيوعية من النظم التى تكره الأديان و تكره المملكة العربية السعودية أيضاً .

لقد نفت السعودية عن وجود أى علاقة للخارج فى هذا الحادث ، وذلك بالنظر إلى جنسية الأشخاص الذين قاموا بهذه العملية ، ولكن الأمر لن يعد فوق الشبهات حتى تنتهى تحقيقات دقيقة لأسباب الحادث ، فانه لا يجب أن تكون هذه العملية الدقيقة الخطيرة الواسعة فكرة سطحية وعملية وليس واجباً أن يكون المتمردون قد قاموا بالعملية بفكرتهم وحدهم ، ولم يكونوا عملاء للخارج أو مخدوعين لواضعى مؤامرة خطيرة من الخارج ، فانه لابد من تحقيق دقيق ثم معاقبة المتمردين معاقبة

تكون نكالا لكل من تحدث نفسه بسوء نحو المقدسات الاسلامية أو كرامة الاسلام و المسلمين ·

و لقد نفت السعودية وجود أنامل إيرانيـــة كذلك ، و بذلك قضت على الشائعة التى كانت بعض الجهات الخارجية قد أثارتها عن العناصر الشيعية الايرانية ، و قد كان من أسباب الشبهة فى ذلك أن الحجاج الايرانيين و قد بلغوا هذا العام سبعين ألفاً كان كثير منهم يحملون فى أيديهم أثناء تأديتهم لمناسك الحج لافتات باسم الثورة الايرانية ضد ملكهم الشاه السابق ، وكانوا يوزعون نشرات فى مختلف اللغات ·

و قد كانت النشرات التى وزعت تطالب إصلاحات مماثلة لما جاء فى مطالب الثائرين فى الحرم المكى فيما بعد ، و قد ذكر الحجاج العائدون من البلاد المقدسة أنهم رأوا و قرأوا ذلك بأنفسهم و أن عـــدد النشرات التى وزعها الايرانيون فى الحجاج كان يبلغ على حسب تقديرهم إلى الملايين ·

إنه لم يكن واجباً أن يكون وراء حادث الحرم هذه الاشارة الاعلامية لايجاد الثورة فى البلاد المقدسة و قـــد نفت وجودها المملكة السعودية أيضاً ، و لكن الطريقة التى تبعها الحجاج الايرانيون كانت خليقة بأن تحمل على الشبهـــة ثم إنه لا يجوز أبداً أن يستعمل حجـــاج بلد من بلدان الاسلام الحرية التى منحت لهم لتأدية العبـادة لأغراض غير مرضية أو لاثارة الفوضى و التمرد فى البلاد ، مهما بلغ بهم الخلاف لنظام الحكم ، فان ذلك مخالف لأبسط قوانين الأخلاق والكرامة ، فضلا عن التعاليم الدينية السمحاء ، ثم إن الضرر فى ذلك لن يلحق الحجاج الايرانين وحدهم بل إنما يصيب حرية العبادة فى البلد الحرام كذلك ·

على كل فان الحادث فظيع و ممقوت من جميع أبناء الاسلام مهما اختلفت بلادهم و أوطانهم و أفكارهم ، و إن الذين قاموا بالاعتداء يستحقون الجزاء اللائق بعملهم الممقوت ·

المؤتمر العالمى للسيرة و السنة النبوية

عقدت دولة قطر المؤتمر العالمى للسيرة و السنـــة النبوية فى الفترة ما بين ٥ - ١٠ محرم ١٤٠٠ﻫ الموافق ٢٤ - ٢٩ نوفمبر ١٩٧٩م فى مدينة الدوحة وقد سبق هـــذا المؤتمر فى موضوع السيرة مؤتمران للسيرة النبوية فى إسلام آباد عام ١٩٧٦م و فى استنبول بتركيا ١٩٧٧م على الصعيد العالمى و هذا هو المؤتمر العالمى الثالث الذى يتميز عن المؤتمرات السابقة فى حجم أعماله وحضوره الوافدين الذين بلغ عددهم ٢٦٦ عضواً من الوزراء والعلماء وكبار المسئولين عن الشئون الاسلامية و القضاء الشرعى و الافتاء فى العالم الاسلامى و المشتغلين بأمور الدعوة الاسلامية و الدراسات الاسلامية و الفكر الاسلامى ممن وفدوا من ٤٧ دولة .

و فى يوم السبت الخامس من محرم ١٤٠٠ﻫ ، وبعد استهلال بتلاوة عطرة من آى الذكر الحكيم ، افتتح المؤتمر نيـــابة عن حضرة صـــاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى أمير دولة قطر ، سمو الشيخ حمد بن خليفة آل ثانى ولى العهد و وزير الدفاع بكلمة رحب فيها بأعضاء المؤتمر مؤكداً أن قدوم القرن الخامس عشر الهجرى يقف بالأمة الاسلاميـــة على مفترق طرق و يتطلب منها أن تتبوأ مكانتها . و تقيم موازين القسط بين الشرق و الغرب ، و تحرر أرضها و تستعيد مقدساتها و على رأسها القدس الشريف و المسجد الأقصى الذى بارك الله حوله .

كما أهاب بعلماء المسلمين أن يبذلوا قصارى جهودهم كى يقدموا سيرة رسول

الله ﷺ و سنته للبشرية منهجاً و قدوة ، هذا و قد تعهد سموه باسم دولة قطر برعاية مقررات المؤتمر و توصياته .

و ألقى فضيلة الشيخ عبد الله بن زيد المحمود رئيس المحاكم الشرعيـــة بدولة قطر كلمة بين فيها عظمة الشريعة الاسلامية وصلاحيتها لكل زمان ومكان و أوضح أن السنة النبوية هى شقيقة القرآن ومبينة ، و دعا إلى الاقتداء بسيرة الرسول الكريم عليه الصلاة السلام .

و تحدث معالى ظفر الاسلام الأمين المساعد لمنظمة المؤتمر الاسلامى العالمى فرحب بالمؤتمر باعتباره فاتحة الاحتفالات العالمية بالقرن الخامس عشر الهجرى .

ثم ناب عن الوفود سماحة الشيخ أبي الحسن الندوى رئيس ندوة العلماء بالهند فشكر لدولة قطراً أميراً وحكومة و شعباً ، وحفاوتها بالمؤتمر ، وتوفيرها أسباب النجاح له مؤكداً أن البعثة المحمدية نعمة الله الكبرى على الأمة الاسلامية و أساس حضارتها و عزتها فى ماضيها ، و مرتجى وحدتها و قوتها فى مستقبلها .

ويحسن بنا أن ننقل إلى قرائنا الكرام كلمة سماحة الشيخ الندوى التى ارتجلها عفو الساعة واحتوت على كثير من المعانى الكريمة القوية والتى لها قيمتها وأهميتها الكبرى فى الموضوع :

« صاحب السمو ولى العهد المعظم و أصحاب السماحة والفضيلة ، أصحاب المعالى و السعـادة :

لى الشرف العظيم فى أن أنوب عن العلماء الكبار و عن الشخصيـات الجليلة التى تمثل الأقطار العربية و الأقطار الاسلامية .

وكل إلى إلقاء كلمة فى هذا المؤتمر الشريف ، و باشرت هذه الخدمة فكانت لى شرفاً عظيماً ، لأن هذا المؤتمر ينتمى إلى سيد الرسل ﷺ ، و هذا تطبيق لمبدأ

المساواة الانسانية و الاخوة الاسلامية الذى نادى به الاسلام وطبقه تطبيقاً دقيقاً لا مثيل له فى تاريخ الانسانية و عمل بقول الرسول « يسعى بذمتهم أدناهم » .

سادانى و إخوانى . . .

إن من أكرم الأخلاق التى قررتها الشرائع السماوية و التعاليم الخلقيــة هو شكر النعمة وعرفان الجميل ، كما أن من أخس الأخلاق التى اتفقت عليها الشرائع السماوية و الفطر السليمة و العقول المستقيمة هو كفران النعمة و نكران الجميل ، و الله سبحانه و تعالى يقول « و لئن شكرتم لأزيدنكم و لان كفرتم إن عـذابى لشديد » و يقول فيما يتصل بنكران الجميل و الـكنود :

« ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً و أحلوا قومهم دار البوار » .

لقد انعقد مؤتمر السيرة النبوية الأول فى باكستان وكان ذلك رمزاً لعرفان الجميل و لشكر النعمة ، لأن البعثة المحمدية هى التى أخرجت الشعب المولود فى شبه القارة الهندية ، وأنا فرد من أفراده ، أخرجت هذه البعثة المحمدية هذا الشعب الذى قدر الله أن يولد و يوجد فى شبه القارة الهندية ، من الظلمات إلى النور ، من الخرافات و الأوهام و الأباطيل ، و من الوثنية الشنيعة ، و اسمحوا لى أن أصرح و أنا أشهد على شعبى ، فلى كل حق ، وأن احمد الله تعالى على ذلك . . أن البعثة المحمدية أنقذتنا نحن المسلمين فى شبه القارة الهندية من عبادة البقر ، ومن تقديس الروث ، ومن عبادة الأحجار والأشجار و الأنهار ، فكانت منة هذه البعثة المحمدية عظيمة و جسيمة على هذا الشعب ، فكان عليه ـ قياماً بواجب الشكر و تظاهراً بسلامة فطرته و الشعور بواجبه ـ أن يعقد هــذا المؤتمر فى بلد من بلاد القاره الهنــدية .

وعقد المؤتمر الثانى فى تركيا ، فكان رمزاً لهذا العرفان بالجميل والشكر للنعمة ،

فان البعثة المحمدية هى التى أنقذت الشعب التركى من عبادة الذئب الأبيض ، وأخرجت هذا الشعب الباسل ، هذا الشعب الموهوب ، هذا الشعب الكريم الأصيل ، من نطاق ضيق ، من بركة صغيرة كان يعيش فيها بعيداً عن العالم ، بعيداً عن مصير الانسانية ، بعيداً عن مجارى الأمور ، بعيداً عن السياسة ، عن الفلسفة ، عن التفكير السامى ، بعيداً عن التعاليم الانسانية ، إلى هذه الواحة الواسعة ، إلى هذه المنطقة المشرفة ، إلى المرصد الرفيع للقيادة و السيادة و الريادة ، يوم ساد هذا الشعب باذن الله تبارك و تعالى فى القرن العاشر الهجرى العالم الاسلامى كله تقريباً ، وكان له شرف خدمة الحرمين الشريفين كما روى عن السلطان العثمانى سليم الأول أنه لما ذكر إمام مسجد من مساجد دمشق و هو يخطب الجمعة فقال عن السلطان : ملك الحرمين الشريفين ، فرفع السجادة و حسر الأرض وسجد و قال : لا بل ، خادم الحرمين الشريفين .

فكان حقاً على الشعب التركى المسلم المؤمن الذى لم تستطع قوة أن تحول بينه و بين إيمانه برسالة محمد عليه الصلاة و السلام و بالتعاليم التى جاء بها ، كان له كل حق أن يعقد هذا المؤتمر فى البلد الاسلامى الحبيب العريق فى الاسلام .

و قد جاء هذا المؤتمر الثالث فى خير أوان و فى خير مكان ، جاء فى أوانه و فى مكانه ، أما الأوان فهو استهلال القرن الخامس عشر الهجرى ، وأما المكان فهو جزيرة العرب .

إن هذه الجزيرة يجب أن تعرف نعمة الاسلام و أن لا تكون كنوداً ، اسمحوا لى أن أقول بكل صراحة ألا تكون كنوداً أمام هذه النعمة الجسيمة التى أخرجت جزيرة العرب من عالم الخمول و من عالم التناحر و من الجاهلية الشنعاء الرذيلة الخسيسة : الموغلة فى السفالة و الجهالة ، أخرجت هذه البعثة المحمدية هذه

الجزيرة العربية من لا شئ إلى كل شئ ، أذكر قول هارون الرشيد الخليفة العباسى أمير المومنين ، يوم مرت به قطعة من سحابة فرفع رأسه إليها و نظر إليها و قال بعد أن عرف أنها لا تمطر فى بغداد فقال أمطرى حيث شئت فسيأتينى خراجك ، إن هارون لوعمر عمر نوح و لو عاش ألف سنة إلا خمسين عاماً لما كان له أن يملك بغداد ، فضلا عن هـــذه الامبراطورية الاسلامية العظيمة التى لا أرجاء لها بل أتحمس وأقول و أتوكل على الله لو عاش عبد الله بن عباس على ما أكرمه الله به من علم ولقد قال عنه الرسول عليه الصلاة والسلام : أللهم علمه الكتاب وفقهه فى الدين» بل أتقدم خطوة أخرى وأقول : لو عاش سيدنا العباس عم الرسول عليه الصلاة والسلام وماجاءت البعثة المحمدية لاسمح الله بذلك ـ لما كان له أن يملك مكة ، ما كان له أن يرفع رأسه فى مكة فضلا عن هذا العالم الفسيح ، العالم الاسلامى . فكل ما جاء فى الجزيرة هو من فضل البعثة المحمدية و أننى استحضر الآن بيتاً لشاعرنا شاعر الاسلام الذى أصبح ترجمانا للفتوة الاسلاميـــة و للشهامة الاسلامية الدكتور محمد إقبال اسمحوا لى أن أنشد أولا بلغته التى قال فيها هذا الشعر فان هناك عدداً من أخواننا الباكستانيين يقول : لقد هبت نفحة من نفحات محمد النبي الأمى عليه الصلاة والسلام ، و فاضت قطرة من ماء الحيـاة من فمه الذى لم يكن ينطق إلا بالوحى ، فنشأت جنات و حدائق وفاحت روائح عبير من صحراء العرب .

قدروا أيها الأخوان ، ارجعوا إلى المـاضى السحيق و ليس سحيقاً ، ارجعوا إلى الماضى القريب و ما يوم حليمة بسر ، وما قضية أربعة عشر قرناً بقضية كبيرة معقدة ، ارجعوا إلى الماضى القريب أين كانت الجزيرة العربية ؟ ، أين كانت الأمة العربية ؟ أين كانت هذه الامارات رغم دعائى و تقديرى لهـــا ، أين كانت المملكة العربية السعودية ؟ ـ حفظها الله وصانها من الفتن ـ أين كانت باكستان وأين كانت

إيران ؟ ، و أين كنا نلتقى نحن فى هذا الملتقى الكريم ملتقى السيرة النبوية ، ملتقى السنة النبوية ؟ لا و الله لومرت آلاف من السنين و لو حلم الحالمون و تغنى الشعراء ، و كتب الأدباء و تكهن الكهان لما قدر لهذه الأمة العربية ، ولما قدر لهذه الجزيرة العربية أن ترتفع لها راية و أن تسمع لها كلمة .

هذا كله جاءنا من فضل البعثة المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة و التسليم ، فلنكن عارفين للجميل ، و لنكن شاكرين لهذا الفضل ، ولنكن معترفين بهذه الحقيقة الناصعة الحقيقية الخالدة و الحقيقة التاريخية التى لا تجحد .

نحن كلنا نعيش فى ظلال البعثة المحمدية ، نحن كلنا نأكل من رفد المائدة التى بسطت للانسانية عامة ، التى بسطها سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ، و التى لولاها لما كان لأبى الحسن أن يتكلم وأن يجلس هذا المجلس الشريف إلى جوار ولى العهد المعظم ، و الله ما كان لى و ما كان لأكبر و لا أعلم منى أن يتحدث بهذه اللغة القرآنية ، هذه اللغة المعجزة ، هذا كله من فضل البعثة المحمدية فلا تنسوا هذه الحقيقة الناصعة .

هذه رسالة هذا المؤتمر ، و لنكن معترفين بكل ما جاءنا باذن الله تبارك و تعالى و بكل ما يجيئنا عن طريق محمد عليه الصلاة و السلام ، عن طريق البعثة المحمدية ، عن طريق القرآن الكريم و السنة المطهرة ، عن طريق الشريعة السمحة ، فلنقرر هذه الحقيقة ، نقررها تطبيقاً و تسليماً ، و تقريراً و تنفيذاً ، و نقول لكم أيها الاخوان : إن من رسالة هذا المؤتمر - إذا كان لهذا المؤتمر رسالة - رسالة هذا المؤتمر الشريف إزالة التناقض من هذا المجتمع الاسلامى العربى . إن داءنا ، اسمحوا لى أن أقول و أتكلم بلسان المؤتمر ، أن أتكلم بلسان الوفود الموقرة ، أن أتكلم بلسان الدعوة الاسلامية التى لا تهاب أحداً ، أقول لكم :

إن داءنا اليوم ليس الكفر و الحمد لله ، ليس الشرك و الحمد لله ، إن داءنا النفاق ، أزيلوا هذا التناقض الذى جثم على صدر هذا المجتمع و منعه من التحرك ، منعه من أن يحمل رسالة الاسلام إلى العالم ، منعه من أن يمثل الاسلام تمثيلا حقيقياً ، يجذب إليه العدد الكبير الذى يعيش الآن كى يتسكع فى الجهالات و الخرافات .

إخوانى : ـ

إننى استشهدت بكلمة قالها هارون الرشيد و والله إن الاسلام إذا لم يستطع ـ و أعاذه الله من ذلك ـ أن يملك شبراً من الأرض ، فان العقيدة الصحيحة التى جاء بها الاسلام ، العقيدة النقية التى ما عرف البشر أنقى منهـا و لا أسلم منها و لا أوضح منها ، عقيدة التوحيد و عقيدة الايمان بالله تبارك و تعالى ، وعقيدة الايمان بالآخرة ، الايمان بالمثل العليا و القيم الشريفة هى الثروة التى يعتز بها المسلم لو لم يملك الاسلام شبراً من الأرض فانه يمتلك هـذا الكنز المرصود ، عنده هذه الثروة التى لا تنتهى ، صلة العبد بربه .

إنه يعتز بهذه العقيدة ، فالعقيـدة هى أول مواهب الاسلام و الاسلام هو الذى نعتز به و ننتصر .

فلنبدأ هذا القرن بالاخلاص لله تبارك و تعالى و الصدق ، إنه لا ينجينا إلا الصدق . . . فلا ملجأ و لا منجأ من الله إلا إليـه . . . قلت هـذا لملوك العرب ، قلت هذا لرؤساء الجمهوريات ، كتبت و خطبت و قلت ، و سأكتب وأخطب وسأقول : إنه لا ينجى فى هذه الساعة الرهيبة التى تقشعر منها الجلود ، لاينقذنا من هـذه الورطة التى تورطنا فيها إلا الصدق مع الله تبارك و تعالى . . . لا المؤتمرات ، مع تقديرى لها ، و لا المحاضرات و لا النوادى ، و لا الصحف

ولا الدعايات ولا التهويلات و لا شئ . . إنما ينجى الصدق مع الله تبارك و تعالى فلنكن صادقين مع الله ، قبل أن نكون صادقين مع أحد ، و لنكن صادقين مع نفوسنا و ضمائرنا ، إن علينا رقيباً فى داخل أنفسنا ، و الله تبارك و تعالى ينزل النصر من فوق سبع سماوات ، وترون كيف ينزل النصر و كيف ينقشع هـذا السحاب المتراكم و كيف يتبدد هذا الظلام الدامس ، و كيف يطلع النور فى بداية القرن الخامس عشر الهجرى .

إنى إذا لم أكن صريحا فى كلمتى هنا كنت مسيئاً إلى نفسى قبل أن أكون مسيئاً إلى غيرى و أترك هذه الكلمة أمانة عندكم .

و أشكر صاحب الفضيلة الشيخ عبد الله إبراهيم الأنصارى الذى كان أول داع ومخطط لهذا المؤتمر ، و الذى يرجع إليه الفضل فى حضورى هنا ، و كذلك أرفع تهنئاتى و تشكراتى لصاحب السمو أمير قطر و سمو ولى العهد و أهنئهما على نجاح هذا المؤتمر وعلى حضور هذا العدد الكبير الوجيه ، لا كماً بل كيفاً كذلك ، و ما حضر هـذا العدد الكبير إلا لأنكم كنتم جادين فى عقد هـذا المؤتمر و مخلصين فيه .

و الله سبحانه و تعالى ينصركم و يؤيدكم بروح منه و يقيكم الفتن ما ظهر منها و ما بطن ، و الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على سيد المرسلين »

و اختتم الحفل الافتتاحى فضيلة الشيخ عبد الله الأنصارى مـدير الشئون الدينية بدولة قطر و رئيس اللجنة التحضيرية للمؤتمر مرحباً بأعضاء المؤتمر و منوهاً بأهمية إضافة السنة النبوية قرينة للسيرة فى موضوعات المؤتمر و أبحاثه .

و فى أعقاب ذلك عقد أعضاء المؤتمر جلسة عمل برئاسة معالى الشيخ محمد

على الحركان الأمين العام برابطة العالم الاسلامى و اختاروا الهيئة الادارية التالية :

١- فضيلة الشيخ عبد الله الأنصارى رئيساً للمؤتمر

٢- فضيلة الشيخ أبو الحسن الندوى نائباً أول للرئيس

٣- فضيلة الدكتور يوسف القرضاوى نائباً ثانياً للرئيس

٤- الدكتور عز الدين إبراهيم مقرراً عاماً

و قد انبثق عن المؤتمر أربع لجان حسب ما يلى .

١- لجنة السنة مصدراً للتشريع و منهاجاً للحياة .

٢- لجنة التربية و الشباب .

٣- لجنة الدعوة و الاعلام .

٤- لجنة التراث و المصادر .

و من خلال هذه اللجان الأربع عكف المؤتمر على دراسة الأبحاث العلمية المستفيضة التى تقدم بها السادة العلماء و رجال الفكر الاسلامى فى العالم و التى تم إعدادها خلال العام التحضيرى للمؤتمر ، و بلغ عدد الأبحاث ثلاثة و سبعين بحثاً فطت جوانب عديدة من موضوعات السيرة و السنة النبوية .

و درست اللجان المجتمعة هذه الأبحاث و ناقشتها بروية و جهد دؤوب و استخلصت منها توصيات و قرارات لها قيمتها الموضوعية وأهميتها الكبيرة خاصة فى الأوضاع الحاضرة التى يمر بها العالم الاسلامى اليوم ، و لكى يعم النفع المرجو من هذه الأبحاث وتقديراً لقيمتها العلمية ، فان المؤتمر يوصى بما يلى :

١- طبع الأبحاث مع خلاصة المناقشات التى دارت حولها ونشرها تباعاً على نطاق واسع ، و ترجمة مختارات منها إلى اللغات الأخرى .

٢ - أن تتجه المؤتمرات القادمة نحو التخصص ما أمكن بجعل كل مؤتمر مختصاً بجانب محدد من جوانب السنة و السيرة ، تتوافر جميع الدراسات على استيفائه مع الأصالة و العمق و الابداع - و ذلك حرصاً على تعميق هذه الدراسات و تحاشياً للتكرار فى تناولها .

تدارس المؤتمر من خلال لجانه و فى ضوء الأبحاث التى قدمت إليه شئون السنة و التشريع و التربية و الشباب و الدعوة و الاعلام و التراث و المصادر والشئون العامة للعالم الاسلامى وأصدر بشأنها توصيات مفصلة ضافية إذا وجدت إلى التنفيذ سبيلا ، تبدلت الأمة الاسلامية غيرها ، وتغيرت الأوضاع و أصبحت من الأهمية و القيمة بمكان كبير ، و استعادا الاسلامى مكانتــه فى خارطة العالم المعاصر و انحلت جميع المشكلات و الأزمات التى يواجهها العالم الحــديث اليوم ، و نرجو الله سبحانه و تعالى أن يحقق ذلك قريباً ، و ما ذلك عليه بعزيز .

« بقية الافتتاحية المنشورة على صفحة ٨ »

الأمة الاسلامية ، و تقوية التضامن فى مجال العلم و الفكر الاسلاميين .

٧- استقبال القرن الخامس عشر الهجرى بعمل إسلامى جماعى فكرى يؤكد وحدة الأمة الاسلامية و يعيد إليها الثقة برسالتها العالمية الخالدة .

٨- التعرف عن كثب على الشخصية الاسلامية لدولة قطر ، والتعاون مع أجهزتها ومؤسساتها المختلفة ، لنصرة الدعوة الاسلامية عامة ، وخدمة السنة والسيرة خاصة .

و بأمل باسم وتفاؤل مشرق نترقب ذلك اليوم الأغر الذى يؤتى فيه المؤتمر أكله الذى سيعتبر باكورة القرن الهجرى الجديد باذن الله ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ، ينصر من يشاء و هو العزيز الحكيم ؟

سعيد الأعظمى

سماحة الشيخ السيد أبى الحسن على الحسنى الندوى

يعود فى سلامة الله

عاد سماحة مولانا الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى رئيس ندوة العلماء ، من رحلته إلى السعودية ، و الخليج العربى ، و قد حضر فى جلسة لجنة المتابعة (المنبثقة من مؤتمر وزراء الأوقاف) التى عقدتها رابطة العالم الاسلامى بمكة المكرمة ، و ذلك فى غرة محرم لعام ١٤٠٠هـ نفس اليوم الذى حدث فيه حادث الاعتداء على الحرم المكى الشريف (حرسه الله و حماه من كل سوء) .

كما حضر فى المؤتمر العالمى للسيرة والسنة النبوية الذى عقدته دولة قطر ، واختير النائب الأول لرئيس المؤتمر فضيلة الشيخ عبد الله إبراهيم الأنصارى مدير الشئون الدينية فى قطر ، و ألقى فى المؤتمر كلمة مجاجلة قيمة ارتجلها نيابة عن الوفود التى حضرت فى المؤتمر من ٤٠ دولة ، وكان لها تأثير بالغ فى النفوس ، وهى منشورة فى نفس العدد فى التقرير الذى نشرناه عن المؤتمر .

البعث الإسلامي

شعارنا الوحيد

إلى الإسلام من جديد

تصدرها: ندوة العلماء، لكهنؤ (الهند)

البعث الإسلامي

شهرية إسلامية جامعة

رئاسة التحرير : سعيد الأعظمي
واضح رشيد الندوي

الاشتراكات السنوية

في الهند	٣٠ روبية، ثمن النسخة ٣ روبيات
في العالم العربي	١٠ دولارات أمريكية أو ما يعادلها بالبريد العادي ١٥ دولارًا بالبريد الجوي
في أفريقيا الجنوبية والشمالية وأمريكا وأوربا	٢٠ دولارًا بالبريد الجوي ٨ دولارات بالبريد العادي
في باكستان	٥٥ روبية بالبريد العادي مع أجرة البريد

الاشتراكات في باكستان ترسل إلى
مجلة البلاغ كراتشي رقم ١٤
(باكستان)

المراسلات

العنوان : البعث الإسلامي، ندوة العلماء
ص ب ٩٣ لكهنؤ، الهند

برقيًا : NADWA LUCKNOW

الهاتف : ٤٢٩٤٨ [illegible]

البعث الإسلامي

شخصية إسلامية مستقلة

نحن إلى تكوين شخصية إسلامية قوية بارزة تتجلى في مراكز الحكم كما تتجلى في معاهد العبادة، تتجلى في البرلمان، كما تتجلى في المسجد، وتتجلى في أوساط التربية وأجهزة الإعلام، كما تتجلى في كلام الواعظين، وجهاد المسلمين وجهود الدعاة والعاملين، وحينئذ يكون العالم الإسلامي كله كتلة واحدة ذات شخصية إسلامية مستقلة لا يصنع مؤسسة، ولا يقيم إدارة، ولا يقف موقفاً إلا وهو واثق بنفسه، حريص على شخصيته، محافظ على سماته وملامحه، متمسك بعاداته وتقاليده، مسلم في السلم والحرب، مسلم في الغنى والفقر، مسلم في الحكم والإدارة، مسلم في الإعلام والتربية، مسلم في الصناعة والعلم، مسلم في السياسة والفن.

علي الحسني (رحمه الله)

رئيسا التحرير

سعيد الأعظمي — محمد الرابع الحسني

● العدد السابع ● المجلد الرابع والعشرون

● ربيع الثاني ١٤٠٠هـ ● فبراير/مارس ١٩٨٠م

في .. هذا العدد

بسم الله الرحمن الرحيم

أخي القارىء !

كم كانت المفاجأة اليمة حينما حملت إليك موجات الأثير ليلة ٢٧/ ديسمبر ١٩٧٩م نبأ التدخل السوفياتي في أفغانستان ، و اقتحام القوات السوفيات في العاصمة الأفغانية و المدن الرئيسية ، و الهجوم المفاجىء على جبهات المجاهدين وتجمعات المسلمين الثائرين ضد الحكم الشيوعي ، وضربهم بالقنابل والدبابات ، و تدمير استراتيجيتهم و مراكز جهادهم .

كل ذلك لمجرد أن المسلم الأفغاني يريد أن يعيش في بلده حراً كريماً يريد أن يعود إلى ماضيه الذى عاشه آباؤه الأبطال ، و إلى تاريخه الذى صنعه رجاله الغر الميامين ، سلط عليه الحكم الأجنبي فرفضه ، و فرضت عليه الشيوعية فثار عليها و أبى أن يتجرع مرارتها .

و أى ذنب على شعب يرفض هذا الاستعمار البغيض الذى يتحكم فى رقاب الناس ، ويذيقهم ألواناً وألواناً من العنت والارهاب والظلم والارهاق.

و أى ذنب على شعب مؤمن أن ينكر المنكر ، ويبغض الجور ، ويكره أن يعبث الظالم بكرامته و يعيث المجرم فى أرضه .

و لكل شعب حق فى طرد عدوه من بلده ، و تطهير أرضه من كل تدخل عسكرى ، له كل الحق فى الدفاع عن كرامته و مقدساته .

و قد استنكر العالم هذا العدوان السافر ، بل هذه الوقاحة المجرمة التى هى شعار الشيوعية وفلسفتها ، فهل بعد أفغانستان من مبرر للثقة بمواعيد الشيوعيين ، فضلا عن ربط المصير بهم ، كما فعلت وتفعل بعض دول المسلمين .

سعيد الأعظمى

دعوها فانها منتنة ، و حاربوها فانها رذيلة

هل يجتمع الايمان و الشيوعية فى قلب واحد ؟

كلا ! . . كما لا يجتمع الايمان و الكفر فى قلب واحد .

ذلك لأن الايمان حب وسلام ونور و برهان ، و الشيوعية بغض وعداء ، و ظلمة و نفاق ، و وحشية و شقاق ، و عجباً من مسلم يحب الشيوعية كفلسفة ، و يعتنقها كحزب سياسى ، ثم ينضم إليه كعضو ، و أعجب منه من يقبل الشيوعية و يتهم دينه بالرجعية ، وشعبه بالترف ، و مجتمعه بالتنعم ، و يرى الشيوعية المنقذ الوحيد الانسان من أسر الذل والعبودية والظلم ، يراها سفينة نجاة للانسان من شقاء الرأسمالية و التفاوت الطبقى .

نجحت الشيوعية - وحجرها الأساسى هو الخداع و النفاق - فى إخفاء وجهها الكالح وراء ستار غليظ من دعايات كاذبة كمساواة اقتصادية و عدالة اجتماعية ، و وراء أسماء براقة ومصطلحات لماعة من حدب على مصالح الطبقة الكادحة ، ومحاربة ضد اكتناز الثروة فى أيدى الأثرياء و المترفين و التجار و الاقطاعيين ، و توزيع للثروة بين الشعب بالمساواة ، وترويج للبضاعة و الحاجيات بين الجماهير من الناس ، بهذه الهتافات والدعايات المزورة دخلت الشيوعية فى المجتمعات العامة ، و فى طبقات السذج من الناس ، وبفلسفتها الاقتصادية و نظرتها المادية العلمية و بميثاقها العلمانى وجدت سبيلا إلى الطبقة المثقفة من السياسيين و الاقتصاديين ، و الصناع والفنين.

إنها أسست فلسفتها قبل كل شئ على رفض الاله و القوة الخارقة التى تفوق الفطرة ، و تعتبرها شيئاً لا يعــدو الأوهام ، تلك التى سيطرت على المتدينين ، وتؤمن هذه الفلسفة بأن الدين إذا وجد فى العهد البدائى حينما كان الانسان يجتاز عقله مرحلة النضج و الاكتمال ، فلم يوجد إلا كشئ يعتمد عليه إنسان عهـد البداوة و الوحشية لمواجهة العدو من سباع الغابات والأوبئة مثلا ، فكان الدين هو الشئ الخيالى الذى اخترعـه المتوحشون بشكل إله خيالى لمجرد مواجهة العـدو باسم ذلك الاله ، متحدين فى صف واحد ، أما الآن فلم يعد الانسان بعدما تم له إخضـاع الطبيعة لأغراضه ، وانتصر فى مجال العلوم والتكنولوجيا فأصبح بذلك فى غنى تام عن الدين و عقائده .

و من هنالك بدأ مؤسسو الشيوعية و زعماؤها يرسلون صيحاتهم واحدة تلو الأخرى ضد الدين و الاله :

- الدين أفيون الشعوب .
- الدين أكبر عائق فى سبيل النهضة الحضارية و التقدم المادى .
- الدين يجب أن يكون هدفاً لكل انتقاد لاذع مرير .
- الخوف هو الذى أوجد الاله .
- تعاليم الدين صدى لنظام الاستعباد فى القرون المظلمة ، وتأكيد للتمييز الطبقى ،

ويقولون إن العقيدة الدينية هى فى الحقيقة اسم للادواء الروحية التى يعانى منها الكادحون من العمال والفقراء لتوفير الراحة والمتعة و إزجاء اللذة والرخاء لغيرهم ، و يعتقدون أن المظلوم حينما يواجه الاخفاق و الفشل فى كفاحه ضـد الظلم تتمثل أمامه العقيدة الدينية فتلقنه بالصبر والقناعة و تسليه بمواعيد النعيم واللذة فى الجنة ، و أما طبقة الأثرياء و الارستقراطيين التى تتنعم على حساب غيرها فتلقنها العقيـدة

الدينية بالصدقات ، و هكذا يجد الظالم و البغى مرتعاً خصباً إلى المجتمع بدون أن يحرم أهله من الجنة و النعيم ،

بهذا و أمثاله يهذى هؤلاء العبيد من حملة لواء الشيوعية و لايريدون بذلك إلا تجريد الانسان من كل القيم الخلقية والدينية وتعريته عن المثل العليا والمقاييس الانسانية كلها ، أنظروا كيف يصرح « لينن » برأيه نحو القيم الخلقية .

« إن النظام الخلق الذى أخذ من خارج المجتمع الانسانى لا يقام له وزن ما فى نظرنا ، إن النظام الخلق عندنا تابع لمنافع الصراع الطبق » .

و هذا ماركس يقترح على أنصاره و متبعى الشيوعية لكى ينشروا فكرتهم و يدسوا سمومهم فى العقول أن يأخذوا بالحيطة البالغة و الحكمة العميقة فى سبيل كسر شوكة الدين و إزالة هيبته و أهميته من القلوب حتى يتم تطهير العقول من رواسب الدين و علائقه .

ويشرح هذه النقطة أصحابه الذين تلوه بغاية من الايضاح والصراحة فيقول « لينن ».

« الماركسية تعبير آخر للمادية ، و هى من كبرى الحركات المعادية للدين ، إن أساس الماركسية إنما يقوم على محاربة الدين و لكنها ليست مادية صغيرة تكتفى بهذه المحاربة فحسب ، بل إنها تخطو إلى الأمام بخطى واسعة و تعلن : أن الانسانية ليست مسئولة عن محاربة الدين وحسب ، بل يجب عليها أن تعد نفسها لهذه الحرب و تنشئ فيها صلاحية كبيرة لشن الهجوم عليه ».

و يزيد فيقول : « لا يصلح لعضوية الحزب الشيوعى الاشتراكى إلا من أعلن بصدق و إخلاص أنه ملحد و معارض للدين » .

ويأتى « انجلس » فيقول : « الدين لا تحل محل العلاقات العائلية فى الحزب الاشتراكى ، إن حزبنا الاشتراكى يتمتع بالشعور الطبق و يسعى لحرية العمال ،

و لذلك فان حزبا كهذا لا يستطيع أن يتغافل عما أوجدته المعتقدات الدينية من جهل و حماقات كثيرة » .

وقد أقيمت تحت إشراف هؤلاء الزعماء الشيوعيين جمعية « لا إله » (God Less) عام ١٩٢٢م التى استهدفت الغاية التالية :

« الثورة على الملوك السماوية و إزالها من عروشها كما فعلنا مع الملوك الأرضية فى هذا العالم » .

و لكن هؤلاء الثوار على الدين بالرغم من تجاهر مقتهم و كراهيتهم وعدائهم السافر و حقدهم البالغ للدين قد يوصون عبيدهم و أتباعهم با بداء كراهيتهم للدين والأخذ بالحكمة فى نشر ظلالهم الموبوءة يقول « لينن » نفسه :

« إننا لا نحبذ مجاهرة الالحاد و إعلانه بطريق واضح جداً »

و كذلك كان « انجلس » لا يكره ضغط الحكومة جهراً و العنف السياسى ضد الدين ، و لكنه كان يرى من مصلحة الفكر الشيوعى اتخاذ الحيطة نحو انتقاد الدين و تفنيده .

هذه الحقائق القليلة التى سردناها تكفى للاطلاع على نوايا الشيوعية ومطامعها التى طالما تختفى وراء ستار الاصلاح الاقتصادى و الاجتماعى ، و إيجاد المساواة مع القضاء على التفاوت الطبقى ، بين أفراد المجتمع ، بين العمال والاقطاعيين ، وبين الفقراء و الرأسماليين .

و قد يبدو فى بادى الرأى أن الشيوعية تهدف إلى صالح الانسان و رفع مستواه فى كل مجال ، و لكن ذلك خداع ليس بعده خداع ، و أجدر بالمسلمين رغم الشعوب الأخرى أن يحذروا منها و يتفطنوا لمكرها ، و ما تريده من هدم الأخلاق و الفضائل و التسفل بهم إلى أسفل درك حيث يتعرى الانسان

من كل فضيلة و خلق ، و يتحول إلى سبع ضار و حيوان مخيف ، و إن كان يرتدى لباس الانسان ، ويتقنع بقناع البشر ، ولكن الواقع الذى لا مراء فيه أنه يكون أضرى من الوحوش و السباع .

وقد جرب كثير من الدول والشعوب ، الشيوعية فوجدتها أخفق فلسفة وأسخف نظرية حتى فى مجال المساواة الاقتصادية و العدالة الاجتماعية ، ويقال إنها لم تصدق فى أى دعوى من دعاويها و فى أى مصلحة من مصالحها التى تزعمها ، وأخفقت فيها أى إخفاق ، حتى فى مهدها الذى نشأت فيه و ترعرعت ، و فى مركزها الذى نمت فيه و شبت .

و أمامنا أمثلة كثيرة لما قامت به دولة الشيوعية الأم من ثورات دموية و إجراءات وحشية فى كثير من الدول ، فى عدن و بورما ، و كيوبا و كمبوديا و فى العراق و سوريا ، و فى مصر وليبيا ، أما تدخلها العسكرى فى أفغانستان ، بعد ثورات دموية وقتل و تشريد ، واعتقالات و اغتيالات ، فواقع شاهده العالم كله بعين رأسه ، و صدق الناس بالعيان ما كانوا يسمعونه بالآذان .

فهل بعد ذلك كله يبقى ما يبرر لنا موقف الشيوعية وما يدعونا إلى الانخداع باللافتات الجميلة ، و المصطلحات المزورة ، و الهتافات الخلابة . أم يتطلب منا أن نحاربها كرذيلة ، و نطاردها كعدو خسيس ، و نقاومها كسرطان خبيث .

« يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم و الله متم نوره و لو كره الكافرون » .

سعيد الأعظمي الندوي

التوجيه الإسلامي

إبراهيم عليه السلام إمام النوع البشرى

- ٢ -

بقلم : الكاتب الاسلامى و المفسر الشهير المرحوم عبد الماجد الدريابادى

وصية يعقوب لبنيه بالتوحيد

فى آخر أيام حيـــاته

[أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت] .

« العهد القديم » المعاصر ساكت عن ذكر هذه القضية الهامـــة ، إلا أن دائرة المعارف اليهودية قد ساقت لنا الكلمة التالية لبعض أحبار اليهود :

« أوصى إبراهيم بنيه قبل وفاته بهذه الأمور الثلاثة :

١- أن لا يعبدوا الأصنام ، ٢- أن لا يستخفوا بالله ٣- أن لا يمسن كافر جنازتى » (١) .

و هناك مجموعات روايات وحكايات يهودية ، تعترف بذلك بصراحة أكثر .

« قال يعقوب لبنيه : أخشى أن يكون منكم من يفكر فى عبـــادة الأصنام ، فقال : أبناؤه الاثنا عشر : الا يا إسرائيل أبانا ، إن إلهنا هو الاله الأزلى . ونحن نؤمن بإله واحد من إعماق قلوبنا كما تؤمن أنت بإله واحد من أعماق قلبك (٢)» .

المعيصة لا تتوارث :

(١) دائرة المعارف اليهودية ٥/ ١ .

(٢) قصص اليهود لـكنز برك .

[و لا تسألون عما كانوا يعملون] .

لقد أصبحت هذه الفكرة شيئاً عادياً لا يسترعى انتباهاً ، بفضل الاسلام ، غير أنها كانت شيئاً عظيماً يبعث الاستغراب ، حينما نادى بها القرآن ، حقاً إن فكرة « المسئولية الفردية » هى من مزايا الاسلام وحده ، أما اليهود - فضلا عن المشركين - و هم أهل التوحيد ، قد بلغوا غاية الاسفاف والسفاهة ، حتى اعتقدوا أنه لاحاجة إلى « العمل الشخصى » فان الانتماء - نسبياً - إلى أولياء الله الصالحين كاف للنجاة ، فكأن اليهود اختلقت - مقابل عقيدة « المعصية المتوارثة » لدى المسيحية التى تعنى أن الخطأ الذى صدر من البشر آدم لا يزال ينتقل إلى أجيالة - عقيدة « النجاة المتوارثة » و اعتقدوا « أن الله سبحانه و تعالى - بفضل اسمه الطاهر و بفضل ألطافه - دائماً ينقل حسنات الآباء إلى الأبناء » (١)

و فى « العهد القديم » المعاصر آية تقول :

« إنى أنا الرب إلهك إله غيور أجازى بإثم الآباء على الأبناء إلى ثلاثة و أربعة أحقاب للذين يبغضوننى » (٢) .

وجعلوا من الحبة قبة ، فاعتقدوا أن كل جيل ينال الجزاء من جانب الأسلاف و الأخلاف معاً ، و لاسيما أولاد إبراهيم ، فإنهم لا خوف عليهم .

« فبعض يثاب على أعمال الأسلاف . وبعض على أعمال الأخلاق » (٣) .

« قد تعلقت كل آمال اليهود على قداسة الأسلاف ، يعنى على أنهم أولاد إبراهيم » (٤) .

(١) راجع دائرة المعارف اليهودية ١٢/ ٤٤٧ .

(٢) الاستثناء ٥ : ٩

(٣) دائرة المعارف اليهودية ٦/ ٦٠ .

(٤) دائرة المعارف البريطانية ج ١٣ ، ط ١١ .

حقيقة البر و التقوى :

[و لكن البر من آمن بالله] .

لا شك أن جميع الآيات القرآنية واجبة الايمان و العمل بها ، و عظيمة جليلة فى مكانها ، إلا أن هذه الآية ، قال عنها الحديث النبوى « من عمل بهذه الآية فقد استكمل الايمان » و روى عن المحققين أنهم قالوا : إن الآية من أهم الآيات فى القرآن ، و هى تتضمن ١٦ حكماً من أحكام الشريعة (١) .

و قال بعض العلماء - نظراً إلى شمول أجزاء الآية و جامعيتها - إن الآية أصل الشريعة و الطريقة و مدارهما ، و إن الآية تدل على أن المؤمن ليس يكفيه الاعتقاد الباطنى ولا الاعتقاد الظاهرى على الانفراد ، بل لابد أن يجمع بين الايمان فى القلب و بين العمل بالأحكام فى الظاهر

وهذا كله ما قاله أبناء الاسلام . أما الأجانب ، فقد مضى منهم « بابا » اسمه « وهيرى » (Wherry) كان من ألد أعداء الاسلام و المسلمين ، أمضى حياته فى عداوة الاسلام ، زاد بقلمه تفسيراً على ترجمة القرآن الانجليزية بقلم « سيل » (Sale) فلما وصل فى تفسيره إلى هذه الآية الكريمة ، جعلته القدرة الالهية يكتب بيمينه :

إن هذه الآية من أجل وأرفع الآيات القرآنية . . . إنها تصرح أن الايمان بالله تعالى وصنع الخير مع النوع البشرى ، هما روح الدين و جوهره الأصيل ، و الآية جمعت فى وقت واحد بين لب العقائد و خلاصة الأعمال » .

مناط الحكم فى رؤية الهلال :

[فمن شهد منكم الشهر فليصمه] .

(١) راجع القرطبى .

رؤية أى بلد تعتبر ؟ قد دقق رجالات الفقه و العلم فى الاجابة على هذا السؤال ، و شققوا الشعرة ، و أطالوا الكلام حولها ، بيد أن خلاصة الاجابة ، و الكلمة الصريحة فيها ، أن العبرة فى مدينة أو قرية هى برؤيتها أو رؤية المدن و القرى التى تجاورها .

أما استيصال خبر رؤية الهلال بالتيلفون ، و اللاسلكى ، أو الراديو و ما إليه من بعد آلاف الأميال ، و العبرة برؤية كلكتا فى بومباى - وبينهما مسافة ١٩٠٠ ميل - مثلا ، يتنافى مع روح الشريعة الاسلامية تماماً فاختلاف المطالع شئ مشاهد لا يمكن استنكاره ، قال القرطبى :

« و اختلفوا إذا أخبر مخبر عن رؤية بلد ، فلا يخلو أنه يقرب أو يبعد فان قرب فالحكم واحد ، وإن بعد فلأهل كل بلد رؤيتهم ، روى هذا عن عكرمة و القاسم ، و سالم ، و روى عن ابن عباس ، و به قال إسحاق ، و إليه أشار البخارى حيث بوب « لأهل كل بلد رؤيتهم » .

و جاءت فى تفسير القرطبى هذا رواية محالة على صحيح مسلم ، خلاصتها : أنه بلغت مرة رؤية الشام إلى المدينة ، و قد اختلفت رؤيتا الشام و المدينة فى التاريخ ، فاستشهد عبد الله بن عباس رضى الله عنهما ، بحديث رسول الله ﷺ ، و أفتى : نحن لا نعتبر إلا رؤية المدينة ، يقول الامام القرطبى معلقاً على ذلك :

« قال علماؤنا : قول ابن عباس : « هكذا أمرنا رسول الله ﷺ » كلمة تصرح برفع ذلك إلى النبى ﷺ و بأمره ، فهو حجة على أن البلاد إذا تباعدت - كتباعد الشام و الحجاز - فالواجب على أهل كل بلد أن يعملوا على رؤيته دون رؤية غيره » .

وقد عقد الامام مسلم رحمه الله - و هو من فقهاء المحدثين - باباً فى صحيحه

سماه « باب بیان أن لكل بلد رؤيتهم وأنهم إذا رأوا الهلال ببلد يثبت حكمه لما بعد عنهم » و ساق تحت الباب ، ذلك الحديث الذی أشرنا إليه وأحكاه على القرطبی، و حكاه ابن المنذر عن عكرمة و القاسم و سالم و إسحاق ، و حكاه الترمذی ، « والصحيح عند أصحابنا أن الرؤية لا تعم الناس بل تختص لمن قرب على مسافه لا تقصر فيها الصلاة ، و قيل إن اتفق المطلع لزمهم ، و قيل إن اتفق الاقليم ، و إلا فلا (١) » .

أما القاضی ابن رشد المالكی رحمه الله فاستنتج من هذا الحديث أنه لا تعتبر فی بلد إلا رؤيته ، و لا تعتبر فيه رؤية بلد آخر ، تقاربا أو تباعدا يقول : « فظاهر هذا الأثر يقتضی أن لكل بلد رؤيته قرب أو بعد (٢) » .

و المذهب المشهور من المالكية أن رؤية بلد تكفی جميع البلاد ، لكن ابن عبد البر قد حكی الاجماع على خلافه ، و قال رؤية بلد فی بلد يتباعد عنه كتباعد خراسان من أسبانيا .

---

(١) « فتح الباری » (٢) بداية المجتهد

رسالة سيرة النبي الأمين
إلى إنسان القرن العشرين

« بحث قدمه سماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي في المؤتمر العالمي للسيرة و السنة النبوية الذي عقد في الدوحة في الفترة ما بين ٥ - ١٠ محرم ١٤٠٠هـ ، ننشره نظراً إلى قيمته العلمية و التاريخية و تعميماً لفائدته بين قراء المجلة » [التحرير]

كلما قرعت آذاننا كلمة « الجاهلية » تمثل أمامنا عفواً عهد القرن السادس المسيحي المظلم ، الذي بعث فيه النبي الأعظم سيدنا محمد ﷺ ، و ظهرت أولى معجزات تعاليمه و تربيته و توجيهه . . فما أن نسمع كلمة « الجاهلية » إلا وتتمثل أمام أعيننا الأمة العربية بخصائصها و مزاياها ، و ملامحها و قسماتها الجاهلية ، تلك التي صورها كتابنا في موضوع السيرة .

لكن « الجاهلية » لا تختص بذلك العهد ، فكل عهد عهد الجاهلية لدى الاسلام إذا حرم هداية الوحي الالهي ونور النبوة ، و تغاضى عن تعاليم الأنبياء و تنكر لها بعد أن تبين له الهدى ، أو لم يحظ به بتاتاً ، و لا فرق في ذلك بين جاهلية القرن السادس المسيحي العالمية ، أو القرون الوسطى في تاريخ أوربا ، التي تعرف في الأغلب بالقرون المظلمة (العصور المظلمة) أو عهد الحضارة و الرقي الزاهر الزاهي في القرن العشرين الذي نجتازه .

يصرح القرآن الكريم أن النور فرد ، ومشكاته واحدة « الله نور السماوات و الأرض » و الظلمات لا حد لها ولا نهاية ، ولو لم يتجل النور الالهي (الذي

يأتي عن طريق الأنبياء و الرسل وحدهم) لخيم على العالم من الظلمات المتراكمة ما لا يحصى و لا يقاس ، ولأظلمت كل مرحلة من مراحل الحياة ، وعمت الظلمة و طمت ، و تراكمت و تكاثفت .

« كظلمات فى بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ، ظلمات بعضها فوق بعض ، إذا أخرج يده لم يكد يراها ، و من لم يجعل الله له نوراً فما له من نور (١) »

وكلما يذكر القرآن الكريم النور والظلمة متقارنين ، يذكر النور فرداً والظلمة جمعاً ، مما يدل على أن الظلمة أنواع وأشكال ، وأما النور فهو واحد ، ولولم يسطع هذا النور الالهى لما استطاع نور صناعى أن يشق هذه الظلمات الحالكة المطبقة ، ولكان العالم البشرى كمقبرة مظلمة مترامية الأطراف ، ليس فيها منفذ نور ، ولم يكن ليستضىء مهما أوقد الموقدون « شموعاً صناعية » ذات أضواء قوية قاهرة ، ساطعة باهرة » .

« أو من كان ميتاً فأحييناه ، و جعلنا له نوراً يمشى به فى الناس ، كمن مثله فى الظلمات ، ليس بخارج منها (٢) »

يبدو كأن أرض الغرب – التى لا تطلع منها الشمس و إنما تغرب فيها – قلما حظيت بنور النبوة ، وحاول أهلها أن يستعيضوا عنه النور البشرى الصناعى .. إن عهد اليونان و الروم الذهبى لهو العهد الزاهر الرائع جداً فى التاريخ البشرى ، بالنسبة إلى ازدهار العلوم و الفنون البشرية ، لكنه أحلك العهود – كأحلك العهود الجاهلية – بالنسبة إلى تعاليم الأنبياء ، و قد خبطوا خبط عشواء فيما يتعلق بذات

(١) النور : ٤٠ .
(٢) الأنعام : ١٢٣ .

الله و صفاته ، و كان عمادهم فى ذلك الظن و التخمين ، والخرص و الترجيم دون استناد إلى توجيه سديد ، و اشراقة مستقيمة « ما لهم به من علم ، إن هم إلا يخرصون » و لا تقل فلسفتهم و إلهياتهم التى دونها حكماؤهم و فلاسفتهم طرافة و خرافة من أساطير الشرق و ألاعيبها و أعاجيبها ، و قد تلمع فى أقوال سقراط و أفلاطون ـ دون أرسطو ـ و تعليمات فلاسفة الأخلاق أثارة من تعاليم الأنبياء لمعان اليراعة فى الليلة المطيرة الشاتية ، مما يدل على أن تعاليم الأنبياء قد طرقت آذانهم فى حين من الأحيان ، لكن هذا النور لم يكن من السطوع و الثبات بحيث يمكنهم أن يعولوا عليه فى دياجير الحياة « كلما أضاء لهم مشوا فيه ، و إذا أظلم عليهم قاموا » .

و مما يبعث العجب أن مصباح الهداية الذى أوقده سيدنا المسيح عليه السلام ظل يسطع و ينير فى الشرق طوال مدة قرنين ، رغم العواصف الهوجاء ، لكنه خبا فى الغرب فى حضانة المعنيين به و الحارسين عليه فقد فقدت تعاليم المسيح عليه السلام أصالتها فى الغرب ، حيث حظيت المسيحية لأول مرة بالحكم والسيادة ، و انصب تيار الوثنية و الشرك فى نهر المسيحية ، و ربما لم تشق ديانة فى العالم البشرى بمتبعيها الجدد ، كما شقيت المسيحية بامبراطور قسطنطين ، و « بولس القديس » (القديس بولس) وبعد ما انطفأ هذا المصباح الالهامى الالهى ، بقى رجال الكنيسة يخدعون العالم المسيحى الغر المفتون بحسن الظن ، بمصابيح صناعية من عند أنفسهم ، و حاولوا أن يؤكدوا للناس أنهم لا يزالون يحتفظون بالنور الكريم الوهاج الذى جاء به المسيح عليه السلام من عند ربه ، و الواقع أنه كان قد توارى فى الظلمات المتراكمة المترامية منذ قرون ، و ابتلعته الوثنية الرومية المتطرفة :

« مثلهم كمثل الذى استوقد ناراً ، فلما أضاءت ما حوله ، ذهب الله بنورهم ،

و تركهم فى ظلمات لا يبصرون (١)".

و على الرغم من ذلك كله يجب الاعتراف بأن الغرب ظل يسعد بالاعتقاد بالاله ، والايمان بالآخرة ، بفضل المسيحية ، و ذلك لأن الدين السماوى مهما تغير و تبدل ، فانه يجعل الايمان بالله و بالآخرة يجرى فى المؤمنين به مجرى الدم ، و يتغلغل فى أحشائهم ، بحيث لا يمكن نزعه من القلوب نزعاً تاماً . . هبت فى القرن الخامس عشر و القرن السادس عشر المسيحى فى أوربا ريح العقلانية بل المادية العاتية ، التى وضعت الغرب على طريق المادية الجامحة فى صورة جوفاء ، وعلى طريقة عمياء ، و درج عليه الغرب و قطع أشواطاً بعيدة ، فعاد أسلوبه للحياة و التفكير لا يقبل الاله و الآخرة ، إن الغرب كله لم يعلن كفره بالاله أو رفضه لعقيدة الآخرة نهاراً و جهاراً ، لكن أسلوب حياته الذى يعيشه لا ينم عن الايمان بالاله و الآخرة ، و يصح اليوم أن نقول : إن أوربا لا تدين بالمسيحية و إنما تدين بالمادية ، و قد ظلت الوثنية ديانة أوربا قروناً ، و تدعى الآن منذ مدة طويلة أنها تدين بالمسيحية ، لكنها لم تخلص لها ، و لم تحرص عليها ، و لم تبذل لها حبها و ودها ، كما صنعت هذه « الديانة » (المادية) وكنائس هذه « الديانة » الجديدة و معابدها ، المصانع ومراكز الصناعة و التجارة ، و المنتزهات — غنية ليل نهار ، آهلة فى كل حين و آن — و رجال هذه الديانة هم أصحاب رؤوس الأموال و الصناع ، و المليونيرون - ينظر إليهم نظرة الاجلال و الاكبار ، بل يقدسون و يعبدون ، و بالعكس من ذلك أصبحت المسيحية فى الغرب ظلا شاحباً .

و قد ظهر - ولا يزال - فى الغرب جميع ما هو نتيجة منطقية لهذا التناسى للذات ولهذا الأسلوب من الحياة ، وأولى هذه النتائج الوخيمة أن الانسان الغربى

---

(١) البقرة : ١ .

تنكر للاله الأحد الصمد ، و عاد يتضرع إلى مئات الآلهة ، قد رفع جبهته من عتبة واحدة ـ كان فيها له غنى عن كل العتبات ـ و بدأ يطرح على كل عتبة ، وتلك هی عاقبة محتومة لكل من تنكر للاله الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، وهؤلاء الأرباب من دون الله » قد تسلطوا على الغرب فی عدد لا يحصيه إلا الله ، وغلبوا على الغرب أمره ، فلا يجد من دونهم موئلا ، و هذه الأصنام أشكال وألوان ، تتمثل حيناً فی الزعيم السياسی ، و حيناً آخر فی إله الاقتصاد ، و فی مكان هی التزامات و قيود ، و مستوى الحياة التی افترضها الانسان ، و تبناها ، وفی مكان آخر واجبات و ضروريات ، التزمها الانسان بنفسه ، و هذه الأصنام بمجموعها قد ضيقت الخناق على عبادها ، و أرغمتهم على عبادة ، تجعل عبادة الله مقابلها أيسر و أحلى منها آلاف المرات ، و تعاملهم معاملة شاقة قاسية ، دونها معاملة الانسان مع الجبابرة و الآلات الصماء ، و تضطرهم إلى تضحيات هائلة ما قام بها أحد من قبل لصنم أو إله ، وهناك صراع مرير بين أغراض هؤلاء الارباب من دون الله ، و مطامعهم و أهوائهم ، جعل العالم يقوم و يقعد ، و من بين هؤلاء الأصنام الكثيرة المتنوعة صنم «الوطنية» الذی يتطلب لنفسه قرابين النفوس البشرية و الدماء الانسانية ، و من بينها صنم « المعدة » الذی عكف على عبادته إنسان القرن العشرين ، و لا يبرحها ، ولا يتحول عنها ، لكنه لا يكاد يرضى عنه بأی كمية من التضحية و العبادة ، و قد أجاد المستر « آليورلاج » حيث قال قبل مدة فی محاضرته :

« أصبحت بساطة الحياة حلماً من الأحلام ، و لا يهم أحداً غرض كريم ، و فكرة سامية ، و أصبح كل من الناس يدور حول مصنعه أو مكتبه ليل نهار كثور الطاحون ، و يخدمه خدمة العبيد ، و أدى اختراع المراكب السريعة إلى أن

أصبح إنسان القرن العشرين دواءً لا هدوء لها و لا قرار.

وأدى تقصير الانسان فى جنب الله إلى أنه وقع فريسة التناسى للذات ، وقد صرح القرآن أن ذلك عاقبة محتومة لمن نسى الله ، و طوى عنه كشحاً :

« و لا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم (١) »

حقاً أن إنسان القرن العشرين هو نموذج كامل للتناسى للذات قد نسى حقيقته ، و خصائصه الانسانية ، وغرضه من هذه الحياة ، و مقصده من وجوده ، وعاد يعيش عيشة البهائم و الجمادات ، وصار ماكينة تصوغ الدولارات التى لا تستطيع هى أن تنتفع بها فى قليل أو كثير ، وبلغ إلى أن الراحة البدنية ، و الطمأنينة القلبية التى قد تكون بعض قيمة هذه الجهود و الجهاد ، أصبح لا ينالها فى حياته ، ولا يفكر فيها ولا ينتبه إليها ، وقد صدق البروفيسور « جود » حينما قال :

« يقول د . زرائيلى أن المجتمع فى عصره يعتقد أن الحضارة هى الراحة أما نحن فنعتقد أن الحضارة عبارة عن السرعة ، فالسرعة هى إله الشباب العصرى ، و أنه يضحى على نصبه بالهدوء و الراحة و السلام و العطف على الآخرين من غير رحمة » .

وقد تغيرت وظيفة هذا الانسان بفعل التناسى للذات ، و بحكم إهماله لحقيقته و حقيقة نفسه ، فتقدم أشواطاً بعيدة فى مجال الرقى فى غير دائرته الطبيعية ، و لم يخط خطوة فى دائرته الانسانية ، و لا تزال خصائصه و أخلاقه و صفاته الانسانية فى انحطاط ، و إذا رحت تحلل الرقى الذى أحرزه الانسان العصرى ، فسوف لا تجد إلا أنه عبارة عن بعض فضائل السباع الضواوى ، و الطيور ،

(١) الحشر : ١٩

و الأسماك ، و قد اعترف الكتاب الأوربيون بهذه الحقائق ، و قد جاء الكثير من شهاداتهم و اعترافاتهم فی كتابنا « ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين » .

و كيف يرجى من الغرب أن يتضرع إلى الله ، و يلجأ إلى كنفه ، ويطرح على عتبته ، و قد بلغ إلى هذا الحد من التناسی للذات ، إنه مصداق صحيح لما قاله الفيلسوف و الشاعر الاسلامی الدكتور محمد إقبال فی بيته الفارسی : « إذا نسيت ذاتك و تنكرت لنفسك ، فلماذا تبحث عن محب لك ، عارف بك ، إذا لم تتعرف على الانسان وحقيقته ، فأنى لك أن تتوصل إلى الله خالق الانسان وفاطر الكون »

أما نسيان الغرب الآخرة ، فأولى نتائجه الطبيعية أنه فتن بالمادية ، و أمعن إلى الحياة الدنيا ، و أخلد إليها ، و نشأ فی قلبه الحرص المجنون الجامح على التمتع بلذائذ الحياة ، و أصبح كل ذلك غاية عليا ، ومقصداً اسمى ، وهدفاً أسنى فی حياته فتسامع اليوم من كل جوانب الغرب نداء قوياً عالياً إلى الحصول على الخبز ولقمة العيش ، و الاهتمام بالمعدة ، و التلذذ بالحياة الدنيا و الولوع بمظاهرها الجوفاء و التمسك بأسبابها ، و الحصول على وسائلها ، و لا يصرف فرصة حياته إلا فی التنافس فی إحراز قصب السبق فی هذا المجال ، و قد جعلت هذه المسابقة و التنافس الحياة فی الغرب مضمار الرهان الذی لا نهاية له ، فهم فی سكرة من الحياة الدنيا ، لديهم منها عليل لا يشفى ، و غليل لا يروى ، و كل يتطلع إلى الجديد المزيد ، ويردد « هل من مزيد » وتتجدد كل يوم ضروريات الحياة وتتنوع وتتكاثر وسائل إشباع متطلبات الحياة وتتكثف ، وقد ولد كل ذلك مشكلات مستعصية ، و قضايا معقدة ، و قد أمدها و زاد فی حدتها و شدتها ، التنافس التجاری ، و لا يزال مستوى الحياة يترفع مع الأيام ، و كل يرى الغاية بعيدة ، و المسافة شاسعة ، فأصبحت الحياة قلقة متبلبلة فقدت هدوءها وطمأنينتها من أجل انصراف

الهمة كلياً إلى اتخاذ الوسائل للحصول على هذه الأمور ، وأضحى الانسان الأوربي في عذاب من الحرص والطمع والجشع لا ينتهى ، و رهيناً للجهد و السعى للحياة الدنيا الذى لا يكاد يقف عند حد ، وأصبح الصبر و القناعة ـ اللذان هما أكسير يضفى على القلب طمأنينة و سكينة ـ كالعنقاء التى يسمع عنها الانسان و لا يراها .

و هذا الحرص على التمتع بالحياة الدنيا ـ الذى نراه نحن المسلمين جنوناً و هوساً ـ هو كل السعادة و النجاح ، و تمام الحظ لدى المنكرين للآخرة ، وذلك أمر طبيعى ، لأن الذى أنكر الآخرة ، و أخلد إلى هواه ، و اطمأن إلى الحياة الدنيا ، مالذى يمنعه من التمتع بها والفوز بأكبر حظ من اللذة ، وإشباع كل نهمة و تلبية كل حاجة ، و لماذا يقصر فيما يمكنه من التنعم و التمتع و المرح و الطرب و من أن يشهد اللذات و يبادرها بما ملكته يداه :

« والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام ، والنار مثوى لهم» (١)

« ذرهم يأكلوا و يتمتعوا و يلهم الأمل ، فسوف يعلمون » (٢) .

و النتيجة الثانية المشئومة التى تترتب على إنكار الآخرة ، هى أن هذه الحياة الدنيا و مطامعها ، و أمتعتها و زخارفها ، و الوسائل التى تسعف الانسان فيه ، تتزين فى القلوب ، و تتجمل فى الأعين ، و تتحسن لدى العقول :

« إن الذين لا يؤمنون بالآخرة ، زينا لهم أعمالهم فهم يعمهون (٣) »

« قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا ، الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا و هم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً ، أولئك الذين كفروا بآيات ربهم و لقائه فحبطت أعمالهم ، فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً (٤) »

(١) محمد : ١٢ (٢) الحجر : ٣

(٣) النمل : ٤ (٤) الكهف : ١٠٣ - ١٠٤

و من نتيجة ذلك ، أن الحياة أصبحت تتميز باللهو و اللعب ، و بدأت تفقد عناصر الجد و الحقيقة ، وعادت تشغلها وسائل اللهو والطرب والتسلية والسرور ، و لا يغير فى وضعهم هذا تغييراً ما ، أخطر الساعات العصيبة ، و لا يحد من غلوائهم أدهى الأوقات و أمرها :

« وذر الذين اتخذوا دينهم لعباً و لهواً ، و غرتهم الحياة الدنيا (٣) »

و من نتيجته ، أنهم لا يعللون الحوادث و الوقائع إلا بالعلل المادية الظاهرة المحسوسة المشهودة ، و لا يتوصلون إلى الأسباب الحقيقية ، و لا يدركون حقيقة الأمر ، و لا يمسون صميم الواقع ، فلا يقع خلل فى إمعانهم فى وسائل التنعم و التسلية و اللهو ، فى أدق الساعات و أحرجها ، و يعللون الحوادث بما يشاؤن ، و يسترسلون إلى العلل الجوفاء التى يفترضونها ، و لا يقع تغير ما فى موقفهم و أسلوب حياتهم :

« ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون ، فلو لا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ، و لكن قست قلوبهم ، و زين لهم الشيطان ما كانوا يعملون (٤) »

و من خصائص إنكار الآخرة و جوانبها ، العلو والاستكبار ، فمنكر الآخرة لا يمنعه شئ من الأنانية و التكبر و الخيلاء ، لأن الذى لا يؤمن بقوة فوق قوته و بحياة بعد هذه الحياة ، و بيوم يحاسب فيه العبد على كل صغيرة و كبيرة أتاها فى الحياة الدنيا ، لا يحول بينه و بين أن يكون فرساً جامحاً حبله على غاربه ، و إنساناً سادراً فى غلوائه ، يصنع ما يشاء ، و يسير على الأهواء ، و يركب العمياء ، و من ثم قد شفع القرآن الكريم فى أكثر مواضعه ذكر إنكار الآخرة

(١) الأنعام : ٧٠ (٢) الأنعام : : ٤٢ - ٤٣

بذكر التكبر ، فكأنها يلزم أحدهما الآخر :

« فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة و هم مستكبرون (١) »

و جاء فى معرض الحديث عن فرعون و جنوده :

« و استكبر هو و جنوده فى الأرض بغير الحق ، و ظنوا أنهم إلينا لا يرجعون (٢) »

و مثل هذه الأمة ، المنكرة للآخرة ، المؤمنة بالمادية ، يكون بطشها شديداً و ضربها موجعاً أليماً ، و فتحها إذلالا للعباد ، و تدميراً و إفساداً للبلاد :

« و إذا بطشتم بطشتم جبارين (٣) » إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها و جعلوا أعزة أهلها أذلة ، و كذلك يفعلون (٤) »

و كذلك بقى الغرب محروماً من الايمان بالرسالة والنبوة ، و قد آمن بالمسيح عليه السلام ابناً لله ، و لكنه لم يؤمن به - فى الواقع العملى - رسولا مطاعاً ، و هادياً فى الحياة ، وقائداً لسفينة النجاة ، كان الأمر الأول شيئاً اعتقادياً نظرياً ، لا يؤثر على الحياة ، و لا يغير فى الأعمال و الأخلاق ، و السلوك و العادات ، أما الأمر الثانى - و هو الايمان به كهاد فى الحياة ، و داع إلى الفلاح والنجاة ، و الاستضاءة بسيرته و حياته فى ظلمات الحيـــاة ، و اعتباره نموذجاً كاملا للسلوك الأمثل - فكان شيئاً يغير مجرى الحيـاة ، لكن الغرب لم يصنع ذلك ، و لم يكن له ذلك سهلا ميسوراً ، فلم يكن يعرف إلا أحوال خمسين (٥٠) يوماً من حيـاة المسيح عليه السلام ، و هى نبذات متبعثرة لا تعطى صورة واضحة للنبى المبعوث من الله ، فلا تمكن الانسان من الاقتداء ، ولاتيسر له الائتساء ، يقول القس الفاضل

(١) النحل : ٢٢ (٢) القصص : ٣٩

(٣) الشعراء : ١٣٠ (٤) النمل : ٣٤

الدكتور شارلس اندرسن اسكات فی مقال له فی دائرة المعارف البريطانية ، الطبعة الرابعة عشرة ج ١٣ ، ص ١٧١٠ :

« ينبغی أن يتنازل الانسان عن محـــاولة وضع كتاب فی سيرة المسيح بكل صراحة فانه لاوجود للمادة والمعلومات التی تساعد علی تحقيق هذا الغرض ، والأيام التی توجد عنها بعض المعلومات لا يزيد عددها علی خمسين يوماً »

و علی ذلك فلو أراد الغرب أن يهتدی هدی المسيح عليه السلام ، و أن يجعل أقواله و أفعاله و تعاليمه و ارشاداته ، منارة نور فی طريق الحياة ، لواجهته صعوبات علميـة ، و لم يكن عند قادة المسيحية رصيد موثوق به من التراث الدينی يستندون إليه فی قيادة أمة بأسرهـا ، و توجيهها ، و لا كانوا يحملون من الألمعية و الفراسة الدينية ، و الحـكمة الربانية ما يستطيعون به أن يحصروا الأمم الأوربية الفتية المتوثبة فی نطاق الدين مع التقـــدم الدنيوی ، و الرقی المادی . فكانت نتيجة ذلك أن الأمم المسيحية تحررت - فی حياتها العملية - من قيادة المسيح عليه السلام و مراقبة الـكنيسة ، و حطمت كل الحدود و القيود التی كانت تمنعها من الانطلاق بحرية ، وبدأت تعيش الحياة كأنها ليست من أمة نبي . و ذلك لأنه لم تؤثر تعاليم المسيح الساذجة فی عقولهـا و قلوبها تأثيراً قوياً عميقاً . و لم تتفاعل هی الأخری معها تفاعلا مطلوباً ، و لم تحظ بالتربية الخلقية ، و التزكية العقلية و النفسية ، التی يتلقاها أتباع الأنبياء والرسل ، فنشأ من ذلك أنها وفرت الوسائل أشكالا وألواناً و لـكنها بقيت مجردة عن عاطفة الصلاح . و نزعة الخير و الرشد ، لأنها لا تتأتی إلا عن طريق تعاليم الأنبياء وتربيتهم وإصلاحهم ، ولا تولدها العلوم والاختراعات و الاكتشافات ، فعادت هذه الوسائل و الآلات البريئة - التی كان لها أن تكون طريقاً إلی سعادة البشرية بنية الخير و حسن استخدامها - وبالا علی النوع البشری و طريقاً إلی العلو و الاستكبار . و العبث و الافساد ، و التـدمير و الهـــدم ، لأن الذين يستخدمونها لاعهد لهم بالتوجيه الربانی القرآن الحكيم :

« تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً فى الأرض ولا فساداً و العاقبة للمتقين » (القصص : ٨٣) .

و هـــذا الاستغناء عن الله ، و الاعراض عن تعاليم الأنبياء ، و رفض الآخرة ، كل ذلك أدى إلى أن الغرب بينما هو منور مستضيء حتى أصبح ليله نهاراً إذا هو مظلم حالك حتى إن نهاره ليل ، و يقع فى عهد الرق و النور كل ما كا من خصائص عهـد الوحشية و البربرية ، و كان كما قال الشاعر الاسلامى الكبير المرحوم أكبر حسين الاله آبادى فى بيته الأردى :

سيجل القلم (قلم المؤرخ) بكل أسف ودهشة أن « الظلمات » كانت سائد فى « ضوء الكهرباء » .

وهذا الوضع المزرى هو الذى اضطر وزير بريطانيا الأسبق المستر لويد جور أن يقول لدى وضع الحرب العالمية أوزارها :

« لو بعث المسيح عليه السلام فى هذه الدنيا مرة ثانية ، لما استطاع أن يعيش مدة طويلة ، لأنه سيلاحظ أن الانسان لا يزال - بعد ألف عام - على حاله من الفتنة و الفساد ، و القتل و النهب ، و إراقة الدماء و الاغارة . أما اليوم فإن جسم الانسانية لا يزال يتقطر دما بعضة أكبر حروب التاريخ ، وخربت الأرض حتى عمت المجاعة ، و ما عسى أن يراه سيـــدنا المسيح ؟ هل يرى أن الانسان يصافح بعضـــه بعضاً بدافع من الاخوة و المساواة ، أو يرى - عكس ذلك - عكوفاً على إعداد و استعداد لحرب أكثر ضراوة و قساوة و دماراً من هـــذه الحرب العالمية ، وإقبالا على اختراع آلات أكثر تدميراً وهدماً وإبادة ، و التفكير فى أحدث أساليب التعذيب (١) » .

---

(١) نقلا من جريدة « سچ » الأردية لصاحبها المرحوم الأستاذ الكبير عبد الماجد الدريابادى .

البعث الاسلامى وتحررنا من نير العبودية

الكاتبة الأمريكية المسلمة مريم جميلة

(الحلقة الثانية) تعريب : واضح رشيد الندوى

يختار الغرب من بين السياح و الطلبـة الذين يزورون بلاده أكثرهم شغفا و افتتاناً بالمجتمع الغربى ، و أكثرهم كراهية لمجتمعه الأصيل ، فيصطاد أمثال هؤلاء الطلبة و السياح الذين يجذبهم المجتمع الغربى ، و تسحرهم تلك الحضارة ، فيندمجون إليها سريعاً ، و يختارون ثقافة العدو ويطبقونها على حياتهم الشخصية فيتكلمون بلغة العدو ، و يرتدون بزى العدو ، و يقلدونه فى الكلام و المعيشة و يحذون حذوه فى سائر أعمالهم ، و يهتم العدو بتربيتهم و تعليمهم و تثقيفهم ، فيهيئ لهـم كتبا و جرائد ، و مناهج الدراسة ، فى الكليات ، و الجامعات ، ما يزيدهم كراهية واشمئزازاً من ثقافتهم الأصيلة ، وتكون سائر هذه المواد للدراسة التى تهيأ لهم محرفة وموجهة إلى إحداث تطور فى الطلبة ، فكرة وتصوراً معاكساً لمجتمعهم السابق ووطنهم لكى ينظروا إليها برؤية العدو ، و يقبلوا مقياسه للخير و الشر ، و الصالح و غير الصالح ، ثم الكتب التى توفر للطلبـة و مناهج الدراسة تخلق مركب النقص فى أذهانهم ، و الشعور بالتفوق فيما يتصل بالغرب ، و خلال هذه الفترة التى تستحق أن تعتبر فترة غسل الذهن ، و شحنه بأفكار جديدة وتصور جديد للحياة ، لا يترك الطلبة على راحتهم ليتعلموا النظريات و القيم الغربية ، كدروس ، و إنما تفرض هذه القيم عليهم فتصبح جزءاً من أفكارهم و معتقداتهم ، و يسمح للطلبة - بصورة موقتة - بأن يحتفظوا فى ناحية من أذهانهم بمعتقداتهم القديمة المتصلة بالله ، والبعث

بعد الموت ، وفى الوقت نفسه يجرى تلقينهم بأن يعتبروا أنفسهم متخلفين غير متطورين غير مثقفين و غير علميين ومتوهمين رجعيين وهى تعبيرات الاهانة و الاستخفاف فى ذلك المجتمع ، فينبعث منهم شعور خفى بأن يجهدوا ليكونوا متنورين ، وتقدميين ولايمكن ذلك بأى حال من الأحوال إلا إذا سلكوا الخط الذى يخطه لهم الغزاة التقدميون المتنورون .

ينفق الدول الغازية كميات هائلة من الأحوال لتحويل هـــذه الرحلات ، و تغيير أذهان الشباب ، و يجرى ذلك فى ستار المساعدة التكنية ، و التدريب ، و بذلك ينقل الطلبة الطامحون إلى كليات و جامعات ، و معاهد التدريب الأخرى الواقعة فى بلاد الغزاة ، و تلقى عليهم محاضرات يعدها الأساتذة الأجانب بدقـــة ورعاية كاملة لأذهانهم ثم تنظم لهم برامج لزيارة مشروعات ضخمة للاعمال الانشائية و الصناعية من مصانع الاسمنت ، و الطوب ، و السدود و القناطر الرائعة .

و يبذل العدو خلال هذه الفترة كل ما فى وسعه من حيلة و دهاء لمنع الطلبة من أن يسألوا عن قيمة الانسان ، و معنى الحياة و غرضها و غايتها و ما هو الموت ؟ ما هو سبب تقديس حياة الانسان وترجيحها على الكائنات الأخرى ، و عن الدخل القومى ، و أرصدة البنوك ؟ فلا يجيب العدو على مثل هذه الأسئلة التى قد يسألها الطلبة خلال فترة التربية الذهنيـــة ، مثلا ، ما هو موقف الانسان من أسرته ، و نظام الحكم ، و هدف الحياة وغايتها ، ويأمل المدربون بل يفضلون أن ينسى الطلبة خلال فترة التربية الذهنية ، مثل هذه الأسئلة ، و هكـــذا تنقطع سائر الصلات القائمـــة بين الطلبة ، و بين القيم و المثل و الأفكار التى توارثوها من ماضيهم الثقافى ، والاجتماعى ، فلا يتذكرون إلا تاريخ بلاد العدو ، ويعتبروا أبطال العدو ، أبطالهم ، و فى الواقع يصبحون عملاء عاقلين للعـــدو ، فيصبح

و تصرفهم ، و تعاملهم تبعاً لعدوه و تخطيطه طوعياً . و ينقلبون وكلاء
يبذلون ما فى وسعهم لاستمالة شعبهم وبلادهم إلى أن ينتهجا الطريق الذى
العدو . و إذا ساعد الحظ أحــداً منهم أن يتمكن من الوصول إلى
ة اقتصادية فانه يعمل كوكيل ثقافى ويحول مراكزه و محلاته التجارية إلى
لثقافة الأجنبية . و مما يجدر بالذكر لأهميته أن العدو يستخدم سائر نفوذه
مع البلد الذى يخضع لنفوذه . ليصل إلى مواقع النفوذ و القوة كل من
دو ممثلا عنه ، و ممتثلا لأوامره . و محققاً لرغباته . و يتم ذلك فى بعض
. بطريق لا يتبينه عامة الناس . و فى بعض الأحوال يضطر العــدو إلى
ذه ويستخدم العنف و وسائل التأثير ، وقد يلجأ إلى عمليات الاغتيالات
قاء عملائه و أعوانه فى مواضع الحكم و النفوذ .

عى العدو فى إعداد مناهج الدراسة و نظام التربية فى بلاده للوافدين من
ن يتخرج من مدارسها رجال تتغير أذهانهم ، و تنقطع صلتهم عن تراثهم
نهم ، و بلادهم كلياً ، و بالتالى يصبحون عملاء العدو ، و يخدمون مصالحه
المهام التى تسند إليهم ، و المسئوليات التى تلقى على عواتقهم فى الجيش ،
ارس ، و الكليات ، و يعمل هؤلاء المتخرجون كالطابور الخامس فى حالة
لادهم لغزو العدو ، فيتحولون إلى مساومين ، ووكلاء وعملاء ، وممثلين فى الميدان
ى ، و تزداد مسئولياتهم عنـد ما يسحب العدو جيشه و يجلو من البلاد
ممثلين عن العدو ويحاولون إبقاء سيطرتهم التى كسبوها أثناء الغزو الأجنبى
، وأن يجنوا ثماره ، و قد تمكن العدو بفضل التقدم فى التكنولوجيا من
الثقافى على البلاد بدون اللجوء إلى وسائل عسكرية ، فيتعدى الحدود السياسية

و يجتاز الحواجز اللغوية و لا يبالى بخطر أى مجابهة ، و تساعده فى تحقيق هذه الأهداف المحطات القوية للاذاعة فى اللغات المحلية لتلك الدول التى يستهدفها ، وإذاعة تعليقات خاصة وتقارير إذاعية موجهة يجرى إعدادها بدقة و رعاية للصالح الخاصة بطريق يؤثر على أذهان المستمعين فى تلك الدول المنكوبة ، و قد مهدت الأقمار الصناعية السبيل إلى النفوذ إلى المستمعين فى المناطق النائيـــة فتصل برامج العدو الموجهة ، وتتسرب ثقافته إلى غرف النوم ، وصالات الطعام ، و غرف الاستقبال و تستولى على أذهـان السذج المعصومين من الأطفال و الصبيان ، و عامة الناس الذين يتمتعون بهذه البرامج المثيرة باعتبارها برامج التسلية و التربية التى تدخل متعة إلى النفوس و تساعد على تزجية الوقت ، وتحذو المحطات المحلية للاذاعة و التلفزيون حذو محطات العدو ، و تتعاون فى تعميم تلك البرامج و تقلدها فى برامجها ، و بذلك يتدهور الوضع الاعلامى للبلاد ، و يعانى من الافلاس المعنوى .

و بالاضافه إلى هذه البرامج ، تسعى بلاد العدو إلى كسب صداقة و تأييد الطبقة التى تسمى بالخبراء ، و الأخصائيين و المستشرقين و الدبلوماسيين ليساهموا فى هذا المجال ، لكى يحمل رأيه وزناً علمياً ، ولا يقدر من ضحايا هذه الحملة الاعلامية على مواجهة و مقاومه عملية غسل الذهن ، و دراسة هذه الأفكار دراسة نقدية ، وليرفضوها فى النهاية إلا من تعد أسماؤهم على الأنامل ، وهو قلة قليلة لاتأثيرلهم ، و معظمهم لا يحملون وزناً أو صوتاً يسمع ، و يبـذل العملاء كل ما فى وسعهم من جهد و تيقظ فى سبيل إقصاء أى شخص يخشى أنه يقف عقبة فى هذا المجال ، فيجرى إبعاده أو عزله عن مجالات النفوذ و السلطة (١).

(١) Cultural Imperialism Mohammad Masihuzzaman Muslims News International Karanchi May 1975, P. P. 9. 12

إن هناك أسباباً لاخفاق السيادة السياسية الشكلية التى أحرزتها الدول الاسلامية فى آسيا و إفريقيا فى إحـــداث أى تغير و تحول فى المجال الثقافى . وعلى العكس يشاهد أن عملية التغريب قد نالت قوة وسعة فى هذه الدول بعد الاستقلال و ذلك لأن نظام التعليم الذى فرضه العدو خلال عهد الاستعمار لا يزال نافذاً و سارياً فى سائر هذه الدول فى الوقت الحاضر .

يتميز النظام التعليمى المتبع فى آسيا و إفريقيا بأن تكوينه كان بنية إعداد متغربين ، و تسخير العقلاء ، و مهما تعلم هذه الجامعات و المدارس من علوم و ثقافات ، فانها لا تمت إلى الثقافات المحلية ، والتقليدية بصلة ، إنها تدرس العلوم الحديثة ، والتكنولوجيا ، والاقتصاد الحديثة ، والعلوم الاجتماعية ، والطرق الحديثة لدراسة الثقافات التقليدية المحلية ، و عندما تتناول النصوص التقليدية لثقافتها بالبحث و الدراسة تتناولها بطريق يختلف عن الطريق التقليدى ، جوهريا ، وكذلك دراسة اللغات المحلية ، فهى دراسة عصرية ، تختلف عن طبيعة تلك اللغات .

إن طرق الدراسة للغة و الثقافة و العلوم يترجع إلى تفكير المستعمر ، وهى مستمدة كلياً من ثقافة و تفكير المستعمر الأوربى السابق ، و تعتمد الجامعات فى الدول الحديثة كلياً على تلك الطرق المستوردة و ثقافتهـــا للتعليم ، و تخلو مناهجها و طرق الدراسة فيها مما نشأ فى بلادها و تطور من تجارب ، و علوم و وسائل كما تخلو مناهجها من تاريخ بلادها وعلومها الاجتماعية و ثقافتها المحلية (١) .

كانت النتيجة الحتمية القضاء الكامل على تراثنا التاريخى ومحو شخصيتنا الاسلامية و هكذا يستمر انهيار مجتمعنا بسرعة فائقة .

---

(١) Modernization & Higher Eduation Edward Shils Moderaization the Dynamics of Growth Myron weiner the Voice of Amerca Lectures washington D. C. 1966 1' 97

يواجه مجتمعنا تمزقاً ، و توزعاً نتيجة لانقطاع صلته عن تراثه التاريخى المجيد و طمس معالم طريقه ، و يتولد منه جيل ليس له تاريخ ، و لا أصالة ، يعانى من الارتيــاب و الغربة و الانعزال ، و قد ظهرت نتائج خضوعنا الفكرى لنير العبودية . خلال عهد انجــلاء الاستعمار ، فى كل مكان ، و يمكن أن يلاحظ ذلك بوضوح ، فى إندونيسيا على سبيل المثال ، وهى أكبر دولة باعتبار عدد السكان من المسلمين فى العالم .

• من المفارقات أن إندونيسيا تعرضت لتأثير الغرب الحديث بعد الاستقلال أكثر مما تعرضت له فى عهد الحكم الهولندى المباشر ، فتكتب اللغـة الاندونيسية ، بالخط الرومانى بدلا من الخط العربى المحلى ، و قد فرضت لغة جديدة لخط جديد و صارت لمعظــم الاندونيسيين لغتهم الاندونيسية بالخط الرومانى لغـــة أجنبية ، لا يقرأون و لا يكتبون بها رغم توجه عدد أكبر من الاندونيسيين إلى المدارس للتعليم الثانوى و الجامعى والدراسات فى الخارج ، لكن عدداً أكبر منهم يقدر على أن يقرأ فى اللغات الغربية ، و خاصة اللغة الانجليزية التى يتعلمونها بسهولة أكثر مما يتعلمون به اللغة العربية ، لتسهيل أبجديتها ، و قـــد سهلت الاذاعات الانجليزية و برامج التسلية و المتعـــة و سيل الصحف الانجليزية الذى يكتسح البلاد انتشار الثقافة الغربية والتفاهم مع أصحابهـا و تذوق آدابها فى المدن ، أما اللغة الاندونيسية الحديثة فهى جديدة ، ولا تزال فى مرحلة التطوير ، والتكوين ، وفوق ذلك أنها صيغت إلى حد كبير صياغة جديدة فى قالب الثقافة الغربية ، وقد خلف ذلك إنعكاسات ، و ملابسات خطيرة بالنسبة لها ، لأنها تمر الآن بالمرحلة النهائية للتكوين ، والنشأة وقد لاتمحو محاولات التهذيب المتأخرة هذه الآثار التى تتركها عليها الثقافة الغربية .

لا تنقل المصطلحات والكلمات الانجليزية الصحف والمجلات الثقافية و العلمية و الشعبية التى تصدر فى إندونيسيا وحدها ، و إنما تعدى تأثيرها و رواجها حتى فى الصحف و المجلات الاسلامية الدينية التى تكافح بجد أو تقاوم حمــلة التغريب الثقافى و الخلقى ، فان الصحف الاسلامية ، تقـــدر على تقديم بديل أيديولوجى

الاندونيسيين ، وأن تكافح للاحتفاظ بحرية العقيدة ، ولكنها لا تستطيع ولا تقدر على مكافحة الاتجاه اللغوى فيما يستغربه المتصفح للصحف الاسلامية الاندونيسية و هو يكاد يكون ظاهرة عامة فى ركن الأطفال مقالات فى شرح المشاكل الدينية الأساسية ، متضمنة لألفاظ وتعبيرات إنجليزية ، وأحياناً لجمل كاملة بالانجليزية تترك بدون ترجمة ، حيث يمكن استعمال مصطلحات عربية أو إندونيسية وتكون أكثر مفهومة من الانجليزية ،

لم يكن تأثير اللغة الانجليزية هامشياً فيما يتعلق بالمشاكل الدينية والعقائدية التى قد يعتبرها الاسلاميون الاندونيسيون المشاكل الحقيقية للبلاد ، فان عدداً متزايداً من الشباب المسلم فى إندونيسيا يدرك بأن التغريب اللغوى يقصر و يعزل الوعى الاسلامى ، لأنه يجعل المسلمين فى اندونيسيا منعزلين لغوياً عن الدول الاسلامية الأخرى . و يتعسر عليهم دراسة اللغات الاسلامية ، و بالتالى يبتعدون عن المصدر العربى للعقيدة الاسلامية . و تتعذر عليهم الدراسة المباشرة للقرآن والحديث النبوى الشريف و التعمق فيها .

و بذلك فان غزو اللغة الانجليزية يهدد بتغيير الطبيعة و القالب الثقافى للغة الاندونيسية نفسها ، لكى يتحول النضال العقائدى والثقافى إلى اتجاه ملائم لأغراض و نوايا المستعمرين فى الغرب و غير ملائم لمتطلبات الاسلام و مقتضياته ، و قد كان إلغاء الخط العربى ، بمثابة إزالة شارة لامعة للشخصية الاسلامية ، و هويتها ، وعضوية اندونيسيا فى جالية الأمم الاسلامية ، وسد طرقها إلى دراسة القرآن والحديث ، فكانت حملة تغيير اللغة عملية استعمارية فى غاية من الخطورة ، تمت بعد الاستقلال ، وقد عزم الشباب المسلم على مقاومة هذا الاتجاه بالاحتفاظ على المكونات العربية و الملازمة المحلية للغة الاندونيسية (١) .

(١) Islam & Langvage Change in Indonesia Dennis walken yaqeen International Karachi August 22 1972 P. 90

الدعوة الإسلامية

الأصول المعتبرة فى إثبات أحكام الاسلام وتعاليمه

سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز
رئيس ادارات البحوث العلمية و الافتاء و الدعوة و الارشاد (الرياض)

الحمد لله رب العالمين و العاقبة للمتقين و الصلاة و السلام على عبده ورسوله نبينا محمد المرسل رحمة للعالمين وحجة على العباد أجمعين و على آله و أصحابه الذين نقلوا كتاب ربهم سبحانه و سنة نبيهم ﷺ إلى من بعدهم بغاية الأمانة و الاتقان الحفظ التام للمعانى و الألفاظ رضى الله عنهم و أرضاهم و جعلنا من أتباعهم بإحسان .

أما بعد : فقد أجمع العلماء قديماً و حديثاً على أن الأصول المعتبرة فى إثبات الأحكام ، و بيان الحلال و الحرام فى كتاب الله العزيز الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ثم سنة رسول الله عليه الصلاة و السلام الذى « لاينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى » ثم إجماع علماء الأمة ، و اختلف العلماء فى أصول أخرى أهمها القياس ، وجمهور أهل العلم على أنه حجة إذا استوفى شروطه المعتبرة ، و الأدلة على هذه الأصول أكثر من أن تحصر و أشهر من أن تذكر :

أما الأصل الأول : فهو كتاب الله العزيز و قد دل كلام ربنا عز وجل فى مواضع من كتابه على وجوب اتباع هذا الكتاب و التمسك به و الوقوف عند حدوده قال تعالى : « اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم و لا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون » و قال تعالى : « و هذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه و اتقوا لعلكم

ترحمون » و قال تعالى : « قد جاءكم من الله نور و كتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام و يخرجهم من الظلمات إلى النور باذنه و يهديهم إلى صراط مستقيم » وقال تعالى : « إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم و إنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » و قال تعالى : « و أوحى إلى هذا القرآن لأنذركم به و من بلغ » و قال تعالى : « هذا بلاغ للناس ولينذروا به » و الآيات فى هذا المعنى كثيرة ، وقد جاءت الأحاديث الصحاح عن رسول الله ﷺ آمرة بالتمسك بالقرآن والاعتصام به دالة على أن من تمسك به كان على الهدى ومن تركه كان على الضلال ، ومن ذلك ما ثبت عنه ﷺ أنه قال فى خطبته فى حجة الوداع : « إنى تارك فيكم ما لن تضلوا إن اعتصمتم به كتاب الله » رواه مسلم فى صحيحه ، وفى صحيح مسلم أيضاً عن زيد بن أرقم رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال : « إنى تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى و النور فخذوا بكتاب الله و تمسكوا به ، فحث على كتاب الله و رغب فيه ، ثم قال وأهل بيتى ، أذكركم الله فى أهل بيتى أذكركم الله فى أهل بيتى ، وفى لفظ قال فى القرآن هو حبل الله من تمسك به كان على الهدى و من تركه كان على الضلال .

و الأحاديث فى هذا المعنى كثيرة ، و فى إجماع أهل العلم و الايمان من الصحابة و من بعدهم على وجوب التمسك بكتاب الله و الحكم به و التحاكم إليه مع سنة رسول الله ﷺ ما يكفى و يشفى عن الاطالة فى ذكر الأدلة الواردة فى هذا الشأن .

أما الأصل الثانى : من الأصول الثلاثة المجمع عليها فهو ما صح عن رسول ﷺ من أقواله و أفعاله و تقريره و لم يزل أهل العلم من أصحاب رسول الله ﷺ و من بعدهم يؤمنون بهذا الأصل الأصيل و يحتجون به و يعلمونه الأمة ،

ر قد ألفوا فى ذلك المؤلفات الكثيرة و اوضحوا ذلك فى كتب أصول الفقه ر المصطلحة ، و الأدلة على ذلك لا تحصى كثرة ، فمن ذلك ما جاء فى كتاب الله العزيز من الأمر باتباعه و طاعته و ذلك موجه إلى أهل عصره و من بعدهم لأنه رسول الله ﷺ إلى الجميع ولأنهم مأمورون باتباعه وطاعته حتى تقوم الساعة و لأنه عليه الصلاة و السلام هو المفسر لكتاب الله و المبين لما أجمل فيه بأقواله و أفعاله وتقريره ، و لولا السنة لم يعرف المسلمون عدد ركعات الصلوات وصفاتها وما يجب فيها و لم يعرفوا تفصيل أحكام الصيام و الزكاة و الحج و الجهاد والأمر بالمعروف و النهى عن المنكر ، و لم يعرفوا تفاصيل أحكام المعاملات و المحرمات و ما أوجب الله بها من حدود و عقوبات ، و مما ورد فى ذلك من الآيات قوله تعالى فى سورة آل عمران « وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون » وقوله تعالى فى سورة النساء « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فان تنازعتم فى شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير و أحسن تأويلا » .

و قال تعالى فى سورة النساء أيضاً « من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظاً » و كيف تمكن طاعته ورد ما تنازع فيه الناس إلى كتاب الله و سنة رسوله إذا كانت سنته لا يحتج بها أو كانت كلها غير محفوظة ، وعلى هذا القول يكون الله قد أحال عباده إلى شئ لا وجود له ، وهذا من أبطل الباطل و من أعظم الكفر بالله وسوء الظن به ، وقال عز وجل فى سورة النحل « و أنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم و لعلهم يتفكرون » و قال فيها أيضاً « وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه هدى و رحمة لقوم يؤمنون » . فكيف يكل الله سبحانه إلى رسوله ﷺ تبيين المنزل إليهم وسنته لا وجود لها أولا حجة فيها ، و مثل ذلك قوله تعالى فى سورة النور « قل

أطيعوا الله و أطيعوا الرسول فان تولوا فانما عليه ما حمل و عليكم ما حملتم و إن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلا البلاغ المبين » . و قال تعالى فى السورة نفسها « و أقيموا الصلاة و آتوا الزكاة و أطيعوا الرسول لعلكم ترحمون » .

و قال فى سورة الأعراف « قل يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعاً الذى له ملك السماوات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمى الذى يؤمن بالله و كلماته و اتبعوه لعلكم تهتدون » و فى هذه الآيات الدلالة الواضحة على أن الهداية والرحمة فى اتباعه عليه الصلاة والسلام ، وكيف يمكن ذلك مع عدم العمل بسنته أوالقول بأنه لاصحة لها أولا يعتمد عليها ، وقال عزوجل فى سورة النور « فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أويصيبهم عذاب أليم » وقال تعالى فى سورة الحشر « وما آتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا » و الآيات فى هذا المعنى كثيرة وكلها تدل على وجوب طاعته عليه الصلاة و السلام واتباع ما جاء به كما سبقت الأدلة على وجوب اتباع كتاب الله والتمسك به وطاعة أوامره و نواهيه وهما أصلان متلازمان ، من جحد واحداً منهما فقد جحد الآخر و كذب به و ذلك كفر و ضلال و خروج عن دائرة الاسلام باجماع أهل العلم و الايمان و قد تواترت الأحاديث عن رسول الله ﷺ فى وجوب طاعته واتباع ما جاء به وتحريم معصيته وذلك فى حق من كان فى عصره وفى حق من يأتى بعده إلى يوم القيامة ، ومن ذلك ما ثبت عنه فى الصحيحين من حديث أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال من أطاعنى فقد أطاع الله ومن عصانى فقد عصى الله » و فى صحيح البخارى عنه رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : « كل أمتى يدخلون الجنة إلا من أبى قيل يا رسول الله و من يأبى قال من أطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد أبى » و خرج أحمد و أبو داود و الحاكم باسناد صحيح عن المقدام بن معدى كرب عن رسول الله ﷺ أنه قال « الا أنى أوتيت الكتاب و مثله معه

لا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه و ما وجدتم فيه من حرام فحرموه . وخرج أبو داود و ابن ماجة بسند صحيح : عن ابن أبى رافع عن أبيه عن النبى ﷺ قال « لا ألفين أحدكم متكئاً على أريكته يأتيه الأمر من أمرى مما أمرت به أونهيت عنه فيقول لا ندرى ماوجدنا فى كتاب الله اتبعناه » .

و عن الحسن بن جابر قال سمعت المقدام بن معدى كرب رضى الله عنه يقول « حرم رسول الله ﷺ يوم خيبر أشياء ثم قال يوشك أحدكم أن يكذبنى و هو متكئ يحدث بحديثى فيقول بيننا و بينكم كتاب الله فما وجدنا فيه من حلال استحللناه و ما وجدنا فيه من حرام حرمناه ألا أن ما حرم رسول الله مثل ما حرم الله : أخرجه الحاكم و الترمذى و ابن ماجة باسناد صحيح .

وقد تواترت الأحاديث عن رسول الله ﷺ بأنه كان يوصى أصحابه فى خطبته أن يبلغ شاهدهم غائبهم و يقول لهم رب مبلغ أوعى من سامع و من ذلك ما فى الصحيحين أن النبى ﷺ لما خطب الناس فى حجة الوداع فى يوم عرفة و فى يوم النحر قال لهم فليبلغ الشاهد الغائب فرب من يبلغه أوعى لهم من سمعه ، فلولا أن سنته حجة على من سمعها و على من بلغته ، و لو لا أنها باقية إلى يوم القيامة لم يأمرهم بتبليغها ، فعلم بذلك أن الحجة بالسنة قائمة على من سمعها من فيه عليه الصلاة السلام و على من نقلت إليه بالأسانيد الصحيحة .

و قد حفظ أصحاب رسول الله ﷺ سنته عليه الصلاة و السلام القولية و الفعلية و بلغوها من بعدهم من التابعين ثم بلغها التابعون من بعدهم ، و هكذا نقلها العلماء الثقات جيلا بعد جيل و قرناً بعد قرن ، وجمعوها فى كتبهم و أوضحوا صحيحها من سقيمها ، و وضعوا لمعرفة ذلك قوانين و ضوابط معلومة بينهم يعلم

بها صحيح السنة من ضعيفها و قد تداول أهل العلم كتب السنة من الصحيحين وغيرهما وحفظوها حفظاً تاماً كما حفظ الله كتابه العزيز من عبث العابثين و إلحاد والملحدين و تحريف المبطلين تحقيقاً لما دل عليه قوله سبحانه « إنا نحن نزلنا الذكر و إنا له لحافظون » ولاشك أن سنة رسول الله ﷺ وحى منزل فقد حفظها الله كما حفظ كتابه و قيض الله لها علماء نقاداً ، ينفون عنها تحريف المبطلين و تأويل الجاهلين و يذبون عنها كل ما ألصقه بها الجاهلون و الكذابون و الملحدون لأن الله سبحانه جعلها تفسيراً لكتابه الكريم و بياناً لما أجمل فيه من الأحكام و ضمنها أحكاماً أخرى لم ينص عليها الكتاب العزيز ، كتفصيل أحكام الرضاع و بعض أحكام المواريث و تحريم الجمع بين المرأة و عمتها و بين المرأة و خالتها إلى غير ذلك من الأحكام التى جاءت بها السنة الصحيحة ولم تذكر فى كتاب الله العزيز .

ذكر بعض ما ورد عن الصحابة و التابعين و من بعدهم من أهل العلم فى فى تعظيم السنة ووجوب العمل بها . . فى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه قال لما توفى رسول الله ﷺ و ارتد من ارتد من العرب قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه : والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فقال له عمر رضى الله عنه كيف تقاتلهم و قد قال النبى ﷺ « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فاذا قالوها عصموا منى دماءهم و أموالهم إلا بحقها » فقال أبو بكر الصديق أليست الزكاة من حقها و الله لو منعونى عناقاً كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها فقال عمر رضى عنه فما هو إلا أن عرفت أن الله قد شرح صدر أبى بكر للقتال فعرفت أنه الحق ، وقد تابعه الصحابة رضى الله عنهم على ذلك فقاتلوا أهل الردة ، حتى ردوهم إلى الاسلام وقتلوا من أصر على ردته ، وفى هذه القصة أوضح دليل على تعظيم السنة ووجوب العمل بها وجاءت الجدة إلى الصديق رضى الله عنه

تسأله عن میراثها فقال لها لیس لك فی كتاب الله شئ و لا أعلم أن رسول الله ﷺ قضی لك بشئ وسأسأل الناس ، ثم سأل رضی الله عنه الصحابة فشهد عنده بعضهم بأن النبی ﷺ أعطی الجدة السدس فقضی لها بذلك وكان عمر رضی الله عنه یوصی عماله أن یقضوا بین الناس بكتاب الله فان لم یجدوا القضیة فی كتاب الله فبسنة رسول الله ﷺ ، ولما أشكل علیه حكم إملاص المرأة وهو إسقاطها جنیناً میتاً بسبب تعدی أحد علیها سأل الصحابة رضی الله عنهم عن ذالك فشهد عنده محمد بن سلمة و المغیرة بن شعبة رضی الله عنهما بأن النبی ﷺ قضی فی ذلك بغرة عبد أو أمة فقضی بذلك رضی الله عنه . و لما أشكل علی عثمان رضی الله عنه حكم اعتداد المرأة فی بیتها بعد وفاة زوجها وأخبرته فریعة بنت مالك بن سنان أخت أبی سعید رضی الله عنهما أن النبی ﷺ أمرها بعد وفاة زوجها أن تمكث فی بیته حتی یبلغ الكتاب أجله قضی بذلك رضی الله عنه وهكذا قضی بالسنة فی إقامة حد الشرب علی الولید بن عقبة و لما بلغ علیاً رضی الله عنه أن عثمان رضی الله عنه ینهی عن متعة الحج أهل علی رضی الله عنه بالحج والعمرة جمیعاً وقال لاأدع سنة رسول الله ﷺ لقول أحد من الناس ولما احتج بعض الناس علی ابن عباس رضی الله عنهما فی متعة الحج بقول أبی بكر و عمر رضی الله عنهما فی تحبیذ إفراد الحج قال ابن عباس یوشك أن تنزل علیكم حجارة من السماء أقول قال رسول الله ﷺ وتقولون قال أبو بكر و عمر ، فاذا كان من خالف السنة لقول أبی بكر و عمر تخشی علیه العقوبة فكیف بحال من خالفها لقول من دونهما أو لمجرد رأیه و اجتهاده ، و لما نازع بعض الناس عبد الله بن عمر رضی الله عنهما فی بعض السنة قال له عبد الله هل نحن مأمورون باتباع النبی ﷺ أم باتباع عمر ، و لما قال رجل لعمران بن حصین رضی الله عنهما حدثنا عن كتاب الله و هو یحدثهم عن السنة غضب

رضى الله عنه وقال إن السنة هي تفسير كتاب الله ولولا السنة لم نعرف أن الظهر أربع و المغرب ثلاث والفجر ركعتان ولم نعرف تفصيل أحكام الزكاة إلى غير ذلك مما جاءت به السنة من تفصيل الأحكام، والقضايا عن الصحابة رضى الله عنهم في تعظيم السنة و وجوب العمل بها والتحذير من مخالفتها كثيرة جداً، ومن ذلك أيضاً أن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما لما حدث بقول ﷺ « لا تمنعوا إماء الله مساجد الله. قال بعض أبنائه والله لنمنعهن فغضب عليه عبد الله وسبه سباً شديداً وقال أقول قال رسول الله وتقول والله لنمنعهن، ولما رأى عبد الله بن المغفل المزني رضى الله عنه وهو من أصحاب رسول الله ﷺ بعض أقاربه يخذف نهاه عن ذلك و قال له إن النبي ﷺ نهى الخذف و قال إنه لا يصيب صيداً و لا ينكأ عدواً و لكنه يكسر السن و يفقأ العين ثم رآه بعد ذلك يخذف فقال و الله لا كلمتك أبداً أخبرك أن رسول الله ﷺ ينهى عن الخذف ثم تعود، وأخرج البيهقي عن أيوب السختياني التابعي الجليل أنه قال إذا حدثت الرجل بسنة فقال دعنا من هذا، و أنبئنا عن القرآن فاعلم أنه ضال و قال الأوزاعي رحمه الله السنة قاضية على الكتاب ولم يجئ الكتاب قاضياً على السنة، ومعنى ذلك: أن السنة جاءت لبيان ما أجمل في الكتاب أو تقييد ما أطلقه أو بأحكام لم تذكر في الكتاب كما في قول الله سبحانه «وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم و لعلهم يتفكرون» وسبق قوله ﷺ « ألا أني أوتيت الكتاب و مثله معه » و أخرج البيهقي عن عامر الشعبي رحمه الله أنه قال لبعض الناس « إنما هلكتم في حين تركتم الآثار » يعني بذلك الأحاديث الصحيحه، أخرج البيهقي أيضاً عن الأوزاعي رحمه الله قال أنه لبعض أصحابه إذا بلغك عن رسول الله حديث فاياك أن تقول بغيره فان رسول الله ﷺ كان مبلغاً عن الله تعالى » وأخرج البيهقي عن الامام الجليل سفيان بن سعيد الثوري رحمه الله

نه قال إنما العلم كله العلم بالآثار ، و قال مالك رحمه الله مامنا إلا راد و مردود عليه إلا صاحب هذا القبر وأشار إلى قبر رسول الله ﷺ ، وقال أبو حنيفة رحمه الله إذا جاء الحديث عن رسول الله ﷺ فعلى الرأس والعين و قال الشافعى رحمه الله متى رويت عن رسول الله ﷺ حديثاً صحيحاً فلم آخذ به فأشهدكم أن عقلى قد ذهب ، وقال أيضاً رحمه الله إذا قلت قولا و جاء الحديث عن رسول الله ﷺ بخلافه فاضربوا بقولى الحائط ، وقال الامام أحمد بن حنبل رحمه الله لبعض أصحابه لا تقلدنى ولا تقلد مالكا ولا الشافعى خذ من حيث أخذنا ، وقال أيضاً رحمه الله عجبت لقوم عرفوا الاسناد و صحته عن رسول الله ﷺ يذهبون إلى رأى سفيان و الله سبحانه يقول « فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم » ثم قال أتدرى ما الفتنة ، الفتنة الشرك لعله إذا رد بعض قوله عليه الصلاة و السلام أن يقع فى قلبه شئ من الزيغ فيهلك وأخرج البيهقى عن مجاهد بن جبر التابعى الجليل أنه قال فى قوله سبحانه « فان تنازعتم فى شئ فردوه إلى الله والرسول » قال الرد إلى الله الرد إلى كتابه و الرد إلى الرسول الرد إلى السنة و أخرج البيهقى عن الزهرى رحمه الله أنه قال كان من مضى من علمائنا يقولون الاعتصام بالسنة نجاة ، وقال موفق الدين بن قدامة رحمه الله فى كتابه « روضة الناظر» فى بيان أصول الأحكام ، ما نصه : و الأصل الثانى من الأدلة سنة رسول ﷺ و قول رسول الله ﷺ حجة لدلالة المعجزة على صدقه . وأمر الله بطاعته وتحذيره من مخالفة أمره انتهى المقصود ، و قال ابن كثير فى تفسير قوله تعالى : « فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم » أى عن أمر رسول الله ﷺ و هو سبيله و منهاجه و طريقته و سنته و شريعته فتوزن الأقوال و الأعمال بأقواله و أعماله فما وافق ذلك قبل و ما خالفه فهو

مردود على قائله و فاعله كائناً من كان كما ثبت فى الصحيحين و غيرهما عن رسول الله ﷺ أنه قال «من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد» أى فليخش وليحذر من خالف شريعة الرسول باطناً و ظاهراً : «أن تصيبهم فتنة» أى فى قلوبهم من كفر أو نفاق أو بدعة «أويصيبهم عذاب أليم» أى فى الدنيا بقتل أوحد أوحبس أو نحو ذلك : كما روى الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن همام بن منبه قال هذا ما حدثنا أبو هريرة قال قال رسول الله ﷺ «مثلى ومثلكم كمثل رجل استوقد ناراً فلما أضاءت ما حولها جعل الفراش و هذه الدواب اللائى يقعن فى النار يقعن فيها و جعل يحجزهن و يغلبنه فيقتحمن فيها قال فذلك مثلى و مثلكم أنا آخذ بحجزكم عن النار هلم عن النار فتغلبونى وتقتحمون فيها، أخرجاه من حديث عبد الرزاق و قال السيوطى رحمه الله فى رسالته المسماة مفتاح الجنة فى الاحتجاج بالسنة ما نصه :

«اعلموا رحمكم الله أن من أنكر أن كون حديث النبى ﷺ قولا كان أوفعلا بشرطه المعروف فى الأصول حجة كفر و خرج عن دائرة الاسلام و حشر مع اليهود والنصارى أو مع من شاء الله من فرق الكفرة» انتهى المقصود ، و الآثار عن الصحابة و التابعين و من بعدهم من أهل العلم فى تعظيم السنة و وجوب العمل بها و التحذير من مخالفتها كثيرة جداً و أرجو أن يكون فى ما ذكرنا من الآيات و الأحاديث و الآثار كفاية ومقنع لطالب الحق ، و نسأل الله لنا ولجميع المسلمين التوفيق لما يرضيه و السلامة من أسباب غضبه ، وأن يهدينا جميعاً صراطه المستقيم إنه سميع قريب .

وصلى الله على عبده ورسوله نبينا محمد و على آله و أصحابه و أتباعه باحسان .

★ ★ ★ ★

مراحل الدعوة إلى الحق

(الحلقة الثالثة الأخيرة)

الأستاذ أمين أحسن الاصلاحى
تعريب : الأستاذ نور عالم الندوى

المرحلة الثالثة ، هى : مرحلة الحرب

إنما تدخل الدعوة مرحلة الحرب إذا تخطت مرحلتى التبليغ و الشهادة على الناس ، و الهجرة ، ذلك أن الحرب الاسلامية تتوقف على شروط عدة ، و ما لم تتوفر هذه الشروط لا يجوز لأبناء الحق أن يسلوا السيوف و يريقوا الدماء فى الأرض ، فلو صنعوا ذلك متسرعين ليكون ذلك عملا مفسداً منهم لا تبيحه الشريعة الاسلامية ، و ربما يؤاخذون عليه عند الله و يعتبرون مفسدين فى الأرض فضلا عن أن ينالوا عليه الثواب .

و تلك الشروط هى :

١- الشرط الأول أن يعرض الدعوة على المحاربين - بالفتح - حتى تتم الحجة عليهم ، أما بدون التبليغ و عرض الدعوة فلا يجوز إعلان الحرب ضد قوم ، و تستثنى من هذه القاعدة « الحروب الدفاعية » فانها مسموح بها فى كل حال ، و يجوز أن يحاربها الأفراد ، كما يجوز أن تحاربها الجماعات ، و هى ليست بمشروطة بالتبليغ و عرض الدعوة ، فمهما كان الهجوم على نفس أو مال أو عرض أحد ، يجوز له أن يستخدم فى الدفاع كل ما يملكه من قوة و عدد وعدد ، و إذا قتل فى هذه السبيل ، يكون شهيداً ، و لو قتل الخصم المهاجم، يبوء بإثمين ، أولا ،

لأنه أضاع نفسه فى المعصية وغمط الحق ، و ثانياً ، لأنه كان سبباً لتلطخ سيف صاحب الحق بالدم . أما « الحروب الهجوميـــة » فانها لا تجوز ما لم يتم شرط التبليغ و عرض الاسلام ، و هذا التبليغ يتم عن طريقين :

(ألف) الطريق الأول أن يكون هذا التبليغ عن طريق النبى ، و النبى هو الوسيلة الكاملة للتبليغ و إتمام الحجة ، و يتم عن طريقه شرط التبليغ و إتمام الحجة على أكمل الوجوه . لأن الله يبعثه بجميع الوسائل الممكنة فى الحياة لاقناع العقل البشرى ، و إذاً فلا يمكن أحداً من البشر أن يقوم بعمل الاقناع على خير طريق إلا النبى المبعوث المؤيد من الله العلى القدير ، فهو خير أفراد القوم ، من خير النبعة ، و أكرم المنبت ، و هو أكرم خلقاً و سلوكاً قبل البعثة و بعدها ، لا يعرف الكذب ، و الافتراء ، و النفاق و المكر ، و الغـــدر ، و الخيانة ، و الاعجاب بالنفس ، و حب العلو و الاستكبار ، حتى يشهد له بهذه الخلال العدو و الصديق معاً ، إنه يعرض دعوته فى لغة مفهومة لدى العامة و الخاصة ، و يصل الليل بالنهار من أجل إيصالها إلى كل صغير و كبير فى القوم ، تكون تعاليمـــه من الدقة و الاحكام و قوة الاستدلال بحيث لا يسع المعارضين أن يردوا عليها : و يحدث تحول كلى فى حياة الناس إذا جالسوه ، يتحول الظالم عادلا ، و المفسد صالحاً ، و السارق أميناً ، و قاطع الطريق محباً للامن والسلام ، و الزانى عفاً ، و الفاسق نزيهاً ، و المقامر ورعاً تقياً ، و يعمل أولا بنفسه بما يدعو إليـــه ، و يخضع خضوعاً كاملا للنظام الذى ينادى بالناس للاخذ به ، و يأخذ أصحابه بمتطلبات دعوته ، و يأخذهم بتمثيلها حقيقة حية متحركة ، و يستطيع أن يرى المعجزات وخوارق العادات إذا ألح الناس عليه بذلك ، ومن أجل ذلك كله كان تبليغ النبى وسيلة أخيرة لاتمام الحجة وحيثما يتم إتمام الحجة على قوم عن طريق النبى ، فان

الله لايدعهم يعيشون على هذه الأرض ، بل لابد أن يصنع أحد الأمرين : لوكان المنكرون يشكلون أغلبية ساحقة ، يميز الله منهم أهل الحق ، ويرسل على المنكرين والكافرين عذاباً من عنده أرضياً أو سماوياً ، و يدمرهم تدميراً ، فيصبحون لا عين لهم ولا أثر ، و قد كان ذلك مع قوم نوح و قوم صالح و قوم شعيب عليهم السلام ، ولو كان المؤمنون فى عدد لا بأس به كالمنكرين ، يؤمر المؤمنون أن يعلنوا الحرب ضد المنكرين ، و لا ينتهوا من هذه الحرب ، حتى ينتهى المنكرون عن جحدهم و كفرهم إلى الايمان بالله ، والخضوع لطاعة الله ، أو تتطهر أرض الله من دنسهم و أرجاسهم ، و قد أمر النبي ﷺ باعلان هـــذه الحرب ضد بنى إسماعيل بعد ما تمت حجة الله عليهم .

و هذا القانون يتأسس على أن الأنبياء هم مظاهر قانون المكافأة الالهى ، يعملون كمحكمة إلهية فى الأرض ، و تأتى بعثتهم حكماً قاطعاً بين الحق و الباطل ، و لكى يفوز المحقون و يخسر المبطلون ، و بما أن مثل هـــذا الثواب و العقاب يتطلبان أن يسبقهما إتمام الحجـــة ، فان الأنبياء تتوفر فيهم جميـــع وسائل التبليغ و الاتمام ، فاذا ماتم هذا العمل فى أكمل وجوهه و أدق صوره ، لايدع القانون الالهى أن يعيش على هذه الأرض وتحت هذه السماء أولئك الذين لا يزالون يلحون فى غيهم و لا ينتهون من سكرتهم ، ولا يفيقون من شرهم وإفسادهم فى الأرض ، و لما كان هذا العقاب بعد عمليـة دقيقـــة من إتمام الحجة لا يمكن مثلها فى الدنيا بعدها ، لا يسمى إكراهاً و إجباراً ، لأن ذلك عين العدل والانصاف ، و الذين لا يؤمنون برسالة الله بعد إتمام الحجـــة عن طريق الأنبياء ، فليس لهم حيلة إلا أن يرفع الستار عن الحقائق الغيبية لكى يشاهدوها بأم أعينهم ، لكن ذلك يتعارض مع سنة الله الجارية فى الكون ، لأننا كلفنا بالايمان فى هـــذه الدنيا على أساس

المشاهدة و الرؤية ، فاذا ما تم كل ما كان يتطلبه العقل و الاستدلال عن طريق الأنبياء ، فلا معنى بعد ذلك للايمان ، و ليس العقاب بعد ذلك - من الجور أو الاكراه فى شئ .

(ب) أن يكون هذا التبليغ عن طريق الصالحين ، و أنه لا يمكن أن يأتى إتمام الحجة عن طريق الصالحين فى قوة إتمام الحجة عن طريق الأنبياء و المرسلين لأنهم لا يتمتعون بتلك الوسائل والأسباب التى تتوفر عند الأنبياء ، كما أنهم لا يعيشون تلك الأوضاع الفكرية و القلبية التى يعيشها الأنبياء عليه السلام ، أضف إلى ذلك أنهم لا يمكن أن يكونوا من العصمة والبراءة ، ومن النجوة من الشبهات والشكوك و التهم ، بمكان فيه الأنبياء ، فغاية الحرب التى يشنونها ضد المنكرين لا تعدو أن يكون إقامة العدل و الأمن ، و لا يستطيعون أن يضعوا شيئاً سوى أن ينزعوا القوة السياسية من المنكرين عن طريق الحرب و القتال ، حتى لا يتعدى مرضهم الخبيث إلى آخرين من خلق الله الأصحاء ، و لهذا فلا يجوز لهم أن يتجاوزوا القدر الذى يتحقق به هذا الغرض ، فلو تجاوزوا - ولو خطوة - يستحقون المؤاخذة عند الله ، و تلك هى الحروب التى حاربها الصحابة رضى الله عنهم فيما بعد رسول الله ﷺ ، و كان الصحابة يعرضون على المعارضين أن يستجيبوا لأحد من ثلاثة أشياء ، إما أن يدخلوا فى حظيرة الاسلام ، فهم سواء مع الصحابة فى كل شئ . وإما أن يعيشوا كرعايا الحكومة الاسلامية فعليهم إذن أن يؤدوا مقداراً محدداً من الضريبة ، و أن يخضعوا لها فى جميع شئون الحياة إلا أحوالهم الشخصية فهم فيها أحرار . و إما أن يستعدوا للحرب .

وربما يوهم ذلك أن هذا التبليغ الذى كان يقوم به الصحابة رضى الله عنهم كان فى غاية من الاجمال ولم يكونوا يعرضون الدين الحق على الناس فى تفصيل وإيضاح

كان يعرضه بهما النبي ﷺ، أوكما يجب أن يعرض مفصلا موضحاً حتى يسيغه القلب و تقبله النفس ، ويحبه العقل ، لكن ذلك وهم ليس من الحقيقة فى شئ ، وذلك أنه قد قام هناك فى عهد الصحابة نظام حق فعلا ، لم يكن قائماً فى عهـد الدعوة النبوية على صاحبها الصلاة و السلام ، فلم يكونوا بحاجة إلى التبليغ التفصيلى لتفهيم الاسلام، بل كان النظام الحق القائم ممثلا لحقيقة الاسلام، ولما يتطلبه الله تعالى من خلقه فى حياتهم الفردية و الاجتماعية ، و كان هذا النظام العملى مظهر كل حقيقة ، و موضع وضوح لجميع شئون الحياة ، من العقيـدة إلى العمل ، إلى الاجتماع ، إلى السياسة ، كان يراها العالم جلياً واضحاً فى صورة واقع عملى حى متحرك ، وكان يمكن لكل واحد من الناس أن يعرف الاسلام بظاهره و باطنه ، و بالاعتبارات التى يفوق بها نظم العالم كلها ، ويعرف الأسباب التى تؤهله للبقاء وحده دون جميع النظم فى العالم، ومهما كان هذا النظام قائماً فى العالم، فانه يغنى أهل الحق عن مسئوليات الدعوة التفصيلية و يجدر بالمؤمنين أن يطالبوا العالم أن يخضعوا له ، فلو تمانعوا عن الطاعة فلهم أن يرغموهم عليها بالحرب و المقاتلة و بقوة الساعد والسنان. ويرضى الاسلام للناس - فى صورة عدم إتمام الحجة الذى ربما يقع فى دعوة غير الأنبياء - أن يتشبثوا بأى عقيدة شاؤا ، ولكنه لا يرضى لهم أبداً أن يعرضوا على الناس نظاماً فاسداً جائراً ، بالقوة و السلطان .

٢- والشرط الثانى أن يحارب هذه الحرب الصالحون والمؤمنون، لأن الجهاد الاسلامى يرمى إلى تطهير الأرض من الفساد و الجور ، فلا معنى لنهوض أولئك الذين أصبح الافساد و الهدم شعارهم و دثارهم ، للجهاد و القتال فى سبيل الله ، إنما يقوم بهذا العمل الجليل أولئك الذين يؤمنون إيماناً كاملا لا يشوبه رياء و لا نفاق بالأغراض التى فرض من أجلها الجهاد ، و لأمثال هؤلاء وحـدهم يجوز أن

يسلوا السيوف ، و الحرب التى يحاربونها هم هى التى عبرت عنه الشريعة بالجهاد فى سبيل الله ، فلو قتلوا فيهـــا لدعوا « شهداء » و لو نجوا منها بالحياة لسموا غزاة مجاهدين ، و الذين لا يؤمنون بالحق والعدل اللذين من أجل إقامتها فرض الجهاد لا يسمح لهم الاسلام بأن يريقوا دم أحد من البشر ، ولو صنعوا ذلك لكان عملا هادماً منهم ويسألون عنه يوم القيامة ، والجنود الاسلامية لا تتكون من « المستاجرين» - بفتح الجيم المعجمة - بل تتألف من الرجال الذين يؤمنون - بكل معانى الكلمة - بالاسلام ، و من أجله وحده يقاتلون . . و إن طبيعة الاسلام نفسها تتطلب أن لا ينتشر إلا بالمؤمنين به ، و ألا يسعى وراء تحقيقه و تنفيذه إلا الذين لا يبتغون إلا رضا الله ، وإقامة الحق والعدل ، لا يريدون عرضاً من الحياة الدنيا ، فلو شاب جهودهم و اجتهادهم غرض دنيوى ، لا يكون لجهودهم قيمـــة فى نظر الاسلام ، على أنهم يذوقون وبال ما أراقوه من الدماء ، و من أجل هذا كله كون الأنبياء عليهم السلام جماعة صالحة قبل أن يعلنوا الحرب و يخوضوها ، و لم يؤلفوا جنداً من « المستأجرين » وقد عرض على النبى ﷺ أناس بمناسبات بعض الغزوات أنهم راضون بالمساهمة فى الجهاد حماية للسلمين ، لكنهم لم يكونوا يؤمنون بحقية الاسلام بل كانوا قد عرضوا خدماتهم مدفوعين بالعصبية القومية ، فرفض النبى ﷺ عرضهم و صارحهم بأنه لن يستعين فى هذا العمل بمن لا يؤمنون بالهدف الذى من أجله يخوض المسلمون كلهم هذه الحروب و الغزوات ، و كـــذلك الحروب التى خاضها سيدنا موسى ، وسيدنا داود ، وسيدنا سليمان عليهم السلام إنما خاضوها بالمؤمنين الصالحين ، ليس غير .

و على ذلك فالحروب التى حاربها الصحابة رضى الله عنهم إنمـا ساهم فيها أولئك الذين كانوا يؤمنون عقيدة وعملا بالغرض الذى من أجله أمسكوا السيوف

و علی الرغم من أن نفوذهم کان بعید المدی ، و سلطانهم کان متر امی الأطراف ، فکان بالامکان أن یجمعوا الکثرة الکاثرة من الجنود « المستأجرة » لکنهم لم یصنعوا ذلك فحسب ، بل لم یجندوا الجنود علی الرواتب ، بل کلما عرضت لهم حالة الحرب ، کان ینفر کل منهم بزاده ، و مرکبه ، و بنیة إقامة الدین وحده ، و قد بلغوا من التقوی والورع و الحیطة إلی إنه لو خطر ببال أحد منهم ـ أثناء الأخذ و الرد فیما بینهم و بین الأعداء ـ أنه مدفوع بعاطفة غیر عاطفة الحصول علی وجه الله و نیل رضاه أغمد من ساعته سیفه المسلول حتی لا یلغ فی دم إنسان بمجرد إرضاء الهوی ، و نزوات النفس (١) .

٣ـ الشرط الثالث أن تقام هذه الحروب فی قیادة و إمارة أمیر ذی سلطان و المراد من الأمیرذی السلطة ، أن یکون سلطانه قائماً علی جماعته بالقوة و الدقة ، و یملك أن ینفذ الأحکام الشرعیة فی الناس ، وأن یرغمهم علی طاعتها و الخضوع لها ، و أن یکون خاضعاً هو لسلطة علیا نابعة من سلطة الله ، و أوضح و أقوی دلیل علی ذلك أن الأنبیاء الکرام لم یعلنوا الجهاد ما لم یهاجروا إلی منطقة حرة و ینظموا جماعتهم و أتباعهم ، یدل علی ذلك صنیع سیدنا موسی ، و تشهد به حیاة سیدنا محمد ﷺ ، وقد صنع ذلك من حاول أن یقوم بهذه المسئولیة الجسیمة فی القرون المتلاحقة ، کالسید الامام أحمد بن عرفان الشهید والعلامة إسماعیل عبد الغنی الشهید « ش ١٢٤٦ – ١٨٣١م» فقد هاجرا مع جماعتهما إلی منطقة حرة ، و أسسا فیها إمارة مستقلة و نظما جماعتهما ، و نفذا علیها جمیع الأحکام الشرعیة والحدود الالهیة .

---

(١) قد یمکن شعب الحکومة الاسلامیة من غیر المسلمین أن یساهموا فی الحرب ، لکن ذلك منوط بشروط و أوضاع خاصة ، لا یعنینا هنا تفاصیلها ، وقد أفضت فی الحدیث عنها فی مؤلفاتی الأخری .

و هذا الشرط يجب من سببين اثنين :

(ألف) أولا : لأن الله لا يريد تمزيق نظام باطل ، ما لم يكن هناك أمل فى أن الذين عازمون على هذا التمزيق والتفكيك ، يستطيعون أن يقيموا محله نظاماً حقاً ، إذ أن حالة الفوضى والاضطراب حالة غير طبيعية و غير عادية ، تبعد عن الطبيعة البشرية كل البعد ، حتى تفضل عليها نظاماً باطلا ، ومن ثم فان الله لا يسمح باثارة الحرب لجماعة مبهمة مجهولة ، غامضة ، لا تعرف قوتها وقدرتها ، ولا يحكمها أمير ذو نفوذ و سلطان له الحل والعقد ، قد امتحن فى وفائه و ولائه ، وطاعته و اتباعه ، أعضاء جماعته منتشرون انتشار الخردل ، يستطيعون أن يفرقوا نظاماً ، ولكن ليس لديهم دليل قوى على أن يوحدوا متفرقاً ، ولا تمكن الثقة بهذا الصدد إلا بجماعة تحولت فعلا جماعة سياسية بعدها تنظيم و تنسيق . أصبحت تستحق أن تطلق عليها كلمة « الجماعة » أما قبل ذلك فتستطيع جماعة أن تجتهد وراء الحصول على هذه المكانة مكانة « الجماعة » لكنها غير مسموحة بالاقدام على الجهاد ، بالسيف .

(ب) و ثانياً : لأن السلطان الذى تملكه الجماعة المقاتلة المجاهدة نحو نفوس الناس وأموالهم ، هو سلطان وخطورة بالغة لا تتحمله جماعة لا تعدو سلطة زعيمها عليها سلطة خلقية معنوية ، لأن السلطة المعنوية ليست ضماناً كافياً للحيلولة بين الناس و بين إفسادهم فى الأرض ، ومن هنـــالك فلا يجوز لزعيم إسلامى ، أن يسمح لاتباعـــه بسل السيوف ثقة منه بالسلطة الخلقية و السلطان المعنوى فحسب ، لأنهم لا يفرقون بين الحلال والحرام بعد ما يجربون السيوف لمرة واحده ، فربما يصدر منهم ما قد خرجوا لمحوه بالسيوف ، و مقاومته بالرماح و السنان ، و قد تقوم بهذه التجربة الخرقاء ــ و فعلا تقوم ــ تلك الأحزاب الثورية التى لا ترى إلا إلى إحداث الانقلاب ، ولا تهدف إلا إلى القضاء على سلطان و نفوذ الحزب الحاكم ، و إلى إحلال سلطانها محله . فهى لا تبالى باحتلال الأمن ، و لا تتحرج عن ارتكاب الجور ، ولا ترى معصية فى ممارسة أى وحشية و ضراوة ، فكل شئ مباح عندها ، وجائز فى شريعتها ، أما زعيم الجماعة الحقة التى تحب العدل وتحاول

أن تنشره ، فانه مضطر - طبعاً - أن يلاحظ : أن النظام الذى يريد القضاء عليه هل يستطيع أن يعوض عباد الله نظاماً خيراً منــــه أم لا ، و الظلم الذى نهض بقمعــه ، هل يستطيع أن يمنع منه رجاله كلياً أم لا ، فاذا لم يكن يستطيع ذلك لحرام عليه أن يعرض أموال الناس و أعراضهم و أرواحهم للهلاك اعتماداً منه على مجرد الصدفة ، فيكون - بذلك - قد قام بفساد شر من الفساد الذى نهض لاستأصله .

٣ و الشرط الرابع ، الاعداد ، و استكمال القوة و العدة ، لكن الجماعة الصالحة لا تحتاج إلى تركيز العناية على هذا الجانب بمفرده ، لأن العناية الكاملة بالشروط الثلاثة المذكورة كفيلة بتوفير القوة و الاعداد عفواً ، و الدعوة الحقـة تضم حولهـــا أصحاب الكفاءات و الاستعدادات المختلفة ، و تتوفر عن طريقهم الوسائل المادية والامكانيات اللازمة ، و كذلك تتضاعف قوتهم المعنوية و الخلقية عندما يأخذون طابع جماعة سياسية فى جو حر تحت أمير ذى سلطان و نفوذ ، و يتفسح المجال أكثر من ذى قبل أمام توفر الوسائل و الامكانيات المادية .

و من هنالك فان توفير القوة و العدة منوط بتحقيق الشروط المشار إليها و لا حاجة إلى العناية الزائدة بذلك مفردة ، و لكن على الرغم من ذلك تمس الحاجة من أجل الحروب الهجومية إلى إعداد القوة كشرط لازم ، فاذا ما أعلنت جماعة الحرب قبل هذا الاعداد ، تكون قد عرضت نفسها للمهالك .

و الامعان فى نوعية هذه الشروط الأربعة يدل دلالة واضحة على أن مرحلة الحرب فيما يتعلق بدعوة ما تأتى بعد مرحلتى الشهادة على الناس و الهجرة ، وذلك لأن بعـــد هاتين المرحلتين يتميز الأناس الذين تجوز معهم الحرب فى الاسلام ، وبعدهما تبرز للوجود تلك الجماعة التى يجوز لها أن تقيم العدل و الأمن فى أرض الله بقوة الحديد والنار ، و السيوف و السنان ، و الذين لا يعرفون هذا المنهج العملى النبوى ، و لا يعرفون إلا المنهج الذى تتبعه الأحزاب الثورية ، فعليهم أن يمعنوا فى فوائد و نتائج هذه المراحل الثلاث .

دراسات وأبحاث

الخلافة شروطها و التزاماتها

الأستاذ خالد سالم

الخلافة عقد مراضاة و اختيار ، لأنها بيعة بالطاعة لمن له حق الطاعة من ولاية الأمر . فلا بد فيها من رضا من يبايع ليتولاها ورضا المبايعين له . ولذلك إذا رفض أحد أن يكون خليفة و امتنع من الخلافة لا يجوز إكراهه عليها ، فلا يجبر على قبولها بل يعدل عنه إلى غيره . و كذلك لا يجوز أخذ البيعة من الناس بالاجبار والاكراه لأنه حينئذ لا يصح اعتبار العقد فيها صحيحاً لمنافاة الاجبار لها ، لأنها عقد مراضاة واختيار ، لا يدخله إكراه ولا إجبار كأى عقد من العقود ، إلا أنه إذا تم عقد البيعة ممن يعتد ببيعتهم فقد انعقدت البيعة ، و أصبح المبايع هو ولى الأمر ، فوجبت طاعته ، و تصبح البيعة له بيعة على الطاعة و ليست بيعة لعقد الخلافة ، و حينئذ يجوز له أن يجبر الناس الباقين على بيعته لأنها إجبار على طاعته و هذا واجب شرعاً ، و ليست هى فى هذه الحال عقد بيعة بالخلافة حتى يقال لايصح فيه الاجبار ، وعلى ذلك فالبيعة ابتداء عقد لا تصح إلا بالرضا و الاختيار ، أما بعد انعقاد البيعة للخليفة فتصبح طاعة أى انقياداً لأمر الخليفة و يجوز فيها الاجبار تنفيذاً لأمر الله تعالى ، و لما كانت الخلافة عقداً فانها لا تتم إلا بعاقد كالقضاء لا يكون المرء قاضياً إلا إذا ولاه أحد القضاء . و الامارة لا يكون أحد أميراً إلا إذا ولاه أحد الامارة . و الخلافة لا يكون أحد خليفة إلا إذا ولاه أحد الخلافة .

ومن هنا يتبين أنه لا يكون أحد خليفة إلا إذا ولاه المسلمون ، ولا يملك صلاحيات الخلافة إلا إذا تم عقدها له ، ولا يتم هذا العقد إلا من عاقدين أحدهما طالب الخلافة و المطلوب لها ، و الثانى المسلمون الذين رضوا به أن يكون خليفة لهم ، و لهذا كان لا بد لانعقاد الخلافة من بيعة المسلمين . و على هذا فانه إذا قام متسلط واستولى على الحكم بالقوة فانه لا يصبح بذلك خليفة و لو أعلن نفسه خليفة للسلمين ، لأنه لم تنعقد له خلافة من قبل المسلمين ، و لو أخذ البيعة على الناس بالاكراه و الاجبار لا يصبح خليفة و لو بويع ، لأن البيعة بالاكراه و الاجبار لا تعتبر و لا تنعقد بها الخلافة ، لأنها عقد مراضاة و اختيار لا يتم بالاكراه والاجبار ، فلا تنعقد إلا بالبيعة عن رضا واختيار ، إلا أن هذا المتسلط إذا استطاع أن يقنع الناس بأن مصلحة المسلمين فى بيعة وأن إقامة أحكام الشرع تحتم بيعته و قنعوا بذلك و رضوا ، ثم بايعوه عن رضا و اختيار ، فانه يصبح خليفة منذ اللحظة التى بويع فيها عن رضا و اختيار ، و لو كان أخذ السلطان ابتداء بالتسلط و القوة . فالشرط هو حصول البيعة و أن يكون حصولها عن رضاء و اختيار ، سواء كان من حصلت له البيعة هو الحاكم و السلطان أو لم يكن .

أما من هم الذين تنعقد الخلافة ببيعتهم فان ذلك يفهم من استعراض ماحصل فى بيعة الخلفاء الراشدين و ما أجمع عليه الصحابة . ففى بيعة أبى بكر اكتفى بأهل الحل و العقد من المسلمين الذين كانوا فى المدينة وحدها و لم يؤخذ رأى المسلمين فى مكة و فى سائر جزيرة العرب ، بل لم يسألوا . و كذلك الحال فى بيعة عمر أما فى بيعة عثمان فان عبد الرحمن بن عوف أخذ رأى المسلمين فى المدينة ، و لم يقتصر على سؤال أهل الحل و العقد كما فعل أبو بكر عند ترشيح عمر ، وفى عهد على اكتفى ببيعة أكثر أهل المدينة وأهل الكوفة و أفرد هو بالبيعة واعتبرت

بيعته حتى عند الذين خالفوه و حاربوه ، فانهم لم يبايعوا غيره و لم يعترضوا على بيعته ، و إنما طالبوا بدم عثمان ، فكان حكمهم حكم البغاة الذين نقموا على الخليفة أمراً ، فعليه أن يوضحه لهم و يقاتلهم ، و لم يكونوا خلافة أخرى .

و قد حصل كل ذلك ـ أى بيعة الخليفة من أكثر أهل العاصمة فقط دون باقى الأقاليم ـ على مرأى ومسمع من الصحابة ، و لم يكن هنالك مخالف فى ذلك و لا منكر لهذا العمل من حيث اقتصار البيعة على أكثر أهل المدينة مع مخالفتهم فى شخص الخليفة و إنكارهم أعماله ، و لكن لم ينكروا اقتصار مبايعته على أكثر أهل المدينة ، فكان ذلك إجماعاً من الصحابة على أن الخلافة تنعقد ممن يمثلون رأى المسلمين فى الحكم ، لأن أهل الحل و العقد و أكثر سكان المدينة كانوا هم أكثرية الممثلين لرأى الأمة فى الحكم فى جميع رقعة الدولة الاسلامية حينئذ .

و على هذا فان الخلافة تنعقد إذا جرت البيعة من أكثر الممثلين لأكثر الأمة الاسلامية ممن يدخلون تحت طاعة الخليفة الذى يراد انتخاب خليفة مكانه كما جرى الحال فى عهد الخلفاء الراشدين ، و تكون بيعتهم حينئذ بيعة عقد للخلافة ، أما من عداهم فانه بعد انعقاد الخلافة للخليفة تصبح بيعته بيعة طاعة ، أى بيعة انقياد للخليفة . لا بيعة عقد للخلافة .

هذا إذا كان هنالك خليفة مات أو عزل ، و يراد إيجاد خليفة مكانه ، أما إذا لم يكن هنالك خليفة مطلقاً ، وأصبح فرضاً على المسلمين أن يقيموا خليفة لهم لتنفيذ أحكام الشرع و حمل الدعوة الاسلامية إلى العالم ، كما هى الحال منذ زوال الخلافة الاسلامية فى اسطنبول سنة ١٣٤٣ هجرية الموافق سنة ١٩٢٤ ميلادية حتى يومنا هذا سنة ١٣٧٩ هجرية الموافق سنة ١٩٦٠ ميلادية . فان كل قطر من الأقطار الاسلامية الموجودة فى العالم الاسلامى أهل لأن يبايع خليفة ، و تنعقد به الخلافة

فاذا بايع قطر ما من هذه الأقطار الاسلامية خليفة ، و انعقدت الخلافة له ، فانه يصبح فرضاً على المسلمين أن يبايعوه بيعة طاعة أى بيعة انقياد ، بعد أن انعقدت الخلافة له ببيعة أهل قطره ، سواءاً كان هذا القطر كبيراً كمصر أوتركيا أوإندونيسيا أو كان صغيراً كألبانيا و الكمرون ولبنان على شرط أن تتوفر فيه أربعة أمور :

أحدها : أن يكون سلطان ذلك القطر سلطاناً ذاتياً يستند إلى المسلمين وحدهم لا إلى دولة كافرة أو نفوذ كافر .

ثانيها : أن يكون أمان المسلمين فى ذلك القطر بأمان الاسلام لا بأمان الكفر أى أن تكون حمايته من الداخل والخارج حماية إسلام من قوة المسلمين باعتبارها قوة إسلامية بحتة .

ثالثها : أن يبدأ حالا بمباشرة تطبيق الاسلام كاملا تطبيقاً انقلابياً شاملا ، وإن يكون متلبساً بحمل الدعوة الاسلامية .

رابعا : أن يكون الخليفة المبايع مستكملا شروط انعقاد الخلافة ، و إن لم يكن مستوفياً شروط الأفضلية ، لأن العبرة بشروط الانعقاد .

فاذا استوفى ذلك القطر هذه الأمور الأربعة فقد وجدت الخلافة بمبايعة ذلك القطر وحده وانعقدت به وحده ولوكان لايمثل أكثر أهل الحل والعقد لأكثر الأمة الاسلامية ، لأن إقامة الخلافة فرض كفاية ، والذى يقوم بذلك الفرض على وجهه الصحيح يكون قام بالشئ المفروض . و لأن اشتراط أكثر أهل الحل و العقد إذا كانت هنالك خلافة موجودة يراد إيجاد خليفة فيها مكان الخليفة المتوفى أو المعزول . أما إذا لم تكن هنالك خلافة مطلقاً ويراد إيجاد خلافة ، فان مجردوجودها على الوجه الشرعى تنعقد الخلافة بأي خليفة يستكمل شروط الانعقاد مهما كان عدد المبايعين الذين بايعوه ، لأن المسألة تكون حينئذ مسألة قيام بفرض قصرالمسلمون عن

القيام به مدة تزيد على الثلاثة الأيام ، فتقصيرهم هـذا ترك لحقهم فى اختيار من يريدون . فمن يقوم فى الفرض يكفى لانعقاد الخلافة به ، و متى قامت الخلافة فى ذلك القطر وانعقدت لخليفة ، يصبح فرضاً على المسلمين جميعاً الانضواء تحت لواء الخلافة و مبايعة الخليفة و إلا كانوا آثمين عند الله ، و يجب على هذا الخليفة أن يدعوهم لبيعته ، فان امتنعوا كان حكمهم حكم البغـاة و وجب على الخليفة محاربتهم حتى يدخلوا تحت طاعته ، وإذا بويع لخليفة آخر فى نفس القطر أو فى قطر آخر بعد بيعة الخليفة الأولى وانعقاد الخلافة له انعقاداً شرعياً مستوفياً الأمور الأربعة السابقة ، وجب على المسلمين محاربة الخليفة الثانى حتى يبايع الخليفة الأول ، لما روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص يقول : إنه سمع رسول الله ﷺ يقول « و من بايع إماماً فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه إن استطاع ، فان جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر » و لأن الذى يجمع المسلمين هو خليفة المسلمين براية الاسلام ، فاذا وجد الخليفة وجدت جماعة المسلمين و يصبح فرضاً الانضمام إليهم ويحرم الخروج عنهم ، عن ابن عباس رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال « من رأى من أميره شيئاً فليصبر عليه ، فانه من فارق الجماعة شبراً فمات إلا مات ميتة جاهليـة » . و روى مسلم عن ابن عباس عن النبى ﷺ قال : « من كره من أميره شيئاً فليصبر فانه ليس أحد من الناس خرج من السلطان شبراً فمات إلا مات ميتة جاهلية » . و مفهوم هذين الحديثين لزوم الجماعة و لزوم السلطان .

و لا حق فى البيعة لغير المسلمين و لا تجب عليهم ، لأنها بيعة على الاسلام و على كتاب الله و سنة رسول الله ، و هى تقتضى الايمان بالاسلام و بالكتاب و السنة ، و غير المسلمين لا يجوز أن يكونوا فى الحكم ، إلا أن ينتخبوا الحاكم ، لأنه لا سبيل لهم على المسلمين ، و لأنه لا محل لهم فى البيعة .

البيعـــة :

البيعة فرض على المسلمين جميعاً ، وهى حق لكل مسلم رجلا كان أو امرأة أما كونها فرضاً فالدليل عليه أحاديث كثيرة منها قوله عليه الصلاة والسلام « من مات و ليس فى عنقه بيعة مات ميتة جاهلية » . وأما كونها حقاً للسلمين فان البيعة من حيث هى تدل على ذلك ، لأن البيعة هى من قبل المسلمين للخليفة وليست من قبل الخليفة للسلمين ، و قد ثبتت بيعة المسلمين للرسول فى الأحاديث الصحيحـــة . ففى البخارى عن عبادة بن الصامت قال : « بايعنـــا رسول الله ﷺ على السمع و الطاعة فى المنشط و المكره و أن لا ننازع الأمر أهـله و أن نقوم أو نقول بالحق حيثما كنا لا نخاف فى الله لومـــة لائم » . و فى البخارى عن أيوب عن حفصة عن أم عطية قالت « بايعنا رسول الله ﷺ فقرأ على أن لا يشركن بالله شيئاً و نهانا عن النياحة فقبضت امرأة منا يدها فقالت فلانة أسعدتنى و أنا أريد أن أجزيها فلم يقل شيئاً فذهبت ثم رجعت » . وعن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة و لا يزكيهم و لهم عـــذاب أليم : رجل على فضل ماء بالطريق يمنع منه ابن السبيل ، و رجل بايع إماماً لا يبايعه إلا لدنياه إن أعطاه ما يريد وفى له و إلا لم يف له ، ورجل يبايع رجلا بسلعة بعد العصر فحلف بالله لقد أعطى بها كـذا و كذا فصدقه فأخذها و لم يعط بها » وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : « كنا إذا بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة يقول لنا فيما استطعت » وعن جرير بن عبد الله قال « بايعت النبى ﷺ على السمع و الطاعة فلقنى فيما استطعت و النصح لكل مسلم » وعن جنادة بن أبى أميـــة قال « دخلنا على عبادة بن الصامت و هو مريض قلنا أصلحك الله حدث بحديث ينفعك الله به سمعته من النبى ﷺ قال «دعانا النبى ﷺ فبايعناه فقال فيما أخذ

علينا أن بايعنا على السمع والطاعة فى منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا و أثرة علينا وأن لا تنازع الأمر أهله قال إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان » .

فالبيعة لخليفة هى بيد المسلمين ، وهى حقهم ، وهم الذين يبايعون ، وبيعتهم هى التى تجعل الخلافة تنعقد للخليفة . وتكون البيعة مصافحة باليد أوكتابة لافرق بين الرجال والنساء . فان لهن أن يصافحن (١) الخليفة بالبيعة كما يصافحه الرجال وأما ما روى عن عروة عن عائشة رضى الله عنها قالت « كان النبى ﷺ يبايع النساء بالكلام بهذه الآية لايشركن بالله شيئاً . قال وما مست يد رسول ﷺ يد امرأة إلا امرأة يملكها » فان هذه الرواية تتحدث فيها عائشة عن مبلغ علمها هى . فعلى حد علمها لم تمس يده يد امرأة ، ولكن هناك أحاديث أخرى تدل على المصافحة ، فحديث أم عطية الذى تقول فيه « فقبضت امرأة منا يدها » يدل على أنها كانت باسطة يدها للبيعة ، فلما نهاهن عن النياحة قبضت يدها عن البيعة . و مفهوم « فقبضت منا امرأة يدها » أن غيرها لم تقبض يدها و هذا يعنى أن غيرها بايع بالمصافحة . و هو حديث صحيح رواه البخارى ، وهو نص فى المصافحة فى مفهومه و منطوقه . فتكون البيعة مصافحة بالأيدى ، و قد تكون بالكتابة فقد حدث عبد الله بن دينار قال شهدت ابن عمر حيث اجتمع الناس على عبد الملك قال : كتب إنى أقر بالسمع و الطاعة لعبد الله عبد الملك أمير المؤمنين على سنة الله و سنة رسوله ما استطعت » و يصح أن تكون البيعة بأية وسيلة من الوسائل .

إلا أنه يشترط فى البيعة أن تصدر من البالغ ، فلا تصح البيعة من الصغار ، فقد حدث أبو عقيل زهرة بن معبد عن جده عبد الله بن هشام و كان قد أدرك النبى ﷺ و ذهبت به أمه زينب ابنة حميد إلى رسول الله ﷺ فقالت يا رسول بايعه ، فقال النبى ﷺ هو صغير فمسح رأسه و دعا له » .

---

(١) لا ندرى جمهور العلماء يبيحون ذلك ، و ما دام صوت المرأة الأجنبية لا يجوز سماعه لغير المحارم فكيف بمصافحة المرأة الأجنبية !

« التحرير »

أما ألفاظ البيعة فانها غير مقيدة بألفاظ معينة ، ولكن لابد أن تشتمل على العمل بكتاب الله و سنة رسوله بالنسبة للخليفة ، و على الطاعة فى العسر و اليسر و المنشط و المكره بالنسبة للذى يعطى البيعة و متى أعطى المبايع البيعة للخليفة أو انعقدت الخلافة للخليفة ببيعة غيره من المسلمين فقد أصبحت البيعة أمانة فى عنق المبايع لا يحل له الرجوع عنها ، فهى حق باعتبار انعقاد الخلافة حتى يعطيها ، فان أعطاها لزم بها . و لو أراد أن يرجع عن ذلك لا يجوز ، ففى البخارى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما أن أعرابياً بايع رسول الله ﷺ على الاسلام فأصابه وعك فقال : « أقلنى بيعتى » فأبى ، ثم جاء فقال : « أقلنى بيعتى » فأبى فخرج . فقال رسول الله ﷺ « المدينة كالكير تنفى خبثها و ينصع طيبها » . و عن نافع قال : قال لى عمر سمعت رسول الله ﷺ يقول « من خلع يداً من طاعة الله لقى الله يوم القيامة لا حجة له » . و نقض بيعة الخليفة خلع لليد من طاعة الله . غير أن هذا إذا كانت بيعته للخليفة بيعة انعقاد أو بيعة طاعة لخليفة رضيه المسلمون و بايعوه أما لو بايع خليفة ابتداء ثم لم تتم البيعة له فان له أن يتحلل من تلك البيعة على اعتبار أن المسلمين لم يقبلوه بمجموعهم . فالنهى فى الحديث منصب على الرجوع عن بيعة خليفة لا عن بيعة رجل لم تتم له الخلافة .

« يتبع »

الحقيقة المجردة عن عيد الميلاد

الأستاذ محمد مصطفى رمضان

★ دائرة المعارف الكاثوليكية : العادات الوثنية تحولت إلى عيد الميلاد :

★ دائرة المعارف البريطانية : عيد الميلاد أخذ عن الوثنية !

★ دائرة المعارف الأمريكية : عيد الميلاد هو احتفال رومانى قديم !

ما لهذا الشخص المسلم وعيد الميلاد عند نصارى الغرب ، أو النصارى جميعاً سواء ساروا على الحساب الغربى أوالشرقى فى تحديد تاريخ مولد عيسى عليه السلام ، لست أشك فى أن هذا التساؤل هو ما سيدور فى ذهن بعض القراء و هم يقرأون عنوان هذا المقال و اسم كاتبه ، و أسارع فأطمئنهم إلى أن الأمر لا يعدو أن يكون حديثاً عن كتيب بالانجليزية يحمل نفس عنوان هذا المقال أصدرته « كنيسة جميع أنحاء العالم » الأمريكية بمدينة « باسادينا » فى ولاية كاليفورنيا ، التى تصدر المجلة الشهرية المجانية المعروفة « الحقيقة المجردة » .

و هذا الكتيب الذى يقع متنه فى خمس عشرة صفحة يؤكد بأدلة تاريخية أن عيد الميلاد هو احتفال وثنى لا صلة له - لا من قريب و لا من بعيد - بالنصرانية . أوالمسيحية إن شئت ، و فى هذه « الحقيقة المجردة » مغزى يتجاوز عندنا نحن المسلمين وثنية عيد الميلاد الى صميم عقيدة التثليث والصلب التى «أدخلت» على دين عيسى عليه السلام بعد رفعه إلى السماء كما نص على ذلك الاسلام .

حقائق مذهلة . .

يبدأ مؤلف الكتيب « هربرت أرمسترونج » صفحات كتيبه بهذه الفقرة : « من أين جاءنا عيد الميلاد؟ من الكتاب المقدس أم من الوثنية ؟ إليك الحقائق المثيرة للدهشة - فى هذا الصدد - التى ربما تمثل صدمة بالنسبة لك . . . » .

وتحت عنوان « ماذا تقول دوائر المعارف » أكد الكاتب فى الصفحة الثامنة أن كلمة « عيد الميلاد » لم ترد لا فى الكتاب المقدس بعهديه القديم و الجديد ، و لم تنقل عن الحواريين ، و إنما تسربت إلى النصرانية من الوثنية .

و يمضى الكاتب فيقول : « بما أن الاحتفال بعيد الميلاد إنما جاء عن طريق الكنيسة الكاثوليكية ، و لم يكن مرتكزاً إلى أية سلطة سوى سلطة تلك الكنيسة فدعونا نقرأ ما تقوله دائرة المعارف الكاثوليكية عن هذا الاحتفال فى طبعة ١٩١١م و هذا نصه :

لم يكن عيد الميلاد واحداً من الأعياد الأولى للكنيسة الكاثوليكية ، و أول دليل على هذا الاحتفال إنما جاء من مصر . . فقد تحولت العادات الوثنية الخاصة ببداية شهر يناير فى التقويم الرومانى القديم ، تحولت إلى عيد الميلاد . و يعترف أول الآباء الكاثوليك بالحقيقة التالية : لم يسجل الكتاب المقدس أن أحداً كان يحتفل أو أقام مادبة كبيرة بمناسبة يوم ميلاده إن الآثمين و الخطائين - مثل فرعون و هيرود - هم وحدهم الذين يجعلون من يوم مجيئهم إلى هذا العالم مناسبة للابتهاج العظيم . أما دائرة المعارف البريطانية فهى تقول فى طبعة ١٩٤٦م : (ولم يوجده - أى عيد الميلاد - لا المسيح و لا الحواريون و لا نص من الكتاب المقدس بل أخذ - فيما بعد - عن الوثنية) . و ينقل « هربرت ارمسترونج » عن دائرة المعارف الأمريكية فى طبعة (١٩٤٤م) قولها : (. . و فى القرن الرابع الميلادى

بدأ الاحتفال لتخليد ذكرى هذا الحدث أى ميلاد المسيح ، وفى القرن الخامس أمرت الكنيسة الغربيـــة بأن يحتفل به إلى الأبد فى يوم الاحتفال الرومانى القديم بميلاد « سول » نظراً لعدم معرفة يوم ميلاد المسيح معرفة مؤكدة) .

و يمضى مؤلف كتيب « الحقيقة المجردة عن عيد الميلاد » ليحدثنا عن أن المسيح لم يولد فى الشتاء بأدلة من الأناجيل مفادها أن الرعاة كانوا يحرسون أغنامهم ليلا وقت ميلاد المسيح و هو أمر لم يكن يحدث فى فلسطين شتاء . و إنما قبل منتصف أكتوبر ، و ينقل « هربرت ارمسترونج » عن دائرة معارف « تشاف - هيرزوج الجديدة للمعرفة الدينيـة » قولها : « ليس باستطاعتنا أن نقرر بدقة إلى أى مدى اعتمد تاريخ الاحتفال بعيد الميلاد على احتفال (بروماليا) الوثنى وتاريخه هو الخامس و العشرون من ديسمبر . الذى كان يلى احتفال (ساتورناليا) الذى كان يمتد من السابع عشر من ديسمبر إلى الرابع والعشرين منه ، أى على مدى أسبوع كامل وأيضاً على الاحتفال بأقصر يوم فى السنة وبالشمس الجديدة ، لقد كان احتفالا « ساتورناليا و بروماليا » الوثنيان راسخين بشدة فى العادات الشعبية بحيث إنه كان من الصعب على المسيحيين أن يتجاهلوهما . . ولقد كانت لهذين الاحتفالين ببهرجهما و صخبهما و مرحهما و بهجتهما شعبية كبيرة بحيث إن المسيحيين سعدوا حين وجدوا سبباً لكى يواصلوا الاحتفال بهما مع إحـداث تغيير طفيف فى روحهما و أسلوبهما و قد احتج الوعاظ الميسيحيون فى الغرب و فى الشرق الأدنى على الطريقة العابثة التافهـــة التى تم الاحتفال فيهـا بمولد المسيح ، بينما اتهم مسيحيو ما بين النهرين - دجلة والفرات - إخوانهم الغربيين بالوثنية وعبادة الشمس باتخاذهم هذا الاحتفال الوثنى عيداً مسيحياً » .

و نمضى مع كتيب « الحقيقة المجردة عن عيد الميلاد » فاذا بمؤلفه يقول

تعليقاً على الاقتباس السابق : « يجب أن تتذكر أن العالم الروماني كان وثنياً ، وكان المسيحيون قبل القرن الرابع الميلادي قلة من حيث العدد - وإن كانوا يتزايدون - و كانت الحكومة و الوثنيون يضطهدونهم ، و لكن بتنصيب قسطنطين امبراطوراً و هو الذي اعتنق المسيحية في القرن الرابع واضعاً إياها على قدم المساواة مع الوثنية . بدأ مئات الألوف من سكان العالم الروماني يقبلون المسيحية التي أصبحت وقتها . ذات شعبية ، وعلينا أن نتذكر أن هؤلاء الناس نشأوا وترعرعوا في خضم العادات والتقاليد الوثنية التي كان أبرزها هذا الاحتفال الوثني الذي يقام في الخامس والعشرين من ديسمبر . والذي كانوا يستمتعون به والذي لم يكونوا راغبين في التخلي عنه .

و نفس هذا المقال الوارد في دائرة معارف « شاف - هير زوج » يشرح كيف أعطى اعتراف قسطنطين بيوم الأحد (يوم الشمس و هو معنى المقطعين اللذين تتكون منهما كلمة يوم الأحد بالانجليزية) الذي كان يوم عبادة الشمس عند الوثنيين و كيف أعطت تأثيرات العقيدة المانوية (نسبة إلى شخص فارسي اسمه « ماني » دعا إلى دين ثنائي يقوم على الصراع بين النور و الظلمة) التي كانت ترى أن « ابن الاله » هو و الشمس شئ واحد . كيف أعطى هذان الأمران - اعتراف الامبراطور قسطنطين بيوم عبادة الشمس ، و تأثيرات المذهب المانوي - وثنيي القرن الرابع الذين كانوا يتجهون بالجملة إلى المسيحية ، العذر الذي كانوا يبحثون عنه لتسمية الخامس و العشرين من ديسمبر ، و هو تاريخ مهرجانهم الوثني الذي يحتفلون فيه بمولد الشمس الاله . لتسمية عيد الميلاد ابن الاله ، و بهذه الطريقة أصبح (عيد الميلاد) لصيقاً بعالمنا الغربي !

و من الممكن أن نطلق عليه اسماً آخر و لكنه يظل دوماً مهرجان عبادة الشمس الوثني القديم ! و التغير الوحيد إنما يتمثل في الاسم الذي نطلقه عليه !

لك أن تسمى الأرنب أسداً و لكنه سيظل أرنباً رغم التسمية ! !

الأصل الحقيقي لعيد الميلاد

و لكن إذا كنا قد أخذنا عيد الميلاد عن الكاثوليك و هم أخذوه عن وثنية فمن أين أتى به الوثنيون ؟

أين و متى و ماذا كان أصله الحقيقي ؟ و يروى لنا مؤلف الكتيب قصة لأصل الحقيقي لعيد الميلاد على هذا النحو .

« كان نمرود ـ و هو حفيد حام ابن نوح ـ رجلا شريراً فى مدينة بابل التى غرق أهلها فى الترف و الآثام . . و يقال إنه تزوج أمه التى كان اسمها سميرا ميس . و بعد موته المفاجئ نشرت سمير أميس عقيدة شريرة مفادها أن نمرود ظل على قيد الحياة فى شكل كائن روحى . وادعت أن شجرة مخضرة اخضراراً دائماً نبتت ذات ليلة فى جذع شجرة ميتة ، و هو ما يرمز إلى انبثاق حياة جديدة من الميت نمرود ، وزعمت سميرا ميس أن نمرود يزور تلك الشجرة الدائمة الاخضرار فى ذكرى عيد ميلاده من كل سنة و يترك فوقها هدايا ، و كان تاريخ ميلاد نمرود الخامس والعشرين من ديسمبر وهذا هو الأصل الحقيقي لشجرة عيد الميلاد و نجحت سميرا ميس فى خططها لكى تصبح « ملكة السماء المقدسة » وأصبح نمرود ـ تحت أسماء عديدة ـ (ابن السماء المقدس) وعلى مر العصور أصبح نمرود فى طقوس العبادة الوثنية هذه هو المسيح الدجال ابن بعل إله الشمس ، وفى هذا النظام البابلى الزائف أصبحت الأم والطفل ـ سمير اميس و نمرود الذى ولد مرة أخرى ـ أصبحا محور تلك العبادة .

وقد انتشرت عبادة « الأم والطفل » هذه فى أنحاء العالم ، وتعددت أسماؤهما فى البلدان و الأقطار المختلفة ففى مصر سميا « إيزيس وأوزوريس » و فى آسيا

« سيبيلى و ديويس » وفى روما الوثنية « فورتشيونا وجوبيتربور » حتى فى اليو
و الصين و اليابان وتاييه وجد مثيل للام والطفل قبل ميلاد المسيح بزمن طويل

و هكذا أصبحت أيضاً فكرة « الأم و الطفل » فى القرنين الرابع و الخام
الميلاديين عند ما كان مئات الألوف من وثني العالم الرومانى « يقبلون » المسيح
التى كانت لها شعبية وقتها ، حاملين معهم عاداتهم و عقائدهم الوثنية القديمة تخف
تحت أسماء. لها وقع مسيحى ليس إلا ، أصبحت هذه الفكرة أيضاً ذات شعبية كبير

ردة منظمة ؟

إن الأصل الحقيقى لعيد الميلاد إنما يعود إلى بابل القديمة ، إنه جزء لا يتجز
من الردة المنظمة التى أمسكت بخناق العالم المخدوع طيلة هذه القرون العديده :
لقد كان المصريون القدماء يؤمنون دوماً بأن ابن إيزيس - و هو الاسم المصر
للكة السماء - ولد فى الخامس والعشرين من ديسمبر . و كان الوثنيون يحتفلون به
العيد المشهور فى معظم أنحاء العالم المعروف على مدى قرون عديدة قبل ولاد
المسيح . إن الخامس والعشرين من ديسمبر ليس هو يوم مولد يسوع . . . « المسي
الحقيق » . و يمضى المؤلف فيثبت بالأدلة التاريخية - أيضاً - أن مظاهر الاحتفا
بعيد الميلاد - من باقات نبات الهولى إلى بابا نويل إلى عادة تقديم الهدايا فى هذ
الاحتفال - هى عادات وثنية محضة :

هذا سرد رائع مروع لحقيقة الاحتفال بما يوصف بأنه « عيد ميلاد المسيح
عليه السلام نقلناه حرفياً من مصدر كنيسى معاصر صدرت حتى الآن ثلاث طبعات
١٩٥٢ - ١٩٧٢ - ١٩٧٤ و لاشك أن القارىء المسلم لهذا السرد التاريخى المثير
قد خرج بنتيجة فرعية هى فى واقع الأمر أخطر مما قصد مؤلف الكتيب إلى إثباته
تلك هى حقيقة أن عقيدة التثليث نفسها لا تعدو أن تكون كعيد الميلاد سواء
بسواء فكرة وثنيــة (أخفاها وثنيو القرنين الرابع و الخامس تحت اسم له وقع
مسيحى) ليس إلا .

و من يخامره أدنى شك فليقرأ المقال مرة أخرى . .

المفهوم الاسلامى لحقوق الانسان الأساسية [1]

(الحلقة الثانية)

الأستاذ صلاح الدين
« معرب »

و انستعرض الآن الجانب التشريعى لهذه الحقوق ، و معلوم أن كثيراً من الناس يخطئون فى هذه المناسبة ، فيعتبرون المفهوم الغربى للحقوق مقياساً لهم ، ثم ينتقون من الكتاب و السنة قائمة من الحقوق ينطبق عليها مقياس الغرب و تتفق و نطاقه المحدود ، الأمر الذى يجعل المفهوم الاسلامى للحقوق تابعاً للمفهوم الغربى فيتنزل فى الدرجة الثانية و لا تتضح ملامحه الحقيقية .

إن الحقوق الأساسية لدى الغرب تدور فى نطاق العلاقة بين الفرد والدولة ، و الحقوق التى يملكها الفرد فى الدولة بازاء سلطتها الواسعة تعتبر حقوقاً أساسية لدى الغربيين ، و هى بمثابة الحقوق الدفاعية (Defensive) و الحقوق الوقائية (Protective) وغايتها الأساسية هى حفاظ الأفراد المجردين عن السلطة من جور الحكام المستبدين ، فالدستور الذى يشمل هذه الحقوق يقيم الفرد والدولة كخصمين متلازمين ، و يكون الدستور بينهما بمنزلة « اتفاقية » تعين لواحد منهما حدود سلطته المعترف بها . و للآخر حدود حقوقه الأساسية .

بالعكس من ذلك فان الفرد و الدولة فى الاسلام أو الرعية و الحكام ليسوا خصمين ، فلا الحاكم يعترف بحقوق الفرد ولا الفرد يسلم بسلطة الحاكم ، إذ ليس بينهما وثيقة دستورية اتفق عليها الاثنان حول تعيين الحقوق و السلطة بوحى من

رغبة النفس أو بحكم الأهواء ، بل إن كلا منهما يكون مرتبطاً بعهد من ربه والحاكم الأعلى ، على وجه سواء ، كل واحد منهما يحتل محلا واحداً من حيث كونه خليفة الله ، إذ أن الخلافة ليست لفرد أو جماعة بل إنها أمانة فوضها الله تعالى إلى الأمة الاسلامية بأسرها ، يقول الله تعالى :

« وعد الله الذين آمنوا منكم و عملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم » (١)

هذه الآية واضحة فى كون سلطة الخلافة أمانة عامة بين المسلمين كلهم من حيث المجموع . و ذلك ما جعل الخليفة الأول أبا بكر الصديق رضى الله عنه أن يرفض لقب الخلافة لنفسه بدليل أن الخلافة إنما هى للامة الاسلامية كلها لا لنفسه فحسب ، والواقع الأصيل لخلافته هو أن المسلمين كانوا قد ألزموه سلطة الخلافة برضاهم ، ونظراً إلى هذه الحقيقة فان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه رضى بلقب «أمير المؤمنين» لنفسه وظل هذا المصطلح قائماً إلى من جاء بعده من الخلفاء الراشدين ، إن أمير المؤمنين و الرعايا الذين يعيشون تحت امرته و فى حدود حكمه مسئولون عن تنفيذ حدود الله ، كل فى حد ذاته و وظيفته ، إن حقوقهم و سلطتهم ليست مما اتفقوا عليه فيما بينهم ، بل إنها منزلة من عند الحاكم الأعلى ، و لذلك فان كلا من الأمير و الرعية مطلوب منهم أن يعيشوا مع دستور الكتاب و السنة الخالد الدائم الذى لا يعرف نسخاً أو تعديلا (Irrevocable) و الذى لا يسع أى بند من بنودها ، أو مادة من موادها أن تقبل أى مندوحة للنقاش و تبادل الآراء ، (Negotiable) ولاصدام بين حقوقهم وسلطة أميرهم ، فانهما نطاقان متصلا الحلقات و الأجزاء ، لا ينفك بعضها عن الآخر .

---

(١) سورة النور : ٥٥

و فى هذه الخلفية نستطيع أن نلمس اتساع نطاق الحقوق الأساسية فى الدولة الاسلامية ، إذ أنها ليست كحقوق الدول المادية التى تتحدد بين علاقة الفرد مع الدولة ، إن نطاق دستور القرآن ليسع حياة الانسان بأسرها ، لأنه لا يضبط العلاقات بين الفرد و الدولة فحسب بل إنه يتقدم خطوة أخرى فيتناول العلاقات كلها من العقائد و العبادة و الأخلاق والاجتماع والمدنية و الاقتصاد و السياسة والعدالة والسلم و الحرب وما إليها من علاقات لايأتى عليها الحصر فى نواحى الحياة الأخرى ويضبطها بحيث لا يترك للدولة إلا مجالا محدوداً للتشريع مع وضع حد فى هذا المجال المحدود أيضاً على تشريع حر ، و الاشتراط على رجال القانون أن لا يتجاوزوا الكتاب و السنة قيد شعرة فى تشريعهم الذى يجب أن يتفق و روح الشريعة .

فالحقوق التى منحها الكتاب والسنة لفرد من الأفراد و أصبحت جزءاً للدستور حيث لا تملك فيها الدولة أى سلطة تشريعية ، ودوائر العدل كلها تقر بها ، تعتبر حقوقاً أساسية ، لا تتحدد فى حرمة النفس و حرمة العرض و حرمة المال ، و فى الانصاف و المساواة و الحرية ، و إبداء الرأى و حرية العقيدة بل إنها تجاوزها من حقوق مدة الرضاعة للطفل الرضيع إلى سوق الصداق للزوجة ، تلك التى عينها الله و رسوله ، و لا يمكن تناولها بالتغيير والتعديل أبداً ، ولقد أطلق القرآن الكريم مصطلح حدود الله على الحدود التى فرضها على سلطة الانسان التشريعية و هذه الحدود إنما تعود على الفرد و الدولة كليهما على السواء ، فالأشياء التى أحلها الله تعالى لعباده لا يسع أى فرد ولا الدولة الاسلامية أن تحرمها ، حتى إن فرداً لا يستطيع أن يحرمها على نفسه ، و لننظر إلى تعاليم القرآن حول العمل بهذه الحدود ، يقول فى سورة البقرة بعد بيان فرضية الصيام و أحكامه .

« تلك حدود الله فلا تقربوها (البقرة ١٨٧) .

و يقول و هو يتحدث عن صفات أهل الايمان :

« التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف و الناهون عن المنكر ، و الحافظون لحدود الله » (التوبة - ١١٢)

و القرآن صرح بأن الانسان ليس له أن يضع قانوناً فيما فيـــه قانون الله موجود ، و ليس له أن يحل أو يحرم و يبيح ويمنع ، بل و لا يسعه إلا اتباع الله و رسوله ، يقول :

« اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء» (الأعراف ٣)

« و من لم يحـــكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون - هم الظالمون - هم الفاسقون » المائدة ٤٤ - ٤٥ - ٤٧) .

« يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم و لا تعتـدوا إن الله لا يحب المعتدين » (المائدة - ٨٧) .

« قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراماً وحلالا ، قل آلله أذن لكم ، أم على الله تفترون » (يونس ٥٩) .

« و لا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب ، هذا حلال و هذا حرام لتفتروا على الله الكـذب » (النحل - ١١٦) .

وما وضع الله تعالى الحد على التشريع لعامة الناس بل إنه لم يجعل لنبيه ﷺ أى سلطة للتشريع من عند نفسه فيما يوجد فيه حكم الله و شريعته ، يقول :

« قل ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسى ، إن أتبع إلا ما يوحى إلى ، إنى أخاف إن عصيت ربى عذاب يوم عظيم » (يونس - ١٥) .

فمن المعلوم أن النبي ﷺ لما حرم على نفسه ما أحل الله له من العسل ابتغاء مرضاة بعض أزواجه سأله الله عما إذا كان قد حرم شيئاً على نفسه أحله الله .

« يا أيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك تبتغى مرضاة أزواجك و الله غفور رحيم » (التحريم - ١) .

رغم أن النبى ﷺ لم يكن قد حرم العسل على غيره من عامة الناس ، وهل يمكن أن يخطر بباله ﷺ أن يحرم ما أحله الله ، سوى أنه منع ذلك لنفسه فقط و لكن عمل الرسول يكون حجة على الناس لحاسبه الله تعالى وأخبره بأنه لايملك أى خيرة فى تحريم شئ أحله الله ، و لو على نفسه لحسب .

هذه سلطـــة النبي بإزاء أحكام الله تعالى فى جانب و فى جانب آخر يصرح القرآن بأن حكم الرسول و قضاءه هو الحكم الأخير المحتوم فى الأمور التى ينقصها حكم الله ، أو تتطلب الشرح والايضاح ، و إن حكم الرسول فيها كحكم الله تعالى ، و ذلك لأن الرسول إنما هو مظهر حاكمية الله تعالى فى هـــذه الدنيا ، فى السياسة و القانون ، و لقد عين الله تعالى مكانة الرسول كشارح (Interpreter) و كمشرع (Legislatur) فى قوله : « من يطع الرسول فقد أطاع الله » (النساء - ٨٠) . و ما آتاكم الرسول فخذوه ، و ما نهاكم عنه فانتهوا » (الحشر - ٧) .

و إذا وضعت قائمة لحقوق الانسان الأساسية فى الدولة الاسلاميـة فى ضوء الكتاب و السنة مع ملاحظة مكانتهما فى هذا المجال لشملت جميع ما عينـــه الله و رسوله من الحقوق ، مهما كانت علاقتها بأى جانب من جوانب الحياة .

وأى فرق بين الحقوق الأساسية (Fundamental Rights) والحقوق القانونية (Legal Rihgts) غير أن الأولى لا تقبل النسخ والتعديل ، وهى فوق سلطة الدولة التشريعية ، و لا يمكن تعطيلها و تحديدها بأى طريق سوى ما ينص عليه الدستور من طرق غير عادية للنسخ والتعديل ، إنها تضع حداً على سلطة الدولة التشريعية ، و تؤمن حياة الأفراد من المواطنين ، ويمكن الانتفاع بها عن طريق المحاكم العدلية

والحد على جور الولاة والحكام بمساعدتها ، بالعكس من ذلك فان الحقوق القانونية تعتبر ضمن التشريع العام (Ligislation) و فى نطاقه ، و بامكان الدولة أن تقوم بأى تعديل أو تغيير و حذف و زيادة بحكم سلطتها التشريعية .

فلننظر ـ مع ملاحظة هذا الفرق الهائل بين الحقوق الأساسية والحقوق القانونية ـ إلى كل حق صرح به الكتاب والسنة ، وليس هو فى نطاق سلطة الدولة التشريعية و الذى يمكن الانتفاع بها عن طريق المحاكم العدلية ، و لم يمنح الكتاب و السنة أى سلطة غير عادية فيه ، حتى يمكن سلبه أو تعطيله استناداً إلى طوارىء الأوضاع وما أشبهها ، إن حقاً كمثل هذا كيف يمكن فصله عن قائمة الحقوق الأساسية ؟ ألمجرد أن الغربيين إنما يعتبرون الحقوق التى لها صلة بعلاقة الفرد مع الدولة حقوقاً أساسية ، ويمكن الاستدلال بهذا المنطق للحث على اتباع الغرب ، ولكن لا يقام له وزن ما فى المصطلح القانونى للحقوق الأساسية ومفهومها الحقيق ، إن الحقوق التى تحل مكانة عالية فى التشريع ، ولا يمكن الدولة أن تتناولها بأى نسخ أو تعديل ، والتى يمكن الاستناد إليها عن طريق المحاكم العدلية ، تعتبر ـ غير شك ـ حسب أى تعبير قانونى من الحقوق الأساسية .

فمثلا إذا طلقت امرأة ذات رضيع يعين القرآن بين الرضيع و المطلقة وزوجها المطلق حقوقاً و واجبات ، يقول :

« و الوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة ، وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، لا تكلف نفس إلا وسعها ، لا تضار والدة بولدها و لا مولود له بولده ، و على الوارث مثل ذلك ، فان أرادا فصالا عن تراض منهما و تشاور فلا جناح عليهما ، وإن أردتم أن تسترضعوا أولدكم فلا جناح عليكم إذا سلمتم ما أعطيتم بالمعروف » (البقرة ـ ٢٣٣) .

فالحقوق التى تشير إليها الآية للرضيع وأمه و والده، كلها من ضمن الحقوق
ساسية، ذلك لأنها جزء من دستور الدولة، وتعينت بأمر من ربها، و هى مما
، الحصول عليه عن طريق المحاكم، فلا تسع الدولة أن تضع قانونا ما فى هذا
ضوع، فالمدة التى قررها القرآن للرضاعة لايمكنها نقص يوم أوزيادته فيها، ويمكن
ر حق الرضيع هذا فى الدولة الاسلامية بما وقع للغامدية التى جاءت إلى رسول
ﷺ فقالت: يارسول الله: إنى قد زنيت فطهرنى، وإنه ردها أربع مرات
قالت: فوالله إنى لحبلى، قال: أما لا فاذهبى حتى تلدى، فلما ولدت أتته بالصبى
خرقة، قالت هذا قد ولدته، قال اذهبى فأرضعيه حتى تفطميه. فلما فطمته أتته
بى فى يده كسرة خبز، فقالت هذا يا نبى الله، قد فطمته، و قد أكل الطعام
ع الصبى إلى رجل من المسلمين ثم أمر بها لحفر لها إلى صدرها و أمر الناس
جموها (١).

هذا الحديث فيه دليل على أن الرسول ﷺ إنما أخر تنفيذ الحد على الغامدية
فاظ على النفس أولا، ولاستكمال مدة الرضاعة ثانيا، و لما اطمأن إلى الصبى
لا يضره فطامه وفقدان أمه، فعل ذلك، ففى الحادث إشارة إلى الحقين الأساسيين
ين كانا يضيعان لولا أن تنفيذ الحد أخر، وإن تأجيل الحد إلى أجل على إثم
نا يؤكد ما للجنين والصبى من حق أساسى فى الاسلام فضلا عن رعايا الدولة،
لا شك فان هذا الحكم الذى أصدره النبى ﷺ من نظائر القانون الاسلامى،
ث إن الدولة الاسلامية لا تتمكن من أن تحكم بغير هذا الحكم فى أى حادث مثله،
إن سلطتها التشريعية خاضعة لهذا الحكم، وإن هذا الخضوع هو الذى يجعل حق
لادة و حق الرضاعة للطفل ضمن الحقوق الأساسية.

(١) تفهيم القرآن للودودى ج ٣/ ص ٣٣٦.

و هـذا الحكم النبوى يعين حقاً آخر ثالثاً ، و هو أن ولد الزنا يعتبر بريئاً فى نظر القانون ، فاذا كانت الدولة مسئولة عن تنفيذ حد الزنا على لزانى والزانية تتعهد أيضاً بتربية الولد و تتحمل مسئولية كفالته و ذلك أن الولد يتمتع بثلاثة حقوق من الولادة و الرضاعة و الكفالة ، و يعيش فى المجتمع كأحد أفراده من غير أن يواجه أى احتقار و ازدراء .

و لنأخذ الآن حقاً آخر يعتبر فى نطاق الحقوق الخلقية بوجه عام غير أنه حق أساسى أحله الله و رسوله هذا المحل ، يقول الله تعالى :

« و قضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه و بالوالدين إحساناً ، إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما ، فلا تقل لهما أف و لا تنهرهما و قل لهما قولا كريماً و اخفض لهما جناح الذل من الرحمة ، و قل رب ارحمهما كما ربيانى صغيراً » .

« سورة بنى إسرائيل - ٢٤ » .

وعلى هذا الأساس أصدر النبى ﷺ حكمه فيما اشتكى إليه رجل ضد أبيه ، و أنه يتصرف فى ماله ، فقال : « أنت و مالك لأبيك » ثم أوصى الأب أن يتمتع بمال ولده ، فان أنكر فليخبره به لكى يساعده فى ذلك ، وكذلك قضى النبى ﷺ باعطاء مال الولد لأبيه ، حينما حضر إليه الولد و قال إن أبى يطلب منى مالى ويريد أن أتنازل عنه . فقال الرسول ﷺ : تنازل عنه .

فى ضوء حكم الله و حكم رسوله هذا عين الفقهاء حقوق الوالدين وسلطتهم بتفصيل ، و هو دليل على أن ذلك ليس مجرد توصية خلقية بل إنه حق أساسى لا تستطيع أن تغيره الدولة بسلطتها التشريعية ، إنها لا تقدر على تجريد الوالدين مسئولية تكفل الأولاد .

و لنأخذ الآن مسألة الصداق ، فان حق الزوجة عليها أن تستلم منه الصداق حسب ما اتفقا عليه عند عقد الزواج ، كما أشار القرآن الكريم إلى هـذا الحق

وله : « وآتوا النساء صدقاتهن نحلة ، فان طبن لكم عن شئ منه ، فكلوه هنيئاً
يئاً » (النساء - ٤) . و فى آية أخرى « فما استمتعتم به منهن فاتوهن أجورهن
يضة » (النساء - ٢٤) .

كأن القرآن قد جعل الصداق حقاً للمرأة لازماً على زوجها إلا أن تتنازل عنه
رأة برضاها من غير إكراه ، ولكن الدولة لا تملك أى سلطة فى إسقاط هذا الحق
تحديده ، و لذلك حينما أراد عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن يضع حـــداً
ل الصداق و يحدده ، و قال اثنـاء خطبته : لا تزيدوا صدقاتهن على ٤٠/ أوقية
الفضة ، و إن كانت المرأة بنت أغنى الأغنياء ، و ما زاد على هذا المقـــدار
ضع فى بيت مال المسلمين .

قامت امرأة طويلة من صف النساء و رفعت صوتها قائلة ليس لك حق فى
ا ، قال كيف لا : فأجابت المرأة أن الله تعالى يقول : « و آتيتم إحـــداهن
طاراً فلا تأخذوا منه شيئاً ، أتأخذونه بهتاناً و إثماً مبيناً (النساء ٢٠) .

فقال عمر بن الخطاب أصابت المرأة وأخطأ عمر ، وفور ذلك رجع عن حكمه
كف عن تحديد الحق عندما سمع حكم الله فى ذلك ، وهذا دليل على أن صداق
رأة أيضاً من الحقوق الأساسية لا تستطيع الدولة إسقاطه أو تحديده و تعطيله .

و كذلك القصاص ، و الدية ، و النفقة ، و الارث ، و الوصية و النكاح
الطلاق ، و قضايا العقود و التعزير و الحراب و ما يتعلق بهـــا يعتبر حقوقاً
اسية عينها كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وإن الدولة لا تملك التعديل و التغيير
ها لحسب بل إنها مسئولة عن تنفيذها بناء على قضاء الله و رسوله .

وإن الحقوق هنا ليست دفاعية وحفاظية ، بل إنها حقوق إيجابية (Positive)
على الدولة الاسلامية أن تعمل جهدها باستخدام وسائلها و إمكانيتها على تأكيد
فيذها فى الحياة و المجتمع . « يتبع »

المَرْأَةُ

المرأة قبل الاسلام و بعده

(الحلقة الثانية)

الأستاذ سعيد بن عبد الله سيف الحاتمى

سابعاً : اليهودية

لقد اعتبرت بعض طوائف اليهود البنت بمرتبة أدنى من مرتبة أخيها الولد
نزلوا بها إلى مستوى ما بعـــده مستوى ، نزلوا بها إلى مستوى الخدم و أحط
. و لم تكن التقاليـــد تسمح لها بأن ترث شيئاً من أبويها إذا كان لها إخوة
ر ، و كان للأب مطلق الحرية عليها و كان له الحق فى بيعها إذا أراد ذلك
ط أن يبيعها قبل سن البلوغ .

و عنـد ما تتزوج المرأة ينتقل كل ما تملكه إلى زوجها ، وله الحق على كل
كاتها مدة بقائها تحت رباط الزوجية .

و إذا فاجأت الزوجة زوجها فى عملية خيانة زوجية (الزنا) بامرأة أخرى
عليها إلا أن تصبر على ما تراه ، وتسكت دون أن تنبس ببنت شفة ، وذلك لأنه
للزوج الحق الكامل عليها يعمل ما يشاء دون معارضتها .

و يعلم التلمود اليهود أن الصلوات العلنية فى المجامع اليهودية تستدعى حضور
رة رجال لأن تسعة رجال ومليوناً من النساء لا تؤلف محفلا كاملا ، فيكون عندئذ
ضور الله ناقصاً ، لأن المرأة ليست شيئاً ، ونقرأ ما يلى من كتاب همجية التعاليم
صهونية لكاتبه بولس حنا سعد .

إن جمهوراً من الحكماء الأولين كالربانى داب وفشنال و غيرهما كانوا ينادون جهاراً فى كل مدينة ينزلون بها ، ولا يجدون لهم امرأة من النساء تريد أن تكون امرأة لهم بضعة أيام .

و يصرح الربانى الياسى فى التلمود : على الرغم من يوم الغفران الكبير كان ينفض بكارة عذارى كثيرات لأن الخطيئة لا تتم إلا أمام باب القلب و أما شر الرجال فيترك داخل النفس نقياً » .

و يقضى التلمود عن الربانى العازر : أنه لم يترك فى العــالم بأسره امرأة من غير أن يكون ضاجعها و فى بعض الأيام سمع أن واحدة منهن تقتضى مضاجعتها صندوقاً من الذهب لحمل الصندوق و ذهب إليها قاطعاً سبعة أنهار .

إن اليهودى يمكنه استعمال اليهودية كما يشاء وهى بدورها لها أن تحبل أولا ، و إذا فض بكارة نصرانية و حبلت منه فان أولادها لا يدونون فى التقويم تحت أسماء يهود ويمكن استعمال الصادومية (١) كلما كان ذلك مفرحاً له إلا أن الرجل غير اليهودى لا يمكنه أن يستعمل صـادوميا إلا المرأة غير اليهودية . إن اليهودى يستطيع إشباع شهواته من الأجنبى و امرأته من غير وازع أو رادع . لذلك يعلم التلمود اليهود أن اليهودى إذا زنى بامرأة غير يهودية أو هتك عرض فتاة أجنبية فانه ينال ثواباً عند الله . وكما أن الوالد يعمل على توفير السعادة لأبنائه هكذا الله تعالى - استغفر الله - يعمل على إسعاد أبنائه الاسرائليين بأن يترك لهـــم الحبل على الغارب .

من الفطنة الانقطاع عن المراقص لأن فى ذلك خطيئتين :

---

(١) مضاجعة الرجل أو المرأة من الدبر .

١ـ أثواب الراقصات تثیر کوامن الشهوات القبیحة ٢ـ و جمالهن الذی یستغرق منا عبارات المدح و الثناء .

وهذان الأمران ممنوعان بتاتاً إذا کانت الراقصات غیر یهودیات ، قال موسی لا تشته امرأة قریبك و من یرتکب الفحشاء مع امرأة قریبة یستحق الموت . التلمود یعلم أن الله تعالی لم یحرم علی الیهودی ارتکاب الفحشاء إلا مع امرأة قریبة الیهودی فقط أما نساء الأجانب فمباحة له .

إن الیهودی لا یؤمن بأنه یرتکب الفحشاء عند ما یفض بکارة فتاة نصرانیة ، وان للیهودی حقاً فی أن یتمتع بامرأة غیر مؤمنة (أی أجنبیة) إن تجارة البغاء الأجنبي أو الأجنبیة لیست إثماً لأن الشریعة براء منهما . و لهذا السبب یسمح فی بعض الظروف للیهودیة أن تتزوج نصرانیاً حتی تسلیه دینه بما کنتها له مساکنة غیر شرعیة .

إن من یحلم أنه ارتکب الفحشاء مع أمة یمکنه أن یصیر حکیماً ، و من یحلم أنه ارتکب الفحشاء مع خطیبته : له أمل کبیر فی الحصول علی صداقة الشریعة ، ومن یحلم أن ارتکب الفحشاء مع شقیقته له أمل کبیر فی إنارة نفسه ، ومن یحلم أنه ارتکب الفحشاء مع امرأة قریبة یحصل علی السعادة الخالدة .

إن البنت التی لها من العمر ثلاث سنوات ویوم واحد تکون خطیبتها بالمضاجعة و لکن إذا کان عمرها أقل من ثلاث سنوات یلتزم خطیبها إزالة بکارتها .

ماذا تقول المرأة الیهودیة عند ما تشاهد زوجها متملقاً تملقاً ذمیاً بامرأة ثانیة معها تحت سقف واحد.

لیس لها بحسب نص التلمود أن تشتکی أو تتذمر .

مهما صنع الانسان فی امرأته فله الحق فی صنعه . . جاءت امرأة تشتکی

زوجها أمام الربان قائلة إن زوجها قد ارتكب الصادومية فلم تسمع منه إلا هذا :

« ابنتى أنا لا أقدر أن أصنع لك شيئاً لأن الشريعة قد جعلتك مأكلا للغير » .

و من حيث إن الشريعة تخول الرجل حق استعمال امرأته صادوميا لذلك ليس على المرأة أن تتذمر إذا عرف بعلها امرأة ثانية من الأجانب لأن اليهود لا يأثم إذا ارتكب الفحشاء مع غير اليهودية .

هذا بالاضافة إلى أنه كان يقع نصيب الأسد للمحافظة على المتطلبات اليومية لقوانين التغذية اليهودية على عاتق المرأة لأن منزلتها كانت أدنى منزلة فى المجتمع اليهودى إذ كان لزاماً عليها أن تتأكد أن اللحوم و المأكولات اليومية الأخرى ، لاتختلط بالأشياء المحرمة ، و يجب عليها ألا تمس شيئاً من المأكولات مثل العتشار (الطرشى) أو الخمر أو تسخين الشربة و هى فى حالة غير طاهرة شرعاً (١) .

ثامناً : فى النصرانية

يقول لنا رياض الدوربى فى كتابه باللغة الانجليزية : حقوق المرأة فى الاسلام مقتبساً من الكتاب : الزواج شرقاً وغرباً الذى قام بتأليفه كل من دافيد ووفيراماس :

« لا يعتقد أحد أن تراثنا النصرانى خال من ذلك الحكم الناقص ، أنه من الصعوبة بمكان العثور على مجموعة الاشارات المشينة بالنسبة للمرأة إلا فى تقارير آباء النصرانيين ، يتحدث ليكى المؤرخ المشهور أن هذه الأمور المحرضة المخيفة والضارة و التى تشكل جزءاً واضحاً ومضحكا من كتابات الآباء ، أنهم كانوا يظهرون المرأة أنها واقفة أمام باب جهنم ، لأنها أم كل مساوىء الانسان ، يجب عليها أن تعيش فى عقوبة دينية مستمرة ، و ذلك بسبب اللعنات التى جرتها على العالم . كان لزاماً عليها

(١) موسوعة المعارف البريطانية (المجلد الخامس) الصفحة ٧٥٢ بتصرف .

أن تخجل من ملابسها (١) لأن هذه الملابس تمثل ذكرى سقوطها يجب عليها أن تستحى من جمالها لأنه أخطر سلاح من أسلحة الشيطان وأقواها. إن الهجوم الخطير و الأكثر ضرراً للمرأة هو ما قاله تبيروليان : « هل تعرفن أن كل واحدة منكن هى حواء بعينها ؟ إن حكم الاله على جنسكن باق إلى اليوم و عليه يجب أن يظل الاثم باقياً حياً أيضاً ، إنكن مدخل إبليس ، إنكن كشفتن وفضضتن ختم تلك الشجرة الممنوعة ، إنكن أول من تخلى عن القانون المقدس ، أنتن هى تلك المرأة التى أغرت ذلك الذى لم يكن إبليس من البطولة بحيث يستطيع أن يهجم عليه . أنتن بكل سهولة و بساطة صورة الاله « الرجل » و عليه قد كان لزاماً على ابن الاله أن يموت نتيجة الابوق و هى الموت . لم تكن الكنيسة تؤكد على حالة المرأة الدنيئة فحسب بيد أنها كانت قد حرمتها الحقوق الأساسية والقانونية التى كانت المرأة تتمتع بها سابقاً (١) .

لنقل بعض الشئ من الانجيل المعترف به رسمياً عندهم :

و كانت الحية أجمل جميع حيوانات البرية التى عملها الرب الاله : فقالت للمرأة : أحقاً قال الله لا تأكلا من كل شجر الجنة ؟ فقالت المرأة للحية : من ثمر شجر الجنة نأكل و أما ثمر الشجرة التى فى وسط الجنة فقال الله : لا تأكلا منه و لا تمسا لئلا تموتا : فقالت الحية للمرأة لن تموتا بل إنه عالم أنه يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما و تكونان كالله عارفين الخير و الشر ، فرأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل و أنها بهجة للعيون و أن الشجرة شهية للنظر فأخذت من ثمرها

(١) يقول لنا التلمود : تثير ملابس الراقصات الشهوة الجنسية وجمالهن يجعلنا نمدحهن ، إن هذين الشئين ممنوعان منعاً باتاً إذا كانا من غير اليهوديات .

(٢) رياض الأورنى : حقوق المرأة فى الاسلام .

و أكلت و أعطت رجلهـــا أيضاً معها فأكل . ، فنادى الرب الاله آدم و قال له أين أنت ؟ فقـال سمعت صوتك فى الجنة فخشيت لأنى عريان و اختبأت فقـال : من أعلمك أنك عريان ؟ هل أكلت من الشجرة ؟ وقال للمرأة تكثيراً أكثر أتعاب حبلك بالوجع تلدين أولاداً وإلى رجلك يكون اشتياقك و هو يسود عليك (سفر التكوين الأصحاح الثالث من ١ إلى ٧ و ١٢ و ١٦) .

أما إذا فتحنا الأصحاح ٤١ من إنجيل برنابا الفقرات من ١٠ إلى ١٣ و١٨ و ١٩ نجد الآتى :

« و اقترب الشيطان من حواء لأن آدم زوجها كان نائماً ، و تقدم الشيطان إلى المرأة كملك جميل و قال لهـــا لماذا لا تأكلين من القمـــح و التفاح ؟ أجابت حواء قال الله إذا أكلنا منها لن نكون طاهرين و عليه سوف يطردنا من الجنـــة قال الشيطان : لم يقل الحق ، عليك أن تعرفين أن الله غيور لايحب الأنداد ويجعل الناس كلهم عبيـــداً له . ، و لكنك و زميلك لو عملتما حسب نصيحتى و أكلتما شيئاً من الثمر لن تكونا خاضعين لأحد، وسوف تكونان مثل الله تعرفان الخير والشر.

فأخذت حواء شيئاً من الثمر و أكلته ، وعند ما أفاق زوجها من نومه أخبرته بكل ما قال لها الشيطان و أخذ ما قدمت له زوجته و أكل منه ، و عندما كان الطعام ينزل فى جوفـــه تذكر قول الله و بذلك حاول توقيف الطعام (من دخوله البطن) و أدخل يده فى حلقه . . وعرفا أنهما عريانان . . . و فى منتصف النهار ظهر الرب أمامهما قائلا : يا آدم أين أنت ؟ فقال يا رب اختفيت عنـــك لأنى و زوجتى عريانان . . قال الرب : من الذى أخذ منكما طهارتكما . هل أكلتما شيئاً من الثمر ؟ أجاب آدم : يا ربى ، زوجتى قدمت لى وطلبت منى أن آكل فأكلت فقال الله لآدم : بما أنك رضخت إلى صوت زوجتك و أكلت من الثمر فلعنة على

الارض لأجل أعمالكم ، و أنها سوف تعطيكم العليق (العوسج) و الأشواك و تأكلون الخبز من عرق جبينكم . و عليك أن تتذكر أنك طين و إليها تعود و قال لحواء : و أنت التى أصغيت إلى الشيطان و أعطيت الطعام إلى زوجك سوف تبقين تحت سيطرة الرجل الذى سوف يجعلك أمة وتلدين أطفالا بالمخاض .

ثم قال الرب : ابتعد عن وجهى يا ملعون و خرج الشيطان و بعده قال الله لآدم أخرجا من الجنة و توبا ولا تقنطا لأنى سوف أرسل ابنكما (١) العاقل بحيث تطرد بذرتكما سيطرة الشيطان من جميع الجنس البشرى لأنى سوف أعطى كل شئ لرسولى (٢) الذى سوف يأتى . . . » .

و لقد أطلت بعض الشئ فى النقل ليقارن القارىء بين ما ذكره النصرانيون و خاصة فى أناجيلهم المعروفة و بين ما ذكر المسيحى برنابا .

« تاسعاً » : القوانين الكتابية :

تعطى موسوعة المعارف الكتابية قراءة ممتعة عن بعض قوانين التوراة أو بالأحرى القوانين الموسوية .

خطبة المرأة (٣) :

إذا أراد رجل أن يخطب امرأة و يكتب الكتاب فما عليه إلا أن يدفع مبلغ الشراء وهو نوع من المهر الذى يقدم لوالدها و عند ذلك يمتلكها ملكا تاماً .

و لم يكن لزاماً الحصول على موافقة البنت كشرط لاتمام العقد ، و قد كان

(١) (٢) هذا تلميح عن الرسول ﷺ و توجد إشارات كثيرة عنه ﷺ فى إنجيل برنابا و فى بعضها ذكر اسم محمد بالذات .

(٣) رياض الدورس : حقوق المرأة فى الاسلام .

الزواج نافذ المفعول .

كان للرجل الحق على زوجته لأنها سلعة أو جزء مما يملكه ، كان من حقه الطلاق ، و قد كان هذا الحق للرجال دون الاناث ، لم تكن الزوجة تتمتع بمثل تلك الحقوق ، و قد كانوا يعتبرون هذا التصرف من الأمور البديهية المعتادة .

استمرت أوربا فی هذه الحالة علی مستویات متفاوتة و مختلفة إلی القرن التاسع عشر أو ما بعد الثورة الفرنسية .

« عاشراً » : حركة تحرير المرأة :

استمرت المرأة الأوربية تعانی مشاكل عدم الاعتراف بحقوقها إلی القرن التاسع عشر ، ولما وصلت هذا القرن لم تستطع أن تتحمل أكثر مما تحملته سابقا فاجتمعت النساء فی أوربا و أمریكا و شكلن جمعیات لتحریر المرأة من عودة الرجل و طغیانه .

و قد حاولت هذه الحركة أن تجعل المرأة تشارك فی المؤسسات التعلیمیة و كانت محركات هذه الحركة و مدبراتها هن : صوفیا براثیان و فرانسیس وماری بسره ودروثیا بیالی ، هؤلاء كن فی أوربا ، وقد كانت لوسی ستون فی أمریكا ، وكانت هؤلاء النسوة یدافعن عن الحقوق الانسانیة للمرأة .

وقد كان مكان المرأة هو البیت و وظیفتها الكبری هی إنجاب الأطفال وتربیتهم والاهتمام بهم وكان علیها أن تعتمد الاعتماد الكلی علی بعلها ولم یكن لها شخصیتها المتمیزة و ذاتیتها الخاصة بها لأنها كانت تابعة للرجل فقد كانت هناك أمور كثیرة أخری لها أثرها المباشر أو غیر المباشر فی تحریك هذه الحركة و إمدادها بالقوة ، والذی دفع عجلة الحركة إلی الامام تلك المقالات التی كان رجال الكنیسة و غیرهم من الناس یقتبسونها من القدیس بولس التی تدل علی أن الله تعالی لم یخلق المرأة لتكون

نداً للرجل أو متساوية معـه فى الحقوق و قد خلق الله آدم أولا و منه خلقت حواء ، كان الناس يقتبسون هذه المقالات للهجوم على الحركة النسائية (١) .

المقارنة بين كلام مانو و النصرانية عن المرأة :

خرج مؤتمر الديانة النصرانية الذى عقد فى القرن الخامس الميلادى بأن المرأة ليس لها روح و أن مصيرهـا النار و تستثنى منهن مريم أم عيسى و عقد مؤتمر آخر بعد مضى قرن من الزمان على المؤتمر الأول ، و قد كان جدول أعماله هو البحث عما إذا كانت المرأة إنساناً من عدمـه و خرجوا بنتيجة هى أنها امرأة ، و أنها قد خلقت لمصلحة الرجل و عليه كان يجب عليها أن تخدمه .

وأما فى الهند فى أساطير مانو نجد أن مانو عند ما خلق النساء فرض عليهن حب الفراش و المقاعد و حب الزينة و الشهوات الدنسة و الغضب و التجرد من الشرف و سوء السلوك فالنساء دنسات كالباطل نفسه و هـذه قاعدة ثابتة . . إن الزوجة الوفية ينبغى أن تخدم سيدها ـ زوجها ـ كما لو كان إله و لا تأتى شيئاً من شأنه أن يؤلمه حتى إن خلا من الفضائل ، و كانت تناديه ربى أو سيدى .

إذا تعمقت فى التفكير سوف تجد أن النصارى حاولوا أن يعللوا و يقولوا عن أمور تتعلق بالمرأة و أن هذه العملية لم تكن إلا مجرد إعادة ما قد قاله مانو منذ أمد بعيد (٢) .

حادى عشر : فى البلاد العربية :

إذا أتينا إلى البلاد العربية و أخص بالذكر مكة المكرمة مهد الاسلام نجد

(١) موسوعة المعارف لكل إنسان (أيفرى مانس إنسائيكلوبيديا) مع تعديل

(٢) المرأة بين البيت و المجتمع للبهى الخولى .

أن الرجل الجاهلى كان يئد بنته و هى على قيد الحياة ، و كان يعتبر المرأة مخلوقاً دنيئاً لا قيمة لها و إذا بشر أحدهم أن زوجته أنجبت بنتا ظل و جهه مسوداً و هو كظيم ، ماذا عليه أن يعمل إذا كان يهرب من الناس لأجل العار الذى لحقه الا و هو أن زوجته أنجبت بنتاً .

كان العرب الجاهليون يتلقون نبأ إنجاب البنت على طريقين مختلفين ، كان أكثرهم يئدون بناتهم و هن مازلن على قيد الحياة و معها حسب ما كانوا يعتقدون يدفنون كل أنواع العار الذى أصاب الواحد به عند ما كان يقوم بتربيـــة البنت بينما كان آخرون يربون البنات على هون و معاناة و استخفاف .

كانت المرأة الجاهليـــة تورث مثلما يرث الانسان متاع البيت ، يقول الامام البخارى : عندما يموت الرجل كان للابن الكبير الحق كل الحق على زوجة أبيه ففى إمكانه أن يتزوجها لنفسه إذا رغب بذلك و أن يزوجها لأى شخص آخر يرغبونه ولهم الحق كذلك فى توقيفها عن الزواج ومنعها عنه ، وإذا كانت ترغب فى الزواج فعليها أن تفدى نفسها عندهم .

العمل الاسلامى فى مواجهة خطر

واضح رشيد الندوى

إن ما يميز هذا العصر عن العصور السابقة هو الحركة والجد ، و ديناميكية الفكر فقد كان المنتصف الأول من القرن المنصرم . عهد غلبة القوى القاهرة التى جمدت القوى الكامنة ، و عطلت الحياة ، فصارت الشعوب تساق ، و تقهر ضد رغباتها و طموحها ، فماتت القرائح و خارت القوى و فترت الهمم ، و صلدت الضمائر .

تحرر العالم ، وفى طليعته العالم الاسلامى ، و المسلم يتميز عن غيره فى حرية الضمير ، و الانطلاق ، و الحب للحرية ، و الاباء ، و هى خصائص لو تركت بدون تربية روحية و توعية فكرية و توجيه خلق ، لتطورت إلى نخوة ، و أنفة و عناد ، و تزمت ، و تصبح أداة هدم ، و سبب تمزق و توزع .

تحرر العالم الاسلامى فقامت فيه حركات شعبية ، و تنظيمات اجتماعية وإنشائية و أحزاب سياسية حسب المذاهب و النظريات السائدة ، و كذلك قامت دعوات وحركات دينية ومنظمات إصلاحية ، ولكن اختلاف الأفكار والمذاهب والهيئات بسبب ازدواجية التعليم ، و وسائل التربية و الاتجاهات الاجتماعية المتعارضة أحدث خليجاً بين هذه الحركات و الدعوات .

ظل هذا الخليج يتسع فى العالم الاسلامى ، لضعف التوجيه والتوفيق بين مختلف العناصر

العاملة ، واستقطاب الجهود إلى بناء كيان موحد حسب رغبات الشعب المسلم وتطلعا و صارت هذه الكيانات المختلفة للعمل متصارعـــة فيما بينها لتزمت و تصلب أفكارها منحصرة فى أطرها الخاصة .

وقد برز هذا التوزع الناجم من التزمت و الانعزال فى الفكر و نمط العم فى سائر الحركات السياسية وغير السياسية ، كما ظهر فى الجماعات الاسلامية التى كان طبيعة عملها و أسلوب الدعوة يقتضيان أن تتسم بالحلم و الليونة ، و التسامح في بينها ، أ كثر من أى منظمة أخرى و قد دعى القرآن الكريم إليـــه وحث عل الدعوة بالحكمة و الموعظة الحسنة .

كان موقف بعض الحكومات الاسلامية المعاند إزاء الحركات الدينية وتدخلم فى نشاطاتها سبباً من أسباب هذا التطرف و المعاندة ، و لكن لم يكن ثمة مبرر لثور الحركات الدينية على سائر النظم الحاكمة فى البلدان الاسلامية و دعوتها إلى محارب كل نظام قائم بلا استثناء ، فان هذه الدعوة لا تؤدى إلا إلى الفوضوية فى العا الاسلامى و تلحق الدعوة الاسلاميـــة ضرراً لا يمكن أن يتلافى بسهولة و تكشف الحركات الدينية التى تقوم بنشاط دعوى و إصلاحى وخلق لنقمة الحكام ، وتكسب العداء بدون أى تحقق أى هدف لعمل الدعوة .

لقد حدث هذه الاتجاه لسببين أحدهما الحرص على جنى ثمار الدعوة وتحقيق الانقلاب الاسلامى فى أقرب وقت ، و ذلك فكر لا يتلاءم مع الطبيعة الدعوية فان وظيفة الداعى هى الاجتهاد فى العمل ، أما النتائج فهى بيد الله ، وقد كان الصحاب رضوان الله عليهم أجمعين أسوة حسنـــة فى الدعوة ، فانهم كانوا يسعدون بالشهادة و يستلذون المكاره كما يسعد غيرهم بنتائج دعوته ، و نجاح جهده .

و السبب الثانى و هو خطير فى هذا المجال ، هو تسرب عناصر لم تكتمل

تربيتهم و تذوقهم بالدعوة ، و معرفة أساليبها ، و مزاجها ، فانضموا إلى صفوف الدعاة ، كما ينضم العاملون السياسيون إلى حركات سياسية .

وذلك أمر خطير للغاية للدعوة ، ويجب أن يحترس منه و ينتبه له المسئولون عن أعمال الدعوة .

عدو فى ثياب صديق

كان استخدام القوة لحل المسائل السياسية يخص الدول الاستعمارية التقليدية ، و التى تقودها الولايات المتحدة بانشاء القواعد العسكرية ، و التدخل لملأ الفراغ ، و تسوية موازين القوة ، و فرض نفوذها و توسيعه فى العالم عن طريق الأحلاف العسكرية ، و التجارية ، و تنصيب عملائها فى مواقع القوة ، و النفوذ السياسى والفكرى ، فاتصل النضال ضد الاستعمار بالنضال ضد الولايات المتحدة و مصالحها بحيث إن الولايات المتحدة صارت رمزاً للاستعمار ينظر إليها فى مرتبة الاحتلال والاحتكار .

كان العالم الثالث و هو مجموعة الدول التى عانت من الاستعمار الغربى يستند فى نضاله ضد الاستعمار إلى الاتحاد السوفياتى للتعاطف مع الدول المضطهـــدة التى كانت تناضل لحريتها و إعادة شرفها ، فكان بمثابة حامية للدول المناضلة ضد الدول الاستعمارية ، فكسب الاتحاد السوفياتى بهذا السبيل ود الدول المستضعفة وصداقتها و قد ركنت الدول المناضلة ضد الاستعمار فى آسيا و إفريقيا إلى الاتحاد السوفياتى و وقفت موالية لها فى الأمم المتحدة ، و فى منابر الرأى العام الدولية الأخرى ، و خضعت للنفوذ السياسى للاتحاد السوفياتى دول آسوية كبرى كالهند و أفغانستان ، و مصر ، و سوريا ، و العراق ، و إندونيسيا ، و عدد من الدول الأفريقية التى عانت من الاستعمار ، و كان ذلك نتيجة حتمية طبيعية للظروف التى عاشت فيها هذه الدول ، و المرارة التى تجرعتها خلال عهد الاستعمار الطويل .

و قد جنى الاتحاد السوفياتي من الصداقة التي تطورت نتيجة لتعاطفه مع القضايا السياسية للدول النامية ، مكاسب اقتصادية و تجارية ، و سياسية كبرى ، ما أتاحه فرصة للتسرب و التوغل إلى مختلف مجالات الحياة في هذه الدول ، فمنح تائيده للقضية العربية فرصة للتوسع العسكرى و الاقتصادى في المنطقة العربية ، كما هيأ تائيده لحركات الاستقلال في أفريقيا فرصة لفرض النفوذ في أفريقيا ، كذلك أتاحت الظروف الخاصة في جنوب شرقي آسيا فرصة للتوسع السوفيتي في المنطقة .

ولكن التحركات السوفياتية التي شهدها العالم خلال السبعينات تكشف عن الطبيعة الاستعمارية للسياسة السوفياتية ، فقد انسلخ الاتحاد السوفياتي عن سياسة التائيد للقضايا الانسانية التي تظاهر بها لبعد الحرب العالمية الثانية و بدأ يخطو خطوات واضحة في سبيل التوسعية و الاستعمار الاقتصادى و العسكرى معاً ، بالاضافة إلى الاستعمار العقائدى ومحاربة الأفكار الحرة وتائيد و مساندة نظم الحكم الاستبدادية التي تقوم ضد رغبات الشعوب ، و انتهج الاتحاد السوفياتي السياسة التي كانت ميزة القوى الاستعمارية الغربية و هي سياسة التواجد العسكرى ، و إنشاء القواعد وما يميز الاتحاد السوفياتي عن القوى الاستعمارية الغربية ، إلا ظاهرة النفاق الذي يعامل به مع أصدقائه ، و التواطؤ مع الأعداء ، فقد كانت الدول الاستعمارية التقليدية تتبع سياسة الأحلاف العسكرية ، و القواعد العسكرية ، فاخترع الاتحاد السوفياتي شعاراً جديداً ، أو ستاراً جديداً و هو « اتفاقيات الصداقة » التي تحمل بنوداً سرية للوجود العسكرى .

إن الاجراء العسكرى السوفياتي في أفغانستان جاء في وقت كان العالم ينددا بالحركات الأمريكية أزاء إيران فكان الهجوم السوفياتي على أفغانستان استغلالا

للموقف المتأزم ليحقق أقصى هدف يرمى إليه ، وهو عمل لا يتفق إلا مع التفكير و التخطيط الاستعماريين التقليديين ، و إنه يشكل مؤشراً إلى تحول كبير فى سياسة الاتحاد السوفيـــاتى ، و هو أن الاتحاد السوفياتى الذى كان رائد السلام فى تصور العالم الثالث قد تحول إلى قوة استعمارية تؤمن بمبدأ القوة ، و إن الحواجز التى كانت بينه و بين القوى الاستعمارية التقليدية كانت من رمال ، و قـد زالت إلى غير عودة ، ولم تسول لهذا الهجوم المباغت إلا معاهدة الصداقة التى أبرمها أفغانستان مع الاتحاد السوفياتى ، للدفاع عن التـدخل الخارجى ، و هو إنذار لسائر الدول التى تثق به و تتعامل معه معاملة الصداقة .

فاذا تعلمت هذه الدول درساً من أوضاع أفغانستان لكان ذلك درس الحياة لها و قد صدق القائل :

إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت

له عن عدو فى ثياب صديق

كيف نؤدى دورنا فى بناء العالم المعاصر ؟

الأستاذ محمد الحسنى رحمه الله

إن الحياة تغيرت ، فيجب أن نتغير معها ، ونسايرها إلى آخر الشوط ، ونهاية المطاف ؟ تلك هى خلاصة ما يقوله دعاة التجدد والتغريب فى هذا الزمان ، وعلينا أن ننظر فى صحة هذه النظرية قبل أن نحكم عليها بـ « نعم » أو « لا » .

إننا نجيل البصر فى العالم المعاصر ، ونجول فى عواصم العالم الكبيرة المشهورة فنؤمن بصدق هذه النظرية ، ونرى أن الدنيا تقدمت تقدماً كبيراً فى جميع نواحيها ومرافقها ، وأصبحت غير ما كانت عليه قبل عقود من السنين ، فضلا عن الأجيال و القرون ، إذاً كيف يجوز لنا أن نقف جامدين ، متزمتين ، نحو هـــذا التقدم المشاهد الملموس ؟ .

إن المنطق و العقل ، والبداهة و التجربة كلها تقتضى أن نغير موقفنا ونغير نفوسنا و أفكارنا ، حتى ننسجم مع هذا التطور المدهش السريع ، و لا نتخلف عن الركب ، و لا نحرم المتع و اللـــذات و الوسائل و التسهيلات التى توفرت و انتشرت فى جميع البلاد و الأقطار ، إن معنى هـــذا أن الحالة الاقتصادية ، و الأوضاع المادية هى التى تولد الأفكار ، وتنتج النظريات ، وتصنع الاتجاهات ؟ ومعنى هذا أن الصناعة هى التى تنشئ الحضارة و تنشئ المفاهيم ، وتحدد الاتجاه ، و تقرر الأهداف !

هذه فلسفة آمن بها الغرب و الشرق ، و أجمع عليها الطبقة المثقفة الذكية

، حتى أصبحت « حقيقة مسلمة » لاتحتاج إلى جدل أو نقاش ، حتى
سات العلمية ، والحركات الفكرية فى الغرب قامت على أساسها . . .
فس الوقت نقطة لا يقبلها الحق والحقيقة فى أى حال من الأحوال ،
رض هذه النظرية على طول الخط .
فى الاسلام لا تكيف الحياة ، و لا تصنع النظريات و الأفكار ، بل
ر الأفكار هى التى تسخر الصناعة و تكيفها كيف تشاء .
ـــداف » - فى الاسلام - هى التى تتمتع بالحكم الأخير ، و القول
كلمة المسموعة ، فى جميع مرافق الحياة و نواحيها ، أيا كان نوعها ،
ضخامتها ، و مهما كان نفوذها و فعاليتها .
؛ الصناعة عنده نسبية (Relative) إنها مقبولة و مرحب بها مادامت
. لا تطغى على مثله وأهدافه و نظرته و أفكاره ، و لا تمسها بسوء
لغت عليها و تعدت حدودهـا فهى مرفوضة مردودة ، و قد تجلت
ية فى الآية التالية « و لأمـــة مؤمنة خير من مشركة و لو أعجبتكم
المشركين حتى يؤمنوا و لعبد مؤمن خير من مشرك و لو أعجبكم ،
، إلى النار و الله يدعو إلى الجنة و المغفرة باذنه » (١) .
ى ينتهى خرافة « الصناعة الخلاقة » للنهاية .
ت هذه النظرية القرآنية أكثر صراحة فى آية أخرى .
سئلونك عن الخمر و الميسر ، قل فيهما إثم كبير و منافـــع للناس ،
. من نفعهما (٢) .
يم و الأقدار لا تتغير بالوسائل و العمران ، و النهضة الصناعية .

ة : ٢٢١ (٢) البقرة : ٢١٨

فالذى يريد أن يغيث ملهوفاً أو ينصر مظلوماً أو يطعم جائعاً مسكينا يستوى عنده العربة و الطائرة ، إلا أن الطائرة تعجل هدفه ، و تيسر مهمتـه ، أما إذا لم يرد شيئاً و لم يحمل عاطفة ، فان الطائرة و العربة حتى الصاروخ ، و ما فوقه لن يقدر على أن يثير فى نفسه ذرة من شعور و دبيباً من ألم .

و الذى يريد أن يكتب شيئاً يستوى عنده قلم الرصاص ، و القلم الناشف ، و باركر من أعلى الأنواع ، إن « باركر » لا يدفعـه على أن يكتب فى موضوع نافع فاضل ، كما أن قلم الرصاص لا يرغمـــه على أن يكتب فى موضوع رخيص سافل ، الاعتبـار هنالك بالفكرة التى آمن بها صاحب هذا القلم ـ أيا كان نوعها ، و أيا كان لونها ـ و العاطفة التى حملها فى صدره

و قد تجتمع الوسائل عند أناس يختلفون بالمبادىء و العقائد ، فلا توحدهم هذه الوسائل ولا توحدهم الصناعة على مبدء واحد ، وذلك ما أبان عنه القرآن قائلا .

« كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك ، و ما كان عطاء ربك محظوراً (١)

إنه يقول إن هـذه الوسائل عامة للؤمن و الكافر ، هذا يستعملها فى خير و ذاك يستعملها فى شر .

« قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده و الطـــيبات من الرزق ، قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة » (٢) .

إن الصناعة ـ من صناعة الأقلام إلى صناعة الصواريخ والأقمار ـ لا تملك قدرة على إنشاء نهضة و تقديم مثل ، و توجيه أذهان ، إنها آلة صماء فى يد من يحملها و يستعملها .

فالقول بأن الحياة تغيرت ، فليجب أن نغير نظرتنا إلى الحياة ، حتى ننسجم مع

(١) بنى إسرائيل : ٢٠ (٢) الأعراف : ٣٢

هذا التطور ، ولانتخلف عن الركب ، قول لا أساس له فى عالم الواقع ، إنه من سحر هذه الحياة الزاهية ، المتحررة الخلابة ، التى عبر عنها القرآن بكلمة بليغة « ولو اعجبتكم » .

إن الاعجاب بهذه الحضارة التى نشاهدها فى الغرب هو الذى يدفعنا على التقليد الأعمى ، ويخيل إلينا من ضجيج الماكينات وهدير الآلات أن الصناعة هى التى أنتجت هذه الحضارة ، مع أن الأمر بالعكس .

إن الدنيا لا تتغير فى الخارج أبداً ، إنها تتغير فى داخل نفوسنا أولا ثم تبدو نتائج هذا التغير النفسى العميق على السطح المادى الظاهر ، يقول الله تبارك وتعالى :

« إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » (١) .

إن الحياة لم تتغير حتى نحتاج إلى تغيير ، إننا نحتاج فقط إلى تصحيح مفاهيمنا و افكارنا و اتجاهاتنا ، حتى نستعمل هـــذه الوسائل فى صالحنا كما يستعملها غيرنا فى صالحه .

نستعملها فى بناء مجتمع نظيف كريم ، و أسرة صالحة ، و حكومة رشيدة ، كما يستعملها أعداؤنا فى الضلال و الاضلال ، و الفساد و الدمار ، وإثارة الغرائز و الشهوات و إشاعة المنكر و الفحشاء .

المصيبـــة أننا - فى الشرق - نهتم بالوسائل و المظاهر أكثر مما نهتم بالروح و الحقيقة ، و الهـــدف و الغاية ، و الدعوة و الرسالة ، فكانت النتيجة أن هذه الوسائل بدأت تتحكم فينا ، وتملى إرادتها علينا بدلا من أن نتحكم فيها ، ونملك زمامها و نسيطر عليها و نوجهها إلى حيث نشاء .

إن كثيراً من الشباب المثقفين ، و كثيراً من الموجهين و المفكرين والزعماء

(١) الرعد ١١

السياسيين ، يظنون أن هذه الوسائل المريحة هى الحضارة ، وأصبحت المقاييس تتغير حسب الأذواق ، فالحضارة عند البعض رفع مستوى المعيشة و الحياة ، فندق كبير مزود بأحدث الأجهزة ، متوفر بكافة التسهيلات ، والحضارة عند البعض رحلات إلى رومة وباريس ، وعند الآخرين تقليعات وموضات ، مع أن كل هذه الأشياء لا صلة لها بالحضارة إنها أدوات فى أيدى المتحضرين ، خلقها الله سبحانه للبشر لينظر كيف يعملون ، قائلا فى كتابه المجيد « هو الذى خلق الموت و الحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا » و قال على لسان قوم موسى عليه السلام « و ابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة و لا تنس نصيبك من الدنيا » .

و قد ثبت من هذا « أن الدعوة » إلى التغيير مع تغير الزمن دعوة غير علمية ، و غير مبنية على الأصالة ، و التعمق ، إنها تبدو بريئة فى أول أمرها ، و لكن سرعان ما ينكشف أمرها ، و يفتضح سرها ، إنها تدل على أننا استوردنا هذه الفكرة من الغرب ضمن مشحوناتنا الأخرى من غير أن نفكر فيها .

فاذا كانت السيارة تحمل الرجل فى لندن أو شكاغو إلى صالة رقص أو حانة خمر ظننا ـ عن شعور أو من غير شعور ـ أن كل من يشترى هذه السيارة لابد له أن يتوجه حيث ما توجه إليه الانجليزى و الأمريكى .

و إذا كان التلفزيون فى الغرب أداة للعبث الحرام ظننا أن على كل من يضع هذا التلفزيون أويستورده أن يقدم نفس البرامج ، كأن السيارة لم تخلق إلا ليتوجه إلى البار ، و كأن التلفزيون لم يصنع إلا للخلاعة و المجون ، و هذا ينطبق على سائر مرافق الحياة ، إننا لم نستورد الوسائل فحسب بل إننا استوردنا معها الغايات و المناهج ، و الفكرة والروح ، والذوق ، هذه هى الطامة الكبرى والبلية العظمى .

و هكذا حدث فى التربية ، التربية فى جميع الأقطار أداة لتوجيه الشعب إلى غايات معلومة ، واضحة المعالم ، ظاهرة الملامح ، فالتربيـــة فى الدول الاشتراكية

التربية فى الدول الغربية ، بل إن التربية فى أمريكا ، غير التربية فى انجلترا و التربية فى الصين الشيوعية ، غير التربية فى الاتحاد السوفيتى ، و ذلك لأن دولة اغراضاً ومصالح و أهدافاً يسخر لها جميع أجهزة البلاد، بما فيها التربية الرياضة ، والمسرح و السينما و الاذاعة ، أما نحن فى الشرق فقد نستورد هذه اهج التربوية ، والكتب التربوية (بنقلها إلى العربيـة) بجماتها ، مع أنها تعارض دافنا الاسلامية الواضحة و مثلنا العليا ، ومصالحنا الدولية كل المعارضة ، و تثير راعاً فكرياً واضطراباً عقايدياً بطبيعة الحال، وكل هذا ناتج من هذا الوهم الخاطئ ن الصناعة والنهضة المادية هى التى تغير ملامح المجتمع ، و تفتح آفاق الفكر ، تمنح الأفكار و النظريات الفاضلة ، و إننا نحتاج إلى أن نتغير و نتطور مع زمن حتى لا نتخلف عن ركب « المتحضرين » و نتقى تهمة « الرجعيين »

إننا – مهما جمعنا من وسائل و أسباب – نحتاج إلى أن نكون أكثر أصالة تعمقاً و اكثر ذكاءاً و فراسة ، و أكبر صبراً و هدوءاً فى مواجهة هذا السيل لمتدفق الفوار ، الذى ينهمر علينا من الغرب ، فنأخذ منه وندع ، ونترك ونختار ، أخذ الآلات المجردة ، وندع الأفكار اللاصقة بها ، نختار العلوم التطبيقية ، ونترك استعمالها للرسالة العظيمة التى آمنا بها ، و الدعوة التى حملناها .

إننا بذلك نقدم شيئاً مهما خطيراً فى مضمار العلم و الثقافة للعالم المعاصر ، شيئاً جديداً يسمو على هذه الأفكار ، و الدعوات العصرية كلهـا ، و نصحح اتجاه الانسانية من جديد لتسير على درب مستقيم لزمن آخر طويل لا يعلمه إلا الله .

أخبار اجتماعية و ثقافية

● حكومة المملكة العربية السعودية و رابطة العالم الاسلامى تستنكران التدخل العسكرى السوفيتى فى أفغانستان

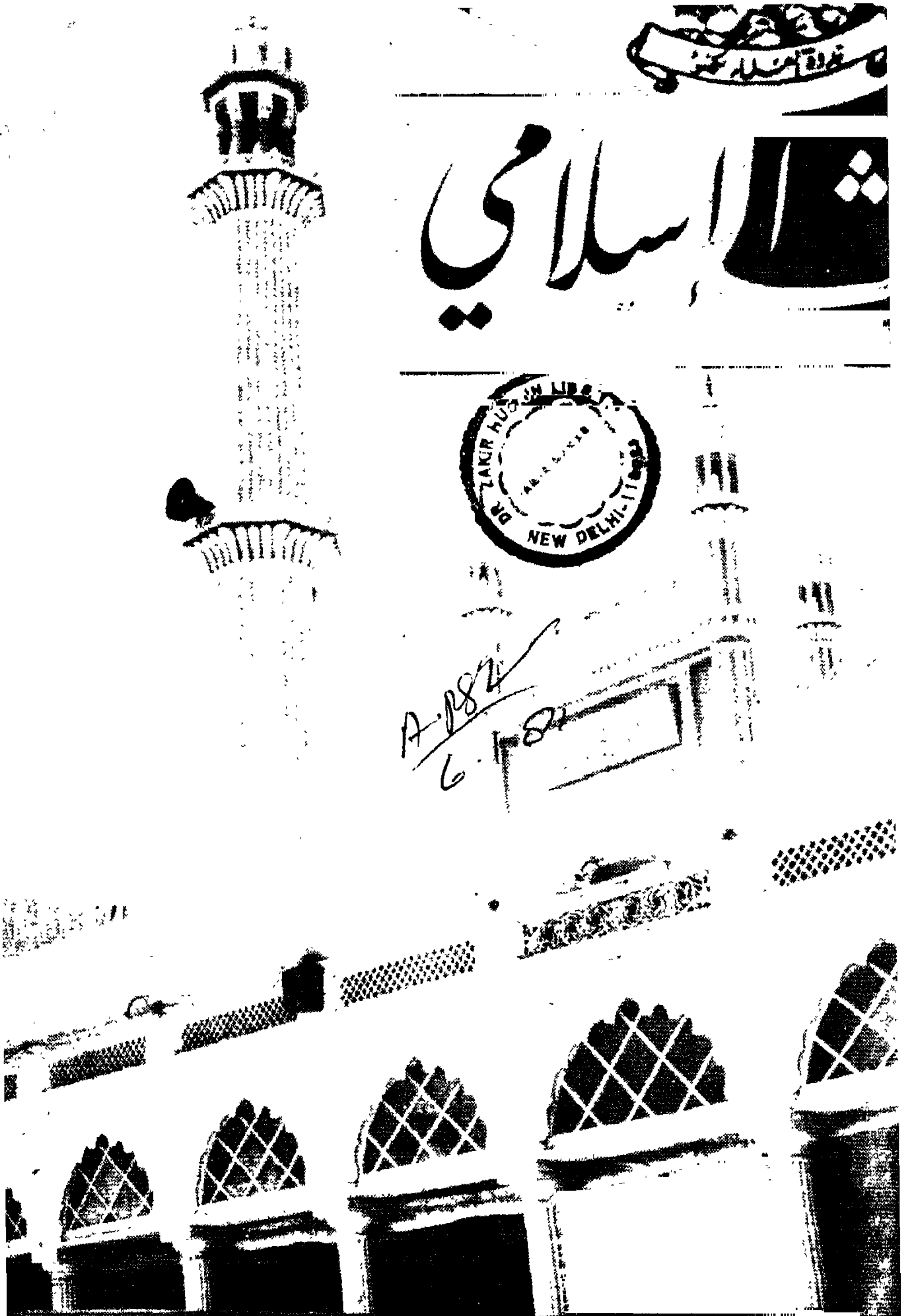
استنكرت حكومة المملكة العربية السعودية التدخل العسكرى السوفيتى فى أفغانستان و وصفت هذا التدخل بأنه تدخل سافر فى الشئون الداخلية لأفغانستان ، الأمر الذى يتنافى مع الحقوق و الأعراف الدولية ، وذكرت بأن التدخل الفاضح يعتبر تعدياً على سيادة دولة مستقلة و امتهانها لحقوق شعب أفغانستان .

● كما أدلى معالى الأمين العام لرابطة العالم الاسلامى بالبيان التالى :

لقد تناقلت وكالات الأنباء العالمية أنباء العدوان الشيوعى السافر على الشعب الأفغانى المسلم مستعيناً بعملائه للقضاء عليه و محو وجوده الاسلامى لتنفيذ مخططاته فى تحويل أفغانستان من المسلمة إلى دولة تدور فى الفلك الشيوعى ، و جعلها قاعدة يهدد بها أمن و استقرار الدول الاسلامية المجاورة .

إن الأمانة العامة لرابطة العالم الاسلامى ، التى تمثل الشعوب الاسلامية فى العالم تستنكر بشدة هـــذه الجريمة الشنعاء بكل ما تمثل من خرق للقيم الدوليـــة و الحقوق الانسانية و الاعتبارات الأخلاقية و ما تجسد من تهديد مباشر لكافة شعوب العالم المحبة للاسلام ، و الأمانة العامـــة للرابطة و هى تشجب هذه الفعلة النكراء تناشد شعوب العالم بحكوماتها و المنظمات الدوليـــة و الدول المحبة للاسلام الاحتجاج الشديد على الاعتداء العسكرى السوفيتى السافر على شعب أفغانستان العزل و هو الأمر الذى يبرهن مرة أخرى على الأسلوب السوفيتى فى فرض النظرية الشيوعية بالارهاب والبطش بعيداً عن رعاية حقوق الشعوب فى تقرير مصيرها بنفسها .

الإسلامي



شعارنا الوحيد : إلى الإسلام من جديد

البعث الإسلامي

(في عام ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م)

شخصية إسلامية مستقلة

ندعو إلى تكوين شخصية إسلامية قوية بارزة تتجلى في دوائر الحكم كما تتجلى في دور العبادة، تتجلى في البرلمان، كما تتجلى في المسجد، وتتجلى في أوساط التربية و أجهزة الاعلام، كما تتجلى في كلام الواعظين، و جهاد المصلحين وجهود الدعاة والعاملين.

و حينئذ يكون العالم الاسلامي كله كتلة واحدة ذات شخصية إسلامية مستقلة لا يصنع مؤسسة، ولا يقيم إدارة، و لا يقف موقفاً إلا و هو وفي بمبدئه، حريص على شخصيته، محافظ على سماته و ملامحه متمسك بأهدافه و غاياته، مسلم في السلم و الحرب، مسلم في الغنى و الفقر، مسلم في الحكم والادارة، مسلم في الاعلام و التربية، مسلم في الصناعة و العلم، مسلم في السياحة و الفن.

محمد الحسني (رحمه الله)

27 (8)

رئاسة التحرير

سعيد الأعظمي

واضح رشيد الندوي

العدد الثامن ٨ ● المجلد الرابع والعشرون

● جمادى الأولى ١٤٠٠هـ ● مارس و ابريل ١٩٨٠م

في .. هذا العدد

أخي القارئ

المسافة بين « موسكو » و « واشنطون » كالمسافة بين الشرق والغرب ، و المسافة بين الشيوعية و الرأسمالية كالمسافة بين طرفي النقيض ، ولكل واحدة منهما مصالح تختلف عن الأخرى ، لافي مجال السياسة وحدها بل في المجالات الانسانية أيضاً .

و بين هذين المعسكرين تنافس حاد في التظاهر بأضخم من حجمه الحقيقي ، و تسابق خطير في صناعة الأقمار و السفن الالكترونية السابحة في الفضاء ، و إطلاق الصواريخ عبر الكوكب الأرضي ، و في اختراع أحدث الأسلحة النووية و القنابل الذرية ، والغواصات البحرية .

بينهما سباق يكاد يصبح جنوناً في كسب صداقة الدول و إكثار عدد الأصدقاء و العملاء مهما كلف ذلك من ثمن .

بينهما خصام عنيف حول قضية الصين وفيتنام ، وحول فرض السيادة المطلقة على الدول الصغيرة و الاستيلاء على منابع الخيرات و الثروات .

في هذا و ذاك ، و في أمور كثيرة أخرى بينهما تناقض و تعارض و خصام ، لا يجتمعان و لا يتفقان و لا يتحدان ، أبداً .

و لكنهما رغم هذا الاختلاف و التناقض يجتمعان على نقطة واحدة و يتحدان في موضوع واحد .

يجتمعان على ضرب المسلمين و إضعافهم ، و يتحدان في كسر شوكتهم و قصم ظهورهم ، بكل حيلة ممكنة ، و بأي أسلوب متيسر .

هذه هي النقطة التي تتحد عليها « موسكو » و « واشنطون » و معهما الحلفاء و الأنصار و العملاء من غير أي فرق أو خلاف .

فهل نرضى أن نجابه الحق و نصدع به ! !

سعيد الأعظمي

البعث الاسلامى فى مواجهة الغزو الاستعمارى

ما زالت قوات الاتحاد السوفياتى تبسط أجنحتها المشئومة على البلد الاسلامى أفغانستان ، و تنشر ظلالها الموبوءة على الشعب الأفغانى العريق .

وإن هذا الاصرار على الاحتلال فى هذا البلد المسلم و إخضاعه للحكم الشيوعى و السلطة السوفيتية لدليل على عمق المؤامرة و إشارة واضحة صريحــــة إلى النوايا السيئة التى تعمل وراء هذا الاحتلال غير المشروع ، و هـذا العدوان الصارخ ، إنها محـاولة جريئة وقحة ترادف خرق الحقوق الانسانية لتجريد شعب مسلم عن حضارته الاسلامية . و اقتلاع جذوره الأخلاقية بقوة الحـــديد و النار ، و قد أثبتت الأحداث على طول الخط و الأمد أن هذا العـدوان لم يكن شيئاً مفاجئاً و إنما كان نتيجـــة دراسات طويلة و تخطيط دقيق عميق تولاهما رؤوس الدول الـكبرى و كبراؤها الذين يتقلبون على الجمر منذ صحوة العالم الاسلامى الأولى بعد سقوط الخلافة و قيام العلماء و الزعماء بحركة إسلامية قوية ، و قد تزايد قلقهم و ذعرهم أخيراً حينما بدت تباشير اليقظة لدى المجتمعات الاسلامية فى العالم كله ، و هبت رياح البعث الاسلامى فى العالم شرقاً و غرباً ، و تيقظ ثلث العالم فدخل فى طور الاعتداء و الأهمية و أثار قلق الاستعمار فى كل مكان ، لأنه خاف على سيادته وسياسته فى نفس الوقت ، و تراءى له المستقبل قاتماً حالكا يكاد ينقطع فيه كل آماله عن استعمار واستعباد هـذا العدد الهائل الذى إذا تيقظ ضميره لم تستقر أمامه الدول الـكبرى بكل ما لديها من عدد وعدد وصناعات و وسائل وإمكانيات.

المسلمون أكثر من ٨٠٠ مليون فى العالم كله و هم يشغلون ثلث الكرة الأرضية بجميع ما يملكونه من طاقات هائلة من المناجم و المعادن والذخائر الأرضية و الثروات الطبيعية فوق ما يتمتعون به من قوة الايمان بالله و الثقة بالنفس ، والنصر ، و معنى ذلك أن مصالح العالم ترتبط بهم ارتباطا وثيقاً ، و كل تغيير يقومون به أو ثورة يصطنعونها على الأوضاع و الدول ، و ضد الاستغلال و الاستعلاء لا تخلو من تأثيرات ذات أهمية كبيرة فى مجريات الأمور على المستوى العالمى ، و لا تخلو من ضغوط ذات نواح مختلفة على موازين الأشياء و التحديات التى تواجهها الدول الكبرى فى مجالات عديدة من السياسة و الاقتصاد

و لا أدل على ذلك ما حدث فى إيران من ثورة عارمة ضد الموالين للولايات المتحدة و الدول الاستعمارية كلها ، و ما يجرى فى أفغانستان من حرب الكراهية الساخنة ضد الاتحاد السوفياتى ، وما يوجد فى غيرهما من أجزاء العالم من حرب باردة أو دوافع البغض و الكراهية ضد القوى الكبرى و المعسكرات التى تعادى المسلمين و عودتهم إلى مجدهم التليد و ماضيهم المشرق ، و هى لا تدخر وسعاً فى العودة بكل ثورة إسلامية إلى مقابع الخمول حيث تخمد نارها ويبرد أوارها ، و بالتالى لا تألو جهداً فى العودة بالمسلمين إلى مضاجع الغفلة والركود ، و الاخلاد إلى الراحة و الاغراق فى نوم لا ينبثق عليه فجر الحياة و النشاط أبداً .

لقد كان الاستعمار انسحب عن العالم الاسلامى و أقر له بالاستقلال بين فترات مختلفة ولكنه رغم إخلائه أرض العالم الاسلامى خلف فيها مشكلات وقضايا معقدة حول الحدود الفاصلة رجاء أن يعيش شعوبها فى اشتباكات دائمة و صدامات متكررة ، ولا يتسنى لها العيش فى أمن وحرية كاملة ، و هذه الظاهرة تعيشها جميع بلدان العالم الاسلامى

من المغرب الأقصى إلى الشرق البعيـــد ، و تشغل جزءاً واسعاً من فكر المسلمين و مؤهلاتهم ، و تعوقهم عن السير إلى الأمام فى ثقة و حرية و إيمان ،

هذه واحدة ، و هناك عشرات من المشكلات و الأزمات صنعها الاستعمار فى الوطن الاسلامى الواسع و فى مجتمعات المسلمين شرقاً و غرباً ، كلها تهدف إلى شئ واحد ، وهو تعكير صفو الحرية و تكدير العيش رغم وجود منابع الخير والسعادة عندهم ، و تضخم الثراء و التربة الصالحة و إمكانيات الاقتصاد القوى و الذخائر الغنيـة لديهم ، و لـكيلا يتكل هؤلاء المسلمون الذين كانوا عالة عليـه فى كل شئ بالأمس ، على سواعدهم ، و يعيشوا فى غنى عنـه حريصين على إحراز الاكتفاء الذاتى فى جميع المرافق و المطالب الحيوية

وانطلاقا من هذا العداء الذى ارتسخ فى قلوب هؤلاء المستعمرين ضد المسلمين يتمنون أن لا تكون لهم كلمة نافـــذة ، ولا دولة قوية ، وحتى لا تكون لهم وحدة متماسكة ، لأن ذلك يحطم الأساس الذى تقوم عليه حياتهم فى الواقع ، ويجعلهم عـــبيداً يمشون فى مؤخر الركب ، لا تقيم لهم الدنيا أى وزن ، فكل ما يتمتعون به من السيادة و العلو والـكبرياء و الأنانية نابع من تمزق المسلمين وتشتت شملهم ، وتوزعهم بين أجزاء وأشلاء ، ذلك الواقع الذى جعل من كل أمة مهما كانت عظيمة الكفاءات ، مشرقة التاريخ ، زاهرة الماضى ، عصابات متناحرة وفئات متصارعة ، و جماعات متعادية ، جرب ذلك التاريخ الانسانى مراراً و تكراراً ، و لقد صور القرآن الكريم هذه العداوات و الحزازات و التفكك و الفرقة التى عاشها الانسان فى الجاهلية أبلغ تصوير و أدقه ، و عد إخراجه منها نعمة من الله عظيمة عليه « و اعتصموا بحبل الله جميعـــاً و لا تفرقوا ، و اذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءاً فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا و كنتم على شفا حفرة من النـار

فأنقذکم منها »

فلا بد من وضع الحد علی کل وحدة تحاول أن تجمع شملهم ، و کل ألفئة ترید أن تقضی علی فرقتهم ، و لا بد من إثارة الضغائن و الخلافات بینهم علی جمیع المستویات ، و لا بد مع ذلك من تجریدهم عن کل فضیلة و تحبیب أسباب الشقاء و الذل و الضعف إلیهم ، لا بد من نزع خصائصهم التی تتکفل قوتهم و تضامنهم و انتصارهم علی الرذائل و الطبائع الخسیسة ، فذلك هو وحده السبیل إلی استعباد عقولهم و استعمار أفکارهم و ضمائرهم بعد ما تم استقلال أوطانهم و أراضیهم ، و إبقائهم فی اسار الذل و الخنوع لأمد بعید . !

هذا ما یقوله الاستعمار و یفکر فیه دائماً و یرصد لتحقیقه مواهبه وقواه صباح مساء « قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفی صدورهم أکبر » و لو کنا قد درینا ما تخفی صدورهم و اطلعنا علی نوایاهم بکامل حقیقتها لم تحل لنا الحیاة ، و لا هنأ لنا العیش ، و الذین یتعمقون الحقائق و یتابعون تحرکات المستعمرین هؤلاء و تحرقهم غیظاً علی المسلمین و دولهم و خیرات بلادهم یصدقون ذلك . إنهم یرون بأم أعینهم ما یمر أمامهم بصفة دائمة من المخططات العدوانیة و المؤامرات الشیطانیة ضد المسلمین و دولهم ، یرون أن الولایات المتحدة حریصة علی عرقلة سیر المد الاسلامی لا فی إیران وحدها ولا فی باکستان وترکیا وحدهما بل فی کل أجزاء العالم ، ولا یخفی علی العالم قاصیه و دانیه ما تمثله هذه الدولة الکبیرة من دور عدائی نحو القضایا الاسلامیة بل قضایا الحق و العدل و الانسانیة ، ففی القضیة الفلسطینیة و القبرصیة و الثورات الاسلامیة و الحرکات الاسلامیة و القرن الأفریقی أکثر من دلیل علی صدق ما أقول . .

و بجنب ذلك تماماً و علی قدم المساواة تجد الاتحاد السوفیاتی بتحرکاته الشرسة

و إجراءاته العسكرية المباشرة يمارس أبشع ما يتصوره الانسان من ذئب ض
شرس مجنون تجاه غنم الفلاح مثلا ، إنه لا يحترم أى قانون أو اتفاقية فی مما
سيطرته العدوانية و الاحتلالية ، وتحقيق مطامعه التوسعية التی أصبحت جزءاً لا
للسوفيات ، و قد أنشب أضراس الطمع فی عدة دول العالم الاسلامی و سيطر
الوضع هناك بطريق مباشر ، وينظر إلى دول الخليج كلها بنظرة ملؤها جشع ،
أحرصه على معادن الخيرات ومنابع البترول هناك ، و لا يزال يحرك أصابعه ا
و يثير شواغب و قلاقل فی المملكة السعودية طمعاً فی ثرواتها و خزائنها ، وط
معالمها و مقدساتها ، و إخراج هيبتها و عظمتها من قلوب الناس .

إن الاتحاد السوفياتی يركز فی ميثاقه القوی على الطبقة الكادحة و الفلا
الاقتصادية أكثر من كل شئ ، و ينـادی برعاية مصالح العمال و منافع الكاد
و الفلاحين على أنه أفشل دولة فی الواقع فی تحسين الوضع الاقتصـادی و ره
مصالح الطبقات الكادحـــة الفقيرة ، بل إنه أكثر الدول ابتزازاً لأموال الش
و أسوئها اقتصاداً ، و قد جره سوء اقتصاده و تزعزع أوضاعه المالية إلى الته
إلى الدول الغنية والتدبير فی اغتصاب أموالها ومصادر انتاجاتها ، فكم من دول ا
ذات المعادن و الخيرات و الثروات الطبيعية وقعت فريسة خداعه ، و هو بدو
يمتص ما يمتص من ذلك الخير الوفير تاركاً شعوب هاتيك الدول فی معاناة من الف
و الجوع و العری ، تتسكع فی متاهات التسول و التكفف و الاستجداء .

فانه عندما يباشر عمليات الغزو والاحتلال فی الدول النامية أوالآخذة بالتق
فلا يباشرها إلا بمزيج من دافع الكراهية للأفكار و المعتقدات الدينية و استغلا
منابعها الطبيعية الفياضة جبراً لاقتصاده المنهار وإخفاءاً لوجه بلاده المظلم الذی لايزا
الناس عنه فی اغترار و يظنون ما يسمعونه من الدعايات الكاذبة صادقاً .

- البقية على ص ٩٧ -

التوجيه الإسلامي

إبراهيم عليه السلام إمام النوع البشرى

- ٣ -

بقلم : الكاتب الاسلامى و المفسر الشهير المرحوم عبد الماجد الدريابادى
تعريب : الأستاذ نور عالم الندوى

الدين يسر و ليس بعسر :

[يريد الله بكم اليسر و لا يريد بكم العسر] .

وعلى هذا المبدأ الحكيم تتأسس قوانين الشريعة الاسلامية كلها ، و ما أكثر ما روعى فى الصيام وحده من اليسر و اللين ، بالنسبة إلى أولى الأعذار ، و لو تأملنا لعرفنا أنه ليس هناك حكم من أحكام الشريعة ، إلا و روعيت فيه - مراعاة كافية - أوضاع المكلفين ، وعمرهم ، وصحتهم ، وأجسامهم ، و مناخهم ، والملابسات و المشكلات التى تحيط بهم ، و كل حكم يبدو عسيراً شديداً ، ليس فى طيه إلا اليسر الكافى بالنسبة إلى الفرد و المجتمع كليهما .

وما يبعث الأمة المسلمة على الاعتزاز والافتخار ، أنها ظلت - وستظل - تعض منذ ١٤ قرناً كاملا على الأحكام التى تبدو للأجانب شاقة بطواعية النفس ورضا القلب على الرغم من جميع الصعوبات و العراقيل التى وضعت فى طريقها ، مما يبعث الأعداء على الاستغراب و الاستعجاب ، يقول : « سروليم ميور » :

« و لا تزال مشاق الصيام قائمة على حالها حتى اليوم ، مهما صادف من الفصول و الطقوس ، ولا يزال أتباع محمد (ﷺ) قائمين عليها ، لايتناولون و لاقطرة

واحدة من الماء منذ الصباح الباكر إلى المساء في صحاري الشرق ، والشمس المحرقة والسموم اللافحة في الأيام الطويلات ، إن هذه الرياضة الشاقة امتحان عظيم للقوة الايمانية وضبط النفس » (١) .

وقد أريد باليسر ، الافطار في السفر ، و بالعسر الصوم في السفر ، قال مجاهد وضحـــاك : « اليسر ، الفطرة في السفر ، و العسر الصوم في السفر » (٢) و كذا روى عن ابن عباس (٣) لكن الفقهاء فهموا الاطلاق من عموم كلمة « اليسر » و اعتبروها أصلا عظيماً يقول القرطبي « والوجه عموم اللفظ في جميع أمور الدين » .

فكرة وحدة بنى البشر :

[كان الناس أمة واحدة] .

حلت الآية عقدة كبيرة ، فقد تاه رجالات البحث في إتجاهها في هذه القضية مدة طويلة من الزمان ، و استمر يقول معظم الباحثين الانجليز : إن ديانة الانسان في البداية هي الشرك وتعدد الآلهة ، فكان الانسان البدائي يرى كل شئ في الكون إلهاً له ، وأما عقيدة التوحيد فلم يتوصل إليها النوع البشرى إلا بعد ما تاه طويلا و تخبط في الغياهب و الظلمات ، و مر بمراحل التطور العقلي والارتقاء الفكرى ، و فند القرآن هذه النظرية الخرافية و نادى في صراحة ، أن النوع البشرى كان في بدايته أمة لم يكن تتوزعه الأديان و الفلسفات ، و كان على عقيـــدة التوحيـــد الفطرة و الولادة .

و من الواضح أن الوحدة التي تذكرها الآية ، إنما هي الوحـــدة العقيدية الدينية ليس غير .

---

١) « حياة محمد » ص ١٩٣

٢) القرطبي (٣) الجصاص

« كانوا على شريعة من الحق » (١) « كانوا على الهــدى جميعاً » (٢) « إنهم كانوا على دين واحد ، وهو الايمان والحق هذا قول أكثر المحققين» (٣)

و بعد طول البحث وكثرة القيل و القال عبر القرون الطويلة قد توصل أخيراً كبــار خبراء الآثار و الحفريات و الانسانيات و الاجتماعيات ، أمثال « سرجارلس مارستن » و البرفيسور « لينكـدن » و البروفيسور « شمدت » إلى أن الدين الأول للنوع البشرى كان هو دين التوحيد .

احكام الارتداد :

[و من يرتدد منكم عن دينه] .

و نتيجة حبط الأعمال فى الآخرة، أن هذا المرتد الشقى سيكون محروماً من أجر كل ما عمل ، و ثواب كل ما صنع ، و أما نتيجته فى الدنيا ، فانه لا يستقيم نكاحه مع المرأة المسلمة ، ويحرم نصيبه مما خلفه الميت المسلم ، بل وإن كانت الدولة مسلمة فسوف لا تدعـه حياً يرزق ، لكونه قد أخفر فى العهــد و خرج عن الذمة ، وشق عصا الطاعة ، هذا فى الاسلام ، أما فى الشريعة اليهودية فلا يقتصر العقاب بالقتل و الرجم على الارتداد ، بل، يتعداه إلى سعى الارتداد ، والترغيب ، فيه أيضاً ، جاء فى العهد القديم :

« فان أولع بك أخوك ابن عمك أو ابنك أو بنتك أو خليلتك أو صديقك عديل نفسك ، وقال لك سراً سربنا لنعبد آلهة أخرى لسعى تعرفها أنت ولا آباؤك التى تعبدها جميع الشعوب التى تحوط بك قريبة منك أو بعيدة من أقصى الأرض إلى أقصاها ، فلا تسمع منه ولا تطعه و لا تأخذ عينك به رأفة عليه ولا ترحمه

(١) ابن جرير عن ابن عباس .

(٢) ابن جرير عن قتادة　　　(٣) التفسير الكبير

ولا تكتم عنه ، ولكن لوقتلته قتلا فاقتله ، و لتكن أولا يدك عليه ثم أيدى
ب كله أخيراً ، و ارجموه بالحجارة حتى يموت » (١) .

و فى المسيحية أيضاً « الارتداد معصية لا تغتفر كالقتل والزنا » (٢) وفعلا
أحرق بابا فى القرن الثالث عشر المسيحى . حينما ارتد عن المسيحية رغبة فى التزوج
يهودية وذلك فى مدينة « اكسفورد » فى ١٧ - ابريل عام ١٢٣٢م (٣) .
[فيمت و هو كافر] .

زاد الله هذه الفقرة ترغيباً للمرء فى الرجوع إلى الاسلام بعد ما ارتد عنه ،
قد استنبط الامام الشافعى رحمه الله من هذه الجملة ، أن الارتداد لايعمل فى
ط الأعمال ، ما لم يمت المرتد عليه ، فجاء فى المدارك :

« و بها احتج الشافعى على أن الردة لا تحبط العمل حتى يموت عليها »
قال البيضاوى : « قيد الردة بالموت عليها فى إحباط الأعمال كما هو مذهب
افعى » أما الحنفية فهم يقولون : قد بت القرآن نفسه فى هذه القضية ، حيث
ى حبط الأعمال على الارتداد وحده فى آية أخرى « و من يكفر بالايمان فقد
ط عمله » و به قال مالك ، قال ابن العربى : « قال مالك يحبط بنفس الردة »

[يرتدد] الكلمة من الافتعال ، و من خواصه التكلف ، لهذا قال
ن علماء المعانى إن المجئ بهذه الكلمة من الافتعال إنما هو دلالة على استبعاد
ى الارتداد :

---

١) الاستثناء ١٣ : ٦ - ١٠

٢) دائرة معارف الأديان و الأخلاق ٦ - ٦٢٣

٣) نفس المصدر ص ٦٤٤ .

« و جاء افتعل هنا بمعنى التعمل و التكسب ، لأنه تكلف ، إذ من باشر دين الحق يبعد أن يرجع عنه » (١) .

إثم الخمر و الميسر أكبر من نفعهما :

[و إثمهما أكبر من نفعهما] .

(و لذلك فالعقل السليم يستوجب الاجتناب منهما و يتطلب التحاشى عنهما كلياً) .

و ما أصدق ما قاله الفقهاء : إنه لو لم تكن هناك آية أخرى أصرح من هذه الآية فى تحريم الخمر ، لكانت هذه الآية هى الكافية فى التحريم ، و إثارة التقزز و الاستقذار فى النفس نحوه .

« هذه الآية اقتضت تحريم الخمر ، لو لم يرو غيرها فى تحريمها لكانت كافية مغنية » (٢)

« قال قوم من أهل النظر حرمت الخمر بهذه الآية لأن الله تعالى قد قال : قل إنما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها و ما بطن » فأخبر فى هذه الآية أن فيها إثماً فهو حرام (٣) .

وإنها لمفخرة يستأثر بها التاريخ الاسلامى دون غيره ، أنه أقصى هذه الخبائث من حدود مملكته بأدنى إشارة منه ، و عد كلمتى « المدمن للخمر » و « المدمن للميسرة » أخبث و أرذل لقب عند الأمة المسلمة من حيث المجموع ، بغض النظر عما يصنعه الأفراد ظلماً مع أنفسهم .

---

(١) البحر المحيط (٢) الجصاص

(٣) القرطبي

حقاً . . . إنها من معجزات الاسلام ، أنه سما بأتباعه و أبنائه من هذه
قذار و الأنجاس الخلقية إلى منزلة رفيعة من النظافة و الطهارة ، لم تستطع الآن
ترتقى إليها الدنيا المعاصرة على الرغم من ادعاء العلم و التمدن و الذكاء و الحكمة
يض الصارخ الزمان ، يقول سروليم ميور - وهو من الأجانب وأعداء الاسلام
من حماته و أنصاره :

« يحق للاسلام أن يقول بكل افتخار أنه - فى مكافحة الخمر - من النجاح
لم ينله أى ديانة من الديانات » (١) .

« و إذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إنى جاعلك للناس إماماً قال ومن
ذريتى قال لا ينال عهد الظالمين »

(١) حياة محمد ص ٥٢١ .

رسالة سيرة النبى الأمين
إلى إنسان القرن العشرين
(الحلقة الثانية)

سماحة الشيخ السيد أبى الحسن على الحسنى الندوى

إن العالم المتحضر - فيما قبل ١٣ قرناً و نصف قرن - الذى كان يقوده امبراطوريتا رومة وفارس ، كان يضاهى العالم الجديد الذى نعيش فيه إلى أبعد مدى ، فقد كان الانسان فى ذلك العالم نسى ربه ، فنسى نفسه بالتالى ، و لم يكن الاعتقاد بالله ، إلا نظرية تاريخية ، فكان الناس . . يؤمنون على النمط التاريخى وحده ، بأن هذا العالم قد خلقه الله فى زمن من الأزمان « ولئن سألتهم من خلق السماوات و الأرض ليقولن الله » . و لكن هذا الاعتقاد لم يكن يتدخل فى الحياة العملية . و كانوا يعيشون الحياة كأن الله ليس له وجود - نعوذ بالله من ذلك - أو هو موجود لكنه يعيش فى العزلة ، و قد تنازل للآخرين عن سلطته و حكمه .

كانت شبكة عبادة غير الله ، و أرباب من دون الله منبثة فى أرجاء الأرض فى مكان تعبد الأصنام و الأوثان ، و فى آخر تعبد العناصر والأجناس والأقوام ، و فى أرض تعبد الأهواء و الشهوات ، و فى أخرى تعبد القوة و السلطة ، و فى مكان تعبد الملوك والسلاطين ، و فى مكان تعبد الأحبار و الرهبان ، كان الانسان قد نسى هدف حياته ، وبدايتها و نهايتها ، و تغاضى عن الأشغال الأصلية فى الحياة و أمعن فى الانتحار التدريجى و الأعمال الخاطئة و الأشغال التى لا تعنيه ، ساد

العالم كله وضع قاتم من التناسى للذات ، كان رجال الحكومة لا تهمهم إلا الظلم و الجور ، و الجبر و البطش و الاستيلاء و الاستبداد ، و جمع الثروة و إنفاقها فى اللذة ، و الركوب على أعناق الناس و امتصاص دمائهم ، و كان رجال الثروة و الارستقراطيون فى شغل شاغل من البذخ و التنعم ، و قد تنوعت متطلبات الحياة و تكثرت إلى حد كان لا يكفى لاشباعها أكبر قدر ممكن من الضرائب و الاتاوات المستحدثة ، وارتفع مستوى الحياة و المجتمع إلى حد لا يعتبر إنساناً من لا يتمتع بلوازم الامارة و التزامات الحياة الارستقراطية فكان لايعامله المجتمع معاملة الانسان ، وكان يرزح الانسان تحت أثقال الحياة و يذوب هماً و وراء كسب الاعتبار و الاحترام فيما بين بنى جنسه ، و كان أصحاب الطبقة الوسطى لا تدعهم محاكاة أصحاب الطبقة العليا ومنافستهم ، للتفكير فى شئ آخر ، أما الفقراء و الطبقة الكادحة ، و المسحوقون فكانت ظهورهم مثقلة بألوان الضرائب و الاتاوات ، و بأنواع العبودية و الرق ، كانوا منهمكين فى توفير وسائل اللذة و التنعم للامراء و الحكام و إشباع متطلباتهم المشروعة و غير المشروعة ، كالعجماوات و البهائم ، فلئن سعدوا بفرصة سانحة فى وقت ما ، كانوا يتسلون بوسائل التسلية المحرمة وأنواع المسكرات لتريح أنفسهم من عناء الأشغال ، وربما لا يوجد فى دولة واسعة رجل واحد يهمه دينه وآخرته و عقيدته ، و يقض مضجعه ذكر الموت ، و كان الشعب البريئ مسحوقاً بين حجرى رحى طمع الملوك ورغبتهم الجامحة فى الاستيلاء والاستعباد وتوسيع رقعة الملك والنفوذ ، فقد غزت امبراطورية فارس دولة الشام المسيحية دون مبرر ، وسقت أرض الله بدماء تسعين ألفاً من النفوس البريئه ، وقد فعلت امبراطورية « رومة » بامبراطورية « فارس » الأفاعيل - كاجراءات انتقامية وانتصرت للشعب البريئ ودامت هذه الحرب الدامية سنين طوالا من غير غرض سام ، وبدون مبرر كاف

و ظلت أبناء الامبراطوريتين العظيمتين المتحضرتين فى العالم ، يتصارعون فيما بينهم و يتعاركون ، و بلغ بعضهم فى دماء بعضهم كالوحوش و الضوارى فى الغابة ، على كل فكان العالم كله ظلاماً فى ظلام ، و فساداً فى فساد ، و انحطاطاً فى انحطاط ، و ذلك كله من أجل صنيع الانسان نفسه :

(« ظهر الفساد فى البر و البحر بما كسبت أيدى الناس ليذيقهم بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون ») (١) .

و هنالك بعث فى أمة أمية تعيش فى عزلة من هذا العالم المتمدن المتداعى المنهار الذى كانت تتوزعه الامبراطوريتان (الشرقية و الغربيـــة) المتحاربتان المتنافستان على قرب من الامبراطوريتين بل فى منطقة متوسطة بينهما - نبياً أميا لكى ينقذ العالم من العذاب الذى بقى يأكله منـــذ قرون طويلة ، ويحذره من عذاب الآخرة ، و يخرجه من الظلمات إلى النور ، و يضع عنه أصره و الأغلال التى كانت عليه :

« يأمرهم بالمعروف ، و ينهاهم عن المنكر ، و يحل لهم الطيبات ، و يحرم عليهم الخبائث ، و يضع عنهم إصرهم و الأغلال التى كانت عليهم » (٢) .

و قد بعث هذا النبى الأمى إلى الامبراطور الرومى « هرقل » رسالة من المدينة المنورة فى ٧هـ - ٦٣٠م - كانت تتضمن الدعوة الآتية :

« يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا و بينكم ، ألا نعبد إلا الله ، و لا نشرك به شيئاً ، و لا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله » (٣) .

و قد اعترف هرقل بصدق الدعوة لكنه لم يستطع أن يتنازل - بضعف فى

(١) الروم : ٤١ (٢) الأعراف : ١٥٧
(٣) آل عمران : ٦٤

نفسه وعجز فى رأيه و عقله - عن « الربوبية » التى كان يتمتع بها ، و على ذلك فلم يسعد بالتخلص من عذاب الحياة الرومية و ويلاتها إلا حين طرده المسلمون من ربوع الشام و رومة ، و بدأت تخفق على مروجها الخضراء راية الاسلام ، راية الرحمة و العدل ، و المساواة و الحرية تحت ظل التوحيد .

لكن الأمة العربية الأمية المسكينة قد آمنت برسالة النبى الأمى ﷺ فحازت جميع النعم التى كانت نتيجة هذه الرسالة ، ووليدة هذه الدعوة ، تقطت كل سلاسل عبوديتها تلقائياً ، واستغنت عن جميع العتبات باطراحها على عتبة العبودية لله الواحد القهار ، تحررت عن عبودية النفس و السلطان و تخلصت من أغلال السيادة و الأعراف و التقاليد الجاهلية ، و قيود المجتمع و البيئة الظالمة الخانقة ، والبلايا التى كانت ترزح تحتها من عند نفسها أوبيد غيرها ، و تبعثرت عظمة الآلهة الصناعية و الأصنام المنحوتة بيد البشر ، أمام معرفة الله ، و ذاته و صفاته و عظمته ، و جبروته وكبريائه ، و أصبحت الأمة العربية البائسة ، الجائعة المنعزلة ، المنطوية على نفسها ، الصفيقة الثياب ، المتزرة بأرديتها البالية - التى لم تتجاوز بواديها وصحاريها و لم يكن لها عهد بمظاهر الزينة و الفخفخة و الأبهة - أصبحت تتحدث مع ملوك العجم و سلاطينها حديث الند للند ، و صارت لا تحفل بمظاهر الفخفخة و زينة البلاط العجمى كأن هذه كلها صور و دمى قد كسيت ملابس أو زينت بأوراق ذات ألوان متنوعة زاهية ، و عادت واقعية نفاذة إلى الحقيقة . مدركة للواقع ، فكانت لا تحسب حساباً للظاهر الجوفاء و الأشكال الفارغة ، و الأبهة الكاذبة ، و لا تحيد قيد شعرة عن مبادئها و مستواها الخلق الأعلى ، و كانت ترى نفسها مكلفة باخراج عباد الله من عبادة العباد إلى عبادة الله وتحطيم ألوهية البشر

للبشر فى الأرض (١) .

و قد تقلبت حياتهم ظهراً لبطن ، بهذا التحول فى نفسيتهم و عقليتهم الذى أحدثه الايمان بالله الواحد القهار ، و أفراد العبادة و العبودية له ، تحولت الرذيلة فضيلة و تحول الانسان الضارى ملكا فى صفاته السامية ، و قاطع الطريق حارساً أميناً محافظاً على أعراض إخوانه و أموالهم و نفوسهم . و الذين كانوا يفجرون أنهار الدماء على شئ تافه ، على سق الماشية مقدماً أو مؤخراً ، أصبحوا يؤثرون على أنفسهم و لو كان بهم خصاصة ، و يفضلون الموت عطشاً لسق إخوانهم ، و الذين كانوا يئدون بناتهم بأيديهم عادوا يحتضنون بنات الآخرين و يكفلونها على الفقر و قلة ذات اليد ، و الذين كانوا يرون أموال غيرهم أموالهم . صاروا يرون فى أموالهم حقاً للآخرين ، و الذين كانوا يهجمون على الأعراض وينهبون أموال الناس نهاراً و جهاراً ، عادوا يدفعون فى الليلة الحالكة تاج الامبراطور الايرانى الذهبى الذى كان يقوم بالملايين إلى أميرهم مستوراً فى ثيابهم .

و قد وضع الاقبال على الله و الآخرة من شدة التهالك على الدنيا و نعيمها تلك التى قد ضيقت الأرض على البشر بما رحبت ، و حولت الدنيا كلها إلى سوق و متجر ، و كذلك روح . التنافس الطبيعية - التى تشعل باتجاهها المستقيم المواهب الانسانية و توقظ الطاقات الكامنة فى الانسان ، و التى كانت قد حولت الحياة باتجاهها الخاطئ مضمار صراع لاينتهى - أيقظت فى الانسان باتجاهها إلى الدين الأريحية ، و المزايا الانسانية النبيلة الزكية و زكت السيرة ، و هذبت الأخلاق

---

(١) ليرجع إلى قصة ربعى بن عامر وحديثه مع رستم القائد العام للقوات الايرانية و رجل المملكة الثانى ، و حديث المغيرة بن شعبة معه فى « البداية والنهاية » ج ٧ ص ٤٠ و فى « تاريخ الطبرى » ج ٣ ص ٥٢٢ .

و طهرت السلوك والعادات ، فلم تزل روح التنافس تفعل فعلها القوى فى الطبقات الانسانية المختلفة و فيما بين أفرادها المختلفين ، ولكن كان ذلك فيما يتصل بالصلاح و الخير و الحصول على الأجر و الثواب ، و الطمع فى رضا الله و مغفرته .

شكا الفقراء من الصحابة إلى النبي ﷺ أن الأغنياء قد سبقوهم فى الفوز بالثواب ، فيصلون كما يصلون . ويصومون كما يصومون إلخ . ولكنهم يفوقونهم فى الصدقة و الزكاة و إنفاق المال فى وجوه الخير ، فدلهم رسول الله ﷺ على ذكر يمارسونه ويساوون به الأغنياء بل يسبقونهم ، وما أن سمع الأغنياء هذا الذكر حتى جعلوا يمارسونه ، فشكا الفقراء إلى النبي ﷺ تخلفهم وسبق الأغنياء فى الأجر و الثواب فسلاهم النبي ﷺ .

« عن أبي هريرة رضى الله عنه أن فقراء المهاجرين أتوا رسول الله ﷺ . فقالوا : ذهب أهل الدثور بالدرجات العلى و النعيم المقيم ، يصلون كما نصلى ، ويصومون كما نصوم ، و لهم فضل من الأموال ، يحجون و يعتمرون و يجاهدون و يتصدقون ، فقال : ألا أعلمكم شيئاً تدركون به من سبقكم ، و تسبقون به من بعدكم ، ولايكون أحد أفضل منكم إلا من صنع مثل ما صنعتم ؟ قالوا : بلى يارسول الله ، قال : تسبحون و تحمدون و تكبرون خلف كل صلاة ثلاثا و ثلاثين ، (متفق عليه) و زاد مسلم فى روايته : « فرجع فقراء المهاجرين إلى رسول الله ﷺ ، فقالوا : سمع إخواننا أهل الأموال بما فعلنا ، ففعلوا مثله ، فقال رسول الله ﷺ : « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء » .

حولت روح القناعة و العفاف الدنيا كلها جنة و نعيماً ، يتمثل فيها معنى « لا خوف عليهم و لا هم يحزنون » و تآلفت القلوب – من أجل تجرد النفس البشرية من الطمع فى المال و المنافسة فى الحصول على أسباب الدنيا و حطامها

الحقير - و تخالطت و تصافت إلى حد تمثل قوله تعالى : « ونزعنا ما فى صدورهم من غل » - الذى جاء فى وصف أهل الجنة - فى هـــذه الدنيا ، و حل الشعور بالمسئولية محل « المطالبة بالحقوق » و عاطفة الايثار محل الطامع و الشره ، حتى رأى الناس بأم أعينهم مظاهر « يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » ورأت السماء فى حيرة و إعجاب كيف نوم المضيف الكريم أطفاله يمضهم الجوع ، وأقنع الضيف - باطفاء السراج بحيـــلة - بأنه يشاركه الأكل فنهض الضيف و قد شبع و ارتوى ، وبات المضيف مع أهله و أولاده جائعاً يطوى الأمعاء (١) .

و هذا التحول ، و الصلاح ، و الانقلاب العجيب - فى كل معانى الكلمة - كان وليد الايمان بالله الذى لا إله إلا هو ، و تفويض النفس إليـــه ، و إلى تربية النبى المعصوم ، فتوطدت عرى حياتهم ، و نال كل شئ محله اللائق ، ورجع كل أمر إلى نصابه .

و لكن زهـــد العالم المسيحى فى هذه الرسالة - نعم قد خضع لها شطره الشرقى بعد قليل ، ودان للنبى الذى جاء بهذه الرسالة و الذين اتبعوه و خلفوه ، ولكن شطره الغربى و الشمالى (أوربا) ظل محروماً من نشاطات الدعاة والمجاهدين و عاش مدة تسعة قرون . متتابعة فى ظلام حالك ، وجهالة مطبقة ، و قد دعاها بنفسه القرون المظلمة وسيبقى هذا العهد الطويل العريض - الذى عاشته أوربا فى وحشية سوداء و جهـــالة عمياء ، و فى محاربة العقل و المنطق ، و الشذوذ عن الفطرة ، و الخضوع للأوهام والأحلام ، و تحت إشراف رهبانية قاسية ضارية ، ومراقبة من رجال الكنيسة عنيفة متطرفة ، و مؤاخـــذة جائرة - حسرة فى قلب أوربا ، و غصة فى حلقها إلى يوم القيامة ، و سيبقى وصمة عار فى جبينها ، و يتندى لها

(١) اقرأ قصة أبى طلحة الأنصارى فى كتب الحديث ، و تفسير قوله تعالى : « و يؤثرون على أنفسهم و لو كان بهم خصاصة » فى كتب التفسير .

جبينها و ينتكس منها رأسها ، و كان كل ذلك نتيجة عبادة العباد للعباد « اتخذوا أحبارهم و رهبانهم أرباباً من دون الله ، و المسيح بن مريم » (١) .

و لما هبت أوربا فى القرن السادس عشر من غفلتها الطويلة و رقدتها العميقة رأت أن العلاج الوحيد الشافى لهذه الأمور كلها، هو التحرر من عبودية الكنيسة لكنها لم تقطع مرحلة « لا إله » كاملة ، و ظنت « لا كنيسة » مرادفة لـ « لا إله » فنفت الكنيسة و أسقطتها من الحساب ، و سلطت على نفسها آلهة أخرى كثيرة ، ولم يتوصل إلى « إلا الله » وظلت تنحت آلهة جديدة - متفادية من الاله الأحد الصمد - عبر ثلاثة قرون من تاريخها الأدق ، و بقيت تمثل « أتعبدون ما تنحتون » ، و لا تزال كارهة لآلهتها القديمة ناحتة لآلهة شتى جديدة بأسماء طريفة ، وعناوين جديدة ، من « ديمقراطية » و« دكتاتورية » و «رأسمالية» و « اشتراكية » و « وطنية » و « قومية » تهوم أوربا و تتيه ، قد تنشر لحمة حياتها و سداها ، و قد تطويهما ، و قد تبعثر أدوات ساعة حياتها ، ثم تؤلفها وتضعها فى مكانها و لكن بدون جدوى، عييت حيلها ، وعجزت آلتها ، أرادت أن تحكم عرى حياتها فتفككت ، و أن توطد أركانها فتقوضت ، و أن تشيد بنيانها فتداعى ، وتحاول أن .. تقيم الأمور فتتعقد بقدر ذلك ،وبقدر ما تحاول أن تتخلص من المآزق تتورط فيها ، و لن تجد مخلصاً و لا ملجأ من الله إلا إليه .

و مهما خططت حياتها تخطيطاً بارعاً ، و عدلت فيها و غيرت و حذفت منها و أضافت إليها ، و مهما اخترعت لها عناوين جديدة و أشكالا حديثة . و مهما وزعت مسئولية فرد على أفراد ، أو أسندت مسئولية أفراد إلى فرد من خلاصة الأفراد ، و صفوة الأشخاص أمين شعور بالمسئولية ، و طوقه بآلاف الحدود

(١) التوبة ١٣

و القيود، و كبله بآلاف القوانين والضوابط ، فسوف لا يقدم ذلك فی القضية و لا يؤخر - سواء كان المسئول الأمين هو الفرد أم الجماعة ، أو الأمة بأسرها - ما لم يتغير القلب و يخضع صاحبه أمام قدرة قاهرة ، عليمة بصيرة ، هی القدرة الالهية ، و ما لم يخش قلبه مؤاخذة الله ، و محاسبة الآخرة ، و ما لم يتملك عليه الشعور بالخير ، والرغبة فی الصلاح ، و النزعة إلى الأمانة . . و ذلك أن الأسماء و العناوين لا تغير فی الحقائق و المفاهيم .

و رسالة السيرة النبوية إلى عالم القرن العشرين - الذی تقوده اليوم أوربا من غير جدارة و استحقاق - أن يفر الضالون عن الله إلى الله ، و أن لا يتخذوا من دونه إلهاً ، و أن يرتموا فی حضن رحمته ، و يطارحوا على عتبة عبوديته ارتماء الطفل الصغير فی حجر أمه ، واطراح العبد المطيع الخاضع ، الخائف الخاشع على عتبة سيده .

« ففروا إلى الله إنی لكم منه نذير مبين ، و لا تجعلوا مع الله إلهاً آخر إنی لكم منه ، نذير مبين » (١) .

و هی رسالة تخاطب بها السيرة النبوية العالم البشری كله كل عام ، و ترسلها إلى أجزاء العالم ، يحملها الأثير إلى أرجاء العالم ، و البحار على أمواجها إلى الأمم و الأقوام ، جميع الأقطار والبلاد ، و لو هدأت قليلا هذه الضوضاء و الضجيج التی كدرت على العالم صفو الحياة ، و التی تحول دون سماع العويل و النحيب ، لسمعنا النداء الذی سمعه أهل الكتاب فی فجر الاسلام :

« قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ، يهدی به الله من اتبع رضوانه سبل

(١) الذاريات : ٥٠ - ٥١

السلام ، و يخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ، و يهديهم الى صراط مستقيم) (١) » .

إن الأنبياء هم مجدفو سفينة البشرية ، وهم الذين قادوها الى ساحل النجاة عبر التاريخ البشرى ، و مهما تنكر أحد لهذه السفينة ، و استغنى عنها ، و تفاداها الى « جبل » فان مصيره المحتوم هو مصير ابن نوح الشارد المارد العاق الطاغى ، الذى قال : « (سآوى الى جبل يعصمنى من الماء) » .

فقال له : « (لا عاصم اليوم من أمر الله) » ، وقد قرر الله بعد بعثة النبى الأعظم خاتم الرسل والأنبياء محمد بن عبد الله ، أن سعادة الأمم والأفراد ، والشرق والغرب ، والأولين والآخرين ، منوطة بالايمان برسالتـه ، و الاهتداء بسيرته ، والتشبث بذيله ، والتمسك بسنته ، ومن اتجه عنه إلى الشرق أو الغرب ، وأوى الى « جبل » فلن يعود إلا بالويل ، ولن ينال إلا الشقاء ، ولن يستقبله إلا البلاء ، و لن يظلم إلا نفسه .

(١) المائدة : ١٥ - ١٦ .

البعث الاسلامى وتحررنا من نير العبودية

الكاتبة الأمريكية المسلمة مريم جميلة

(الحلقة الثالثة) تعريب : واضح رشيد الندوى

أدت عملية غسل الدماغ المنتظمة خلال الحكم الاستعمارى إلى عدم تقدير الحكام السابقين فى أذهان الطبقة المثقفة ، وتجاهلهم و إغفالهم لعمليات إبادة الجنس البشرى و الاستغلال ، و الوحشية ، و الغزو الثقافى و القضاء على القيم الروحية و فظائع كثيرة أخرى ، ارتكبها المستعمرون ضد الشعوب المستعمرة و بلادها ، وبالعكس فان الطبقة المثقفة تقبل على التفسير الاستعمارى للوضع ، وترحب بمعطيات الاستعمار و ثماره بقوة و حماس ، و تنسجم معها فكرياً و عملياً .

لقد - تغيرت نتيجة لهذا الموقف - نظرة المثقفين إلى الاستعمار البغيض فبدلا من أن ينظروا إليها كعبء الرجل الأبيض ، و بعثة أوربا للتحضير ، إلى آسيا المظلمة ، ينظرون إلى الحكم الاستعمارى ويبررونه باعتباره شعاراً و وسيلة « للتقدم » و الرقى ، و العصرية . و بهذا الطريق تمتد جذور الاستعمار . و تنمو اليوم .

قدم الرئيس ترومان إثر الحرب الكونية الثانية ، برنامجه المكون من أربع نقاط ، فى عام ١٩٤٩ ، و منذ ذلك الوقت نالت فكرة التطوير ، و التحضير ، أو بعبارة أصح تكوين مجتمعات آسيا و أفريقيا و صهرها فى بوتقة الفكر الغربى ، و حضارته ، اهتماماً كبيراً ، وبذلت جهود مركزة لتحقيقها ، واعتبرت هذه الفكرة بأنها الطريق الوحيد لخلاص ما يسمى « بالعالم الثالث » .

أذاع متحدث رسمى من صوت أمريكا ، فى إذاعة موجهة إلى الدول الاسلامية
، واشنطن قائلا :

ينظر إلى الاستعمار الأوربى بدون أى مبرر له ، كمجرد مصدر للاضطهاد
سياسى ، و لكن الواقع الذى لا ينكر ، عكس ذلك إنه كان عاملا كبيراً فى نقل
ار الحضارة الحديثة و التقدم إلى آسيا المتخلفة ، بمقابل لا يعـد ثمناً بالنسبة إلى
لمكاسب ، لقد كان من نتيجة الاستعمار أن مكاسب و منجزات الدول المتقدمـة
ضعت تحت تصرف و انتفاع الدول النامية فى آسيا و أفريقيا فى أحسن حالتها
المتطورة ، ما أدى إلى تخفيف أعباء الدول المتخلفة التى كانت هذه التجارب لتكلفها ،
و قد أدت المجتمعات الحديثة خدمة معلم و مدرب للدول غير الغربية ، بنقلها إليها
تجاربها و منافع الاكتشافات الحديثة وحلها لمشاكلها العويصة ، و بهذا السبيل يمكن
أن يعترف بدور الاستعمار ويقدر كقوة مطورة ، لقد نقل حاملو الحضارة الحديثة
التى كان يمثلهـا المبشرون المسيحيون ، و الغزاة ، نقلوا الأفكار الحديثة و أقاموا
المؤسسات العصرية ، فى أقاصى الأراضى وأدانيها ، و قد سيطرت المجتمعات الغربية
فى العهد الذى بلغت فيه ذروة المجد (١٩٢٠ - ١٩٠٠) على ما لا يقل من نصف
بليار من غير الأوربيين و بسطت عليهم نفوذها ، و كان من جراء هـذه السيطرة
أن برزت ظاهرة القومية الحديثة فى آسيا و إفريقيا ، و وجدت طبقة محليـة من
المتجددين الذين احتضنوا الثقافـة الأوربية و حاربوا الحكم الأوربى فى وقت
واحد (١) .

(١) Change as a Condition of modern Life Cyril Edward Black Modernization thc Dynamics of Groth op, Cit. (b) P. P. 21, 23, 24

أدى مركب النقص الذى أحدثه الخضوع للاستعمار الأجنبي إلى وجود عدد كبير من الخونة الذين مدوا يد المعونة إلى الأعداء علناً ، و لقنوا التعاون معهم و السير فى ركابهم و اتخاذ ثقافتهم و تبنى النظرة المادية فى الحياة لخدمة المصلحة و الانتهازية ، و كان فى طليعة هذه الطبقة السيد أحمد خان فى الهند و المفتى محمد عبده فى مصر ، و رضا شاه بهلوى فى إيران و ضياء كوك ألب ، و مصطفى كمال أتاتورك فى تركيا .

يجب أن يعرف المسلمون بعض حقائق القومية الراديكالية التى نشأت فى تركيا و مصر ، و إيران و الجزائر ، و تونس ، و ليبيا ، و اندونيسيا . و دول إسلامية أخرى . لقد كان مؤسس هذه القومية فى العالم الاسلامى كمال أتاتورك الذى كان قد استخدمه الماسونيون فى باريس لتفكيك الخلافة العثمانية فى استنبول التى حكمت على تركيا ، و جنوب شرق أوربا . والأراضى الغربية الواسعة ، كانت الخلافة العثمانية أكبر امبراطورية فى العالم و لم يكن من اليسير للاستعماريين أن يفرقوها ، فان سياسة العدوان ، أوالغزو العسكرى من جهة أوربا ، كان من شأنها أن تثير وحدة إسلامية جامعة . فكان البريطانيون وحلفاؤهم مذعورين من مثل هذه الوحدة الناتجة عن الغزو العسكرى ، و لم تكن هذه الوحدة لتقتصر على الدول الاسلامية وحدها ، و إنما كان يخشى أن تنضم الهند و إيران ، و الماليزيا ، و إندونيسيا و دول فى إفريقيا إلى الكفاح لانقاذ الخلافة العثمانية ، فلم يكن ثمة بديل أمام المستعمرين سوى تحطيم القوة الاسلامية .

وكان خير وسيلة لتحقيق هذا الهدف المسلمون أنفسهم ، ففكرت الدول الأوربية فى استخدام هذه الوسيلة ، و استغلت العقلاء من المسلمين الذين كانوا يدرسون فى أوربا ، عن طريق المنظمات الماسونية السرية ، وكان أتاتورك مرشحاً مقدماً لتولى

هذه الخدمة ، فعاد إلى تركيا بعد أن تم غسل دماغــه ، و شكل حركة للشباب من الأتراك المنسجمين معه فكرياً للاستيلاء على الخلافة ، وفى الوقت نفسه أرسل الغرب عملاءه من بريطانيا و فرنسا ، و أمريكا إلى البلاد العربيــة ، لنشر فكرة القومية العربية ، وانتشرت هذه الفكرة ونالت تأييداً شعبياً ، نتيجة لسياسة الاستبداد التى سلكها بعض الحكام العثمانيين .

و آتت هذه الخطط ثمارها المرجوة ، فانهارت الخلافــة ، و استولى كمال أتاتورك على الحكم ، واستهدف كمال أتاتورك أول ما استهدف ، الشعائر الاسلامية فحرم المظاهر الاسلامية ، و فرض الحظر على العمامة والطربوش ، و ندد بالملتحين و حرم الحجاب وغير الخط و انتقل إلى اللاتينية ، و أقفل سائر المدارس الدينيــة و أحل محل الشريعة القانون المدنى الأوربى ، و نقل الأذان إلى التركية ، واستسلم معظم العلماء نتيجة للاستبداد وأعمال القمع و الاجبار لهذه الاجراءات ، وقلوها إلا السيــد بديع الزمان سيــد نورسى الذى قاوم هــذه السياسة و صمــد فى وجهها ، و قضى معظم حياته فى السجن لمعارضته المستمرة للسياسيــة المعادية للاسلام التى كان يسلكها الحكام ، وكان أعضاء حركته الاسلامية يهربون توجيهاته و كتاباته من سجنــه و ينقلونها إلى مآت ألوف من الأتراك ، وهكذا كانت رسالته تنتشر فى أوساط الناس ، و بقى الاسلام فى تركيا رغم العواصف العنيفة (١) .

إيران : كان الوضع فى إيران قبل أن عرف العالم الثورة الاسلامية فى أوائل عام ١٩٧٩م ضد شاه إيران مخيباً مثل الوضع السائد فى أنحاء أخرى فى العالم العربى اليوم ، فقد كان الشاه بحكمه الاستبدادى قــد قضى على شخصية إيران الاسلامية ،

(١) Nationalism s new Religion Ghulam Jilani Radiance Viewsweekly Delhi May 27 1979 P 4 .

و كانت حكومة الشاه أداة فى أيدى وكالة المخابرات المركزية الأمريكية ، و كانت الأسلحة الأمريكية و قوتها الحربية تحميها ، و تساندها . و فى الوقت ذاته كانت الصحافه الغربية تمجد و تطرى سياسة الشاه و تفخمها ، و تصور إيران فى عهده أمام القراء فى أمريكا و أوربا كمثال و نموذج للتقدم و التنمية ، و لكن شاء الله أن تتغير الظروف ، و حدث انقلاب لم يكن فى حسبان أحد قبل سنة .

ومن كان يتوقع أن زعيماً دينيا ، خامل الذكر ، كبير السن كآية الله الخومينى الذى كان يعيش فى المنفى ، سيقود ثورة يؤيدها طلبة الجامعات بحماس و عزم ، ويطردون الشاه من البلاد ، وتقوم عملية تطهير العناصر المتورطة فى الظلم والاستبداد و الفساد الخلقى ، و يبدأ عهد إسلامى جديد ؟

« يتبع »

و إذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً » قرآن كريم

الدعوة الإسلامية

حركة دينية عملاقة

الأستاذ الكبير المرحوم أبو الأعلى المودودى

[هذا المقال دبجته يراعة المرحوم الأستاذ الكبير أبى الأعلى المودودى رحمه الله ، منذ ٤٠ عاماً أو أكثر ، و نشرته فى مجلة « ترجمان القرآن » الأردية ، فى عدد شعبان ١٣٥٨هـ الموافق أكتوبر ١٩٢٩م ، ننشره لقراء العربية لما فيه ذكرى و تبصرة لأولى الألباب ، والمقال عبارة عن الانطباعات التى سجلها الكاتب بعد عودته من زيارة مجال النشاطات الدعوية و التبليغيــة التى كان يقوم بهـا آنذاك الشيخ محمد إلياس الكاندهلوى رحمه الله مؤسس حركة الدعوة و التبليغ ، نقل المقال من الأردية إلى العربية ، الأستاذ نور عالم الندوى] .

اتفقت لى فى شهر رجب المنصرم زيارة منطقة مجاورة لمدينــة « دهلى » تعرف بـ « ميوات » و قـد كنت تسامعت منـذ مـدة بأن هناك حركة يقودها الشيخ محمد إلياس الكاندهلوى فى هذه المنطقة فى صمت و هدوء ، و أنها قـد قلبت المنطقــة ظهراً لبطن فى ظرف ١٠ - أو - ١٢ عاماً ، و أخيراً اضطرنى الحنين إلى أن أزورها شخصياً ، واستعرض الأحوال ، وأريد أن أزف إلى قراء « ترجمان القرآن » ما شاهـدت خلال هـذه الرحلة ، و ما توصلت إليــه من النتائج ، لكى يهتدى عباد الله - الذين يريدون أن يصنعوا شيئاً - (فى مجال الدعوة الاسلاميـة) إلى طريق صحيح .

تقتطن أمة « ميو » فى المنطقة الممتـــدة إلى عاصمة دهلى فيما بين مديريات « ألور » و « بهرت بور » و « جور جانوه » و ما إليها ، و يقدر أن عددهم لا يقل عن ثلاثة ملايين وست مأة ألف (٣٦٠٠٠٠٠) بلغهم الاسلام منذ قرون بفضل جهود الشيخ الكبير نظام الدين أولياء - المعروف بمحبوب إلهى - رحمـــه الله ، و أتباعه و خلفائه ، و لكن المؤسف أن الحكام و السلاطين و الاقطاعيين المسلمين فيما بعد لم يعنوا عناية ما بتدبير التعليم الاسلامى وإقامة نظام التربية الاسلامية فى هذه المنطقة ، فبقيت فيهم جميع مزايا الجاهلية القديمة على رغم كونهم على غلوة من عاصمة الحكومـــة ، و ظلت الفجوة تتوسع بينهم و بين الاسلام على مر الأيام ، حتى أصبحوا لا يملكون من الاسلام إلا الشعور بكونهم مسلمين ، حتى إن أسماءهم لم تعد كأسماء المسلمين ، فكانوا يتسمون بـ « ناهر سنغ » وبهوب سنغ » و« تورو » وما إليها (من الأسماء التى يتسمى بها الهنادك) وكانت على رؤسهم ضفائر (كالهنادك) وكانوا يعبدون التماثيل ، ويرجعون فى حاجاتهم إلى الآلهة التى كان يعبدها آباؤهم فى قديم الزمان ، وقد بلغوا من الجهل بالاسلام إلى أن عامة القرويين منهم ما كانوا يحفظون كلمة لاإله إلا الله ، ولا يعرفون هيئة الصلاة ، فلو صادف منطقتهم مسلم وصلى ، تقذف إليه نساؤهم ورجالهم وصبيانهم يرون ما يصنع ، ويتعجبون منه ويتساءلون : لماذا يقوم و يقعد و يركع ، مرة بعد أخرى ، هل يشكو وجعاً فى بطنـــه ، أو أصيب فى عقله ؟ و إلى جانب ذلك كانوا يجمعون جميع العادات الوحشية التى هى من خصائص الجاهلية . حياة قذرة متلطخة ، وجهل حتى بمبادىء الطهارة الأولية ، وانتشار شبه العرى ، و فقدان الحياء و الحشمة فى الرجل والمرأة كليهما ، وشمول السرقة و النهب ، و قطع الطريق ، و ما إليه من الأعمال الاجرامية ، فكان من الصعب أن يمر مسافر بمنطقتهم بخير و سلامة ، وكانت تنشب فى قبائلهم وبطونهم

على أمر تافه أمثال الحروب و المعارك التى تقرؤها فى أخبار العرب فى الجاهلية ، كانت قوام موزعة بين حلقات كثيرة ، و ربما تحدث بين حلقتين أو أكثر - على امرأة ، أو حيوان و بهيمة ، أو على شئ ما - عداوة تستمر إلى مدة طويلة . وعلى ذلك فكانت تضيع هدراً مواهب هذا الشعب الكادح الباسل القوى ، ولم يكن بدوره يهتدى إلى طريق للسعادة و الرقى فحسب بل كان مبعث قلق لجيرانه كذلك ، فقد اعترف الذين جربوا إدارة هذه المنطقة ، أن الحكومة الانجليزية وإمارة « ألور » و « بهرت بور » أخفقت فى إقامة الأمن فيها و فى إيجاد أحوال مدنية صالحة .

فى هذه الملابسات بدأ الشيخ محمد إلياس يقوم بالعمل ، و فى مدة قليلة ، فى ظرف ١٠ - ١٢ عاماً ، أحدث تحولا كاملا فى معظم أفراد هذا الشعب ، و توجد اليوم فى هذه المنطقة نحو ٢٥٠ مدرسة ، يتوافد إليها الصغار من القرى و يتعلمون فيها مبادىء دينهم ، و قد أقيمت مدرسة على قرب من دهلى فى بستى الشيخ نظام الدين المعروف « بالمحبوب الالهى » - الذى عن طريقه حظى هذا الشعب أولا بنعمة الاسلام - لكل من يريد من هؤلاء الطلاب أن يكسب التعليم الدينى على المستوى الأعلى ولا تقتصر هذه المدرسة على التخريج فى العلوم الدينية وحدها ، بل تتناول الطلاب بالتربيــة الدينية الخالصة ، تمريناً لهم على القيام بعملية الاصلاح و التبليغ وتستخدمهم عملياً فى القرى المجاورة ، وقد وجد - بفضل هذه المدرسة - فى شعب ميو نفسه عدد وجيه من العلماء و الدعاة ، سيكون - إن شاء الله - ضماناً لثبات هذا الشعب على الدين ، وقد أخذ الشيخ مبلغى هذا القوم باصلاحهم ، ومما شهدت من نتائج جهودهم الدائبة بعينى رأسى ، أن فى بعض المناطق قرى كثيرة لا تجد فيها طفلا لا يصلى و أن مساجد القرى التى كانوا يربضون فيها بهائمهم و مواشيهم ، أصبحت اليوم عامرة بالأذان والصلاة بالجماعة فى المواعيد الخمسة ، ولك أن تستوقف

أحد المارة القرويين ، وتمتحنه وتستسمعه كلمة «لاإله إلا الله» يتلوها عليك بصحة الكلمات و الأداء ، و يضع أمامك لب لباب تعاليم الاسلام الساذج الذى لا بد أن يعرفه بدوى ، و يبين لك ما هى أركان الاسلام ، و لا تجد مسلماً ـ ذكراً او انثى أو صغيراً ـ فى زى المنادك ، و لا عرياناً ، و لا تجد بيته أو ملابسه ملطخة بالنجاسات ، و قد حدث تحول ملموس فى عاداتهم و أخلاقهم بفضل هـذا التعليم والتبليغ الدينى ، فهم فى عودة إلى أسلوب للحياة متمدن متحضر ، وانخفضت نسبة الجرائم إلى حد يبعث العجب ، و قلت الخصامات و الاضطرابات والمحاكات جداً ، و عادت منطقتهم منطقة أمن ، الأمر الذى قد اعترف به حكامها ، ووقع تغير ملحوظ فى اجتماعهم ، و تعاملهم ، و سلوكهم ، و فى كل شئ يتصل بهم ، و كل ذلك أصبح يترك آثاراً خلقيـة طيبة على جيرانهم و من يعيشون حولهم ، و لا تقع عليهم نظرة الذل و الازدراء ، و عادوا يستردون اعتبـارهم و وقارهم وثقتهم الضائعة .

و قد أوجد الشيخ فى القرويين العاديين روح التبليغ و الاصلاح و الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر ، حتى صار الذين كانوا بالأمس حائدين عن الطريق السوى يهدون الآخرين إلى الصراط المستقيم ، وبعد ما ينتهون عن شئون الزراعة و الفلاحـــة ينبثون فى القرى جماعات صغيرة للتبليغ ، و يدعون الناس إلى الخير و الصلاح ، يحملون زادهم و أمتعتهم على كواهلهم ، و لا يحملون عبئهم غيرهم ، و لا يسألون الناس شيئاً ، و يخلصون العمل لأنهم لا يريدون إلا وجــه الله ، فيكون لهم تأثير أى تأثير فى كل قرية يقصدونها ، وقد بلغنى أنهم قد يقطعون مائة ميل أو مائتى ميل مشياً على الأقدام قائمين بالجولات الدعوية ، و تتنور كل قرية يمرون بها بنور اليقظه الدينية و الكلمة و الصلاة ، و قد أتيح لى الحـــديث مع

بعض المبلغين البدويين ، و لما سمعنا أهدافهم و عزائمهم التى أعربوا عنها بلغتهم السهلة ، شعرنا كأنه انتبهت فيهم الروح التى بعثت البدويين العرب فى فجر الاسلام للهداية إلى الصراط المستقيم ، و قد أجابنى أحد الفلاحين من غير المثقفين بما يلى حينما سألته : لماذا تقوم بهذه الجولات ؟ :

«كنا فى جهل ، لا نعرف الله ورسوله ، وجزى الله هذا الشيخ الذى هدانا إلى الصراط المستقيم ، ونريد بدورنا أن نبلغ هذه النعمة التى حظينا بها إلى إخواننا الآخرين ».

و قد استعبرت عيناى حينما قرعت أذنى هذه الكلمات ، إى و الله إنها هى العاطفـــة التى ملكت على الصحابة الكرام وعيهم و رشدهم و نهضوا . فلم يبالوا بنفوسهم و أرواحهم .

و هذا الاصلاح الدينى قد قضى إلى حد كبير على ذلك الاضطراب القبلى الذى ظل يشتت قوى هذا الشعب « الميواتى » و تنعقد فى القرى من حين لآخر حفلات يتقاطر إليها الناس من مسافة ٤٠ - ٥٠ ميلا ، و يتجمع فيهـــا عشرة آلاف من الناس أو أكثر ، فيتعلمون الدين فى مكان واحد ، و يقضى هنـالك على خصوماتهم ، ثم إن الجماعات التبليغية التى تخرج من مختلف القرى ، لا تقتصر على القيام بنشر التعاليم الدينية وحدها ، بل إنها تقيم بذاتها علاقات الأخوة والمحبة المتبادلة أيضاً ، وعلى ذلك فبدأت تحل الوحدة القومية شيئاً فشيئاً محل الفرقة القبلية و بدأت تنشأ هيئة منظمة يمكن استخدامها فى المستقبل فى كثير من المصالح ، فان المنظمة لا تعنى إلا أن يتجمع أفراد كثيرون على نداء واحــد ، و أن يتحركوا باشارة واحد ، و ذلك هو الشق الذى بدأ ينشأ هنالك ، و قد وجد فعلا إلى حد كبير .

وهذه النتائج القيمة التى ترتبت فى أعوام معدودة ، إنها ثمرة جهود واجتهاد ل مخلص ، فليست هنالك لجنة ، ولا نظام للتبرع ، و ليس لهذه الحركة اسم قل ، و لا ينتخب لها أعضاء ، ولايقف بجانبها ثرى أو غنى ، ولا تصدر عنها نة ، وليست لها قواعد التدريب العسكرى ، ولا مظاهر الزى الخاص والاعلام الطبول ، و لا يكون إعلان عن المآثر و المنجزات ، وكل ما هنالك أن عالماً طاً ساذجاً يعمل قابعاً فى المسجد ، لا يعرف هـــذا المسكين الأساليب الغربية سرية للدعايات والعرض ، ولم ير حاجة إلى أن يتحدث الناس فى العالم عن أعماله ا عاطفة دينية مخلصة تحركه لهذا العمل ، و إن هناك هماً قد أصبح شغله الشاغل ليله و نهاره ، و من هناك فان العمل البناء الذى قام به هـــذا الرجل الوحيد تستطيع أن تقوم به حتى الآن جمعيتنا الكبيرة وحركاتنا العملاقة التى تسمعون عنها الصحف ليل نهار. الحقيقة أن مثل هذه الحركة إنما قام بها عبر التاريخ الاسلامى الهند الشيخ أحمد المجدد السرهندى رحمه الله ، أو قام باحيائها الامام السيد أحمد بريلوى رحمه الله ، و أخيراً وفق الله تعالى لتجديدها الشيخ محمد إلياس . .

و إننى أتحدث عن هذه الحركة فلا أريد أن يتم عنهـا الاعلان الذى لم يتم ند ، وإنما أريد أن ألفت بذلك إلى أمور هامة ، أنظار أولئك الذين لا يريدون تظاهر و لا يحبون الشهرة ، و إنما يريدون أن يخـــدموا الاسلام و المسلمين دمة حقيقية :

١ — إن الوضع الذى يعيشه المسلمون فى الهند ، بصورة عامة ، يقتضى أن قدم إليهم الدعوة إلى الاسلام من جديد ، و أن يدخلوا فى حظيرة الاسلام من جديد ، كما أدخل النبى ﷺ فيها العرب . . إن انحطاطهم الخلقى ، وضعفهم الدينى ، و زهدهم فى أحكام الاسلام ، و تشتت قوامهم ، و اضطراب أفكارهم ، و تفرق

السبل بهم ، و انسياقهم وراء كل ناعق دون تفريق بين الهـــادى وقاطع الطريق ـ الصديق و العدو ـ كل ذلك ناتج عن شئ واحد ، و هو أنهم قـد حادوا عن مركز « لا إله إلا الله » و خطؤنا الأســاسى الذى من أجله تبوء بالفشل جميع حركاتنا النافعة ، أننا ننخدع بكلمة « المسلم » التى تطلق عليهم ، و نظنهم مسلمين فى معنى الكلمـــة ، فنتوقع أنهم يصنعون صنيع المسلمين ، و نعرض عليهم أحكام الله و رسوله و نرجو أنهم يخضعون لها ، كما يجب أن يخضع لها مسلم ، على حين أنهم ليسوا بجديرين بأن يخاطبوا بالأحكام وإنما يجب أن يخاطبوا بالكلمـــة الطيبة ، لأن كلمة لا إله إلا الله لم تترسخ فى قلوبهم ، فكيف تتأتى منهم طاعة الأحكام والسلوك الاسلامى اللذين إنما يترتبان على الايمان بهـــذه الكلمة ، و السبب الجذرى فى نجاح الشيخ محمد إلياس رحمه الله أنه بدأ عمله من تبليغ الكلمة ، و الذين آمنوا بهـا قد امتثلوا كل حكم دعوا إليه من الله و رسوله ، إنهم فى الواقع حديثو العهد بالاسلام ، ومن خصائص الحديث العهد بالاسلام أنه يأتى عن طواعية ورغبة نفس مطالبات ما آمن به قصداً و عن إرادة ، و على ذلك فالذين يريدون إحيـاء الدين ليس لهم إلا منهج عملى واحد ، وهو أن يربئوا بأنفسهم عن طريق التقدم إلى المراحل المقبلة الذى اختاروه معتبرين أن هؤلاء المسلمين مسلمون ، و أن يعملوا على تبليغ الدين فيهم منذ الخطوة الأولى .

٢ ـ إن الظروف الراهنة لا تسمح بأن نعمل تحت نظام لعموم الهند ، وينبغى فى الوضع الحالى أن يعمل كل امرىء فى موضعه على تبليغ الدعوة إلى الاسلام فى مناطقه و أنحائه و أعضاء قبيلته ، و أن يحدد لنفسه دائرة العمل حسب قوته وأهليته ، لأن التخطى حدود الأهلية فى الأعمال يوزع قوى المرء ، ولا يتحقق الجزء فى التفكير وراء الكل ، فالواجب أن يعمل المخلصون فى مواضع شتى على مستوى حلقات صغيرة ، ولئن كان الاخلاص هو المتحكم فى الواقع ، ولم تتغلب عليه الأهواء

فان هذه الحلقات الصغيرة ستنضم فيما بعد فى سهولة إلى سلك واحد، لأن الاصرار على بقاء التشخص لا يكون إلا حيث تتحكم النفسانية .

٣ — لا حاجة إلى إقامة الجمعيات ، لأن العمل بعنوان مستقل ، يضر و لا ينفع ، و ذلك أن الناس يرون حينئذ من غير شعور أنهم لا يدخلون فى الاسلام و إنما يدخلون فى الجماعة الفلانية ، و لذلك فان الأفضل أن يدعى الناس على طريق ساذج إلى الاسلام - إلى تلك الجماعة القديمة الأصيلة - فاذا ما دخلوا فيه ، يخبرون بأنه ليس هناك فرق بينكم و بين عامة المسلمين ، إلا أنكم مسلمون عن شعور وأنهم مسلمون عن غير شعور ، ومن واجبكم أن تشركوهم فى نعمة الاسلام الشعورى ، حتى تتسع جماعتكم ، و من الواضح أن الذين يدخلون جماعة على هذا الطريق ستنشأ فيهم - تلقائياً - هيئة نظامية ، وسيكون داعيهم الأول هو زعيمهم ، و ستوجد هناك منظمة عملية أحسن من لجنة مستقلة ، ولكن الشرط أن لا يرى الزعيم إلى تأسيس إمارته ، بل تنشأ الامارة كما تنشأ الشجرة من البذرة .

٤ - وعلى ذلك يجب أن لا تجرب أساليب العمل المظاهر به التى راجت فى هذه الأيام كثيراً ، و التى سحرت العقول بصورة عامة ، و عاد الناس يرون أن الرايات و النعرات ، و الأزياء ، و الرياضة العسكرية و المسيرة على الشوارع و الحروب الصناعية التى اطلق عليها اسم التنظيم العسكرى ، كل ذلك لا بد منه لكسب النجاح ، لأن ذلك يجذب الجماهير ، و من أجله يتجمع ألوف و مآت آلاف من الناس ، و كذلك بدأ الناس يرون أن الذى يقود حركة لا بد له من إصدار صحيفة يبلغ بها تقريرات منجزاته إلى العالم الخارجى فان العالم إذا لم يطلع على أنك - مثلا - قمت حتى الآن باخراج آلاف كثيرة من النشرات فى لغات كذا ، أو كان قد وقع الحريق فى بيت عجوز فى مكان كذا ، فبادر إليه خدمة

الخلق من أتباعك و صبوا عليه كذا من دلاء الماء ، أو كيف يزداد أتباعك مع الأيام بسرعة كذا ، و يقوم أتباعك فى أمكنة كذا بأنواع كذا من الخدمات . . فمعنى ذلك أن جهودك كلها ذهبت ضياعاً . . و قد سحرت بعض الحركات عقول الناس حيث إن بعض المخلصين إذا ما نهضوا لعمل ما ابتــدرت أذهانهم توا إلى أمثال هذه الاجراءات ، لكنى أريد أن أؤكد لهم أن ذلك لم يكن طريق المخلصين قط ، و لا يمكن أن يتم عمل بناء عن هذا الطريق أبداً . إنك لو وضعت قلنسوة طويلة على رأسك ، و قمت فى السوق ، و دققت الطبل ، لالتف حولك فى ثانية أو أقل كثير من النــاس ، لكنى أتساءل : هل تستطيع أن تستخدم هذا الحشد المجتمع عن هذا الطريق فى شئ ما إلا أن تبيع بعض أدويتك ؟ ! و إنما ضربت لك هــذا المثل لتعلم أن الحشد من المتفرجين . الذى يزدحم عن طريق الأساليب البراقة لا يحمل قدرة على فتح العــالم . و إنما الطريق الصحيح لذلك هو الطريق الذى كان يسلكه الأنبياء الكرام . أعنى أن يقوم أحد بعملية الدعوة والاصلاح قابعاً فى مكان واحد و فى صمت و هدوء ، و من أجل رضا الله وحده ، و لا يألو فى ذلك جهداً و كداً ، و أن يقوم باحــداث التحول فى قلوب الناس و حياتهم عن طريقة تدريجية ، و أن يخرج بعد جهود دائبة يواصلها أعواماً ، جماعــة من الناس غنية بالايمان و العمل الصالح ، و إن كانت حفنة بالنسبة إلى عددها ، وما يحمله أمثال هؤلاء الناس من حرارة العقيدة ، و أهلية السلوك الأمثل ، و ما ينشأ فيه ـ من أجل الالتزام بالأحكام الشرعيــــة ـ من التعود الكامل على العمل على بطريقة منظمة ، كل ذلك هو روح العسكرية ، وتلك العسكرية هى التى نطلبها نحن .

• ـ أما العمل فى الشعب ، فان المنهج العملى ـ الذى انتهجه الشيخ محمد إلياس ـ هو المنهج الأفضل والأشبه بمنهج الأنبياء ، و الذين يريدون أن يعملوا على هذا

الطريق فانی أشیر علیهم بأن یؤموا الشیخ محمد إلیاس ویدرسوا طریقة عمله ، وأن یتعلموا الدرس العملی بتعاون مع مبلغیه ، ثم یبدؤا فی نواحیهم العمل علی الدعوة و الاصلاح علی هذا الطریق ، و الشیء الذی یجب أن یکون ملحوظاً جداً فیما یتصل بهذا المنهج العملی ، هو أن ذلك یتطلب فی البدایة جهداً مضنیاً ، و المشی علی الشوك و القتاد ، فقد یستغرق تخریج رجال أعواماً طویلة ، و قد یکاد المرء یتراجع من الطریق حینما یری مرة بعد أخری کأن مهمته قــد أخفقت ، ربما لا یکاد یحالفه النجاح إلا بعد تجربة هذه المشاق .

٦- و الذین یریدون أن یعملوا فی الشعب فان المناطق الریفیة خیر لهم من المناطق المدنیة ، فان المجتمع المدنی قد أفسدت علیــه طبیعته تلك الحرکات الهتافیة التی عمت کالوباء ، وقد عودت الناس علی التظاهر والریاء ، والهتافات والضوضاء ، ولا یکادون یرغبون فی حرکة تمس باطنهم أکثر من ظاهرهم ، و ترید أن تحولهم من داخلهم ، و تکون لهم سیرة مثلی ، و لذلك فالأحری أن تترك المدن و شأنها - فی الوضع الحالی - وأن یتجه العمل علی إصلاح المجتمعات القرویة ، التی یوجد فیها حتی الآن أفراد أولو طبیعة ساذجة منفعلة ، لکن الذین یرون فرصة النجاح بالنسبة إلیهم فی المدن ، فلیحاولوا أن لا تضیع علیهم هذه الفرصة .

٧- و لا یعزبن عن بال الذین یریدون أن یعملوا فی الشعب ، أن رسالة الاسلام لا تختص بأولئك الذین ولدوا فی جیل مسلم ، بل إنها عامة لجمیع بنی البشر ، فلیؤموا بها المسلمین و غیر المسلمین جمیعاً ، و لابد أن نلاحظ - من أجل العمل علی التبشیر بالاسلام فی غیر المسلمین - الأمور الآتیة :

أولا : یجب أن نزیل الحواجز التی سببت العصبیة الشدیدة ضــد الاسلام فی غیر المسلمین ، إن المنافسة السیاسیة و الاقتصادیة و الاجتماعیة التی نشأت بین

المسلمين و غير المسلمين من جراء الحكومة الانجليزية قد تعدى تأثيرها العميق إلى الحياة الريفية أيضاً ، وقد ولدت الاضطرابات و الصراعات الواقعة من حين لآخر كراهية متبادلة بين الفريقين جعلتهما معسكرين متنافسين . فتبليغ رسالة الاسلام إلى غير المسلمين فى الوضع الراهن مستحيل ، لأن أبواب قلوبهم مقفلة دون هذه الرسالة . و الذين يريدون أن يعملوا على القيام بمسئولية تبليغ الحق ، فعليهم أن يبحثوا أولا عن مفتاح هذا القفل ، والمفتاح أن يتجه العمل على تقليل المنافسات و الحزازات و الصراعات التى وقعت بين المسلمين و غير المسلمين ، و يجب أن يثبت فى قلوب المسلمين - بصورة عامة - أنه ليس الغرض من إصلاحهم و تنظيمهم أن يستعدوا للنافسة القومية تجاه جيرانهم غير المسلمين ، و إنما الغرض أن يكونوا هم مسلمين حقاً ، و يبلغوا رسالة الاسلام إلى الآخرين ، ولتوجد فى كل مسلم روح الانصاف و السماحة و المواساة و الملاطفة ، و لينظر كل مسلم إلى غير المسلمين نظرة الأخ إلى إخوته الذين يشكون داءاً روحانياً و خلقياً ، و لا يصح لنا أن ندعهم وحالهم من المرض ، و نتحاشى عنهم ، بل يجب أن ننقذهم من المرض ، حتى يكونوا كالأصحاء الآخرين .

ثانياً : يجب أن يكون المسلمون عامة فى أسلوب حياتهم من السمو بحيث يتأثر بهم كل من يراهم ممن فطروا على أهلية لمعرفة قدر الصلاح و الصدق و الانصاف ، و حسن الأخلاق ، و النظافة ، و أسلوب الحياة العفيف ، فاذا ما وجدت فى عامة المسلمين هذه الأوصاف ، ووجد المواطنون من غير المسلمين مجتمع المسلمين من حولهم على مستوى خلق سام بالنسبة إليهم ، فمن المؤكد أنه لا يعود هناك حاجة إلى أن يقول لهم أحد : أسلموا ، فان كل محب الصدق منهم - وليس هناك أمة لايوجد فيها أمثال هؤلاء - يرغبون بأنفسهم إلى الدخول فى هذه الجماعة التى

تسمو مبادىء حياتها بالانسان إلى هذه القمة من العلو ، و لذلك يجب أن يغرس فى قلوب المسلمين حب التمثيل الصحيح للاسلام. فلا يتحركوا فى أى أمر من أمور حياتهم إلا وأن يشعروا بأن كل حركة من حركاتهم تبرهن على صورة الاسلام .

ثالثاً : يجب أن يزال من عامة المسلمين الشعور بالطبقية واللمس المنبوذ الذى نشأ فيهم بتأثير الهندوكية ، ويجب أن نجعلهم يرضون بادخال كل من غير المسلمين فى نظام اجتماعهم على طريق سوى مهما كانت الطبقة التى ينتمى إليها ، ولا يعاملونه معاملة خاصة به من أى ناحية ، حتى لا يترددوا فى إقامة علاقة التزوج معه .

٨- و لا يصح الظن بأن إصلاح الحالة الدينية و الخلقية و إقامة النظام الاسلامى للجماعـــة هى المرحـــلة الأخيرة التى ينتهى بها عملنا ، بل يجب أن نرى أن تلك هى المرحلة الأولى ، التى ينفتح الطريق بعـــدها للتقدم إلى الأمام ، إن الايمان بالكلمة الطيبـــة ، و اجتماع الأمم المتشتة على مركزهـا ، و نشوء النظم و العادات المنظمة فى الناس من أجل الالتزام بالأحكام الشرعية ، و كان ذلك فى الواقع هو الشق الذى يمهد الأرض من أجل إقامة البناء عليها ، فاذا ما تمهـــدت الأرض فى منطقة - كما تمهدت اليوم فى منطقة ميوات - فان فيها مجال العمل لكل من تعلم الأساليب الحديثة لتنظيم الشئون الانسانية ، فعليهم أن يؤموها ، ويتعاونوا مع المصلحين الدينيين ، و ينشروا فيهـــا نور العلم و يوقظوا فى الشعب الشعور السياسى ، ويعملوا على تحسين حالتهم الاقتصادية ، ويؤسسوا نظاماً جديداً للاقتصاد على أساس المبادىء الاسلامية ، لكى يسلكوا بسكان هذه المنطقـــة سبيل التقدم و الرقى من نواح شتى ، و لا يهدأوا حتى يصلوا بهم إلى وضع منظم متين يكون من نتيجته الطبيعية أن يمن الله عليهم بمنصب خلافته ، فيعودوا وارثين صالحين للارض لا غاصبين متملكين لها .

تعاليم رسول الاسلام ﷺ والعصر الراهن

فضيلة الأستاذ محمد الرابع الحسني الندوى
رئيس كلية اللغة العربية بدار العلوم ندوة العلماء
تعريب : الأستاذ أبوسحبان الندوى

إن تعاليم رسول الاسلام ﷺ و رسالته للبشرية قد أحدثت انقلاباً عظيماً فى التاريخ الانسانى ، بل إنما أصبحت منارة شاخة للعالم فى كل عصوره و أزمانه حتى لعصرنا المتحضر الحالى ، لقد قدم رسول الله ﷺ حلا شاملا لجميع مشكلات الحياة الانسانية و معضلاتها التى كانت تواجهها البشرية فى جميع أقطارها ، لقد قدم رسول الله ﷺ لحل مشكلات الحياة المتنوعة مبادىء إنسانية رائعة لا يجد ركب الحياة الانسانية معها صعوبة فى مواجهة السير نحو أهدافها الرفيعة و غاياتها الفاضلة بل إنما يتمكن بها على أن يقيم مجتمعاً فاضلا يتحلى بالاخلاص والمساواة و العدالة الاجتماعية و المثل العليا و المؤهلات الانسانية و الحب للتعليم و التعلم .

لقد أعطى رسول الله ﷺ دروساً قيمة فى الأخوة الانسانية و العدالة و المساواة و أبطل موازين الفرقة و الخصام التى كان وضعها المغرضون و المتغطرسون من الناس من أصحاب الطبقات القوية بين الانسان و الانسان على أساس الغنى و الفقر و اللون و العنصر ، و نالت المرأة حقوقها ، و عز الانسان بانسانيته و نال كرامته و شرفه الذى أكرمه الله به بين مخلوقاته الأخرى لقد عنى رسول الله ﷺ بكل هذه الجوانب ، حتى فارق الدنيا و لحق

برفيقه الأعلى ، فقد تجلت تلك الروح السامية فى جهوده الطيبة إلى آخر لحظة من لحظات حياته ، فعندما أوصى أمته بالاهتمام بالصلاة التى هى أحق من حقوق الله سبحانه و تعالى أكد بأداء حقوق العبيد بمعاملتهم معاملة إنسانية كريمة و هى أوضح صورة من صور المساواة الانسانية وهى من حقوق الانسان بين بنى جنسه ، فقال : « الصلاة و ما ملكت أيمانكم » و نصح أمته فى توصياته التاريخية الخالدة يوم حجة الوداع ، فى مشهد تاريخى عظيم ، فوضع بذلك أول ميثاق إنسانى كريم فيه كل رعاية لحقوق الانسان على الانسان و تقرير المساواة و العدالة بين أفراده رغم الفوارق المادية من وطن أو لون أو دم .

« أيها الناس : اسمعوا قولى ، فانى لا أدرى ، لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا ألا فليبلغ الشاهد الغائب » و أضاف قائلا : « كلكم من آدم ، و آدم من تراب إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، و ليس لعربى على عجمى فضل إلا بالتقوى » وقال : إن دماءكم و أموالكم و أعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى بلدكم هذا ، فى شهركم هذا » .

لقد وضع رسول الله ﷺ حرمة الانسان و شرفه فى منزلة حرمة الدين و شرفه ونادى بالأخوة و المساواة بصورة لا يوجد لها نظير فى التاريخ الانسانى قبله - انظروا إلى دقة رؤيته لمكانة الانسان - وقيمته فى كل زمان ومكان ، فكأنه كان يرى إلى العالم المستقبل و مقتضاته و قضاياه منذ أربعة عشر قرناً ، لقد أرشد رسول الله ﷺ الانسان إرشاداً سديداً إلى فهم المشكلات التى سيواجهها الانسان فى كل عصر و مصر ، إنه هدم السدود المصطنعة بيد الانسان تقسمه بين الأبيض و الأسود ، و هدم المقاييس الزائفة لتقسيم الانسان و المفاضلة بين أفراده و توزيعهم بين الكبير و الصغير ، و بذلك هدم صلى الله عليه وسلم أركان العصبية القبلية و العنصرية كلها كما سبق ذكره فى إعلانه فى المشهد التاريخى

العظيم يوم حجة الوداع ، لقد قرر فيه حرمة الانسان و قيمته بمثابة حرمة الشعائر الدينية و أحكامها .

وإنه ﷺ لم يعط حق الفضيلة لواحد على الآخر إلا على أساس التقوى و الأعمال الصالحة واتباع أوامر الله وعلى الكفاءة والخبرة والتجربة وبذلك قضى موازين التمييز القبلي وتمييز اللون و النسل ، وأمر أتباعه أن يطيعوا أمراءهم سواء كانوا من طبقات السود أو العبيد ، فهذا النداء الذى نادى به رسول الله ﷺ العرب ، لو جاء بلسان رجل آخر غير رسول الله ﷺ لم ينصتوا لقوله و لم يفتحوا له أسماعهم ولم يقبلوه بل ربما هجموا عليه و ضربوا عنقه ، لقد كان هذا النداء الذى نادى به رسول الله ﷺ أول إعلان منح للانسانية عظمتها و أعطى لها شرفها فهو بمنزلة المنارة الشامخة فى تاريخ الأمم و الشعوب ، و هذا النداء لم يكن نداء خرج من فم رسول الله ﷺ و ذهب على الهواء ، بل كان بين يديه جموع من أتباعه الذين كانوا يتسابقون لتطبيق تعليماته و تنظيم الحياة الانسانية على مبادئه ، و كانت هذه التعليمات تنفخ فى أتباعه المعانى السامية لروح الأخوة والمساواة ، ولقد رأينا أن العبيد حكموا فى عهود من التاريخ الاسلامى ، فلم يتخلف المسلمون عن إطاعتهم و استوى فى طاعتهم البيض و السود على السواء و مزق رسول الله ﷺ العصبيات الجاهلية من طبقية و عنصرية كلها ، فقال : « دعوها فانها منتنة » .

إننا نجد فى تعاليم الرسول ﷺ دروساً قيمة للمساواة الانسانية والقيم الخلقية كما نلاحظ فيها رسالة الوحدة و الوفاق و الوئام تلك هى الرسالة التاريخية العظيمة المشرقة التى لا يوجد لها نظير فى التاريخ الانسانى قبل بعثه ﷺ .

و كانت نظرات الانسان عن الدين أنه يهتم بجانب العبادة و ترك الدنيا

والرغبة عنها فحسب ، فالراغبون في الدين كانوا يعتقدون أن التقدم الروحي لايحصل إلا بترك الدنيا وزينتها و جمالها و راحتها و لكن رسول الاسلام - ﷺ - جاء برسالة جامعة كاملة شاملة لم يكن فيها ترك الدنيا ولا هجر أسبابها بل إنه - صلوات الله و سلامه عليه - جمع بين الدين و الدنيا و السياسة و الاقتصاد لأن الرسالة المحمدية هي آخر رسالة جاءت بهداية البشرية حتى يرث الله الأرض و من عليها ، فهي تشمل كل جانب من جوانب الحياة ، و هي تهتم أولا بجانب العقيدة ثم العبادة كما تهتم بجانب الدين و الدولة و الشريعة و الأخلاق و السلوك و الآداب ، و التربية و التعليم و الدعوة و التوجيه ، لا تختص بجانب دون جانب آخر ، فهي لا تختص بالعبادة دون السلوك أو تهتم بالفرد دون الجماعة ، أو تعنى بالعقيدة و تهمل العمل ، أو التعليم دون التربية ، بل إنما تشمل كل جانب من جوانب الحياة سواء بسواء ، فوجه إلى الناس كافة قول الله سبحانه وتعالى : « قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده و الطيبات من الرزق » و معناه أنه لن حرم هذه النعم الجليلة على الانسان ، بل إنما شرف الله بها عباده و أخرجها لهم ، و أخبر الناس بقوله تعالى : « ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار » وفيها إباحة الطلب لخيرى الدنيا و الآخرة و سعادتهما سواء بسواء .

وكان النبي ﷺ هادياً للانسانية فدعا الانسان إلى الجمع بين الدين والدنيا جنباً إلى جنب ، فأرشدهم إلى أن يأخذوا نصيبهم من الدين والدنيا من غير إفراط ولا تفريط فأمرهم أن لا ينقص حظهم من الدين كما لا ينقص حظهم من الدنيا ، و جاءهم بمنهج كامل للحياة الذي لا يراعي مقتضيات الحياة الانسانية و متطلباتها فحسب بل يعتبرها أمراً دينياً شرعياً ، فقال ﷺ ما معناه : « إن لنفسك عليك حقاً ، و لبدنك عليك حقاً ، و لأهلك عليك حقاً » بجمل ضرورات الانسان و جسمه

و بدنه و ضرورات أهله لا مسموحة ومباحة فحسب بل كجزء من أجزاء الدين ، و كذلك الأمور التي يتصورها الانسان أمراً دنيوياً بحتاً جعلها الرسول ﷺ من أعمال الدين .

فلو استعرضنا تعاليم الرسول ﷺ و رسالته بهذه الناحية لوجدناها أكمل و أشمل و أجمع للحياة الانسانية ، و إن تعاليمه تراعى جميع مقتضيات العصر و متطلباته ، وتهتم بها اهتماماً بالغاً ، ولكنها تطالب من الانسان أن تكون اتجاهاته و ميوله و هواه و ضروراته وفق ما جاءت به شريعته ، و أن شريعته لا تمنع عن جمع المال و كسبه و لكن تضع له حداً ، كما أنها لا تمنع عن ضرورات النفس و لكن تحد لها حداً ، وتقرر دستوراً و منهجاً للحياة الخلقية و الاجتماعية و الشخصية . . فأحسن النبي ﷺ إلى الانسانية حيث أنقذها من الرسوم الجاهلية الذي كانت فيه . فكان أهل الدنيا فى واد و لم يكن نصب أعينهم إلا الأثرة والانتهاز لزخارف الدنيا وحطامها ، أو كان أهل الدين فى واد آخر فهم لايبيحون لأنفسهم أدنى استفادة من الدنيا و زينتها فكأن الانسانية كانت فريسة الافراط و التفريط ، إذ جاء محمد بن عبد الله ـ صلوات الله و سلامه عليه ـ بنظام جامع كامل شامل للحياة الانسانية فلا تعارض فيه بين الدين والحياة ، بل يملأ كل منهما فراغ الآخر .

و لرسول الله ﷺ منتان عظيمتان خالدتان على الانسانية و هما :

أنه ﷺ أزال الفرق بين إنسان و إنسان ، و أنه أزال البعد و الفرقة بين الدين و الحياة ، فسعدت الانسانية بهاتين المنتين العظيمتين و تحررت من ربق الذلة و العبودية .

فبهذه المناسبة السعيدة نتذكر ذلك الدور المشرق الرائع الذى لعبه رسول الاسلام ﷺ بهذا الصدد والذى لا ينساه التاريخ الأنسانى .

فصلى الله وسلم و بارك عليه

اقتصادنا في ضوء الإسلام

الشيوعية و إخفاقها فى مجال الاقتصاد

بقلم : فضيلة الأستاذ محمد إسحاق الندوى
« معرب »

عرض نظرية الشيوعية ماركس (Morx) الذى كان يتمسك بالديانة اليهودية و جعل أساس تلك النظرية على فلسفة هيغل المادية الجدلية (Diale Ctical Materialism) و بذلك فانه أعلن لادينيته و إلحاده ، و لكن هذا الاعلان لاعبرة به مطلقاً ، و إنما كان نابعاً مما يتضمنه تعليم اليهودية من الخداع و التدريب ، و بغض النظر عن ذلك فان التزام الالحاد قد يقضى على العصبية الدينيـة للانسان ، و لكنه لا يغير نفسيته القومية و النسبية ، و لا يغير طبيعته الدينية إلا إذا كان من أتباع دين يرتبط بفكرته و نظره فحسب ، ولكن إذا كانت أسس أى دين متعمقة الجذور فى سلالة أونسب أووطنية خاصة فلا يحدث تغييراً ملموساً فى نفسيته الدينية أيضاً .

اليهودية دين يرتبط بعنصر و نسب خاصين و تبتنى عليهما كما يزعم اليهود أنفسهم و لذلك يبقى اليهودى فى غالب الأحوال يهودياً من حيث نفسيته الوطنية و سلوكه الدينى و إن ترك دينه و صار ملحداً .

ولو رضينا بما ادعاه ماركس فى نزع الدين وصدقناه أيضاً فلا نسلم أبداً أنه مارق من الديانة اليهودية كلياً ، وانقطعت صلته بها ، لأن ميوله ونزعاته و أخلاقه و عاداته كانت عنواناً لما كانت تتوعاه خصائص اليهود الوطنية و طبيعتهم الدينية و القومية .

مات ماركس بعد أن عرض نظريته ، ولكن تنفيذها تم بيدى لنن (Lenin) وهو نفسه كان يهودياً ، فان مركز حركة الشيوعية الأول و مهد نظامها الابتدائى كان الاتحاد السوفياتى و كان و لا يزال النظام الاشتراكى فيه قائماً و سائداً حتى الآن ، و لكن الشيوعية لم تطبق كلياً حتى الآن .

و جدير بالذكر أن المسيحيين يشكلون أغلبية ساحقة فى الاتحاد السوفياتى و يليهم المسلمون باعتبار عدد السكان ، و أما اليهود فهم أقلية ، و لكن استالين (Stalin) خليفة لينن كان يهودياً ، و يعتنق رئيس الحكومة الحالى أيضاً اليهودية ، لم يقتصر تأثير اليهود على ذلك فحسب بل أعضاء المكتب السياسى (Polit Bearoue) والذين يحوزون ويتقلدون المناصب الرئيسة كلهم يهود و لكنهم يخفون يهوديتهم بغطاء الالحاد و اللادينية ، و جملة القول إن سياسة الاتحاد السوفياتى خاضعة لسيطرة اليهود كلياً مع أنهم قبل عدة سنوات كانوا ثلاثة ملايين و نصف حسب الاحصاء العام .

المبادىء الأساسية لنظام الاشتراكية الاقتصادى .

قد أسلفت القول إنه لا وجود للشيوعية إلا فى طى الكتب ، فان النظام الذى أسس تطبيقاً فى الاتحاد السوفياتى و الدول المؤمنة بالشيوعية هو النظام الاشتراكى ، فالمبادىء الأساسية لذلك النظام الاقتصادى تتخلص فى النقاط التالية :

١- تمتلك الحكومة جميع وسائل الانتاج و المحاصيل إلا أن الملكية الذاتية تبق إلى حد محدود ، وتعيين هذا الحد أيضاً يكون تحت سلطة الحكومة .

٢- المحاصيل وثروات البلاد كلها داخلة فى ملكية وطنية ، و الحكومة كفيلة بتوزيعها و منحها لكل فرد نصيبه المناسب و اللائق به ، كما هى مسئولة عنها .

٣- و مبدأ التوزيع يقوم على أن الكدح و الكد من أكبر وسائل إنتاج

روة و لذلك من المناسب أن يقرر للفرد نصيبه وفقاً لكـــده الذى بذله فى اجها فيمكن القول أن كل فرد من الكادحين لا يستحق إلا أجره و لا يملك دخله الذى يستحقه من عمله .

٤- و بهذا الصدد من حيث الافادة و الربح يراعى امتياز وفارق بين أنواع كدح فتوثر طبقـــة العلماء على الكادحين العاديين و تستحق تلك الطبقـــة أجراً ثيراً ضخماً بالنسبة إلى المأجورين البسطاء ، ولكن الذى لم يساهم فى انتاج الثروة لم يكن ليمارس الجهد فلا نصيب له فى الثروة ، هذه هى المبادىء الأساسية لنظام اشتراكية الاقتصادى .

الأهداف العامة .

ظهرت نظرية الشيوعية بهتافات عديدة من أعظمها و أبرزها مكافحة الفقر الافلاس و منح الطبقة العامـــلة حقوقها بعد إنقاذها من الاستغلال ، لتحقيق ورتها التطبيقية و بكلمة أخرى يستهدف نظام الاشتراكية ما يلى :

١- نظام الرأسمالية (Capitalism) الذى جعل الناس طبقتين ، طبقة رأسمالية Capitalist) و أخرى طبقة كادحة (Proletariate.) فالطبقة الرأسمالية بفضل قوة اسمالها تستغل الطبقة الكادحة و العاملة حيث تسلب نصيباً أكبر من كسبها الذى بغى أن يصل إليها و تتمتع به ، و لذلك أصبح الهدف الأول لنظام الاشتراكية ، ينقذ الطبقة العاملة من ذلك الاستغلال .

٢- و مما لا مجال فيه للريب أن وجود هذه الطبقات - التى هى وليـــدة زيع الثروة غير العادل غير طبيعى و غير مستحسن ، و لذا كان محو الفوارق لبقية بعد توزيع الثروة بطريق عادل ، وإيجاد مجتمع غير طبيعى بعد القضاء على متياز بين الغنى و الفقير الهـــدف الثانى الأهم لذلك النظام .

٣- يهدف إنتاج الثروة و توزيعها العادل أساسياً إلى أن يهيأ لكل فرد ما يحتاج إليه من المرافق الحيوية : الخبز و اللباس و البيت ، و هذا لا يمكن إلا أن تسيطر الحكومة على الثروة و وسائل الانتاج سيطرة كاملة ، وأن تكون كفيلة بها و مسئولة عنها .

فشل الشيوعية و الاشتراكية :

قد أسلفت أن الشيوعية لم تتجاوز حد النظرية ، ولا دليل أكبر على فشلها و خطئها من أن دعاتها لم يعملوا بها . و لم يطبقوها تطبيقاً ، فان الاشتراكية التى يجوز لنا أن نقول : إنها بشكلها العملى و التطبيق - قد بلغت مائة سنة من عمرها ، و لم تستطع أن تقدم دليلا واضحاً لنجاحها ، قد يوجد فى مختبرها الأول « الاتحاد السوفياتى » طبقات وفوارق بين الغنى والفقير ، فالمستوى الذى يحظى به رجل من الشرطة أو القوات لا يتمتع به الأجير العادى كما أن المنازل و القصور تجاورها أكواخ و بيوت من قش .

لسنا ننكر الدمار و النقائص و المفاسد الناتجة من نظام الرأسمالية ، كما هو ينافى تعاليم الاسلام أيضاً ، ولكن مستوى حياة العاملين والفلاحين الأمريكان عال ورفيع جداً بالنسبة إلى مستوى حياة العاملين والفلاحين الروس . كما أنهم يكونون مغتبطين ومقتنعين أكثر منهم . والداعى إلى ذلك هو أن الفلاحين والعمال فى الاتحاد السوفياتى لا يمارسون الحرية بل يتحركون كما تتحرك أدوات الماكينة التى تحركها الحكومة ، لا وجود لحرية الفكر و الرأى فيه ، الجمهور أحرار فى بادىء الأمر و لكنهم مكبلون بأغلال ، و مستعبدون للنظام الحاكم ، و يجوز لنا أن نقول : إن الاتحاد السوفياتى أصبح معتقلا واسعاً ولا خير فى هذا المعتقل سوى أنه واسع جداً ،

إذا أمعنا النظر فيبدو لنا أن جماهير الدول الاشتراكية على الأخص الاتحاد السوفياتى أيضاً تنقسم إلى طبقتين ، و الفارق بين الغنى و الفقر لا يزال يبقى ، ولكنه ليس واضحاً جلياً مثل الدول الرأسمالية ، ولكن شيئاً واحداً واضح للغاية ، و هو الذى يجعل ذلك النظام أشنع و أبشع من نظام الرأسمالية ، و هو سيطرة الطبقة الحاكمة فى هذا النظام على جميع ثروات البلاد و وسائل الانتاج و الكسب سيطرة كاملة ، فان هذا الرأسمالى الجبار الذى ينشأ بالقضاء على الرأسماليين الكثيرين الصغار يستغل بهيكله العفريتى وقوته الجبارة استغلالا أكثر مما تستغله جملة الرأسماليين ، و لا يتمكن أحـــد فى النظام الاشتراكى أن يتفوه بكلمة ضد أى اضطهاد تقترفه الحكومة ، كما جاء فى المثل : « يضربنى و لا يتركنى أن أبكى » :

توجد موجة من الاستنكار و الاضطراب فى الاتحاد السوفياتى منذ زمن ضد حياة العبودية والحبس ، ولكن هذا الاضطراب لا يزال غير منظم ، ولذلك لم يكن بارزاً جداً ، ولكن النظام الحاكم هناك يحاول أن يقضى على ذلك الاضطراب ، فيوسع و يتساهل فى حـدود الملكية الذاتية ، و لكن هذه المحاولة باءت بالفشل فبقى الاضطراب حتى الآن .

قد جرى تطبيق هذا النظام فى الهند أيضاً جزئياً ، بل نفذ مشروع الزراعة المشتركة كتجربة فى منطقـــة خاصة بالولاية الشماليـة ، و لكن التجارب لم تتكلل بالنجاح و على العكس قل الانتاج و نال المشروع خسارة فادحة فألغيت التجارب أخيراً .

قد شاهدنا نحن أنفسنا هذه التجارب فى باكستان ، فماذا أنتج تأميم المصانع ؟ ألم يقل الانتاج وتضاعفت التكاليف و راحت التجارة تتكبد الخسارة بعد أن تلاشى الربح الخالص (Netprofit) و قد جرت المحاولة لتدارك الخسارة فى الحكومـــة

المسكرية ، و لكن خاب الأمل ، حتى إن بعض المصانع أقفلت ، و من أهم الدواعى لذلك أن إدارة الحكومة وممارسة التجارة معاً لمؤسسة واحدة صعب جداً لأن منهجهما يختلف عن الآخر . و السبب الثانى هو أن الانسان لا يعير الملكية المشتركة اهتماماً مثل ما يعنى بالملكية الذاتية نشاهد هذا كل يوم ، فالناس يحافظون على ممتلكاتهم الذاتية ، و لا يرضون فيها بالخسارة الضئيلة أيضاً ، و فى جانب آخر لا يرون بأساً فيما إذا لحقت الملكية الوطنية خسارة من أجل مصالحهم الذاتية ، فقضية الشوارع مثلا أمر بسيط ، كثير من الناس يفسدون الشارع مثلا بنصب الأوتاد لاقامة السرادق فى المناسبات والاحتفالات ، و لكنهم لا يحتملون و لا يرضون بأن يلحقوا أرضية دارهم المبلطة أى ضرر ، ستجدون أمثالا كثيرة لذلك إذا أعملتم الفكر و أمعنتم النظر فى الموضوع .

يبدو بما أسلفنا أن تأميم شئ يخلق له أخطاراً جسيمة لأنه يقلل اهتمام الناس وعنايتهم بذلك الشئ ، و العمال فيه لا يعبأون به بل كل عامل يحاول أن يجلب منه فائدة لنفسه على أكثر ما يمكن ، وأن يعطى حقه أقل ما يمكن ، ومن جراء المصالح الذاتية العامة تواجه مثل هذه المؤسسة صراعاً و تفقد صلاحية نفعها و ربحها .

إنما ينبغى أن تؤمم المصانع التى ليس من هدفها التجارة ، بل التى لها صلة و علاقة بقوة و حفظ و نهضة البلاد ، مثلا صناعة الأدوات الحربية للقوات ، أو صناعة السفن للقوات البحرية وما إلى ذلك ، أما تأميم الأعمال التجارية ومؤسساتها فيبعث على الضرر و الحرج الكبيرين .

من أهم نقائص نظريتى الشيوعية و الاشتراكية أن أتباعهما لا يعتبرون فارقاً و تمييزاً فى كلتا الصورتين ، و يزعمون أن تأميم كل مؤسسة ذات إنتاج علاج لاستغلال الرأسمالية و حل لها .

قانون الغابة :

فى الدول الشيوعية و الاشتراكية ينفذ قانون الغابة - الاستبداد والقوة - (Might is Right) بالفعل ، فالمؤسسات و الرجال الذين تحتاج إليهم الحكومة وتعتمد عليهم كثيراً و تنيط بهم الآمال فهم يختلسون النصيب الأوفر من الثروة ، أما المؤسسات التى لا تحوز القوة و النفوذ مثل ذلك فتواجه خسائر فادحة ، و الجماهير لا يستطيعون أن يتمتعوا بنصف ما يتمتع الموظفون الرسميون بالانتاج كأنما تتكون فى العمال طبقتان تستغل إحداهما الأخرى .

و كيفية هذه الطبقات تتميز عن طبقة العلماء و الجهال ، و هذا التمييز لا يستحق أن يوجه إليه الطعن . ولكن من سوء الحظ أن طبقتى العلماء والجهال كلتيهما تنقسمان إلى طبقتين وكل طبقة تستغل أختاها بالاضافة إلى ما تستغله الحكومة التى تقوم بدعم أعضائها و قواتها و شرطتها وما إلى ذلك ، كما توفر فرصة للتمتع لرجال المصالح و الادارات ذات السلطة و النفوذ بعد استغلالها لكل نوع من أنواع العمال .

من المستطاع لكل شخص أن يشاهد فى الدول الشيوعية أن السلع الاستهلاكية يندر الحصول عليها للجماهير و لأغلبية البلاد الساحقة فحسب ، فيواجهون صعوبات شديدة من فقدانها ، ولكن هذه السلع تتدفق على أصحاب السلطة بسهولة وكمية وافرة .

« يتبع »

دراسات وأبحاث

الخلافة شروطها و التزاماتها

- ٢ -

الأستاذ خالد سالم

يجب أن تتوفر فى الخليفة ستة شروط حتى يكون أهلا للخلافـــة ، و حـ تنعقد البيعة له بالخلافة . وهذه الشروط الستة ، شروط انعقاد ، إذا نقص شرط منها لم تنعقد الخلافة ، وهى :

أولا : أن يكون مسلماً . فلا تصح الخلافة لكافر مطلقاً ، ولا تجب طاعته لأن الله تعـالى يقول « وان يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا » . و الحـ هو أقوى سبيل للحاكم على المحكوم ، والتعبير بلن المفيدة للتأكيد قرينة للنهى الجـازم عن أن يتولى الكافر أى حكم مطلقاً سواء أكان الخلافة أم دونها .

ثانياً : أن يكون ذكراً . فلا يجوز أن يكون الخليفة أنثى ، أى لا بد أن يكون رجلا . فلا يصح أن يكون إمرأة . لما روى عن أبى بكرة قال « لقـد نفعنى الله بكلمة سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم أيام الجمل بعد ما كدت ألحق بأصحـاب الجمل فأقاتل معهم قال : لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أهل فارس قد ملكوا عليهم بنت كسرى قال « لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة » . فاخبار الرسول بنفى الفـلاح عمن يولون أمرهم امرأة هو نهى عن توليتها ، إذ هو من صيغ الطلب ، وكون هذا الاخبار جاء إخباراً بالذم لمن يولون أمرهم امرأة بنفى الفلاح عنهم ، فانه يكون قرينة على النهى الجازم فيكون النهى هنا عن تولية المرأة

قد جاء مقروناً بقرينة تدل على طلب الترك طلباً جازماً ، فكانت تولية المرأة حراماً . والمراد توليتها الحكم : الخلافة و ما دونها من المناصب التى تعتبر من الحكم ، لأن موضوع الحديث ولاية بنت كسرى ملكاً فهو خاص بموضوع الحكم الذى جرى عليه الحديث . وليس خاصاً بحادثة ولاية بنت كسرى وحدها ، كما أنه ليس عاماً فى كل شئ فلا يشمل غير موضوع الحكم ولا بوجه من الوجوه .

ثالثاً : أن يكون بالغاً ، فلا يجوز أن يكون صبياً . لما روى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أن رسول ﷺ قال : « رفع القلم عن نائم حتى يستيقظ و عن الصبى حتى يبلغ و عن المبتلى حتى يعقل » . و من رفع القلم عنه لا يصح أن يتصرف فى أمره و هو غير مكلف شرعاً فلا يصح أن يكون خليفة أو ما دون ذلك من الحكم لأنه لا يملك التصرفات . والدليل أيضاً على عدم جواز كون الخليفة صبياً ، أن رسول الله ﷺ رفض أن يبايعه صبى ، فقد رفض بيعة عبد الله بن هشام و علل ذلك بصغره فقال : « هو صغير » . فاذا كانت البيعة لا تصح من الصبى و لا يجوزله أن يبايع غيره خليفة فمن باب أولى أنه لا يجوز أن يكون خليفة .

رابعاً : أن يكون عاقلا ، فلا يصح أن يكون مجنوناً لقول رسول الله ﷺ « رفع القلم عن ثلاث » وقال منها « المجنون حتى يفيق » . و من رفع عنه القلم فهو غير مكلف . ولأن العقل مناط التكليف و شرط لصحة التصرفات . والخليفة إنما يقوم بتصرفات الحكم و بتنفيذ التكاليف الشرعية ، فلا يصح أن يكون مجنوناً .

خامساً : أن يكون عدلا ، فلا يصح أن يكون فاسقاً . والعدالة شرط لازم لانعقاد الخلافة و لاستمرارها ، لأن الله تعالى اشترط فى الشاهد أن يكون

عدلا . قال تعالى : « و ليشهد ذوا عدل منكم » فمن هو أعظم من الشاهد و هو الخليفة من باب أولى أنه يلزم أن يكون عدلاً لأنه إذا شرطت العدالة للشاهد فشرطها للخليفة أولى .

سادساً : أن يكون حراً ، لأن العبد مملوك لسيده فلا يملك التصرف بنفسه . ومن باب أولى أن لا يملك التصرف بغيره فلا يملك الولاية على الناس .

هذه هي شروط انعقاد الخلافة للخليفة و ما عدا هذه الشروط الستة لا يصلح أي شرط لأن يكون شرط انعقاد ، وإن كان يمكن أن يكون شرط أفضلية إذا صحت النصوص فيه ، أو كان مندرجاً تحت حكم ثبت بنص صحيح . و ذلك لأنه يلزم في الشرط حتى يكون شرط انعقاد أن يأتي الدليل على اشتراطه متضمناً طلباً جازماً ، حتى يكون قرينة على اللزوم ، فاذا لم يكن الدليل متضمناً طلباً جازماً كان الشرط شرط أفضلية لا شرط انعقاد ، و لم يرد دليل فيه طلب جازم إلا هذه الشروط الستة ، و لذلك كانت وحدها شروط انعقاد . أما ما عداها مما صح فيه الدليل فهو شرط أفضلية فقط . و على ذلك فلا يشترط لانعقاد الخلافة أن يكون الخليفة مجتهداً لأنه لم يصح نص في ذلك ، و لأن اعمل الخليفة الحكم ، وهو لا يحتاج إلى اجتهاد لامكانه أن يسأل عن الحكم و أن يقلد مجتهداً و إن يتبنى احكاماً بناء على تقليده ، فـلا ضرورة لأن يكون مجتهداً ، ولكن الأفضل أن يكون مجتهداً فان لم يكن كذلك انعقدت خلافته . و كذلك لا يشترط لانعقاد الخلافة أن يكون الخليفة شجاعاً ، أو من أصحاب الرأي المفضي إلى سياسة الرعية و تدبير المصالح ، لأنه لم يصح حديث في ذلك ، و لا يندرج تحت حكم شرعي يجعل ذلك شرط انعقاد ، و إن كان الأفضل أن يكون شجاعاً ذا رأي و بصيرة . و كذلك لا يشترط لانعقاد الخلافة أن يكون الخليفة قرشياً . أما ما روي عن

معاوية أنه قال : « سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن هذا الأمر فى قريش لا يعاديهم أحد إلا كبه الله على وجهه ما أقاموا الدين » وما روى عن ابن عمر أنه قال « قال رسول الله ﷺ لا يزال هذا الأمر فى قريش ما بقى منهم اثنان » . فهذه الأحاديث و غيرها مما صح اسناده للرسول من جعل ولاية الأمر لقريش ، فانها وردت بصيغة الاخبار ولم يرد و لا حديث واحد بصيغة الأمر ، وصيغة الأخبار وإن كانت تفيد الطلب و لكنه لا يعتبر طلباً حازماً ما لم يقترن بقرينة تدل على التأكيد و لم يقترن بأية قرينة تدل على التأكيد و لا فى رواية صحيحة ، فدل على أنه للندب لا للوجوب ، فيكون شرط أفضلية لا شرط انعقاد . و أما قوله فى الحديث « لايعاديهم أحد إلا كبه الله » الحديث . فانه معنى آخر فى النهى عن عدم معاداتهم ، و ليس تأكيداً لقوله « إن هذا الأمر فى قريش » فالحديث يدل على أن الأمر فيهم ، و على النهى عن معاداتهم . و أيضاً فان كلمة قريش اسم وليس صفة و يقال له فى إصطلاح علم الأصول لقب . و مفهوم الاسم أى مفهوم اللقب لا يعمل به مطلقاً لأن الاسم أى اللقب لا مفهوم له . و لذلك فان النص على قريش لا يعنى أن لا يجعل فى غير قريش . فقوله عليه السلام « إن هـذا الأمر فى قريش » « لايزال هـذا الأمر فى قريش » لا يعنى إن هذا الأمر لا يصح أن يكون فى غير قريش ، و لا أن كونه لا يزال فيهم أنه لا يصح أن يكون فى غيرهم ، بل هو فيهم و يصح أن يكون فى غيرهم ، بكون النص عليهم غير مانع من وجود غيرهم فى الخلافة . فيكون على هذا شرط أفضلية لا شرط انعقاد .

وأيضاً فقد أمر رسول الله ﷺ عبد الله بن رواحة و زيد بن حارثة و أسامة بن زيد و جميعهم من غير قريش ، فيكون الرسول قد أمر غير قريش . ولفظ هذا الأمر تعنى ولاية الأمر أى الحكم وليست هى نصاً فى الخلافة وحدها .

فكون الرسول يولى الحكم غير قريش دليل على أنه غير محصور فيهم وغير ممنوع عن غيرهم ، فتكون الأحاديث قد نصت على بعض من هم أهل للخلافة للدلالة على أفضليتهم لا على حصر الخلافة بهم و عدم انعقادها لغيرهم .

وكذلك لا يشترط أن يكون الخليفة هاشمياً أو علوياً لما ثبت أن النبي ﷺ و لى الحكم غير بنى هاشم وغير بنى على ، وأنه حين خرج الى تبوك ولى على المدينة محمد بن مسلمة و هو ليس هاشمياً و لا علوياً . و كذلك ولى اليمن معاذ بن جبل و عمرو بن العاص وهما ليسا هاشميين و لا علويين . وثبت بالدليل القاطع مبايعة المسلمين بالخلافة لأبى بكر و عمر و عثمان ، و مبايعة على رضى الله عنه لكل واحد منهم مع أنهم لم يكونوا من بنى هاشم و سكوت جميع الصحابة على بيعتهم ، ولم يرو عن أحد أنه أنكر بيعتهم لأنهم ليسوا هاشميين و لا علويين ، فكان ذلك إجماعاً من الصحابة بما فيهم على و ابن عباس و سائر بنى هاشم على جواز أن يكون الخليفة غير هاشمى و لا علوى . أما الأحاديث الواردة فى فضل سيدنا على رضى الله عنه و فى فضل آل البيت فانها تدل على فضلهم لا على أن شرط انعقاد الخلافة أن يكون الخليفة منهم .

ومن ذلك يتبين أنه لا يوجد أى دليل على وجود أى شرط لانعقاد الخلافة سوى الشروط الستة السابقة ، وما عداها على فرض صحة جميع النصوص التى وردت فيه أو اندراجه تحت حكم صحت فيه النصوص ، فانه يمكن أن يكون شرط أفضلية لا شرط انعقاد ، والمطلوب شرعاً هو شرط انعقاد الخلافة للخليفة حتى يكون خليفة . أما ما عدا ذلك فهو يقال للمسلمين حتى يعرض عليهم المرشحون للخلافة ليختاروا الأفضل . ولكن أى شخص اختاروه انعقدت خلافته إذا كانت توفرت فيه شروط الانعقاد وحدها ولو لم يتوفر فيه غيرها .

طلب الخلافة

طلب الخلافة والتنازع عليها جائز لجميع المسلمين وليس هو من المكروهات، ولم يرد أى نص فى النهى عن التنازع عليها . وقد ثبت أن المسلمين تنازعوا عليها فى سقيفة بنى ساعدة و الرسول مسجى على فراشه لم يدفن بعد، كما ثبت أن أهل الشورى الستة وهم من كبار الصحابة رضوان الله عليهم تنازعوا عليها على مرأى و مسمع من جميع الصحابة فلم ينكر عليهم، و أقروهم على هذا التنازع، مما يدل على إجماع الصحابة على جواز التنازع على الخلافة، و على جواز طلبها والسعى لها ومقارعة الرأى بالرأى والحجة بالحجة فى سبيل الوصول إليها . و أما النهى عن طلب الامارة الوارد فى الأحاديث فهو نهى للضعفاء أمثال أبى ذر ممن لا يصلحون لها . أما الذين يصلحون للامارة فانه يجوز لهم أن يطلبوها ، فقد طلبها عمرو بن العاص و ولاه الرسول . فالأحاديث الواردة مخصوصة بمن ليس أهلا لها، سواء الامارة أو الخلافة . أما من كان أهلا لها فان الرسول لم ينكر عليه طلبها وقد ولاها لمن طلبها . فلما كان الرسول ولى الامارة لمن طلبها و نهى عن طلب الامارة فانه يحمل النهى على أنه نهى عن طلب من ليس أهلا لها، لا النهى مطلقاً .

وحدة الخلافة

و لا يجوز أن يكون فى الدنيا إلا خليفة واحد، لما روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص يقول : « إنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « ومن بايع إماماً فأعطاه صفقة يده و ثمرة قلبه فليطعه إن استطاع ، فان جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر » و لما روى عن أبى سعيد الخدرى عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما » و لما روى عن عرفجة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « من أتاكم و أمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق

عصاكم أو يفرق جماعتكم فاقتلوه » ولما روى عن أبي حازم قال : قاعدت أبا هريرة خمس سنين فسمعته يحـــدث عن النبي ﷺ ، قال : كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي وأنه لا نبي بعدى و ستكون خلفاء فتكثر ، قالوا فما تأمرنا قال : فوا ، ببيعـــة الأول فالأول و أعطوهم حقهم فان الله سائلهم عما استرعاهم » . و إذا عقدت الخلافة لخليفتين فى بلدين فى وقت واحد لم تنعقد لهما لأنه لا يجوز أن يكون للسلمين خليفتان ، و لا يقال البيعة لأسبقهما ، لأن المسألة إقامة خليفة وليست السبق على الخلافة ، و لأنها حق المسلمين جميعاً و ليست حقاً للخليفة ، فلابد أن يرجع الأمر للسلمين مرة ثانية ليقيموا خليفة واحداً إذا أقاموا خليفتين ، و لا يقال يقرع بينهما ، لأن الخلافة عقد والقرعة لا تدخل فى العقود ولايقال إن الرسول يقول : « فوا ببيعة الأول فالأول » لأن ذلك إذا بويع لخلفاء مع وجود خليفة فانه لا تكون البيعة إلا للأول الذى انعقدت بيعته ، و من جاء بعده لا تنعقد له بيعة ، والكلام هنـا إذا عقدت الخلافة لخليفتين بأن بايع أكثر أهل الحل و العقد خليفتين فى وقت واحد ، و كانت بيعة كل منهما منعقدة شرعاً فانه يلغى العقدان و لابد من الرجوع للسلمين ، فان عقدوا البيعة لأحدهما انعقدت جديداً له لا تثبيتاً لحالة الأولى ، و إن عقدوها لغيرهما انعقدت ، فالأمر للسلمين جميعاً لا لأشخاص يتسابقون عليها ، وإذا بويع لخليفتين ، فكان أكثر أهل الحل والعقد فى شئون الحكم و الخلافة بجانب واحد ، و هم الذين بايعوه ، و كانت الأقلية مع الآخر كانت البيعـة لمن بايعوه أكثر أهل الحل و العقد فى شئون الحكم ، سواء كان الأول بيعة ، أوالثانى ، أو الثالث . لأنه هو المعتبر خليفة شرعاً ببيعة أكثرية أهل الحل و العقد له ، و من عداه يجب أن يبايعه من أجل وحدة الخلافة و لا قاتله المسلمون لأن الخلافة تنعقد ببيعـــة أكثر المسلمين ، فاذا انعقدت لرجل من

المسلمين صار خليفة و حرمت بيعة غيره و وجبت طاعته على الجميع .

على أن واقع الحكم أن أكثر أهل الحل والعقد ممن بيدهم شئون الحكم موجودون فى العاصمة عادة ، لأن هناك يجرى تصريف شئون الحكم العليا ، فاذا بايع أهل العاصمة اى أهل الحل و العقـــد هناك خليفة ، و بايع أقليم أو أقاليم خليفة آخر ، فاذا سبقت بيعة الذى فى العاصمة كانت الخلافة له ، لأن بيعة من فى العاصمة قرينة دالة على أن أكثرية أهل الحل و العقد بجانبه ، و البيعة فى هذه الحال للأول ، أما إذا بويع من فى الأقاليم قبله فيجرى حينئذ ترجيح من يكون بجانبه أهل الحل والعقد أكثر ، لأن سبق أولئك فى البيعة يضعف كون العاصمة قرينة على أن الأكثرية فيها ، و على أى حال لا يجوز أن يبقى إلا خليفة واحـــد و لو أدى ذلك إلى محاربة من لم تنعقد له الخلافة .

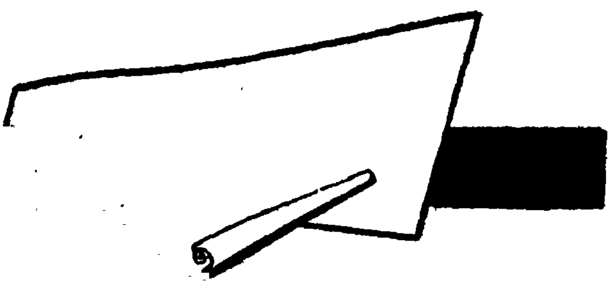
الاستخلاف أو العهد

لا تنعقد الخلافة بالاستخلاف ، أى بالعهد ، لأنها عقد بين المسلمين والخليفة فيشترط فى انعقادها بيعة من المسلمين وقبول من الشخص الذى بايعوه ، والاستخلاف أو العهد لايتأتى أن يحصل فيه ذلك ، فلا تنعقد به خلافة ، وعلى ذلك فاستخلاف خليفة لخليفة آخر يأتى بعده لا يحصل فيه عقـد الخلافة لأنه لا يملك حق عقدها ، ولأن الخلافة حق للسلمين لا للخليفة ، فالمسلمون يعقدونها لمن يشاؤن ، فاستخلاف الخليفة غيره أى عهده بالخلافة لغيره لا يصح ، لأنه أعطاه لما لا يملك ، و إعطاء ما لا يملك لا يجوز شرعاً . فاذا استخلف الخليفة خليفة آخر سواء أكان ابنه أو قريبه أو بعيداً عنـــه لا يجوز ، و لا تنعقد الخلافة له مطلقاً لأنه لم يجر عقدها عن يملك هذا العقد ، فهى عقد فضولى لا يصح .

و أما ما روى أن أبا بكر استخلف عمر ، و إن عمر استخلفه الستة ، وإن

الصحابة سكتوا و لم ينكروا ذلك فكان سكوتهم إجماعاً ، فان ذلك لا يدل على جواز الاستخلاف أى العهد . و ذلك لأن أبا بكر لم يستخلف خليفة ، و إنما استشار المسلمين فيمن يكون خليفة لهم فرشح علياً وعمر ، ثم إن المسلمين خلال ثلاثة أشهر فى حياة أبى بكر اختاروا عمر بأكثريتهم ، ثم بعد وفاة أبى بكر جاء الناس وبايعوا عمر ، و حينئذ انعقدت الخلافة لعمر ، أما قبل البيعة فلم يكن خليفة . ولم وتنعقد الخلافة له لا بترشيح أبى بكر و لا باختيار المسلمين له ، و إنما انعقدت حين بايعوه و قبل الخلافة ، و أما عهد عمر للستة فهو ترشيح لهم من قبله بنساء على طلب المسلمين ، ثم حصل من عبد الرحمن بن عوف أن استشار المسلمين فيمن يكون منهم فاختار أكثرهم علياً إذا تقيد بما كان عليه أبو بكر و عمر ، و إلا فعثمان ، فلما رفض على التقيد بما سار عليه أبو بكر و عمر بايع عبد الرحمن عثمان و بايعه الناس ، فالخلافة انعقدت لعثمان ببيعة الناس له لا بترشيح عمر و لا باختيار الناس ، و لو لم يبايعه الناس و يقبل هو لم تنعقد الخلافة ، و على ذلك لابد من بيعة المسلمين للخليفة ، و لا يجوز أن تكون بالعهد أو الاستخلاف لأنها عقد ولاية و ينطبق عليها ما ينطبق على العقود .

« يتبع »



المفهوم الاسلامى لحقوق الانسان الأساسية !

(الحلقة الثالثة)

الأستاذ محمد صلاح الدين
« معرب »

الدولة الاسلامية مسئولة عن التشريع فى الشئون التى لم تتناولها الشريعة بوضع دستور أو قانون لها ، وإذا قامت اليوم دولة إسلامية جديدة فانها تتصدى لوضع قوانين فى ضوء الشريعة الاسلامية مثلا حول إجراءات الانتخابات للمجالس القومية و البرلمان و التجارات الداخلية و الخارجية ، و التعامل التجارى ، و الوظائف العامة كالمواصلات و الكهرباء و الماء و الغاز ، و المشاريع الانشائية و التعليم و الصناعة وأجور الموظفين ، و مصالح العمال والفلاحين وما إلى ذلك من شئون عامة ، والحقوق التى تتعين بهذه القوانين تعتبر حقوقاً دستورية (Legal Rights) و يعتبر فى تعيينها اختلاف الزمان و المكان و نوعية الوسائل و الأحوال ، و لذلك فانها تختلف باختلاف الأزمنة و الأمكنة ، فمثلا حقوق الناس فى الحصول على الجنسية تختلف فى تركيا وباكستان ، ولكن الحقوق التى عينها الكتاب و السنة فهى دائمة باقية شاملة عامة لا يحدها الزمان و المكان و الجو و الوضع ، و هى ما وراء سلطة الدولة ، و حينما تقوم الدولة الاسلامية تحتضنها وتنفذها كاملة ، و هى ضمن حقوق الانسان الأساسية .

و هنا يمكن أن ينشأ سؤال فى بعض الأذهان ، وهو أن هذا التعبير للحقوق

الأساسية تكون جديرة بالمسلمين وحدهم ، أما غيرهم ممن لا يؤمنون بالله وبالكتاب و السنة و الآخرة فكيف يقبلونها ؟ فماذا ستكون حقوقهم الأساسية إذن ؟ و هل تكون لهم من الحقوق الأساسية ما لا يكون لغيرهم .

ولكى نرد على هذا السؤال يجب أن ندرك مكانة غير المسلمين فى الدولة الاسلامية إدراكاً صحيحاً وهى أن الدولة الاسلامية ليست دولة قومية كعامة دول العالم . لا تحكم فيها فئة خاصة بقوم أوعنصر أولغة ولون ، حتى إن حق الحاكمية المطلقة لا يتمتع به المسلمون أيضاً ، إنما هى دولة فكرية مبدئية (Ideological) حاكمها الأعلى هو الله رب العالمين الذى بين فى كتابه العظيم عن طريق تعليماته وتوجيهاته الواضحة المبينة نوعية المجتمع الانسانى الذى يرتضيه ، كما أنه قدم لنا نموذجاً عملياً لحاكميته عن طريق رسوله العظيم ﷺ أن الحكم الاسلامى الذى يعبر به عن « الخلافة » فى الحقيقة حكم نيابى مسؤل عن تسيير دفة الدولة حسب أحكام الحاكم الأعلى و حدوده المعينة و للرعيـــة فى هذه الدولة مكانتان ، مكانتها الانسانية ومكانتها الاسلامية أو غير الانسانية ، أما المكانة الأولى فقد تعينت من قبل الخليفة ، و لكن المكانة الثانية فتتعين على أساس إرادة الانسان بقبوله الاسلام أو رفضه ، و فى المكانة الأولى يستوى الكل من غير أى تمييز بين اللون و الجنس و العنصر و اللغة والوطن ، وليس له أى وزن فى عين الله تبارك و تعـالى الذى يقول : « خلقكم من نفس واحدة » (الزمر - ٦) « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة و خلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيراً و نساءاً (النساء - ١) » و إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون » (الأنبياء - ٩٢) .

فالنوع البشرى أمة واحدة فى عين الله تعالى و بما أنه خالق كل من مسلم و كافر و رازقهم جميعاً فانه جعل الناس كلهم سواء فى الحقوق الانسانية ، فانه أمر

فظ النفس و المـــال و العرض للسلم كما أمر به لغير المسلم ، و لكنه يوزع
نسان بعد تسويته فى المكانة الخلقية بين طائفتين اعتباراً بسلوكه وعمله الذى هو
سئول عنه ، يشير إلى ذلك فى كتابه العظيم « كان الناس أمة واحدة فبعث الله
نبيين مبشرين ومنذرين » (البقرة) « وما كان الناس إلا أمة واحـــدة فاختلفوا »
يونس - ١٩) .

يعنى أن الناس لم يتوزعوا و لم يختلفوا فيما بينهم إلا بما كسبت أيديهم من
التمرد والعصيان ، و بما اختلفوا من ديانات و مـــذاهب راغبين عن دين الله ،
لجعلوا منها كتلة واحدة وتولوا توزيع الأمة الواحدة بين أمم وشعوب كثيرة لايأتى
عليها الحصر ، و بعث الله النبيين و الرسل بالهداية لتوحيد الأمم وتجميع الشمل ،
لكنها لم تتجمع و لم تتوحد نظراً إلى عصيانها و شقائها .

هذه الرسالة التى بعثها الله تعالى عن طريق الرسل و الأنبياء و هى رسالة
الهداية لا تزال تقرع أسماعنـا و تفتح بصيرتنا و هى فى صورة كتاب منزل من
السماء (قرآن كريم) تدعو الناس كافة إلى الوحدة و التضامن ، لأنها ليست رسالة
أمة خاصة أو قوم خاص ، بل إنها دعوة للبشرية جمعاء كما أن محمداً ﷺ رسول الناس
جميعاً و هو رحمة للعالمين لا رحمـــة للسلمين وحدهم ، فالحقوق التى عينها القرآن
للمؤمنين بالله ورسوله إنما هى فى الواقع للنوع البشرى كله ، القرآن يوجــه الدعوة
عامة إلى كافة الناس لكى يستحقوا هذه الحقوق ويؤمنوا بالله ، ويعيشوا بها فى سعادة
وهناء ، ولذلك فان أى فرد من أفراد البشر من أى لون و جنس فى أى بقعة من
بقاع الأرض كلما يعلن إسلامه يستحق فور ذلك جميع تلك الحقوق التى يتوارثها
المسلمون من أقدم عصورهم .

أفليس مما ينافى العقل و المنطق أن يوضع المسلمون الذين يؤمنون بالله رباً

و حاكماً و بمحمــد نبياً و رسولا و بالقرآن دستوراً و نظاماً كاملا و الذين لا يؤمنون بالله و رسوله و بكتابه فى كفة واحـدة ، أفهل يتمتع الناس فى الدول العلمانية فى الولايات المتحدة و الاتحاد السوفياتى و انجلترا مثلا ممن يحلفون بيمين الوفاء و الولاء للدستور والذين يرفضون ذلك بحقوق واحدة متساوية ، بل الذين يرفضون الحلف و ينكرون الولاء للدولة لا يسمح لهم بالاقامـة فى حدود الدولة و طالما يعلقون على المشانق بتهمة الغدر و الخيـانة أو ينفون من البلاد على أقل تقدير .

إذا صح هذا فكيف يتوقع الناس من الدولة الاسلامية أن تقر لهذين النوعين كليهما بحقوق متساوية و أن تعامل مع الذين لا يسلمون دستورها و نظامها معاملة من يسلمونهما و يخضعون لهما ، هل فى الدنيا قانون يجعل الخاضع المستسلم والرافض المتمرد فى صف واحد ؟ إن هذه العقدة فى الحقيقة إنما تنبع من التفكير العلمانى الذى يعتبر الاسلام ديناً لا علاقــة له بالدولة و شئون الحكم ، و لكن الايمان بالله واعتباره الحاكم الأعلى للدولة والكتاب والسنة دستورها يسد جميع منافذ التفكير الخاطئ الذى يطالب بمنح المسلم وغيره حقوقاً متساوية فى الدولة الاسلامية واعتبارهما فى مكانة واحدة .

أرى أن هذه الميزة تحتم الاشادة بالاسلام و الثناء عليه بدلا من التهاجم عليه والطعن فيه ، حيث إنه لايسمح غير المسلمين و المنكرين لله بالاقامة فى الدولة الاسلامية بأمن و سلام فحسب بل إنه يقر لهم بحقوقهم الانسانيــة مع المسلمين سواء بسواء ، ولا فرق بينهم إلا فيما يوجه إلى المسلمين من مسئولية تنفيذ حكم الله بين عباده بخلاف غيرهم ممن لا تعود إليهم هذه المسئولية لأنهم لا يؤمنون بحاكمية الله وحده ويرفضون الخضوع أمامها ، و لاشك أنهم إذا آمنوا ودخلوا فى حظيرة

الاسلام تعود إلیهم هـــذه المسئولیة بنفسها تلقائیاً ، و ذلك هو الفرق بین المسلم و الکافر ، بین من خضع لله و لحکمه و من رفض الخضوع ، یقول الله تعالی « أ فمن کان مؤمناً کمن کان فاسقاً لا یستوون » (السجدة - ١٨) .

وفی موضع آخر « یاأیها الذین آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونکم لا یالونکم خبالا ودوا ما عنتم » (آل عمران - ١١٨) .

و یقول فی الآیة التی تسبقهما « لا یتخذ المؤمنون الکافرین أولیاء من دون المؤمنین ، و من یفعل ذلك فلیس من الله فی شئ » (آل عمران - ٢٨) .

و نفس هـــذا التعلیم یتکرر فی آیة أخری « یا أیها الذین آمنوا لا تتخذوا آباءکم و إخوانکم أولیاء إن استحبوا الکفر علی الایمان ، ومن یتولهم منکم فأولئك هم الظالمون » (التوبة - ٢٣) .

هذا الخط الفاصل بین المسلم و غیره إنما أقامه الحاکم الأعلی بنفسه لا علی أساس عصبیة إسلامیـة من جنس أو عنصر أو وطن و قوم بل المسلم یتمنی من صمیم قلبه بل هو مطلوب من قبل الحاکم الاعلی أن یقوم بمهمة تبلیغ رسالته إلی الناس کافة و یدعوهم إلی النجاة من کل عبودیة و یستحقوا جمیع تلك الحقوق التی منحها الله رب العالمین لأهل الایمان ، و إن فکرتهم الدعویة التبشیریة لیست کفکرة المبشرین الغربیین الذین یتمنون أن یقبل الناس دعوتهم و یعتنقوا دیاناتهم من غیر أن یکون لهم نصیب فی الحقوق السیاسیة التی یتمتعون بها هم أنفسهم ، و لکی نعرف التفکیر الاسلامی حول غیر المسلمین نقرأ قول ربعی بن عامر فی بلاط رستم قبل حرب القادسیة یقول :

« بعثنا الله لنخرج من شاء من عبادة العباد إلی عبادة الله وحده ، و من ضیق الدنیا إلی سعتها و من جور الأدیان إلی عدل الاسلام » .

و رغم هذه الدعوة إذا كان هنا فرد أو جماعة يصر على بقائه على الكفر فانه يرضى أن يعيش كذمى فى الدولة الاسلامية التى تنادى بمبدأ « لا اكراه فى الدين » لا تكرهه أن يعتنق الاسلام و لكنها لا تستطيع أن تفرض له نصيباً فى الحقوق كنصيب المسلمين بل إنها تكون مسئولة عن منحه حقوقاً كانسان و كذمى فقط ، ولذلك فلا ينبغى أن يزعم أحد أن الاسلام يقر بالفرق بين المسلم والذمى فى الحقوق ، و إنما القضية بالعكس من ذلك لأن كلمة « الذمى » تعنى تولى الذمة بصيانة النفس و المال و العرض و ما إلى ذلك لمن ليس مسلماً ، و إن الدولة الاسلامية مسئولة عن صيانة كل فرد من رعيتها و لكنها بوضع مصطلح خاص بالذميين أشارت إلى عنايتها الزائدة بهم ، و هذه الذمة التى تتولاها الدولة ليست للرياء أو الملاطفة بل إنها امتثال لأمر الله و رسوله ﷺ .

و بعد ما قرأتم الآيات التى توكد الانقطاع عن الكفار و تمنع عن اتخاذهم أولياء اقرأوا الآيات التى تأمر بالتساوى مع الجميع بالقيام بالعدل لكى يتجلى عليكم الوجه الثانى للموضوع ، يقول : يا أيها الذين كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ، ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا ، إعدلوا هو أقرب للتقوى ، و اتقوا الله إن الله خبير بما تعملون » (المائدة - ٨) و فى سورة النساء .

« يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله و لو على أنفسكم أوالوالدين و الأقربين » (النساء - ١٣٥) .

روى عن ابن عباس أن نفراً من الأنصار غزوا مع رسول الله ﷺ فى بعض غزواته ، فسرقت درع لأحدهم فأظن بها رجل من الأنصار فأتى صاحب الدرع رسول الله ﷺ فقال إن طعمة بن أبيرق سرق درعى ، فلما رأى السارق ذلك عمد إليها فألقاها فى بيت رجل برئ و قال لنفر من عشيرته إنى غيبت الدرع و ألقيتها

فى بيت فلان وستوجد عنده فانطلقوا إلى نبي الله ليلا فقالوا يا نبي الله إن صاحبنا بريئ وإن صاحب الدرع فلان و قد أحطنا بذلك علماً ، فاعذر صاحبنا على رؤس الناس و جادل عنه فانه إن لم يعصمه الله بك يهلك فقام رسول الله ﷺ فبرأه وعذره على رؤس الناس فأنزل الله تعالى .

« إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله و لا تكن للخائنين خصيماً و استغفر الله ، إن الله كان غفوراً رحيماً ، و لا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم ، إن الله لايحب من كان خواناً أثيماً ، يستخفون من الناس و لا يستخفون من الله و هو معهم إذ يبيتون ما لا يرضى من القول ، و كان الله بما يعملون محيطاً ، ها أنتم هؤلاء جادلتم عنهم فى الحياة الدنيا ، فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة أم يكون عليهم وكيلا ، و من يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً ، و من يكسب إثماً فانما يكسبه على نفسه ، وكان الله عليماً حكيماً ، ومن يكسب خطيئة أوإثماً ثم يرم به بريئاً ، فقد احتمل بهتاناً و إثماً مبيناً ، و لولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك ، وما يضلون إلا أنفسهم و ما يضرونك من شئ و أنزل الله عليك الكتاب و الحكمة و علمك ما لم تكن تعلم ، وكان فضل الله عليك عظيماً » (النساء - ١٠٥ - ١١٣)

وجاء فى سياق الكلام أنه لاخير فى كثير من نجواهم ، مما يدل دلالة واضحة أن اتهام البريئ ، و إن كان غير مسلم و توجيه العقاب إليه على جريمة مزورة ذنب كبير عند الله تعالى حتى إن الوحي ينزل لهذا الغرض و يبرىء البريئ ، وإن كان يهودياً بازاء رجل مسلم و نفره .

عاقب المهاجرين أمية المخزومى إحدى المغنيات فى عهد أبي بكر الصديق رضى الله عنه بنزع ثناياها لأنها كانت تغنى بثلب المسلمين ، فلما علم بذلك الصديق رضى الله عنه كتب إليه :

« بلغنى أنك نزعت ثنايا المغنيـــة التى كانت تغنى بثلب المسلمين مسلمة يكفيها الزجر و التوبيخ وهى أحق بالصفح ، وأوصاه أن يقبل المثلة فانها مأثم و منفرة إلا فى قصاص ، و إن كانت ذمية فما قيما إزاء إشراكها بالله تعالى » .

و الخليفة الثانى عمر بن الخطاب رضى الله عنه لم يفته الاهتمام حتى فى احتضاره فانه أوصى بهم و كان مثخناً بالجراح

« أوصى الخليفة من بعدى بالمهاجرين الأولين أن يعرف لهم لهم حرمتهم . . . . . و أوصيه بذمة الله وذمة رسوله ﷺ أن يو و أن يقاتل من ورائهم و لا يكلفوا إلا طاقتهم » .

وهذا المستشرق الشهير « مونت جومرى » يتحدث عن الأقليا و معاملة المسلمين معها اعترافاً بما تمتعت بها هذه الأقليات من صيانة و المال و العرض فى عهود الحكام المسلمين و فى عهد بنى أمية و بنى عن عهود الخلفاء الراشدين يقول :

« الدول الاسلامية تتمتع بميزة خاصة من حيث المجموع حر الأقليات غير المسلمة ، فقد كان المسلمون يعتزون بحسن المعاملة معها ، حقوق الذميين عناية بالغة أساسية فى عهود الخلفاء الراشدين ، فكل كانت تتولى دفع جزية سنوياً سواء بالمال أو بالمتاع ، مع دفعها تعادلها تقريباً بالنسبة إلى كل نفر ، و كانت تحصل على ضمان من كل مقابل ذلك ، و تستحق الصيانة من الجرائم الداخليـــة مع المسلمين يسكنها الذميون تعود المسئوليــــة على العامل نحو جباية الجزية و

بينهم ، أما الشئون الداخلية فتتمتع فيها الأقليات بكل حرية ، وكان رئيسها الدينى هو المسئول عن أداء الجزية و المشرف على شئونها الدينية و الاجتماعية الداخلية .

ثم يقول :

« العهود التى تمت فى عهد رسول الله ﷺ احتوت كلها على ضمان الحرية التامة لكل أقليه ذمية فى شئونها الدينية ، و استقرت هذه الحرية بعد عهده ﷺ فبقيت صوامع اليهود و كنائس النصارى فى حفاظ تام ، و ظهرت بعض الآراء حول منعهم عن بناء هذه المعابد و لكن الذميين لم يواجهوا أمثال هذه الآراء و القوانين الجديدة فى أى فترة من التاريخ » .

« يتبع »

نصيحة

كتب الحسن بن أبى الحسن البصرى إلى عمر بن عبد العزيز :

اعلم يا أمير المؤمنين أن الله جعل الامام العادل قوام كل مائل . و قصد كل جائر و صلاح كل فاسد و قوة كل ضعيف ، و نصفة كل مظلوم ، و مفزع كل ملهوف ، والامام العادل كالراعى الشفيق على أبله الرفيق بها . الذى يرتاد لها أطيب المراعى ، ويذودها عن مواقع الهلكة ، ويحميها من السباع ويكفيها أذى الحر والقر .

و الامام العادل كالأب الحانى على ولده ، يسعى لهم صغاراً و يعلمهم كباراً و يكتسب لهم فى حياته و يدخر لهم بعد مماته ، والامام العادل كالأم الشفيقة البرة الرقيقة بولدها حملته كرها وربته طفلا ، تسهر بسهره وتسكن بسكونه ، ترضعه تارة و تفطمه تارة و تفرح بعافيته و تغتم بشكايته .

كيف السبيل ؟

للشاعر : محمود أبو الر

ما بال قومك فى خطل ... يتناثرون كما الدقل . .
ضلوا السبيل فما ترام ... غير أسرى للجـــدل
و تلبسوا شيعاً على ... أهوائهـــم يا للخجل
من بعد ما تركوا الهداية ... أظلمت بهـــم السبـل
و الهون يلتهم الصدور ... و لا دواء من العلل
و علا الشخير أو الأنين ... فـلا قيـام و لا عمل
لا الفجر يدركهم كأن ... الليل عشش فى المقل ! !
ما بال قومك فى التشتت ... أصبحوا مجرى المثـل . .
بالأمس كانوا للهـــدى ... قبساً ينـــار على جبل
للعز شادوا دولة ... و اليوم قد صاروا دول ! !
لا الحق يجمعهم و لا ... الأمجـاد فى الحقب الأول
أمم الغثاء و فيهم ... وحى الرسالة قـد نزل
أمم النيـام و قدسهم ... نهب اليهودى الأذل
أمم القليل و خصمهم ... جاس الديار و كم قتل ؟
عار علينا كم تحـايلنـا ... . . . و أعيتنا الحيل !
هـــذا زمان أبى رغال ... على الخيـــانة لم يزل
باع الأمانة و الكنـانة ... لا حيـاء و لا وجل

هذى فلسطين الذبيحة ... كل يوم تستذل . .
شرب الصهاين من دماها ... نخبهم حتى الثمل
ضل الكلام فلا تقل ... فالقوم عنها فى شغل
كل الجراح لها دواء ... غير جرحك ما اندمل
كم للشهادة فى ثراك ... و للبطولة من مثل
كيف السبيل إلى الخلاص ... بغير أسياف تسل ؟
أين الشهامة و المروءة ... و الكرامة و المثل ؟
أو ليس فيها للأخوة ... ذمة و دم و أهل ؟
أو ما حوت مسرى الرسول ... و بارك الله النزل ؟
أو لم تكن فى الغابرين ... هدى و مهداً للرسل ؟
لهفى على الأقصى ... و أوطان تباح و تستغل
لهفى على قومى ... إذا لم ينبذوا لغة الدجل
هذا سبيل الحق بان ... فلا نكوص و لا كلل
نحن ارتضينا ملة ... الاسلام من دون الملل
ذقنا الهوان بغيرها ... و أصابنا داء الكسل
فالى النهوض بسيفها ... و الدين يأبى أن يغل ! !
الله أكبر و الجهاد . . ... فريضة فينا تظل
الله أكبر و السيوف ... بريقها لجر أطل
الله أكبر و البيارق ... خافقات بالأمل
الله أكبر يا صلاح الدين ... كم فينا بطل
فى الله يحتسب الشهادة ... لا مناة . . و لا هبل
تلكم ديار الأنبياء ... بها القداسة تتصل
أبداً بغير جحافل الاسلام ... لا نرضى بدل

اللغة العربية الكلاسيكية و الحديثة

الدكتور معين الدين الأعظمى
القسم العربى اذاعة عموم الهند الخارجية (دهلى)

عندما نطلق اللغة العربية الكلاسيكية نعنى بها وضع و أسلوب اللغة العربية الفصيحة القديمة الجيدة و ذات المستوى الرفيع و ما فيها من نثر و شعر و فنون و أقسام .

و عندما نطلق اللغة العربية الحديثة نعنى بها اللغة العربية التى تطورت بعد حملة نابليون على مصر فى عام ١٧٩٨ أى أن اللغة العربية الجديدة يبلغ عمرها مائة و خمسة و سبعين عاماً .

ونرى أنه يختفى الفرق بين اللغتين على كثير من دارسى اللغة العربية .

فمن قائل يقول إنه لافرق بين اللغة العربية الكلاسيكية و الحديثة لأن الجذور و الأسس للغتين واحدة أى أن المصادر والأفعال و الأسماء والمفردات والكلمات و القواعد النحوية و الصرفية و البلاغية واحدة .

و من قائل يقول إن اللغة العربية القديمة لغة تختلف كل الاختلاف عن اللغة الحديثة و أنه يقيس اللغة العربية على الانجليزية الكلاسيكية و الحديثة .

و من قائل يقول إن هناك فرقاً بين اللغتين باعتبار الأسلوب و المصطلحات الجديدة و الفنون الأدبية الحديثة المتطورة .

هذه هى بعض الآراء المتضاربة المتناقضة عن اللغة العربية القديمة و الحديثة وفى داخلها تتوارى الحقيقة ، ولكى نعرف الفرق معرفة واضحة يجب علينا أن نلق نظرة خاطفة على المراحل و الأدوار التى مرت بها اللغة العربية القديمة فى حياتها الفنية الزاخرة الطويلة التى تمتد من العصر الجاهلى إلى بداية عصر النهضة فقد كان لهذه المراحل أثر قوى و نفوذ شديد فى إغناء و إثراء اللغة و جعلها سلسلة و رصينة من ناحية و إضعافها و إفسادها و طمس جمالها و روعتها من ناحية أخرى ، تلك الأدوار هى العهد الجاهلى و الاسلامى الأموى و العهد العباسى الأول و العهد العباسى الثانى و دور الانحطاط .

العهد الجاهلى

بلغت اللغة العربية فى العهد الجاهلى إلى درجة كبيرة من التقدم و الرقى من حيث المفردات والمصطلحات والأسلوب والتعبير ووصل فيها الشعر إلى أعلى مرتبة .

و لو لم يوجد نثر فنى فى العهد الجاهلى إلا أن ما ورد إلينا من حكم و أمثال و مواعظ تعطينا صورة صادقة و جلية عنها و تدل على أن اللغة العربية كانت لغة غنية خصبة و عذبة فيها جمال و روعة و رصانة و جزالة و متانة غير ممعنة فى الغرابة والحوشية ، وكان الأسلوب طبيعياً سلساً يعتمد على الحذق والمهارة و المزاولة و الصنعة و يعتمد على كون الجملة قوية ممتازة بحسن التعبير و إصابة المعنى وإتقان التشبيه وحسن الايجاز و عدم الترابط و الانساق فى الافكار والمعانى بعيداً من التصنع ، و إن نزول القرآن يدل على نوعية اللغة التى كانوا يتحدثونها و يحبونها و يعتبرونها بليغة و فصيحة و على مستوى أعلى و أرفع من الفن و الجمال الأدبى .

تتجلى ميزات النثر الجاهلى من الأحاديث النبوية الشريفة و خطب الخلفاء

الراشدين و الأمراء لأنهم قد نشأوا و ترعرعوا فى بيئة جاهلية و تكونت افتم وفقاً للبيئة الجاهلية و مالها من خصائص و مميزات .

العهد الاسلامى والأموى

ظل طابع اللغه العربية و شكلها فى هذين العهدين إلى حـــد كبير مثلما ك فى العهد الجاهلى لم يطرأ عليها تغيير هام و بارز ، و لكن قد بدأ فى هذا اله الاهتمام بالنثر ، و تزايد و استمر هذا الاهتمام مما أدى إلى وضع قواعد وأصو و نظم للكتابة فى أواخر العهد الأموى من جانب عبد الحميد الكاتب ، و كان ه أول مجهود لصياغة النثر فى قالب منظم وأنيق و جميل ، و أولى محاولة لتصنيع الن و تحسينه و تجميله فى حدود الطبيعة .

العهد العباسى

بدأ يتكامل و يتقوى هذا الاتجاه فى العهد العباسى الأول حسب ازد السيطرة العربية ، و كان الشئ البارز فى هذا الأسلوب الاهتمام و الاحتفاء بالمعا و تأدية المعنى بأوضح صورة و إيجاد الترابط فى الافكار و استعمال الكلمات ال تقتضيها الحياة المتحضرة و ترك الكلمات الثقيلة مع الاحتفاظ باستعمال لفظ جز و عذب و رصين و متين ، وهذا الأسلوب بادىء و بارز فى كتابات ابن المقف الذى كان رائداً للنثر التجديدى و الجاحظ الذى كان زعيماً للنثر الفنى وعدد هائل من الكتاب الذين تأثروا بهذه المدرسة .

ثم تأثر الأدباء بشدة بالثقافة الفارسية و العلوم اليونانية تأثراً شديداً فغلب على اللغة العربية تصنع و زخرفة و تزيين لفظى وغلب عليها بتأثير العلوم اليونان التدقيق الشديد فى المعانى و الاحتفاء بالألفاظ بدلا من المعانى و الأفكار . وعد التلاعب بالألفاظ مهارة و فنا و صفة بارزة للأديب البارع .

و برز بعض الأدباء و على رأسهم القاضي الفاضل الذين بلغوا في التصنع ، و العبارات المسجعة حداً مسرفاً .

هذا النوع من اللغة و الأسلوب ساد و راج في عصر الانحطاط و ازداد تدهوراً و فساداً بدخول الكلمات الأعجمية :

مثل التركية و الفرنسية و العامية في الفصحى و تفشت الأخطاء النحوية و التزام القواعد البلاغية الخاطئة .

بجانب هذه الميزة للغة العربية في العصر العباسي الثاني و عصر الانحطاط نجد أن اللغة الكلاسيكية القديمة لا توجد فيها أنواع و أقسام و فنون أدبية فلا توجد القصة و المسرحيـــة و الشعر التمثيلي و القصصي و الشعر المرسل و الحر ، و ما إلى ذلك ، فهناك ركود و جمود و عقم باعتبار اللغة و الفنون الأدبية .

إن هذا الفساد في اللغة و العقم في الفنون الأدبية أقل شئ حدث ولحق باللغة نظراً إلى الظروف القاسية و المحن و الخطوب و الكوارث التي مرت بها اللغـة العربية في العصر العباسي الثاني و دور الانحطاط بسبب كون الحكومـــة المركزية ضعيفة و بسبب عدم الاستقرار السياسي فإنها كادت أن تؤدي إلى انقراض وتلاشي اللغة العربية لو لا القرآن الكريم .

ميزات اللغة الحديثة

في عصر النهضة ازدادت العلاقات الغربية مع الدول العربية التي سببت في زوال الركود و الجمود و انطلاق اللغـــة العربية القديمـة نحو الأساليب و المفردات والمصطلحات الجديدة و الفنون الأدبية الجديدة .

١ـ زالت من اللغة العربية العيوب و المساوي التي لحقتها مثل التزام البديع و التصنع إلى حد مسرف و التراكيب الركيكة و تسرب الكلمات الأعجمية ونال

الاحتفاء بالمعانى و الأفكار درجة أولية و الاهتمام بالألفاظ درجة ثانوية كما زالت منها الأفكار النحوية و البلاغية ، و هكذا أصبحت اللغة سليمة من الأمراض التى لحقتها و نقية من الخلل الذى أصابها .

٢— وضعت و لا تزال توضع مفردات ومصطلحات جديدة للاشياء والمعانى الجديدة من جانب المجاميع اللغوية التى أسست فى مصر و سوريا والعراق لمواجهة السيل الجارف و المتدفق للمفاهيم و المعانى و المفردات الجديدة فى الحقول الفضائية و الجوية و الطبية و الهندسية و الالكترونية والكهربائية و الزراعية و العسكرية و الادارية و التضامنية و الادارية و المالية و غيرها من الميادين التى يحدث فيها توسع مستمر .

٣- إن اللغة العربية الحديثة توجد فيها أنواع وأقسام و فنون أدبية فتوجد فى النثر مقالات و قصة صغيرة و طويلة أو روائية و مسرحيات و يوجد فى الشعر الشعر التمثيلى و القصصى و شعر مرسل و شعرحر . كما توجد فيه اتجاهات وطنية قومية .

فمن حيث الأقسام توجد فيها جميع الأنواع التى توجد فى اللغات الأجنبية العالمية ، كما أن اللغة القديمة تأثرت بالثقافة الفارسية و اليونانية بصفة خاصة كذلك تأثرت اللغة الحديثة بالآداب العالمية .

إن أسلوب اللغة الحديثة ليس أسلوباً جاهلياً و لا عباسياً و إنما هو أسلوب أصيل نتج و برز من احتكاك اللغة العربية بالآداب العالمية و خاصة الأوروبية .

فساد النشاط و الحيوية إلى اللغة العربية و زال الركود و الجمود و العقم و عادت إليها السلاسة و الطلاوة و العذوبة ، و إنها فى حالة ازدهار و تقدم و تحسن مستمر لفظاً و معنى و تعبيراً ، و إنما الآن فى خدمة الانسان و المجتمع و ليست لخدمة الفن و الفرد مباشرة .

المرأة

المرأة قبل الاسلام و بعده

(الحلقة الثالثة)

الأستاذ سعيد بن عبد الله سيف الحاتمى

الفصـــل الثانـــى

ما قدمه الاسلام لحل هذه المشكلة

بعد دراستنا لما كانت عليه ثقافات و نحل مختلفة فى معاملة المرأة يسهل علينا الآن أن نقوم بالمقارنة بين ما قامت به كل هذه الثقـافات و النحل و بين ما قام به الاسلام من حل لهذه المشكلة ، وكيف استطـاع الاسلام أن يحرر المرأة من نير العبودية (عبودية الانسان للانسان) عبر الأزمان إلى عبودية الواحد الديان .

لقـــد اعتبر الاسلام عملية وأد البنـات جريمـــة كبرى . إنها جريمة قتل ويقول القرآن فى هذا الصدد :

« وإذا الموؤدة سئلت بأى ذنب قتلت (الآيتان ٨ ، ٩ من سورة التكوير) لنستمع إلى الأستاذ الكبير سيد قطب يقول لنا فى كتابه فى ظلال القرآن المجـــلد الثامن الصفحة ١٤٧ .

« و قد كان من هوان النفس الانسانية فى الجاهلية أن انتشرت عادة وأد البنات خوف العار أو خوف الفقر وحكى القرآن عن هذه العادة ما يسجل الشناعة

اهلية ، التى جاء الاسلام ليرفع العرب من وهدتها ويرفع البشرية كلها . . وكان
اد يتم فى صورة قاسية إذ كانت البنت تدفن حية أو كانوا يتفنون فى هذا بشتى
لرق ، و منهم من كان إذا ولدت له بنت تركها حتى تكون فى السادسة من
رها ، ثم يقول لأمها طيبيها و زينيها ، حتى أذهب بها إلى أحمائها و قد حفر لها
آ فى الصحراء فيبلغ بها البئر فيقول لها : أنظرى فيها ثم يدفعها دفعاً و يهيل
يها التراب .

و عند بعضهم كانت الوالدة إذا جاءها المخاض جلست فوق حفرة محفورة
ذا كان المولود بنتاً رمت بها فيها وردمتها ، وإن كان ابناً قامت به معها ، وبعضهم
ن إذا نوى الا يئد الوليدة أمسكها مهينة إلى أن تقدر على الوعى فيلبسها جبة من
صوف أو شعر و يرسلها فى البادية ترعى له إبله .

فأما الذين لا يئدون البنات و لا يرسلونهن للرعى فكانت لهم وسائل خاصة
لاذلالها الخسف والبخس ، و كانت إذا تزوجت ومات زوجها جاء وليه فألقى عليها
وبه ومعنى هذا أن يمنعها عن الناس فلا يتزوجها أحد فان أعجبته تزوجها و لا عبرة
رغبتها هى و لا إرادتها ، و إن لم تعجبه حبسها حتى تموت فيرثها أو أن تفتدى
نفسها منه بمال فى هذه الحالة أو تلك .

و كان بعضهم يطلق المرأة ويشترط عليها الا تنكح إلا من أراد ، إلا أن
تفتدى نفسها ، و كان بعضهم إذا مات الرجل حبسوا زوجته على الصبى فيهم حتى
يكبر فيأخذها ، و كان الرجل تكون اليتيمة فى حجره يلى أمرها فيحبسها عن الزواج
رجاء أن تموت امرأته فيتزوجها أو يزوجها من ابنه الصغير طمعاً فى مالها أو فى جمالها ،
فهذه كانت نظرة الجاهلية إلى المرأة على كل حال حتى جاء الاسلام يشنع بهذه

العادات و يقبحها و ينهى عن الوأد ويغلظ فعلته و يجعلها موضوعاً من موضوعات الحساب يوم القيامة يذكره فى سياق هذا الهول الهائج المائج، كأنه حدث كونى من هذه الأحداث العظام و يقول : إن المؤودة ستسأل عن وأدها فكيف بوائدها ؟

و ما كان يمكن أن تنبت كرامة المرأة من البيئة الجاهلية أبداً . . لو لا أن تتنزل بها شريعة الله و نهجه فى كرامة البشرية كلها ، و فى تكريم الانسان الذكر و الأنثى و فى رفعته إلى المكان اللائق بكائن يحمل نفخة من روح الله العلى الأعلى فمن هذا المصدر انبثقت كرامة المرأة التى جاء بها الاسلام لا من أى عامل من عوامل البيئة .

و قد ذكر القرآن الكريم كيف يتصرف الآباء عند ما يبشر أحدهم بالأنثى و كيف يكون وجهه مسوداً و هو كظيم ، و فى هذا يقول القرآن الكريم :

« وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم ، يتوارى من القوم من سوء ما بشر به ، أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب ؟ ألا ساء ما يحكمون (الآيتان ٥٨ - ٥٩ من سورة النحل) .

اى انحراف فى العقيدة هذا ! ألم يكن يعرف هؤلاء القوم أن البنت هبة من الله تعالى ؟ اقتضت الحكمة الربانية أن تكون الأمور هكذا لا دخل لرجل أو امرأة فى عملية الخلق و التصوير حتى فى هذه المهزلة التى نسمعها الآن ، ومع الأسف الشديد قد أفتى بعض علمائنا بجوازها ألا و هى عملية أطفال الأنابيب حسب ما نشر فى الجرائد العالمية أنهم أخذوا الحيوانات المنوية بعد التلقيح و وضعوها فى الأنبوبة ثم ردوها إلى الرحم إذ كان جزء معين من شرايين الرحم غير صالحة للعمل فاستعملوا هذه الأنبوبة بديلا عن المكان التالف .

وأخوف ما أخافه أن لا تتطور هذه العملية ، و تكون عن طريق الاستنماء

غير الطبيعي و تركيب المني من زيد إلى زوجة عمرو ، و هـذا ما سمعنا به بعد الخطوة الأولى لأن دافع هؤلاء شيطاني و ليس دافعهم البحث العلمي المجرد .

نعود فنقول حتى هذا التطوير العجيب الذي وصلنا إليه لا يستطيع أن يغير خلق الله لأن الله العلي القدير لم يعط الانسان من العلم إلا أقل من القليل وتكريماً من الله للانسان فلم يترك المرأة هملا بل قـد كرمها أحسن تكريم لأنها شطر النفس البشرية .

سبب وأد البنات

إننا سوف نقدر الطرق التي كان الرجل يتبعها في حل كثير من مشاكل الحياة ، و كيف كان ينظر إلى المرأة تلك النظرة في المجتمعات القديمة بغض النظر عن كون ذلك المجتمع عربياً أو غير عربي ، و إذا كانت الحياه في تلك الأحقاب بجرد البقاء للأصلح يجدر بنا أن نذكر هنا أن الرجل كان يغزو الرجل و يهجم عليه في عقر داره ، وقد كانت هذه هي الحياة السائدة و السارية . ويقول الشيخ البهي الخولي في كتابه : المرأة بين البيت و المجتمع :

« حين تقرأ تاريخ الانسان أوقصة حضارته ، نراها تجارب قاسية متواصلة فيها عناصر من البداوة و الجهل و الأنانية و القلق و الخوف و الطمع و الرغبة في العدوان والعلو . تجارب إذا انتهى فيها من مصارعة الوحوش ومنازلة السباع فرغ لمنازلة أخيه الانسان و فتح بذلك صفحة بل صفحات قاسية داميـة من الحروب و الغارات للسلب و النهب و الغصب ، و استرقاق الرقيق و سبي الذراري ليكونوا في خدمة الغاصب خدمة بيته و أرضه و سائمته و سائر عمله .

و لسنا بصدد استيفاء ملامح هذه الأطوار و ماكان فيها من تجارب مرة قاسية و لكننا نسأل : أيلام الانسان إذا هو رتب حياته يوم ذلك وأقام أوضاعه

الاجتماعية على ما يلائم تلك الظروف و تقتضيه ما هو مفروض من احتمالات الغزو أو مفاجأة غارات السلب و النهب و السبي و الاسترقاق .

أيلام مثلا إذا خرج لغارة أو مدافعة عدو أن يعنى منها الحامل و المرضع و من فى حكمهن من ضعيفات النساء ؟

أو يلام إذا اجتمع من شهد المعركة لتقسيم الأسلاب و الغنائم و الأسرى دون استدعاء النساء ؟ و هل يلام إذا جمع المقاتلين من أبناء القبيلة ليتداولوا الرأى فى تدبير ما يريدون من غزو أو إحباط ما يتوقعون من غارة دون أن يشرك المرأة فى هذا التدبير ؟

و لأى المولودين يفرح ذلك الانسان البعيد ، مولود الولد الذى يركب الفرس و يحمل السلاح و ينازل العدو ، أو مولد البنت التى لا غناء لها فى شئ من ذلك فضلا عن أنها عبء فى المعركة ، و حرمة تستوجب الدفاع ؟

نتعلم من الأحاديث النبوية الشريفة أنه يجب علينا أن نعامل البنت معاملة حسنة وأن نهتم بها اهتماماً بالغاً فى تربيتها و تعليمها و تثقيفها و أن نكون منصفين فى حقوقها و واجباتها وأن نعاملها بالتساوى مع الولد دون تفرقة أوتمييز بينهما فيما يروى عنه ﷺ أنه قال : من عال بنتين أو ثلاثا حتى يكبرن أو يموت عنهن كنت أنا وهو فى الجنة كهاتين وأشار بأصبعه الصبابة والتى تليها « رواه مسلم ، وقال من ابتلى من هذه البنات بشئ « و أحسن إليهن كن له ستراً من النار » رواه البخارى ، وقال من كان له ثلاث بنات أو ثلاث أخوات أو بنتان أو أختان فأحسن صحبتهن واتقى الله فيهن فله الجنة (١) و فى رواية أخرى فأدبهن و أحسن إليهن و زوجهن فله الجنة » رواه أبو داود والترمذى وقال من كان له أنثى فلم يئدها ولم يهنها ولم يؤثر ولده - الذكور - عليها أدخله الله الجنة (٢) رواه أبوداود .

---

(١) (٢) طبعاً هذا شرط و هناك شروط أخرى لها أهميتها فى دخول الفرد الجنة منها الصلاة و الصوم وغيرها من المأمورات وترك المنهيات .

صور وأوضاع

الأفغان واثقون بالنصر :

« الله معنا فلن يخيفنا أحد »

واضح رشيد الندوي

يواجه الاتحاد السوفيتي وضعاً حرجاً في العالم ، فقد خسر باجرائه العسكرى في أفغانستان صداقة كثير من الأصدقاء ، و هيأ للولايات المتحدة وحلفائها مبرراً لدعم موقفها العسكرى في المنطقة ، بالاضافة إلى ما يواجه الاتحاد السوفياتى من انعزال و إدانة على المنابر العالمية وتهديد معظم دول العالم بمقاطعة الألعاب الأولمبية المقرر عقدها في موسكو الذى يسبب خسائر فادحة للاتحاد السوفياتى أما مضايقات الاتحاد السوفيتى داخل أفغانستان كأنها فى ازدياد وتصعد رغم الحجم الكبير من القوات العسكرية والمعدات الحربية السوفستيكية ، وضخامة المجهود الحربى ، و بث المخابرات و الاستيلاء على الأجهزة الادارية ، و فصل القوى المحليـــة و إبعادها عن سائر الأعمال التنفيذية و الادارية حتى المطاعم و المآكل أخليت من الأفغان ، و حل محلهم عمال وموظفون سوفيت لعدم الثقة فى السكان المحليين .

لقد كان احتلال بلد مثل أفغانستان يقتضى أقل بكثير من القوات والمعدات التى استخدمها الاتحاد السوفياتى و رغم هذه المعدات و العدد الضخم من الجنود ، لم يوفق الاتحاد السوفيتى فى قمع المقاومة الشعبية ، فيفكر الآن فى خطة سياسية لكسب ثقة الشعب و تأييده للحكومة القائمة فى إجراءات الاتحاد السوفياتى بخداع الشعب و تضليله .

كان من الاجراءات الأخيرة التى اتخذت لتخفيف سخط الشعب إزالة اللافتات
كبيرة التى كانت تحمل شعارات شيوعية بعجلة ، و تغيرت لهجة الحكام و بدأوا
تجنبون عن تعبيرات غير إسلامية كما أجريت تعديلات فى برامج الاذاعة
التلفزيون لكيلا يذاع منها ما يثير شكوك الشعب المسلم و يبعث على الامتعاض
ما يجرح مشاعرهم الاسلامية .

و قد أعلن العميل السوفيتى كارمل فى الشهر الماضى ، العفو العام عمن يريد
عودة إلى الوطن ، ووعد بأنه سيعاد إليه سائر ممتلكاته التى صودرت إثر مغادرته ،
لذلك عدة إجراءات أخرى اتخذت لكسب ثقة العلماء و قد فتح صندوقا لنشر
الاسلام و هدد كارمل أن الحكومة لا تستطيع أن تتسامح مع أى نشاط معاد
للاسلام فى البلاد و سيعاقب كل من وجده متورطاً فى نشاطات معادية للاسلام
المستر كارمل ربيب لموسكو ، و عداؤه للاسلام و المسلمين أمر لا يخفى على
أحد ، و هو من ثقات نور محمد تراكى الذى حارب العلماء و حارب الدين ،
أهان المقدسات الاسلامية .

فلم تكن هذه الاجراءات من قبل الاتحاد السوفياتى والنظام المتعاون معه إلا
دليلا على تصلب المقاومة الشعبية و عدم الانشقاق فيها و بالقوة المناعة للمجاهدين ،
الذين لم تستطع القوات الغازية أن تقهرهم عسكرياً ، و قد رفض المجاهدون سائر
هذه التحركات الخادعة ، و صرحوا أنهم سيواصلون جهودهم لتطهير البلاد من
العدو الغاشم .

و قد أفادت الأنباء بأن حكومة كارمل لا تزال منعزلة عن الشعب
خائبة فى محاولاتها لكسب من يتعاون منها من الشعب الأفغانى المناضل ، وقد دفع
إخفاقه الزعماء السوفيت إلى التفكير فى تغيير القيادة لفصل كارمل و تنصيب رجل

من يتمتع بثقة الشعب الأفغانى ، و إن أدى ذلك إلى إعادة الشاه المعزول ظاهر اه لاعادة الأمور إلى نصابها .

و من الأسماء التى تذكر لاستبدال كارمل هو أسد الله سرورى رئيس الجهاز سرى فى أفغانستان سابقاً و الجنرال عبد القادر الذى قاد الثورة فى عام ١٩٧٨م ند الجنرال داؤد ، و قد أدرك الاتحاد السوفياتى خطورة و شئوم إجرائه و بدأ شعر بأن أفغانستان لا يمكن الاستيلاء عليها عسكرياً لمدة أطول فيحاول إقامة ظام شيوعى موال له فى أفغانستان ، و لا يمكن تحقيق ذلك الهدف إلا بمشاركة ن الشعب مهما كانت نسبتها و تحطيم المقاومة العسكرية بوسائل سياسية تساندها لقوة العسكرية .

« يقول مراسل صحفى زار أفغانستان فى تقرير نشرته مجلة (India today) إن التهديد الأكبر للاتحاد السوفياتى لا يكمن فى التدخل العسكرى من أمريكا ولا الصين و لا باكستان و إنما يكمن فى المقاومة الشعبية التى تستمر و تتصاعد فى أفغانستان و التى تكلف الاتحاد السوفياتى كثيراً فى الجنود و العتاد الحربى .

يقول المراسل إنه زار عدة معاقل المجاهدين وتحدث إليهم و وجد أن الروح المعنوية للمجاهدين عالية للغاية و أن الشعب كله يساندهم و يساهم فى مجهودهم حتى سواق التاكسى يعملون كمخابرات للمجاهدين و يخبرونهم بتحركات الأعداء و مخابئ العملاء ، و قد صرح له بعض قادة المجاهدين ، أنهم واثقون بأنهم سيطهرون العدو و لديهم كميات كبيرة من الأسلحة و قلوبنا مفعمة بالايمان والثقة ، وقالوا إن الجنود السوفيات جبناء خوارون لا يخرجون من عرباتهم المصفحة ، و لا يواجهوننا ، و قد وجدت فرقاً من القناصة الذين يحرسون الممرات الرئيسية من مواقع جبلية إستراتيجية ، و يطلقون النار على كل من يشكون فيهم .

ولا يعانى المجاهدون أى نوع من نقص المتطوعين ، لأن الشعب كله يساندهم و يزودهم الفلاحون بالمواد الغذائية ، و تتدفق بنادق محلية الصنع . و قد قال له أحد المجاهدين ، إن القتال شيمتنا و يجرى فى دمنا ، لا شك أن الروس أقوياء مسلحون بأسلحة حديثة ، و لديهم دبابات و طائرات ، و لكننا مسلحون بالقوة الذاتية ، قلوبنا حافلة بالايمان و الله معنا ، فلن يخيفنا أحد .

و صرح المجاهدون أن أكثر من ١٧٠ جندياً سوفيتاً لاقوا حتفهم نتيجة لاطلاق النار من الكائن وحدها ، و قال إن خسائر المجاهدين ضئيلة بالنسبة للسوفييت .

وقد استولى المجاهدون على كية كبيرة من الأسلحة السوفيتية إلا أنهم تعوزهم الذخائر الحربية والتى يمكن الحصول عليها من الدول الاسلامية المؤيدة لهم والجنود الأفغان الهاربين من ثكناتهم .

يجرى القتال عادة بالليل ، و يتحرك المجاهدون فى ظلمة الليل يصدم توجيهم موشرات خاصة و هم أعرف بالممرات الجبلية ، فاذا وقع هجوم على أى حشد من القوات السوفيتية سادته حالة الفوضى لأن السوفيت لايعرفون طرق الفرار فيدخل بذلك الذعر فى قلوبهم .

ليس المجاهدون كلياً من غير المتعلمين أو القبليين ، فقد انضم إلى صفوفهم عدد كبير من رجال الجيش المدربين على استعمال معدات دقيقة ، و أطباء ، و مهندسون للقيام باختصاصاتهم و قد استولت عصابات منهم على نظام المواصلات السوفيتية و استعملوه و قد درس عدد منهم فى الهند ، و فى الاتحاد السوفياتى ، و الكلية الهندسية السوفيتية فى كابل ، أما معظم المجاهدين فانهم فلاحون و مزارعون و أصحاب مهن أخرى .

و صرح المراسل أنه أثناء حديث له مع المجاهدين شاهد مرة أن سرباً من طائرات هيلي كوبتر الحربية من طراز Mi 24 ظهر فى الفضاء للاستكشاف عن مواقع المجاهدين ، فستر المجاهدون أسلحتهم و مدافعهم بأرديتهم لكيلا يطلع العدو عليهم فى ضوء الشمس ، فيطلق عليهم النيران .

وذكر المجاهدون أن خسائرهم فى الأرواح تساوى مجاهداً واحداً مقابل عشرين جندياً من الجنود السوفيت خلال تسعة أشهر ، رصرح المراسل الصحفى (Dillife Bobb) أنه دهش بالروح العالية للمجاهدين فقد وجدهم فى أسعد حالة نفسية ، رغم الأخطار و المتاعب الشديدة و العواقب الخطيرة ، و المناطق الوعرة التى يعيشون فيها .

و إن الشئ الوحيد الذى ينقصهم هو القيادة و الأسلحة الحديثة ، إلا أن روح القتال تجمعهم ،وقد صرح أحد المجاهدين لوكان عندهم (Che Guavara) أوأسلحة حديثة مضادة للدبابات لكانوا طردوا السوفيت بالسرعة التى دخلوا بها ، و قدر المجاهدون أن أكثر من ٢،٠٠٠ جندى سوفيتى قد قتلوا حتى الآن .

كان من الغريب جداً أنه كلما ذكر اسم من أسماء الوزراء الأفغان كان المجاهدون يصفقون ، و عندما ذكر اسم كارمل قال أحدهم .

كارمل . . كلب سوفيتى ، إنه ٩٩ فى المائة سوفيتى ، غير أفغانى ، لايستطيع أى أفغانى يحمل الدم الأفغانى أن يحتمل عبودية السوفيت و اختتم قوله ، سنقتل عشرة من الروس مقابل كل أفغانى إن شاء الله و بهذا الطريق نطرد الكلاب من بلادنا » .

« الله معنا فلن يخيفنا أحد » .

حول مساعدة المجاهدين الأفغانيين :

نداء من

سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز
رئيس ادارات البحوث العلمية و الافتاء و الدعوة و الارشاد (الرياض)

الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على نبينا محمد و آله و صحبه أجمعين
أما بعد : فيا أيها المسلمون السلام عليكم و رحمة الله و بركاته.

لا يخفى عليكم ما جرى و يجرى الآن فى أفغانستان البلاد المسلمة من اعتداء روسيا الشيوعية عليها و احتلالها و تقتيل المسلمين و تشريدهم من ديارهم و محاولة الشيوعية القضاء على الاسلام و المسلمين فى أفغانستان البلد المسلم ، و مع هـذا فهم جادون فى الدفاع عن دينهم ثم عن أنفسهم وأعراضهم و بلادهم أمام هذه الحملة الكبيرة الكافرة الظالمة ، و هم فى أشد الحاجـة بل الضرورة إلى مساعدتهم من إخوانهم المسلمين، لأن المسلمين كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر و الحمى ، و إنه يؤلمنا ما يؤلم إخواننا و يسرنا ما يسرهم ، و قد دلت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية على وجوب جهاد أعداء الله بالنفس والمال و لاسيما إذا هجموا على شئ من بلاد المسلمين ، و إن المسلمين متى تركوا ذلك أثموا جميعاً ، ومن المعلوم أن الخطر الشيوعى يهدد كل دول الاسلام ، وأننا معرضون لهجمات الشيوعية الحاقدة على الأديان ولقد جاء فى القرآن الكريم والسنة المطهرة ما يكفى ويشفى فى فضل الجهاد والحض عليه ، فمن ذلك قوله تعالى : « وقاتلو

لمشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين » .

وقوله تعالى « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم و أموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً فى التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به و ذلك هو الفوز العظيم »

وقال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله ، وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم و أنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ، يغفر لكم ذنوبكم و يدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار و مساكن طيبة فى جنات عدن ذلك الفوز العظيم و أخرى تحبونها نصر من الله و فتح قريب ، و بشر المؤمنين » .

و الآيات فى فضل الجهاد كثيرة ، ومما جاء فى السنة النبوية المطهرة فى ذلك ما رواه الصحابى الجليل أبو هريرة رضى الله عنه قال : سئل رسول الله ﷺ أى الاعمال أفضل ؟ قال : « إيمان بالله و رسوله » قيل ثم ماذا ؟ قال : « الجهاد فى سبيل الله » قيل ثم ماذا قال : « حج مبرور » متفق عليه .

و ما رواه الصحابى الجليل عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قلت يا رسول الله أى العمل أحب إلى الله تعالى ؟ قال : « الصلاة على وقتها » قلت : ثم أى ؟ قال : « بر الوالدين » قلت : ثم أى ؟ قال : « الجهاد فى سبيل الله » متفق عليه .

و ما رواه الصحابى الجليل أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : أتى رجل رسول الله ﷺ ، فقال : أى الناس أفضل ؟ قال : « من يجاهد بنفسه و ماله فى سبيل الله » قال : ثم من ؟ قال : « مؤمن فى شعب من الشعاب يعبد الله ، و يدع الناس من شره » متفق عليه ، والأحاديث فى هذا الباب كثيرة .

و يجب الجهاد على الأعيان فى ثلاثة مواضع ، أحدها : إذا التقى الزحفان وتقابل الصفان ، لقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون » و قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار » .

الثانى : إذا نزل الكفار ببلد ، تعين على أهله قتالهم و دفعهم ، كما هو الواقع فى أفغانستان ، ويجب على إخوانهم المسلمين فى كل مكان دعمهم ومساعدتهم لعموم قوله تعالى : « انفروا خفافاً و ثقالا و جاهـدوا بأموالكم و أنفسكم فى سبيل الله » الآية .

ثالثاً : إذا استنفره من له استنفاره ، تعين عليه ، لقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا مالكم إذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله إثاقلتم إلى الأرض » الآية . ولقول النبى ﷺ « وإذا استنفروا فانفروا » متفق عليه ، و قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله ، يجب جهاد الكفار و استنقاذ ما بأيديهم من بلاد المسلمين و إسرائهم و يجب على المسلمين أن يكونوا يداً واحدة على الكفار ، و أن يجتمعوا ويقاتلوا على طاعة الله و رسوله و الجهاد فى سبيله ويدعوا المسلمين إلى ما كان عليه سلفهم الصالح من الصدق و حسن الأخلاق ، فان هذا من أعظم أصول الاسلام وقواعد الايمان التى بعث الله بها رسله و أنزل بها كتبـه و أمر عباده عموماً بالاجتماع و نهاهم عن التفرق و الاختلاف ، كما قال الله تعالى : « أن أقيموا الدين و لا تتفرقوا فيـه » و قال تعالى : « و لا تكونوا كالذين تفرقوا و اختلفوا من بعد ما جاءهم البينـات » و أخبر سبحانه بأنه أرسل جميع الرسل بدين الاسلام كما قال تعالى : « ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل و فى هـذا » انتهى كلام شيخ الاسلام .

فيا أيها المسلمون فى كل مكان إن علينا جميعا أن نشكر الله سبحانه على ما من به علينا من النعم الظاهرة والباطنة و أن نمد يد المعونة و المساعدة لا خواننا المسلمين الأفغانيين الذين يعانون من أعداء الاسلام التقتيل والتشريد والتيذيب و التشتيت فى العراء و الصحراء فى البرد والجوع ، فالواجب على المسلمين جميعا أن يبذلوا لهم ما يعينهم على جهاد أعداء الاسلام و يمكنهم من أسباب النصر عليهم ، كل حسب استطاعته لقول الله عز وجل « فاتقوا الله ما استطعتم » و قول النبى ﷺ « جاهدوا المشركين بأموالكم و أنفسكم و ألسنتكم » و قوله عليه الصلاة والسلام « من جهز غازياً فى سبيل الله فقد غزى و من خلفه فى أهله بخير فقد غزى » والآيات و الأحاديث فى فضل الجهاد و النفقة فيه كثيرة .

« بقية المنشور الافتتاحية على ٨ »

إن هذه الدول قد بلغ من الافلاس فى كل مجالاتها الظاهرة والباطنة بحيث لا يسهل إخفاء هذا الوجه الكريه لأطول مدة و يصعب عليها الاعتماد على سياسة التزوير والاختلاق إلى يوم بعيد ، وسوف يرى العالم انهيارها واحدة تلو الأخرى فى غد قريب ، و ياليت المسلمين اتحدوا و تذكروا مكانتهم القيادية و دورهم الذى قاموا به فى فترات من تاريخهم المشرق العظيم فارتجعوا إلى دينهم الذى ارتضى لهم ربهم حتى يأتى النصر من عند الله و يتحقق وعده بالاستخلاف و التمكين و تبديل الخوف أمناً ، و الله سبحانه و تعالى يقول :

« وعد الله الذين آمنوا منكم و عملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم و ليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم و ليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً ، يعبدوننى لا يشركون بى شيئاً » و صدق الله العظيم .

سعيد الأعظمى

أخبار اجتماعية و ثقافية

الدكتور عيسى عبده فى ذمة الله

نعت الأنباء الدكتور عيسى عبده فى أوائل الأسبوع الأول من شهر ربيع الأول ١٤٠٠ ، فانا لله وإنا إليه راجعون » .

تلقى هذا النبأ المفجع أوساط الفكر الاسلامى والتربية الاسلامية بقلق وأسى بالغين إذ كان الفقيد قد غطى بحياته المناهزة ثمانين سنة مجالا واسعاً بخدمة العلوم الاسلامية بتحقيقاته النادرة ودراساته القيمة ، خاصة فى مجال الاقتصاد الاسلامى ، إذ كان يعتبر علماً من أعلام الاقتصاد الاسلامى نظراً إلى ما تمكن به من إعداد مكتبة هائلة فى الموضوع و معالجة قضايا الساعة و مشكلات الاقتصاد الاسلامى والفكر الاسلامى ، و مؤلفاته القيمة برهان ساطع على دقة نظره و موضوعية فكره وسلامة ذوقه .

عكف طوال أيام حياته على الدراسة والبحث والتحقيق و التنقيب والتدريس من غير أى حب للبروز والشهرة و ظل مشتغلا بخدماته الدينية و العلمية فى صمت و خفاء ، الأمر الذى مكنه من إثراء الفكر و اتحاف الكتاب الاسلامى بمعلومات نافعة و مواد غزيرة لم يسبق إليها . فكتبه فى موضوع الاقتصاد الاسلامى تعتبر من أجل و أروع البحوث فى ضوء الشرعية الاسلامية .

و لاشك فان وفاته خسارة كبيرة للفكر الاسلامى ، و هو بحق يعتبر فقيد العلم والدعوة والفكر ، جزاء الله عن أمة الاسلام خير ما يجزى عباده المؤمنين العاملين ، وألهم أهله و ذويه و أمته الصبر والسلوان .

الشيخ أحمد البسيونى

رئيس تحرير مجلة الوعى الاسلامى ، فى ذمة الله .

نعت إلينا مجلة الوعى الاسلامى بعددها الأخير رئيس تحريرها فضيلة الشيخ أحمد البسيونى فى ٣١/ ديسمبر ١٩٧٩م فى القاهرة ، فانا لله و إنا إليه راجعون .

كان الفقيد رحمه الله يعمل فى وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت

منذ عام ١٩٧٥م فى قسم الوعظ و الارشاد ، ثم تولى رئاسة تحرير مجلة الوعى الاسلامى الشهرية و ظل يرأس تحريرها إلى آخر أيام حياته إضافة إلى ما كان يقوم به من إلقاء المحاضرات و الدروس فى المساجد و المدارس و الجمعيات الاسلامية و من خلال أجهزة الأعلام المختلفة .

وفقه الله إلى مواصلة نشر الفكر الاسلامى و الدعوة إلى الله فى عديد من البلدان العربية كالسعودية و لبنان و اليمن و العراق و سلطنة عمان ، و قد أقام فى لبنان مركزاً إسلامياً فى بلدة « البترون » .

فجزاه الله عن أعماله ونشاطاته أحسن جزاء ، وأثابه فى آخرته بالجنة والنعيم .

إعدادات حثيثة للاحتفال المئوى

للجامعة الاسلامية بدار العلوم ديوبند (الهند)

تقوم الجامعة الاسلامية الشهيرة دار العلوم ديوبند فى الهند باعدادت حثيثة لعقد احتفالها المئوى فى شهر آذار (مارس القادم) عام ١٩٨٠م فى الأسبوع الاول من شهر جمادى الثانية لعام ١٤٠٠هـ .

و من أهداف هذا الاحتفال الكبير المزمع عقده فى ديوبند (إلى جانب توزيع العمائم للتخرجين من هذه الجامعة الاسلامية فى ظرف ٧٠ عاماً البالغ عددهم عشرة آلاف) استعراض امكانيات تجديد التفكير الاسلامى و التوصل إلى منهج دراسى موحد لكافة الجامعات الاسلامية فى العالم يبتنى على التفهم التام للاوضاع الراهنة وعلى الاتزان الدقيق الكامل ، و يجمع بين القديم النافع والجديد الصالح حتى يتمكن من أداء دوره فى بث التوعية الاسلامية فى المسلمين ورفع مستواهم الدينى والفكرى .

و من المتوقع أن يحضر الاحتفال هذا وفود محترمة من انحاء العالم الاسلامى و الدول الاسلامية و المؤسسات و الجمعيات و الجامعات و المدارس الاسلامية ، و ندعو الله سبحانه أن يجعل التوفيق حليف القائمين بهذا الاحتفال ، و يذلل عقبات الطريق ، و هو على كل شئ قدير .

مؤتمر الدعوة و التعليم فى الجامعة السلفية

بمدينة « وارانسى »

تعقد الجامعة السلفية بمدينة وارانسى الهند مؤتمراً دوليا للدعوة و التعلم ، بين الفترة ٢٢ - ٢٤/ من شهر فبرائر الحالى المصادفة ٥ - ٧ ربيع الثانى ١٤٠٠ه

والغرض الكبير من عقد هذا المؤتمر هو البحث فى قضايا الدعوة والتعليم بنواحيهما المختلفة ، و التفكير فى المشكلات و التحديات التى تواجه هذين القطاعين الحساسين فى المجتمع الاسلامى و خاصة فى الهند ، والتوصل إلى حلول و إجابات ناجحة تساعد فى التغلب على هذه المشكلات ورد تلك التحديات.

يضمن برنامج المؤتمر عدا كلمات الوفود و خطابات العلماء و الدعاة و محاضرات الضيوف ، افتتاح مسجد الجامعـــة ، و معرض على ، و إرساء حجر الأساس لمستوصف الجامعة ، ومدرسة تابعة للجامعة .

و قد تلقى سماحة مولانا الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى وفضيلة الشيخ محب الله الندوى عميد دار العلوم ندوة العلماء ، و عدد من أساتذة كلية اللغة العربية الدعوة للحضور فى المؤتمر ، و سيحضر المؤتمر سماحة الشيخ الندوى و جماعة من حضرات الأساتذة باذن الله تعالى ، و يرجى أن يحضر المؤتمر وفود موقرة تمثل الدول الاسلامية و المؤسسات الاسلامية .

و نرجو الله تعالى أن يكلل جهود القائمين على المؤتمر بالنجاح و التوفيق .

ث الإسلامي



شعارنا الوحيد : إلى الإسلام من جد

البعث الإسلامي

شهرية إسلامية جامعة

رئاسة التحرير : سعيد الأعظمي
واضح رشيد الندوي

الاشتراكات السنوية

في الهند	٣٠ روبية، ثمن النسخة ٣ روبيات
في العالم العربي	٨ دولارات أمريكية أو ما يعادلها بالبريد العادي ١٥ دولاراً بالبريد الجوي
في أفريقيا الجنوبية والشمالية وأمريكا وأوربا	٢٠ دولاراً بالبريد الجوي ٨ دولارات بالبريد العادي
في باكستان	٥٥ روبية بالبريد العادي مع أجرة البريد

الاشتراكات في باكستان ترسل إلى مجلة "البلاغ" كراتشي رقم ١٤ (باكستان)

المراسلات
العنوان: البعث الإسلامي، ندوة العلماء
ص ب ٩٣ لكهنؤ - الهند
برقياً: NADWA LUCKNOW
الهاتف: ٢٤٢٩٤٨ ، ٢٨٧٤٧

البعث الإسلامي

أنشأها فقيد الدعوة الإسلامية الأستاذ محمد الحسني

(فى عام ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م)

شخصية إسلامية مستقلة

ندعو إلى تكوين شخصية إسلامية قوية بارزة تتجلى فى دوائر الحكم كما تتجلى فى دور العبادة، تتجلى فى البرلمان، كما تتجلى فى المسجد، وتتجلى فى أوساط التربية و أجهزة الاعلام، كما تتجلى فى كلام الواعظين، و جهاد المصلحين وجهود الدعاة والعاملين. و حينئذ يكون العالم الاسلامى كله كتلة واحدة ذات شخصية إسلامية مستقلة لا يصنع مؤسسة، ولا يقيم إدارة، و لا يقف موقفاً إلا و هو وفى بمبدئه، حريص على شخصيته، يحافظ على سماته و ملامحه متمسك بأهدافه و غاياته، مسلم فى السلم و الحرب، مسلم فى الغنى و الفقر، مسلم فى الحكم والادارة، مسلم فى الاعلام و التربية، مسلم فى الصناعة و العلم، مسلم فى السياحة و الفن.

محمد الحسنى (رحمه الله)

رئاسة التحرير

واضح رشيد الندوي

سعيد الأعظمي

Vol. 24 — No. 9

⊛ المجلد الرابع والعشرون — ⊛ العدد التاسع

⊛ ابريل ١٩٨٠م — ⊛ جمادى الأخرى ١٤٠٠هـ

في .. هذا العدد

بسم الله الرحمن الرحيم

أخي القارئ

عن أى شئ يبحثون فى خفايا نفوسهم ، و ما الذى يعكر صفوهم و يضفى على نفوسهم لوناً من ألم نفسى طالما يحسه الانسان فور وقوع حادث أو انفلات شئ غال من يده .

هل يبحثون عن مال فعندهم من المال قناطر مقنطرة ؟ هل يبحثون عن منصب أو جاه ؟ فأولئك أهل المناصب ويوزعونها بين الناس ، أو يبحثون عن أتباع و أولاد فان لديهم من ذلك ما يغنيهم عن كل شئ .

فعن أى شئ يبحثون ؟

و إذا سئلوا عما إذا كان ينقصهم شئ ؟ فيقولون كلا ! و لكنهم يشعرون بقلق نفسى مستمر ، و دبيب من ألم لا يكادون يتبينونه ، رغم توافر كل الحاجات و تواجد كل الطاقات .

فما هو ذلك الشئ المفقود إذن !

إنه خيط من نور الايمان الذى إذا فقد ، فقد معه الأمن و السلام ، و ذهب معه الطمأنينة و الهدوء ، و حل محله القلق و الاضطراب و الوحشة والألم ، و هنالك تتعطل القوى التى خلقها الله تعالى لخدمة الانسان و تكون كلا عليه ، و وبالا على حياته ، وهنالك يفقد قوة التمييز بين الخير و الشر ، و قوة رؤية الخير من الشر ، و قوة الالتفات من الشر إلى الخير ، و تنتهى به الغفلة عن مكانته إلى حيث تصبح العودة منه مستحيلة .

ذلك هو العذاب النفسى الأليم ! اقرأ معى قول الله تبارك و تعالى :

« و لنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون »

و صدق الله العظيم .

سعيد الاعظمى

لماذا يكرهون الاسلام ؟ !

ظل الاسلام و المسلمون موضع سخط الأعداء من الصليبيين الحاقدين واليهود الأفاكين و أفراخهم من قديم ، فقد تمكنت العداوة والبغضاء من قلوبهم ، وشغلت مجالا واسعاً من نفوسهم ، فكلما سنحت لهم مناسبة أوتحينت لهم فرصة تناولوا أحدهما أو كليهما بالسب و الشتم ، وألبوا عليهما بكل ما استطاعوا من قلم و لسان أو قوة ساعد وبنان ، ولقد جرب التاريخ ذلك أكثر من مرة ، ففى الحروب الصليبية مقنع وبلاغ لما أقول ، و إن حياة بطل الاسلام العظيم السلطان صلاح الدين الأيوبى وتاريخه لشاهد عدل على ما كانت تتفجر به هذه الفئة الحاقدة ضد الاسلام والمسلمين من مقت و كراهية ، ومنذ ذلك الوقت توغر صدرها عداوة وهى تتربص الدوائر بالمسلمين و تنتهز الفرص لصب النقمة و فرض الحروب عليهم ، و لا تترك حيلة و لا وسيلة إلا و تستخدمها فيما يمزق قوتهم و يفرق شملهم ، و يشتت وحدتهم ، و يعود بهم أعداء متقاتلين .

إن أكبر همهم فى كل زمان ومكان أن يشوهوا صفحة الاسلام الناصعة وتاريخه الزاهر بكل وسيلة ممكنة و أن يمزقوا الوحدة الاسلامية و الأخوة الايمانية العالمية تمزيقاً كاملا حيث يجعلوا من كل أسرة إسلامية أفرقة قدداً ومن كل مجتمع إسلامى أعداء ألداء ، ذلك لأن نار الحقد التى تشتعل بين جنباتهم جففت منابع الرحمة والمرونة و التفكير الهادى فى نفوسهم و عادت بهم خلقاً آخر غير الانسان الكريم العادل ،

فالمحاولات التى قام بها المستشرقون عن طريق التاريخ و التأليف ، و ابدال صفحات الاسلام بغيرها وتحريف تعاليمه فى لباقة ودس السموم فيها لم يعد خافياً على أولى العلم و البصيرة ، و كذلك غزوهم على بلدان المسلمين سياسياً ، و فكرياً ، و استعمارها عقلياً و دينياً أصبح من البديهيات المسلمة ، و موضوعات الكتاب و المؤلفين .

أما المسلمون فلم يألوا جهداً فى شرح الاسلام لهؤلاء الناس و بيان خصائصه و خلود رسالته ، و سعادة منهجه ، إنهم عرضوا عليهم دعوة الاسلام نقية خالصة نامية باقية إلى يوم الدين ، ولم تفارقهم حكمة الدعوة ولا فقه السيرة فى أى وقت ، و أرادو أن يقنعوهم بأنه الدين الوحيد الذى يبقى ، و المنهج القويم الذى يسعد الحياة ، و الرسالة الخالدة التى تتولى فى الانسان النضج و الكمال ، و الثقة و الايمان ، و تربيه على خلال الفتوة و الرجولة و القوة و الكرامة ، و لكنهم رفضوا الهداية ، و أنكروا السعادة ، و لم يسمح المقت الشديد الذى امتزج بلحمهم و دمهم نحو الاسلام و لم يأذن الحقد الدفين الذى تمكن منهم أن يفكروا فى دعوة الاسلام و يتأملوا فى التعاليم التى جاء بها فضلا عن الخضوع له و الاعتناق به ، ذلك لأن العناد و الاستكبار قد ضرب عليهم أطنابه فباؤا بغضب من الله ، و ظلوا تائهين متسكعين فى متاهات قلما ينجو منها الانسان إذا دخلها « ألم تر إلى الذين أوتو نصيباً من الكتاب يشترون الضلالة و يريدون أن تضلوا السبيل ، و الله أعلم بأعدائكم ، و كفى بالله ولياً و كفى بالله نصيراً » (النساء /٤٥)

و من هنالك كان هولاء الذين سماهم القرآن الكريم بالأعداء من أكبر خلق الله هدماً للاخلاق و الفضائل الانسانية الاسلامية ، وقد اخترعوا لذلك أساليب مكر ودهاء و خداع ، استهدفوا بها المسلمين فى إيمانهم و عقائدهم ، و ركزوا على تجريدهم من الايمان بالله ولرسوله ، قبل كل شئ ، لتسهل عملية التجريد بعد ذلك .

والذوبان بهم فى مجتمع الانحلال و الاباحية و الكفر و الطغيان ، ولقد كانت الحضارة الغربية فى الحقيقة الوسيلة الناجحة الناجعة فى استعمار المسلمين سياسيا وفكر و التخلف بهم عقلياً و مادياً ، و الضرب عليهم إيمانياً و خلقياً ، ولا شك فا عدداً كبيراً من المسلمين ممن حرموا التربية الدينية والخلقية و عاشوا فى بيئات بعيد عن تأثير التعاليم الاسلامية انجرفوا مع تيار الحضارة المادية وأعجبوا بها أيما إعجاب وتمردوا على تقاليد آبائهم المسلمين و أساليب حياتهم بعد ما وجدوا أحضان الغر مفتوحة أمامهم تترقبهم وترحب بهم ، ودخلوا مدرسة الغرب فعادوا منها إلى شرقم أشد من أسيادهم معارضة للاسلام وأكثر منهم طعنا فى الدين ، ولعنا لحضارته وتسم لها بالرجعية والتخلف « الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، أيبتغو عندهم العزة ، فان العزة لله جميعاً » .

لماذا يطعنون الاسلام ؟ و لماذا يبغضون المسلمين ؟ ألمجرد أنهم يخافون منه على سيادتهم وزعامتهم ، أو يزعمون أن الاسلام يحرمهم لذة الحياة وفرص الطيبات ويفرض عليهم الرهبانية و الزهد عن الدنيا ، ولكن الأمر ليس كذلك ، لأنهم يعرفون ما فى الاسلام من مراعاة كبيرة للحقوق وما فيه من حرية تامة فى ممارس الاستمتاع من اللذات والطيبات « قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق » بل يفعلون ذلك لمرض فى قلوبهم ، و هو مرض الكفر و الكـ والأنانية و الشهوات ، الذى استولى عليهم من كل جانب وأخذ بهم من كل مأخ « فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون » و إ هذا المرض هو الذى سد عليهم أبواب الهداية وفتح لهم أبواب الشقاء و البغض على مصاريعها ، فلا يرون الهداية وهى أمامهم ، ولا يسمعون للسعادة وهى تناديه « صم بكم عمى فهم لا يرجعون » .

و ما دام الأمر كذلك فلا غرابة أن نسمعهم يسبون المسلمين و يطعنون الاسلام بوقاحة مجرمة ، ولا عجب أن نراهم يصورون الدين الاسلامی بشكل مخيف و يتهمونه بالأباطيل و الأراجيف من غير سند و لا دليل ، فهذا دابهم ، و هی طبيعتهم التی شبوا عليها . و تلك هی وظيفتهم التی يتقاضون حيالها رواتب ضخمة ، إن هؤلاء العبيد فی الواقع أقل من أن يقام لكلامهم وزن ، وأخس أن يستحقوا عليه رداً ، بل يجب أن يتركوا ليرتكسوا فی مزابل اللعنة و الارتزاق ، ويسبحوا فی مستنقعات العبودية و الماجورية « فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون » .

والآية الكريمة تفسير لنفسية هؤلاء الأعداء و المأجورين ممن يتولون الطعن على الاسلام و سب المسلمين و تشويه تاريخهم و حضارتهم و إلصاق التهم بالدين الاسلامی النقی الزكی الذی وصفه الله سبحانه بالدين القيم ، وبفطرة الله التی فطر الناس عليها فی قوله « فأقم وجهك للدين حنيفاً ، فطرة الله التی فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم ، و لكن أكثر الناس لا يعلمون » (الروم / ٣٠) .

اجل لا يعلمه أكثر الناس فيقولون ما يقولون ، أويعلمونه ولكن لايصبرون على السكوت بل يتفجرون حنقاً و حقداً عليـــه ، فيقولون ما قاله قبطی فی مصر لم يصبر على مزايا الشريعة الاسلامية فبذی عليها فی سخف و إهانة :

« الدين الاسلامی الهزيل قائم على الجنس و النساء . دين كله قتل وتخريب دين هو سبب تخلف الشرق وما يحل به من كوارث ، وهو سبب التخلف الشنيع للبلاد العربية ، دين الضوضاء والازعاج ، دين الميكروفونات والبطل والزمر والرقص فی الأذكار ، دين السرقـــة و الرشوة .. دين المخدرات و الاختلاسات .. هذا هو المجتمع الاسلامی ، وتقولون الشريعة الاسلامية و أسيادكم الأقباط ينظرون

إليكم بسخرية و يضحكون عليكم كلما رأوا شيخاً يهز عمامته يميناً و شمالا ، و لكن هل يستمر الحال طويلا على بقاء هذا الدين التافه ، أعتقد أن العدد التنازلى بعد توقيع معاهدة « كامب ديفيد » قد بدأ لزوال الدين الاسلامى و عودة مصر المسيحية ، فأنتم فى النهاية الخاسرون الدنيا و الآخرة » الرائد عدد ٤٢ - ربيع الثانى ١٤٠٠ه الصادرة من المركز الاسلامى فى آخن) .

هذا الكلام السخيف والهراء السافل إن دل فانما يدل على ما يضمره الأعداء فى نفوسهم من حقد عميق على إسلامنا و شريعتنا الخالدة السمحة الغراء ، كما أنه دليل على ما يتمتع به الاسلام من الفطرية و الخلود و الشمول و العالميـــة ، و من الصلاحيات العملاقة فى تنظيم الحيـاة الانسانيـــة و تشكيل المجتمعات البشرية على العدالة و الحق و الايمان ، و على السعادة و الرخاء .

هذا الكلام السخيف أكبر دليل على الانهزامية التى يتورط فيها أعداء الاسلام و إن كان يعاونهم فى ذلك ضعاف العقيدة و الايمان من المسلمين أيضاً ، و يشجعهم على هذه الجريمة النكراء ابتعاد المسلمين أنفسهم عن الاسلام و اعتناقهم بخصـائص اليهود و النصارى .

إن الحقد الأسود الدفين فى صدور هؤلاء المأجورين السخفاء ضد الاسلام أكثر مما يتظاهرون به ، و لـكنها ظروف تحول دون تحقيق إرادتهم ، و مصالح تمنعهم عن الصراحة بما يحملون ، و الله سبحانه و تعالى : « قد بدت البغضاء من أفواههم ، و ما تخفى صدورهم أكبر »

سعيد الأعظمى الندوى

التوجيه الإسلامي

الاسلام فى عالم متغير

[كلمة افتتح بها سماحة الشيخ أبي الحسن على الحسنى الندوى مؤتمر الدراسات الاسلامية بجامعة عليكراه الاسلامية فى كانون الثانى ١٩٧٧ بحضور عدد كبير من أساتذة الجامعة وممثلين عن الجامعات و المعاهد الاسلامية فى الهند ، نقلها إلى العربية الأستاذ على مستو عثمان]

أيها السادة ، نائب رئيس الجامعة ، أعضاء الهيئـــة التدريسية فى الجامعة و الضيوف المحترمين . .

أشكر منظمى هذا المؤتمر لمنحهم إياى شرف افتتاحه ، و لقد أحسنوا صنعاً باقامته تحت رعاية الجامعة الاسلامية عليكره ، التى اهتمت بالعالم المتغير فيما يتعلق خاصة بالاسلام و المسلمين فى الهند .

إن الحركات و المؤسسات التى تعترف بحقيقة التغير تحمل نفسها مسؤولية عظمى . . إنه ليس من السهل الاعتراف بالحاجة إلى التغيير و التعديل ، إذ يترتب على ذلك، المراقبة باستمرار للتبدلات والتغيرات التى تجرى من حولنا . وفحصها وتقييمها بموضوعيـــة ، و تسائل فيما إذا كنا مهيئين فعلا لهذه التغيرات و نقبل بتحديها و نكيف أنفسنا بموجبها ؟ ؟ . .

لقد أخذ علماء الجامعة الاسلامية و ندوة العلماء على عاتقهم مهمة كبرى ، و إن حشداً من أولئك الذين يمارسون السلطة فى هذين المعهدين يشهد هـــذا المكان اليوم ، و عليهـم أن يحللوا أنفسهم قبل تحليلهم العصور و أن يقرروا فيما إذا كانوا مهيئين للقبول بتغير مشروع مرة أخرى بعد أن خضعوا التحول فيما مضى .

التغير قانون الحياة :

إن موضوع المناقشة اليوم هو الاسلام فى عالم متغير وإنه يتألف من كلمتين : الاسلام ، و « العالم المتغير » و بذلك انتهز الفرصة لأقـدم آرائى عن وجهى ...سألة كليهما ، بحيث نضفى عليها شيئاً من الفكر بشكل صريح و حر .

يفترض ، عموماً ، أنه ليس للزمن ثبات أودوام ، بل إنه اسم آخر للتغير ... التحول ، و لكن ليس الأمر كذلك ، إن الزمن مركب من الاثنين ـ التغير ... الاستمرار ، و إذا اختل هـذا التوازن كأن يتحـكم الاستمرار بالتغير ، ويتسلط التغير على الاستمرار ، فان ذلك سينتج آثاراً خطيرة تنعكس على المجتمع والحضارة ، وإن التوازن بحاجة إلى التناسب حتى أكثر من أى مركب كيميائى .

إن الزمن له القدرة على التغير و يجب أن يغير ، و ذلك ليس علامـة ضعف أو نقص ، إنما هو قانون الحياة ، و كما قال إقبال : « إن الحياة دائمة الحركة ، دائمة الانسياب ، دائمة الشباب » وإن الحياة الخالية من القدرة على النمو و التطور يمكن أن تكون أى شئ آخر إلا الحياة .

إلى جانب ذلك فان مقاومة التغير هى ـ أيضاً ـ صفة متأصلة فى الزمن و إن مظاهر التغير تبدو لنا بوضوح . . و كلنا يشعر كم تحول الزمن بشكل كبير . إننا فى مجريات الأمور العـادية لا نوفق فى الادراك إدراكاً تاما للصراع الذى يقوم به الزمن ليحافظ على خواصه الجيدة و السليمة و طبيعته و صفته الحقيقية ، و إن ذلك يتطلب مجهراً خاصا .

خذ النهر الذى يمثل نموذجا مثاليا للحركة . . ما من موجتين من أمواجه متماثلتان على الاطلاق ، و بالرغم من أمواجه العابرة فانه موجود مكانه منذ آلاف السنين ، محتفظا بكل خصائصه ، و اسمه و اتجاهه . . فأنهار دجله و الفرات

والفانج و جامونا كلها هى نفسها منذ أن كانت فى العصور الغابرة .

إن الزمن ساكن بالاضافة إلى كونه متحركا ، وكلتا هاتين الصفتين جوهريتان بالنسبة له فهو — بدون أى منهما — لا يستطيع الاحتفاظ بفائدته بنفس الطريقة ، لأن القوى السالبة و الموجبة تعمل عملها فى الأشياء الحية وغير الحية الموجودة فى العالم ، و عن طريق أفعالها و ردود فعلها تحقق هذه الأشياء قدرها .

الدين هو حارس الحياة :

باعتبارى مريداً و تابعاً لدين لا يمكننى - أبداً - أن أقبل وضعاً يستجيب فيه هذا الدين لكل تغير ، و لا يمكن أن توافق أنت على ذلك أيضاً ، لأن الدين ليس مقياس حرارة يقتصر عمله على تسجيل درجـــة الحرارة ، و لا هو بالأداة التى ترصد اتجاه هبوب الرياح . . لا يمكن تعريف الدين بهذه العبارات ولا يمكن أن يصير إلى أداة آلية غريبة ، وليس بيننا واحد يريد من الدين أن يعمل كسجل لتغيرات الأزمنة ، وإن ديناً وضعياً مزعوماً لا يمكن أن يتحمل هذا الوضع فكيف بدين منزل ؟ ! .

إن الدين يقر التغير كحقيقة واقعة و يعطى أكمل مجال لسير الأمور من أجل تحول صحيح سليم .

الدين يتقدم مع الحياة يداً بيد و لا يواكبها فقط كتابع لها . . و وظيفته هو أيضاً أن يميز بين تغير سليم و آخر غير سليم ، و بين نزعة هدامة و أخرى بناءة . . و يجب أن يقرر الدين فيما إذا كان التحول نافعاً أو ضاراً بالبشرية أو باتباعها على الأقل .

وبينما يتمشى الدين مع الحياة الديناميكية جنباً إلى جنب من جهة ، فانه يعمل حارساً و حامياً لها من جهة أخرى ، و تجب عليه مهمة المراقبة و الضبط أيضاً .

ليس من مهمة الوصى أن يدعم كل ما يفعله القاصر الموضوع تحت وصايته ويؤيد كل ميوله ، الجيدة منها و السيئة ، أو أن يصادق بختم الموافقة على كل شئ يسعى وراءه . بل إن الدين يمتلك ختما واحداً و حبراً واحداً و يدا واحدة فقط . . و ليس من شأنه أن يلصق طابعه على أى وثيقة أو صك . . بل يجب عليه أن يميز و يختار . أجل أنه يفحص (الوثيقة) أولا ثم يصدر حكمه . . فان وجد فيها خطأ أو ضرراً حاول الدين أن يتركها برفق - إذا أمكن - أو بقوة إذا اقتضى الأمر ذلك ، و إذا عرضت عليه وثيقة و اعتبرها ضارة بالجنس البشرى فهو لا يمتنع عن تصديقها و ختمها فقط ، بل يكافح لمقاومتها . وهنا يكمن الفرق بين الدين و الأخلاق ، فالدين يرى من واجبه و مسؤوليته ضبط النزعة الخاطئة و ردها بينما تكتفى الأخلاق بالاشارة إليها و إظهارها .

بعض المحن فى تاريخ الدين :

نجد فى تاريخ الدين بعض الفترات التى فقد فيها الدين الاتصال المباشر بالحياة ، و لكن التقصير لا يكمن فى ذات الدين ، وأنما هو تقصير أتباعه ، و ليس الدين هو الذى يفشل فى مواكبة الحياة ، و لكن أنصاره هم الذين لا يطبقون مثله العليا و قيمه النبيلة نتيجة لكسلهم و لا مبالاتهم . . و أن هؤلاء الأنصار يتخلفون عن الركب بينما تسير قافلة الحياة إلى الأمام .

و الفرق بين الدين و أنصاره دقيق جداً حتى إننا لا نشغل أنفسنا بالتحقيق لنصل إلى تحميل أيهما المسؤولية الحقيقية ، و لكننا نميل - دائماً - إلى اقترانهما ببعضهما . . و لو أجريت دراسة نقدية موضوعية لتبين أن الاسلام من حيث هو عقيدة إلهية لم يكن مسؤولا عن هذه الحال المؤسفة ، لأنه ليس فى الاسلام ما يمنعه عن تلبية حاجات العالم العملية وحل مشاكله .

أنه لضعف عام فينا . . أن نلقى باللوم على الآخرين ، فعند ما يتعــذر على المسلمين حل مشاكلهم على ضوء القرآن و يعجزون عن إيجاد تآلف بين أحكام الشريعة النابعة من العقيدة الخالدة و بين حقائق العالم المتغيرة ينتقدون القرآن و لا ينقدون أنفسهم ، و يقدمون للنقاد انطباعاً بأن القرآن ناقص لأنه لا يقدم تبريراً لكل نزواتهم و رغباتهم و حاجاتهم ! ! . . . و كما قال إقبال :

« إن اعتقاد هؤلاء العبيــد أن القرآن ناقص لأنه لا يعلم المسلمين طرق العبودية ! . »

و يمضى بعضهم إلى أبعد من ذلك إذ يحاولون إخضاع القرآن لنزواتهم و أهوائهم و مطامحهم فيقدمون تفاسير له تتضمن تبريراً لأعمالهم وأفكارهم المنحرفة الضالة ، و بدلا من أن يصبغوا أنفسهم فى قالب القرآن يحاولون صب القرآن فى قالب أفكارهم و أعمالهم تلك ! .

و لقد ألقى مولانا أبو الكلام آزاد الضوء على هذا الضعف بأسلوبه الفذ فى تفسيره للقرآن حين كتب قائلا :

« و عند ما شعروا أنهم لا يستطيعون أن يتمشوا و القرآن فى علوه العظيم حاولوا أن ينزلوه من عليائه ليتمشى و مستواهم المنحط » .

ندرة ذوى المواهب :

إن فترات الركود فى عالم العقيدة ، أو فترات الفوضى و التعقيد ، والصراع الداخلى بين أتباعها : هى فترات يندر فيها الرجال ذوو الكفاءة و المقدرة ، الذين يستطيعون قبول تحدى العصر و يعملون هداة أقوياء دعاة للدين .

وفى تاريخ الاسلام نرى أنه كلما لقيت العقيدة تمثيلا فعالا حقيقياً كان المجتمع الاسلامى والشريعة الاسلامية ـ أبداً ـ فى منأى عن أزمة الثقة . . وخلال تاريخ

ل و المتأرجح بين القوة و الضعف نجد رجالا بارزين ارتفعوا فوق
، و وضعوا نهـاية لمصدر الأذى فى دهرهم ، و أوجدوا حلولا
ة و أدوا - بنجاح - مسئولية القيام بما تمليه العقيدة و الدفاع عنها
ا .

لد الامام أبو حنيفة و الامام مالك و الامام الشافعى و الامام أحمد
عصر كان الاسلام و العالم بحاجة إليهم ، و لقد حلوا المشاكل التى
لتوسع بلاد الاسلام ، فقدموا التشريع الاسـلامى بشكل واضح
ظهر فيما بعد قادة للفكر و العمل ، كالامام أبى موسى الأشعرى
زالى ، الذين صارعوا التحديات التى واجهوها فى زمانهم و أوجـدوا
ة لها .

ا هى معقدة :

لقضية بسيطة جداً و لكن بامكانها أن تصبح أكثر تعقيداً حين تفحص
لنظر الفلسفية و التعليل المنطقى . . إنهـا سهلة كما هى معقدة ، و بسيطة
بة . إنها سهلة و بسيطة إذا ما أدركت أولا حقيقة أن الزمن لا يتغير
ى لا تستطيع معها مدرسة فكرية و لا نظام أخلاقى مجاراته . و يجب
ل إلى فهم أهمية الزمن و وضعه فى المكان المناسب ، و فى نفس الوقت
م ، وأن تتولى دراسته دراسة عميقة ، و نرى أى هدى خالد هذا الذى
القرآن ، و كيف أن الاسلام يقدر ميزة التغير فى الحياة ، و يدعو إلى
التأمل .

ان نتفحص كيف أن الرعيل الأول من المسلمين ، الذين كان عليهم مواجهة
تقاليد وحضارات جديدة ولأول مرة ، استطاعوا إنجاز مهمتهم بنجاح . .

إن التمشى مع العصر الحديث جنبا إلى جنب شئ لا يدعو إلى الافتخار فيما يخص الاسلام ، إذ أنه يستطيع فعلا أن يكون رائد العصر الحديث و يرشده إلى الطريق السوى .

إنطواء على الانتحار :

أية هوة من الدمار مقبل عليها العصر الحديث ؟ كيف ينطوى على الانتحار و يدفع بالبشرية إلى الهلاك ؟ إنه يقدم الكثير من الدلائل و الشواهد التى تشير إلى عدم نفع الجنس البشرى فى مملكة الله وتبين أن الانسان لا يمتلك حق العيش فى هذه المملكة ! .

ما القوى المدمرة التى تعمل عملها فيها ؟ من خلال المبادىء الثابتة فى القرآن ، سواء الاجتماعية منها أو الأخلاقية والتى تتعلق بالوجود الفردى والجماعى لا يستطيع الاسلام أن يفى بمتطلبات العصر الحاضر لحسب ، بل إنه يستطيع - أيضاً - أن ينقذ المدنية الحديثة من الدمار و الفناء . أن القضية لم تعد مسألة مجاراة العصر الحديث ، و لكنها قضية إنقاذ البشرية

ما هو مصير أولئك الذين يحلفون بالعصر الحديث ، و يكيلون له المديح . يعقدون المؤتمرات باسمه و إلى أين سينتهون ؟ ؟ هل سيسمع لهم صوت فى عالم يعبد فيه البطن و الشهوات الجسدية ؟ ؟ فى وقتنا الحاضر هناك فى العالم و فى بلدنا قوتان يسلم بهما وهما : القوة و الثروة . و هنا يجدر بنا أن نتساءل : أيمكننا أن نفكر تفكيراً جدياً فى أى شئ ضمن محيط كهذا ؟ و هل سيكون الناس فى وضع يسمح لهم بالاصغاء لنداء العقل ؟ ؟ ثمــة شعار واحد سيلقى الآذان الصاغية له فى هذه الحال : أصنع التبن حينما تكون الشمس ساطعة (١) ، و لن يكون

(١) يراد بهذا المثل : استغلال كل فرصة مواتية فى سبيل المنفعة .

، و القيم الأخلاقية و المثل الروحية أى معنى و يصبح الحديث عن إنقاذ
مجرد هراء لا يعيره أحد أدنى اهتمام .
ن قضية إنقاذ العالم الحديث أصبحت الآن أكثر أهمية من قضية إنقاذ
. . فعليكم واجب الاهتمام بالعصر الحاضر الذى سكر حتى أنه صار غير
لأن يستمع إلى أى شئ متزن وجاد ، ولا تقلقوا على الاسلام فانه يراقب
ر و يقرر كل متطلباته العادلة و الخيرة و المشروعة . وما من نظام أعدل
ف من الاسلام ، فلقد اهتم بكل صرخة ألم اهتماماً شديداً ، و هو يناشد
و يحضه دائماً على البقاء نشيطاً و فعالا . . أن الجامعة الاسلامية و المدارس
هى اليوم فى عطلة و ربما كانت فى عطلة يوم أحد أو يوم جمعة ، و لكن
تضحية من أى فرد العقل البشرى لا يعرف العطل ، ولقد أكد الاسلام
جال العلم أن يكونوا أكثر تضحية من أى فرد آخر ، وأن يكونوا مستعدين
ا فى مستوى حياة قاسية و صارمة .

. فهم :

إن سوء التفسير يتسبب فى كثير من حالات سوء التفاهم ، فلقد نصحنا الامام
بمخاطبة الناس على قدر عقولهم . . و أن نقدم الحقائق المبهمة بطريقة تمكن
من قبولها ، و ليست القضية متعلقة باللغة وحدها ، بل هى قضية طريقة
كير وصيغة التعبير .

ثم يضيف الامام على قائلا : أتريدون أن تدحض أحكام (أوامر) الله
سوله ؟ و أن يفند الله و رسوله لا لأن دينه بمبادئه متناقض مع حقائق
، و إنما لأنها لا تقدم بأسلوب صحيح جذاب و سهل الادراك .

إن الاسلام يطلب مكانه الخاص به فى العالم المتغير ويصر على هذه المطالبة

إذا كان (العالم) ينشد الرحمة . ومن جهة أخرى يمكن للعالم أن يتقدم فى الوجهة الصحيحة تحت قيادة الاسلام .

الدين و التمدن :

إن اهتماماتنا فى هذه المرحلة تتوجه نحو التمدن . إنها فكرة غريبة ، و كثيرون هم الذين يتصورون أن الاسلام اسم لمدنية اندثرت وبادت ! ! والكتاب مولعون بالتنويه إليها كتراث للاسلام . . و إن الاسلام له مدنية ولكنه لا يمثل حضارة قديمة .

نعلم أن حضارة عمرها خمسمائة أو ألف من السنين ليس لها تأثير فعال فى عالم متغير ، لكن الدين ليس اسما فقط لبعض القيم الأخلاقية . أو لنظام اجتماعى و ثقافى أو لمدرسة فى فن العمارة . . أنها قضية حقائق تقع خارج نطاق الخبرة البشرية و قضية أركان الايمان و المبادىء الجوهرية كعقيدة ، و الصلة بين الرب و عباده و نواميس الوجود السرمدية .

إذا كان مجال الاسلام بهذا الشكل فمن السخف أن يتساءل المرء ما سيحدث للاسلام فيما لو تبدلت المعايير ، و هل بمقدوره أن يتناسب معها ؟ فالمفكرون الغربيون يثيرون قضايا باطلة و يعززون خلافات جدلية مضللة ، و مهما تغيرت الحياة فسيبقى هناك مكان للحقائق الخارجة عن نطاق الخبرة البشرية ، و الوجود بكامله يجب أن يخضع لمراقبة الايمان . . وإلا سقطنا فريسة لنفس الشر السائد فى المجتمعات الغربية .

بعض مقومات الحضارة و نظم الحكم الاسلامية في عهد الرسول ﷺ

— ١ —

للدكتور / عبد الشافى غنيم عبد القادر
جامعة قطر

الحضارة الانسانية باستمرارية تطورها وتشعب دروبهـا وفروعها لا يمكن ن يتحقق لهـا ذلك النمو فى مختلف الميـادين إلا على اكتاف الانسان ، ذلك لمخلوق الذى ميزه الله سبحـانه وتعـالى على سائر مخلوقاته فى قوله تعـالى « ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبـات و فضلناهم علـى كثير من خلقنا تفضيلا (١) وقوله فى سورة أخرى (٢) يا أيهـا الانسان ما غرك بربك الكريم الذى خلقك فسواك فعدلك فى أى صورة ماشاء ركبك » والأمر الذى لا شك فيه أن اختلاف التطور الحضارى فى أمة من غيرها إنما يرتكز أول ما يرتكز على مقدار ما يبلغه هذا الانسان من تقدم علمى وتطور منهجى واستيعاب لمختلف العلوم والآداب والفنون وفهم سليم لامكانية استخدام هذه العلوم فى عملية التطوير الحضارى ، و لذلك لا نعجب إذا رأينا القرآن الكريم ، يركز تركيزا شامـلا ومعجزاً على تربية الانسان المسلم وإعداده ليحمل الرسالة الاسلامية ، ويصل بها إلى أرقى ما وصلت إليه الحضارة الانسانية فى مختلف أرجاء الأرض شاملة بين طياتها كل الجوانب التنظيمية و السياسيـة و الاجتماعيـة و الاقتصادية و الفكرية ، فى غير تعصب أو استعلاء مستفيدة من كل ماسبقها أو عاصرها من حضارات ، هاضمة لها كل المهضم ، حتى أصبحت فى وقت من الأوقات ، المعين الذى تستقى منـه

(١) سورة الاسراء الآية رقم ٧٠   (٢) سورة الانفطار الآية رقم ٨

الحضارات و المدنيات ، و فى مقدمتها الأوربية الوسيطة و الحديثة ، و المنهل الذى تغترف من مختلف روافده العلوم التطبيقية والآداب و الفلسفة و الاجتماع و التاريخ و الجغرافيا و غيرها من المواد الانسانية التى شكلت أصول الحضارة المعاصرة .

لقد أنزل الله سبحانه وتعالى ، القرآن الكريم على رسول الله ﷺ ، موزعاً على مائة و أربع عشرة سورة ، تضم ثلاثين جزءاً ، ومائتين وأربعين ربعاً ، و بضعا وستة آلاف آية كريمة ، وثلاث مأة و أربعين ألف و سبعمائة و أربعين حرفاً (١) . نزل بمكة منها سبع و ثمانون سورة ، و نزل بالمدينة سبع وعشرون سورة ، و قد قام رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل وفاته بتبويبها و ترتيبها و توزيعها ، كما أمره الله سبحانه وتعالى ، على لسان جبريل عليه السلام ، و لقد حاول بعض المستشرقين المتعصبين إضفاء بعض مظاهر الشك حول هذه الحقيقة التاريخية ، مستهدفين فى ذلك بذر بذور التشكيك فى صحته ، كما حدث لبعض الكتب السماوية الأخرى ، مستغلين فى ذلك اختلاف بعض السلف الأولين قبل تدوين المصحف الامام (٢) ممن آثر أن يقدم المكى على المدنى وقد رد على ذلك كله أبو بكر الأنبارى فى كتاب الرد بقوله « إن الله سبحانه وتعالى أنزل القرآن جملة إلى سماء الدنيا ، ثم فرق على النبى ﷺ فى عشرين سنة ، و كانت السورة تنزل فى أمر يحدث ، و الآية جواباً لمستخبر يسأل ، ويوقف جبريل رسول الله ﷺ على موضع السورة و الآية ، فاتساق السور كاتساق الآيات والحروف ، و كله من محمد خاتم النبيين عليه الصلاة و السلام عن رب العالمين ، فمن أخر سورة مقدمة أو قدم أخرى

(١) يمكن الرجوع إلى الروايات الواردة فى ذلك فى القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، الجزء الأول ص ٦٥ .

(٢) مصحف عثمان

زخرة ، فهو كمن أفسد نظم الآيات ، وغير الحروف و الكلمات ، وكان رسول له ﷺ يقول « ضعوا هذه السورة موضع كذا وكذا من القرآن و كان جبريل عليه السلام يوقفه على مكان الآيات (١) .

و لعل حرص رسول الله ﷺ ، فى الا يحدث للقرآن الكريم ما حدث لبعض الكتب السماوية الأخرى ، من تغيير و تبديل ، أمره لصحابته و كتاب الوحى ألا يدونوا غير القرآن ، حتى ما كان من أحاديثه ﷺ ، مصداقاً لقوله تعالى « إنا نحن نزلنا الذكر و إنا له لحافظون » (٢) و ذلك هو السر فى بقاء القرآن الكريم إلى يومنا هذا ، و إلى أن يرث الله الأرض و من عليها ، بينما رأينا فى الأحاديث النبوية الشريفة ، كثيراً من الادخال و التحريف و لقد أخطأ بعض العلماء والمستشرقين ، ممن تصوروا أن الحضارة الاسلامية لم تظهر مقوماتها الحقيقة إلا بعد الهجرة ناسين أو متناسين أن الدور المكى فى حياته ﷺ قد بذرت فيه البذور الأساسية و الأصالية للحضارة الاسلامية و لذلك لا نعجب إذا رأينا سبعاً وثمانين سورة من سور القرآن الكريم قد نزلت عليه ﷺ بمكة وبها عشرات الآيات الكريمة التى تتجه إلى تكوين الانسان المسلم خلقاً و علماً و سلوكاً بهدف التمهيد المنطقى و المنهجى لقيام الحضارة الانسانية و هو ما تفتقده كثير من روافد الحضارة الانسانية المعاصرة ، التى تحاول الآن الحد من خطورة النقص الدينى و التربوى والخلقى للانسان الغربى الذى يوشك أن يدمر بيديه كل ما نريد أن تتجه إليه الحضارة المعاصرة لصالح الوجود البشرى .

إن هذه الثمانين و السبع سورة المكية تحتاج إلى دراسات متعمقة ومتأنية

(١) القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ج ١ ص ٦
(٢) سورة الحجر آية رقم ٩

لأنها تحوى إلى جانب ما تحويه من قدرة الله على الخلق المطلق ، و فلسفة وجود الانسان على هذه الأرض ، و الجوانب العديدة للحياة البشرية فى هذه الدنيا ، و الآفاق اللامحدودة للحياه الآخرة ، بما فيها من ثواب وعقاب ، و جنة و نار ، تضع أيضاً التوجيهات الالهية للانسان فى كيفية حياته على ظهر الأرض ، فى إطار من الانسانية العامة المتمثلة فى قوله تعالى « يا أيها الناس إنا خلقناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا » و المعرفة الاجتماعية التى يريدها الخالق سبحانه وتعالى ، تتجه إلى التعاون و التكافل بين الناس لخير الناس أجمعين فى ظل المعرفـــة العلمية ، و المشاركة الوجدانية ، و العاطفة الاجتماعية ، و من أجل هذا جاءت ماثلة بالمقومات الاساسية للحضارة الاسلامية ، على اعتبار أن الاسلام خاتم الرسالات السماوية ، التى يجب أن يعترف بها الناس جميعاً ، على ظهر الحياة فى غير انكار لما سبقها من ديانات كتابية و سماوية .

تنتقل من هذا التعميم إلى شئ من التخصيص ، يتناول فلسفة بعض الآيات الكريمة ، التى نزلت على رسول الله ﷺ ، فى فترة الدور المكى ، من حياته لتكوين المسلم الحضارى المحصن تحصيناً خلقياً و سلوكياً وروحياً و علمياً واجتماعياً و فكرياً للابتكار و الابداع فى صنع الله سبحانه و تعالى و التمهيد لحضارة إسلامية شامخة تتناول مختلف جوانب الحياة .

أولا ـ الوحدانية و التكوين الحضارى للشخصية المسلمة :

الوحدانية ركن أساسى من أركان الاسلام الخمسة ، المعروفة ، وهى ليست مقصودة لذاتها للاعلاء من قدرة الله و عظمته ، لأنه سبحانه و تعالى غنى عن كل هذا ، إنما تستهدف الآيات التى نزلت بشأنها ، إلى إعلاء قدر الانسان نفسه ، حتى يثق بنفسه ، و يتأكد من أنه خير مخلوقات الله على الاطلاق ، فالسجود للأصنام

وثان أو الأزلام فيه انقاص من عزة الانسان ، و إهدار لكرامته ، و كيف
ع مفقود العزة و الكرامة ، أن يسعى لتأصيل أى معنى من المعانى الحضارية
فسه ، و لذلك كان نزول عشرات الآيات التى تفرد الله سبحانه و تعـــالى
حدانية ، بالاضافة إلى غيرها من الآيات الكريمة ، التى تعترف بفضل الانسان
سائر مخلوقاته ، أول ركن من أركان ايجاد الشخصية الحضارية للانسان المسلم ،

أنظر إلى قوله تعالى فى سورة الاخلاص « قل هو الله أحد ، الله الصمد ،
لد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد » (١) ، و قوله تعالى فى سورة النجم
الأصنام و الأوثان « إن هى إلا أسماء سميتموها أنتم و آباؤكم ما أنزل الله بها
سلطان » (٢). وقوله تعالى « ولا تجعلوا مع الله إلهاً آخر » (٣) ، وقوله
ى « قل أغير الله أتخذ ولياً فاطر السموات و الأرض » (٤) ، و قوله تعالى
قل إنى نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله » (٥) ، وقوله تعالى « إنى
جهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين » (٦).

هذا قليل من كثير من آيات الله البينات التى تفرد عظمته بالوحدانية حفاظاً
ى كرامة الانسان و رفعاً لجبهته أن تسجد لما هو أقل منه وجوداً من مخلوقات
، العديدة .

إذا انتقلنا بعد ذلك إلى الآيات الكريمة التى يكرم الله فيها البشر تكريماً تعتز
الانسانية ، قوله تعالى « ولقد كرمنا بنى آدم و حملناهم فى البر والبحر و رزقناهم
ن الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » (٧) ، و قوله تعالى فى سورة

---

١) آية من ١ - ٥ (٢) آية ٢٣
٣) الذاريات آية : ٥١ (٤) الأنعام : ١٤
٥) الأنعام : ٥٦ (٦) الأنعام : ٧٩ (٧) الاسراء ٧٠

فر « وصوركم فأحسن صوركم » (١) ، وقوله تعالى « يا أيها الانسان ما غرك بك الكريم الذى خلقك فسواك فعدلك، فى أى صورة ما شاء ركبك » (٢) ،

و هكذا نرى رسول الله ﷺ فى فترة الدور المكى ، يحرص أول ما يحرص ، تكوين الكرامة الذاتية للانسان ، ليس بمجرد القضـــاء على كل ايهدر كرامته آدميته ، من عبادته و سجوده لمصنوعات أو مخلوقات اعترف القرآن الكريم بأنها فى منزلة و مقاماً من الانسان ، و إنما بتكريم و تقدير مباشر من الله سبحانه تعالى للشخصية الانسانية وتفضيلها على سائر المخلوقات .

و ليس من شك فى أن كل نظريات التربية الحديثة ابتداء من الطفولة إلى الشيخوخة تتجـــه إلى تحقيق هذه المعانى فى الفرد ، كمرحلة من مراحل التكوين الحضارى للانسان ، و لا يمكن أن يطلب إنسان الحرية لنفسه و لغيره إلا إذا كان و فى أعماق نفسه مؤمناً بكيانه واثقاً من شخصيته ، و ما الثورات السياسية المختلفة ، تاريخ الانسانية إلا انطلاقاً من هذا الواقع الذى يرفض فيه الانسان السيطرة . الجبروت و الطغيان حتى و لو كانت من إنسان مثله ملكاً كان أو اميرا طوراً وحاكماً . .

لقد استطاع محمد ﷺ من مدرسته الأولى فى دار الأرقم بن أبى الأرقم ، أن يكون رجالاً من نوع جديد . يفهمون حقيقة وجودهم فى غير أفضلية ولا تمييز إلا للخالق البارىء المصور له الأسماء الحسنى ، و لذلك رأينا العبيد يقولون « لا » فى وجوده أسيادهم لأنهم أصبحوا يشعرون أمام سيادة الخالق و وحدانيته أنهم أحرار نيما يعتنقون ، و من هنا كان تقبلهم لكل ما يلاقون ابتداء من التعذيب و التنكيل والاضطهاد إلى الهجرة فى سبيل الله تاركين بيوتهم و أولادهم و أموالهم .

---

(١) الآية رقم ٦٤ (٢) سورة الانفطار آية رقم ٨

ثانياً ـ الجوانب الخلقية والسلوكية كعامل فى تكوين الشخصية الحضارية المسلمة :

أكثر ما تعانيه الحضارة المعاصرة على الرغم من تطورها وتفوقها و السرعة المذهلة التى تجتازها ، الشعور العام بالشقاء الانسانى ، والاشمئزاز المطلق من الانحرافات الخلقية و السلوكية ، التى كادت تصبح طابع هذه الحضارة . و الخوف من الدمار المستقبلى للانسانية ، بسبب انعدام الضمير ، و فقدان الجوانب السلوكية و الخلقية عند كثير من الشعوب المتعالية ، إلى حد التهام حق الضعيف ، و استغلال قدرات و طاقات و إمكانيات المغلوبين على أمرهم ، كل ذلك نتيجة للطفرة المادية ، التى لم تواكبها أو تسبقها الانضباطات الخلقية و السلوكية ، و هو ما لم نجده عند النبى محمد ﷺ الذى كان يؤمن بأن رسالته لكل أهل الأرض قاطبة ، و أن هذه الرسالة سوف يكون لهـــا تطورها الروحى و الدينى و العقيدى و السياسى و الاجتماعى و الاقتصادى ، أو بمعنى أشمل تطورها الحضارى الاسلامى ، و من هنا كان التركيز فى الدور المكى على هذا الجانب الهام من جوانب الحياة ، مبتدئاً بالفرد فى الأسرة ، فالعلاقة بين البنوة و الأبوة و الأمومة ، فعلاقة الجيرة ، فالعلاقات العامة بين المسلمين و بعضهم فى حياتهم الخاصة والعامة ، ومعاملاتهم إلى غير ذلك من الأمور التى كانت تقتضيها النظرة الشاملة فى هذه الفترة .

أنظر إلى قوله تعـــالى فى سورة إبراهيم «ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت و فرعها فى السماء (١) و قوله تعالى « إنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون » (٢) وقوله تعالى لنبيه « أدع إلى سبيل ربك بالحكمة و الموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن » (٣)

(١) الآية رقم ٢٤ (٢) سورة النحل آية رقم ١٠٥

(٣) نفس السورة رقم ١٢٥

و قوله تعالى « ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلا » (١)
« ولا تمش فى الأرض مرحاً إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال
و قوله تعالى « وقل لعبادى يقولوا التى هى أحسن » (٣) و قوله تعـ
بالتى هى أحسن السيئة » (٤)

كما يصف الله سبحانه وتعالى المؤمنين المسلمين بأربع صفات فى سورة
الذين هم فى صلاتهم خاشعون الذين هم عن اللغو
الذين هم للزكاة فاعلون الذين هم لفروجهم

و يقول الله سبحانه و تعالى فى سورة القصص « و إذا سمعوا اللغ
عنه » (٥) وحين ينصح لقمان ابنه يقول له « يا بنى أقم الصلاة و أمر
وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك ، إن ذلك من عزم الأمور، ولا
للناس ولا تمش فى الأرض مرحاً ، إن الله لا يحب كل مختال فخور واقصد
واغضض من صوتك ، إن أنكر الأصوات لصوت الحمير » (٦) « و
« و لا تستوى الحسنة و لا السيئه ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بـ
عداوة كأنه ولى حميم (٧) و قوله تعالى « من عمل صالحاً فلنفسه و
فعليها (٨) و قوله تعالى لرسوله « و إنك لعلى خلق عظيم » (٩) « و
لا تطع كل حلاف مهين ، هماز مشاء بنميم » ، مناع للخير معتد أثيم
ذلك زنيم (١٠) .

تلك هى بعض الآيات التى نزلت على رسول الله فى الدور المـ
تقويم الجوانب الخلقية للانسان المسلم ، و لم تكن هذه التوجيهات الخلـ

(١) الاسراء رقم ٣٢ (٢) الاسراء رقم ٣٧ (٣) الاسراء ر
(٤) المؤمنون ٩٦ (٥) آية رقم ٥٥ (٦) سورة لقمان ١٧ -
(٧) فصلت آية ٣٤ (٨) فصلت ٤٦
(٩) سورة القلم ٤ (١٠) سورة القلم ٨ - ١٤

وجه منها إلى رسول الله ﷺ ـ عديمة المغزى فى هذه الفترة الهامة من فجر الدعوة و إن الذى يتمعن تماماً فى هذه الوصايا الخلقية ، يمكن أن يكون لنفسه خلفيــــة حضارية واضحة قد تفسر له كثيراً من النواحى المختلفة فى تاريخ المسلمين بوجه عام و الحضارة الاسلامية بوجه خاص .

إذا انتقلنا من هذه التوجيهات الموجهة إلى الفرد و هو الذى يشكل الخليـة الأولى فى أى مجتمع ، إلى علاقات البنوة بالأبوة والأمومة ، وما يجب أن يكون عليـــه الأمر بين الولد و والديه ، ليس فقط لمجرد رد الجميل أو الوفاء بالوالدين وإنما يهدف تدعيم كيان الأسرة المسلمة ، فى أول مرحلة من مراحل قيامها ، لأن الذى يعق و الديه يمكن بعـــد ذلك فى سهولة و يسر أن يكون العقوق صفة من صفاته ، سواء بالنسبة لمجتمعه ، أو لوطنه ، و من هنا كانت الآيات المكية فى هذه الفتره مليئة بتوضيح هذا الجانب الهام من جوانب الحياة الحضرية .

أنظر إلى قوله تعالى : و وصينا الانسان بوالديه إحساناً ، حملتـه أمه كرهـا و وضعته كرها ، وحمله وفصاله ثلاثون شهراً ، حتى إذابلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى و أن أعمل صالحاً ترضاه (١) و قوله فى سورة العنكبوت « ووصينا الانسان بوالديه حسناً » وقوله تعالى فى سورة الأنعام : « و بالوالدين إحساناً » و قوله تعالى فى سورة الاسراء « و قضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه و بالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما و قل لهما قولا كريماً ، واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا » (٢) ثم تخرج توجيهات الرسول فى الفترة المكيــــة من الحيز الضيق إلى المحيط الأوسع ،

(١) الأحقاف (١٥) (٢) آية رقم ٢٤

و يتلقى من ربه الكريم ما يوجه به أصحابه إلى الأفق الأرحب فيما يجب أن تكون عليها العلاقات فى المجتمع الاسلامى الحضارى الجديد ، ناسخاً بذلك كثيراً من القي و العادات الجاهلية المرذولة ، التى كانت تمارس فى إطار الطبقية الظالمة ، وفى ذلك يقول العلى الأكرم فى سورة الأنعام « و لا تقربوا الفواحش ما ظهر منها و ما بطن ، و لا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق » (١) و قوله تعالى فى نفس السورة « ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده » (٢) وقول تعالى فى سورة الأعراف « إنما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والا و البغى بغير الحق (٣) و يخاطب الله سبحانه و تعالى بنى إسرائيل فى سور الأعراف « و إذ أنجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يقتلون أبناء و يستحيون نساءكم » (٤) و قوله فى سورة النحل « وأوفوا بعهد الله إذا عاهدة و لا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها » (٥) و قوله تعالى فى مكان آخر من نفس السورة « من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة » (٦) ثم يهدد الله سبحانه و تعالى الأغنياء من السادة و المترفين الذين يتجبرون فى البلا و العباد بقوله « و إذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليه القول فدمرناها تدميرا (٧) و قوله تعالى فى سورة فاطر « و ما يستوى الأعمى و البصير ولا الظلمات ولا النور ، ولا الظل ولا الحرور ، وما يستوى الأحيا ولا الأموات » (٨) وقوله فى سورة غافر « من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها ومن عمل صالحاً من ذكر أو أنثى و هو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيه بغير حساب » (٩) وقوله فى سورة الهمزة « ويل لكل همزة لمزة الذى جمع مالا وعدده يحسب أن ماله أخلده » (١٠)

يتبع

(١) آية رقم ١٥٢ (٢) رقم ١٥٣ (٣) الأعراف ٣٣ (٤) آية ١٤١
(٥) آية رقم ٩١ (٦) آية ٩٧ (٧) سورة الاسراء آية رقم ١٦
(٨) من ١٩ - ٢٢ (٩) من آية رقم ٤٠ (١٠) الآية من ١ - ٣

البعث الاسلامى وتحررنا من نير العبودية

الكاتبة الأمريكية المسلمة مريم جميلة

الحلقة الرابعة — تعريب : واضح رشيد الندوى

تجرى فى أفغانستان مقاومة شـــديدة للنظام الشيوعى القائم ، الذى يضطهد الشعب الأفغانى المسلم ، فقد حمل المجاهدون لواء الجهاد للاطاحة بالنظام الاستبدادى الغاشم مقاومين الاجراءات التعسفية الالحادية التى حاول نور محمد تركى عميل الاتحاد السوفياتى أن يفرضها على البلاد ، و تبعه فيه خلفه فى الحكم ، تمكن المجاهدون من تحرير عدة مناطق فى أفغانستان وهم عازمون على مواصلة الكفاح وبذل كل ما فى وسعهم من نفيس وغال ، و الفداء فى سبيل شرفهم حتى النصر النهـــائى ، و إنهم مستعدون للموت فى سبيل الاسلام إذا شاء الله ذلك و قدره لهم .

يحاول الجيش الأحمر فرض سيادته الكاملة على البلاد ، كما فرض فى تشيكو سلوا كيا و المجر و لكن الأفغان تأبى ضمائرهم الحرة إلا الحرية فيحتاجون إلى كل معونة و نجدة لتدعيم مجهوداتهم ، و تعضيد نضالهم ،

يتحتم علينا فى سبيل تحرير أنفسنـا من نير العبودية و الاستعمار الأجنبى ، أن نجدد ذكريات البطولة للجاهدين البواسل الذين يزخر بهم تاريخنا ، و أن نعيد إلى أذهان أجيالنا الصاعدة قصص جهادهم لنغرس فى قلوب النشء خصال الرجولة و الاباء و الانتماء إلى هؤلاء الأعلام و الأبطال ، و خاصة أولئك الذين كافحوا الاستعمار الأوربى ، كالامام شامل الذى صمد فى وجه القوى الطاغية للاتحـــاد السوفياتى ، و الامام أحمد بن عرفان الشهيد و السلطان تيبو اللذين قاوما الاستعمار البريطانى فى الهند ، و المسلمين المجـــاهدين من قبيلة مورو فى الفلبين الذين قاموا بنضال استمر قروناً ضد الاستعمار الأمريكى و الأسبانى ، و زعمـــاء الحركة

السنوسية ضد الاستعمار الايطالي فى ليبيا ، و الزعيم عبد القادر (١٨٨٣-١٨٠٨) فى الجزائر و الزعيم عبد الكريم (م١٩٦٣م) زعيم البربر لقبائل جبال الريف فى مراكش ، فى نضاله ضد الاستعمار الفرنسى ، إن الوضع يحتم علينا إحياء ذكرياتهم البطولية بسرد حكايات بطولاتهم و تسجيلها فى الكتب الدرسية التى يدرسها أطفالنا و شبابنا ، ولا يخدعنا فى ذلك الواقع المرير أن مصير نضالهم وجهادهم كان الفشل والهزيمة فى وجه القوى المتقدمة ، فلنتذكر فى هذا الصدد أنهم قاموا بمجهودهم وبذلوا تضحياتهم فى سبيل الحق كمسلمين مؤمنين ، واثقين بوعد الله ونصرته ، إبتغاء الأجر فى الآخرة و لم يكن جهادهم و تضحياتهم لنيل نفع عاجل ، لجاهدوا فى سبيل الله ، لنيل رضا الله ، و النجاة و الفلاح فى الحياة الآخرة .

يواجه إخواننا المسلمون فى سائر أنحاء العالم نوعاً جديداً من الدين ، و هو القومية ، فيركز الأعداء جهودهم على إحداث وتنمية حب الوطن ، وعبادة الوطن و تقديس زعمائه ، فصارت ، بجراء هذا الاتجاه ، الأعياد القومية ، كعيد الثورة ، و عيد الجمهورية ، و العيد الوطنى ، مناسبات ذات أهمية تزيد على أهمية الأعياد الاسلامية ، و يرغم الشباب فى هذه المناسبات على تحية العلم الوطنى ، و الركوع أمامه وتلاوة النشيد القومى ، وحلت هذه المراسيم محل الواجبات الدينية ونال الشعار الوطنى قدسية بحيث إنه لا يوضع على الأعلام القومية فحسب بل ينصب على المبانى الرسمية ، حتى المساجد التى تبنيها الحكومة ، لكى يخنع أمامه المسلمون و يطأطؤا رؤوسهم طوعاً وكرهاً ، وقد اتخذت الدول الاسلامية قوانين كقوانين الجنسية ، و الجوازات و التأشيرات ، و تنظيم التنقل من بلاد إلى بلاد ، و عبور الحدود القومية ، و فرض رسوم جمركية عالية ، وقيود المرور ، والتجارة ، والاقتصاد ، و أصبحت مسئوليات لا تستغنى عنها أى دولة قومية حديثة ، و هى ذات طبيعة

أجنبية غريبة بالنسبة للفكر الاسلامى ، و لا يتصور أحد النظر فى هذه القوانين ، أو تعديلها . وعلى العكس تعتبر مخالفتها أو التقصير فى احترامها جريمة يستحق من يرتكبها معاقبة شديدة و تعذيباً بدون محاكمة مكشوفة .

إن نجاح الثورة الاسلامية يتطلب القضاء على تصور القومية كلياً ، وعلى هذا الأساس يمكن الوحدة بين باكستان و إيران ، ثم ضم أفغانستان إليها بعد أن يحقق المجاهدون النصر فى نضالهم ، و لا ينتهى هذا المجهود بهذه الوحدة الأقليمية المحدودة و إنما يتعدى إلى الوحدة الاسلامية العامة ، وهى إحياء الخلافة الاسلامية ، و حالما يتم إنشاء خلافة إسلامية ، يصبح المسلمون فى القرن الهجرى الجديد قوة سياسية و روحية كبرى فى الشئون العالمية ، أعلن مصطفى كمال إنهاء الخلافة العثمانية ، وأخفقت حركة الخلافة التى تزعمها الزعيم الهندى المسلم محمد على جوهر و شوكة على و لم يجرؤ أحد من الزعماء المسلمين منذ ذالك الوقت أن يتقدم بفكرة الخلافة الاسلامية ، فظلت هذه الفكرة مهجورة طيلة هذه الفترة و لكن الوقت قد حان لاحيائها من جديد ، ولانشاء الخلافة قبل أن يتحول أى دولة إلى دولة إسلامية فى حقيقة الأمر ، لقد كانت مسألة الخلافة ، إثر سقوط بغداد عاصمة الخلافة الاسلامية بأيدى التتر فى عام ١٢٥٨م تظهر فكرة بعيدة المنال للسلمين فى ذلك الزمان ، كما تبدو بعيدة المنال اليوم ، و لكن الله تعالى قدر أن تنشأ الخلافة من جديد بجهود الأتراك العثمانيين ، فقامت دولة إسلامية تجمع حوالى إحدى عشرة دولة تحت لواء واحد فى العالم ، و كان المسلمون و الأتراك بالنسبة للأمريكيين والأوربيين إلى أن تم انتهاء الخلافة بأيدى مصطفى كمال ، اسمين مترادفين ومتبادلين .

اقترح أحد كبار علماء مصر فى ١٩٢٦ عقد مؤتمر إسلامى فى القاهرة للنظر فى مسألة تعيين خليفة بعد أن تم القضاء على الامبراطورية العثمانية ، و لكن الحكومة المصرية التى كانت تخضع للامبرياليين البريطانيين و رجال السياسة المثقفين

بالثقافة الغربية عارضوا هذه الفكرة للاسباب الآتية :

إن الاقتراح يعطى انطباعاً بأن النية تتجه إلى نقل مقر الخلافة من تركيا إلى مصر ، و حيث إن تركيا كانت و لا تزال موضع شك وريبة و مخاوف بالنسبة للدول الأوربية و تعتبرها الدول الأوربية مركزاً للحركة الاسلامية التى تتعارض مع مصلحة الأمن لممتلكات أوربا الاستعمارية ، الأمر الذى يعطى مبرراً للدول الأوربية أن تعادى تركيا و تحاربها ، و هو الوضع الذى لا تستطيع مصر التى لا تزال حريتها الوطنية فى عهد الطفولة أن تحتمل تحمل أعباء الامبراطورية العثمانية على عاتقها و تتسلم ذلك الدور الخطير الذى كانت تركيا تلعبه ، و فوق ذلك ، إن إنشاء دولة على أساس روحانى و دنيوى معا قد يصبح عقبة فى سبيل التطور السريع للشعب المصرى على خطط الحضارة الحديثة ، و بالتالى إنه يؤدى إلى فوضوية (١)

إن الأسباب التافهة التى قدمتها الحكومة المصرية لرفض فكرة الخلافة فى ١٩٢٦ هى فى الواقع تدعو إلى بذل مجهود جبار لتحقيق ذلك الهدف اليوم .

إن تفوق الغرب فى الطاقة ، و التنظيم ، و التكنولوجيا ، كان بقدر كبير مسئولا عن سيطرة الغرب على سائر أنحاء العالم . و لم يخضع المسلمون بجانب الشعوب غير الأوربية الأخرى فى الأماكن الأخرى فى العالم، سواءاً كانوا متخلفين أو متحضرين ، بسيطرة الغرب لأنهم كانو يعانون من الجمود ، أو الانحطاط وإنما خضعوا لها لأن المادية الغربية كانت داءاً معضلا يقضى على صحة الشعوب فانه دمر الأرض كما يأكل السرطان جسم الانسان إذا انتشر فيه ، فالمادية الأوربية إذاً كالسرطان ، إذا انتشر فى بقعة من الأرض أكل سائر الحضارات والثقافات ، والعقائد .

(1) The Evolution Of Islamic Constitutonal theory And practice (From 6I0 A . D . To I926) Kamal Farouqi National publishing House (Ltd) Karachi 197I) p . 2I4 – 215 .

الدعوة الإسلامية

دور الجامعات في إنشاء الجيل الجديد

(كلمة ألقيت في جامعة قطر في الدوحة)

سماحة الشيخ السيد أبي الحسن على الحسني الندوي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله محمد وآله وصحبه وسلم ومن والاه .

سادتي و إخواني ! إنه شرف لشخص بدأ حياته العلميـــة كمعلم في مدرسة - وأطلق كلمة المدرسة وهي تعم جميع المراحل و المراكز التعليمية - وتعلم في جامعة فله أن يتشرف بحديث في حرم جامعي ، ولو كان موقفي هذا في دست من الامارة أو في مجلس وقور يضم كبار الأعيان الوجهاء ، لما كان أحب إلى من موقفي هذا ، فاذا تحدثت إليكم أيها الاخوان فانى أتحدث إلى زملائي ، إلى العاملين في مجـــال التعليم و التربية بصرف النظر عن البيئات و الأزمان .

أيها الاخوة ، أيها الزملاء الكرام ! إن الجامعة هي المرحلة النهائية للتربيـــة النظامية الرتيبة ، و إن كان هنالك مراحل أخرى تلي هذه المرحلة النهائية ، فقـد تلقينا من منابع الاسلام الصافية أن طالب العلم إنما يستمر من المهد إلى اللحد ، و لكن الجامعة لها مكانها المرموق ، و لها تأثيرها العميق الواسع في إنشاء الجيل الجديد ، وفي صياغة الجيل الجديد . فاذا صلحت الجامعة فقد صلح البلد ، وصلحت الأمة ، و صلح الجيل ، وإذا فسدت - و معذرة - فقد فسدت البلد ، وفسدت الأمة ، و فسد الجيل ، أقول هذا في ضوء ما قاله الرسول ﷺ : « ألا إن في الجسد مضغة لوصلحت ، صلح الجسد كله ، ولو فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب » ، و قد حلت الجامعة محل القلب و العقل تقريباً في نفس الأمة ، و إن للجامعات لها أن تمثل الدور الحاسم المقرر لمصير الشعب .

و لكن هذا يتوقف على فهم رسالة الجامعات و معاذ الله أن أعتبر نفسي هنا فی مقام موجه أو فی مقام معلم ، و المعلم ، هو أعرف الرجال بحقيقته وبنفسه وبمكانته ، فاذا لم يكن عارفاً بمكانته ، وعارفاً بشرف زملائه ، مقدراً لهم ، لم يكن معلماً حقيقياً ، إن تمثيل الجامعات لدورها اللائق يتوقف على فهمهما لمعنى التربية و غرضها ، إنی أعتبر التربية لباساً يفصل على قامة شعب و ملامحه القومية ، وهی عقائدة ، و قيمه و مفاهيمه و مثله العليا ، إن قضية لباس يفصل على قامة رجل ، قضية خطيرة ، فاذا فصل لباس فضفاض سابغ على قامة رجل قزم قصير القامة كان عيباً ، عيباً له و لمفصله و مخططه ، و إذا فصل لباس ضيق على قامة عملاق ، كان هذا الرجل - إذا فرض عليه فرضاً وكسی رغم أنفه - من هذا اللباس فی تعب و عذاب ، لا يشعر براحة و لا بهدوء ، فيمنعه من التنقل بحرية ، وممارسة نشاطه ، و يفقده الثقة بنفسه و كرامته ، فانه ينم عن أنه ليس له ، أنما هو مستعار أو مستورد أو مفروض عليه .

و إذا كان هذا شأن الفرد فان الشعب أحق بأن يفصل لباسه على قامته ، فانه يقوم أمام الشعوب ويمثل دوره أمامها فی مجال الرسالة الانسانية والقضايا العالمية ، إن قضية اللباس للشعب قضية أهم من قضية لباس لفرد ، وأضيف إلى ذلك فأقول إنه ليس من الواجب أن يفصل هذا اللباس على قامة الشعب فحسب ، بل على قيمته كذلك ، فللشعوب قامة ، و للشعوب قيمة ، وقد نعرف القامة و نقدرها ولكننا نجهل أو نتجاهل القيمة ، فان كل أمة لها قامة - ليست لها قدرة على تقويمها ، و فی تحديدها ، و فی تخطيطها و ملامحها - و لكن لهذا الشعب كذلك قيمته ، و هذه القيمة هی أعز و أنفس من القامة ، و يجب أن يفصل اللباس الحضاری لهذه الأمة و اللباس التربوی الثقافی على قامة هذا الشعب و على قيمته ، فيراعى

فى تفصيل هذا اللباس قامة الشعب و قيمة الشعب ، و كل لباس فصل على غير قامة الشعب و على غير قيمته إنما هى إهانة لهذا الشعب ، و إفقاد لشخصيته ، و غارة على مواهبه و نشاطاته و مركزه .

فليست قضية التربية فى نظرى و نظر كبار فن التربية فى العالم المعاصر ، هى أنها مجرد نقل معلومات من مكتبة إلى عقول الشباب ، وشحن الذاكرة بمعلومات مبعثرة ، لا وحدة بينها ، و ليس مجرد محاربة الأمية و الجهالة ، و مجرد تثقيف فقط ، بل التربية فى الحقيقة هى مسئولية دقيقة ، ضخمة ، و أنا هنا أستشهد بثلاث شهادات لكبار زعماء التربية فى العالم المعاصر ، و بذلك تفهمون أن النظرة إلى التربية قد تغيرت من زمن قريب ، يقول الأستاذ الأمريكى الكبير (Dr . J . B - Conant) فى كتابه (التربية و الحرية) — Education And Liberty — « إن عملية التربية ليست عملية تعاط ، و بيع وشراء ، و ليست بضاعة تصدر إلى الخارج أو تستورد إلى الداخل ، إننا فى فترات من التاريخ خسرنا أكثر مما ربحنا باستيراد نظرية التعلم الانجليزية و الاوربية إلى بلاد أميريكية .

تعرفون أن أمريكا وأوربا تجمع بينهما روابط كثيرة ، يجمع بينهما دين واحد ، و هو المسيحية ، و تجمع بينهما لغة واحدة و هى اللغة الانكليزية ، و قد تجمع بين كثير من شعوبهما سلالة واحدة ، و لكن هذا الرجل الفاضل قد بلغ من حساسيته إلى حد يرى فيه أن ما استعير من نظريات أوربا أو انكلترا إلى أمريكا رغم التقاءات كثيرة بينهما ، إنما كانت جناية على الشعب الأمريكى و إفقاد لشخصيته ، و عمليته إجرام و هدم ، فكيف ببلدين لا يلتقيان على دين واحد و لا على عنصر واحد ، و لا على لغة واحدة ، و ثقافة واحدة ، حتى على أهداف واحدة .

و یقول (Sir percy Nein) الذی یحتل الصدارة بین خبراء التعلیم فی بریطانیا فی مقال له کتبه لدائرة المعارف البریطانیة (Encyclopaedia Britnnica).

« لقد سلك الناس مسالك مختلفة فی التعریف بالتربیة، ولکن الفکرة الأساسیة التی تسیطر علیها جمیعاً أن التربیة هی الجهد الذی یقوم به آباء شعب ومربوه لانشاء الأجیال القادمة علی أساس نظرة الحیاة التی یؤمنون بها ، إن وظیفة المدرسة أن تمنح للقوی فرصة التأثیر فی التلمیذ ، تلك القوی التی تتصل بنظرته إلی الحیاة ، و تربی التلمیذ تربیة تمکن من الاحتفاظ بحیاة الشعب و تمدیدها إلی الأمام ، و یقول بروفیسور کلارك : « مهما قیل فی تفسیر التربیة فما لا محیص عنه ، أنها سعی للاحتفاظ بنظریة سبق الایمان بها و علیها تقوم حیاة لآلاته و جهاد فی سبیل تقلیدها و نقلها إلی الأجیال القادمة »

إذاً فمعنی التربیة عندهم ؟ هو إعادة الثقة إلی نفوس الجیل الناشئ الجدید بصلاحیة أمته و رسالته وتراثه ، فکل تربیة تضعف ثقة الجیل الجدید بالعقائد التی آمن بها آباؤه وسلفه ، وتضعف الثقة بتراثه الذی ورثه ، فهذه تربیة تسیئ إلی هذا الجیل أکثر مما تحسن ، إن الحقیقة المؤلمة أیها الاخوان ! الحقیقة التی أقولها أمامکم کجامعی یتحدث إلی زملائه ، إن جامعاتنا الیوم قد أصبحت مصدر قلق و فوضی فکریة ، وکانت فی کثیر من البلاد الشرقیة الاسلامیة و لا أسمیها و لا أعینها ، السبب الرئیسی لوجود صراع بین طبقتین ، و یالیته کان صراعاً بین طبقتین وکان صراعاً بین فکرتین ، وصراعاً بین عقلیتین ، صراعاً بین نفسیتین ، وذلك سبب حدوث الثورات فی البلاد الاسلامیة الشرقیة أکثر من البلاد الشرقیة غیر الاسلامیة ، هذه قضیة یجب أن نفکر فیها جدیاً لماذا امتازت بلادنا الاسلامیة الشرقیة بوجود صراع دائم ، فالکفاح الحقیقی الذی تخوضه بلادنا الاسلامیة الیوم هی معرکة فکریة حامیة

دامية ، و المعركة الفكرية و النفسيـــة هى أشد خطورة و أشد ضرراً من المعارك الحربية ، فالمعارك الحربيـــة لها آماد ، و لهـــا آجال محدودة ، و لها مجالات محدودة تحضر فيها ، و لكن المعركة النفسية و العقلية ليست لهـــا حدود إلا تمتد من المدرسة إلى المنزل ، و من المنزل إلى السوق ، و من وقت الشغل إلى وقت الاستراحة و النوم ، فلنفكر لمـــاذا يوجد هذا الصراع و عدم الانسجام بين طبقات الشعب فى بلادنا الاسلامية ، و الشرقية ، و لا يوجـــد فى البلاد الشرقية غير الاسلامية ، إنه موضوع خطير يجب أن نفكر فيه و ندرســـه دراسة علمية موضوعية ، سألنى أحد الاخوان ، و هو يقود السيارة و أنا معه فى « بيروت » قال : يا أستاذنا ! أسألك لى سؤال ، لماذا نسمع عن البلاد الاسلامية كل يوم و نقرأ فى الجرائد صراعا و ثورة ، و قلقـــا فكرياً ، قد يثور الجيش ، قد تثور طبقة لحصة أو طائفة لحصة ، وتنقلب الأوضاع ، وتحدث فى بلادنا انقلاباً وثورة ، لماذا لا نسمع عن اليابان ، لماذا لا نسمع عن الهند الهندوكية ، لماذا لانسمع عن تائليند مثلا ، و عن سيلان ، و عن بلاد أخرى لا تدين شعوبها بالاسلام . الحقيقة أنى بقيت حائرا ، ولم اطمئن إلى جواب ، إنى بدأت أتكلم معه ، وخضعت معه فى الموضوع ، ولكن زميلى لم يكن يطمئن ، ولكن هذا هو السؤال قد ملك على فكرى وسيطر على وبقى يطالب فى الجواب ، أما الأخ ففارقته ، ولكن هذا السؤال ما فارقنى ، إنه أمسك بتلابيبى . و ألح على بالجواب ، و لم أهدأ ، حتى وجدت له جواباً .

الجواب أن جامعاتنا ـ و إن لم يكن هذا مقصوداً من حكومـــة أو وزارة تربية ـ أرادت فى أكثر البلاد الاسلامية تخرج طبقة لا تسنجم مع الشعب ، وهذه الطبقة هى التى تملك زمام البلاد ، و حق لها أن تملك ، فلها من المؤهلات ، ولها من الكفاءات و المقدرة ، و من الاختصاصات السياسية ، و غير السياسية ،

ما يمكنها من تملك هذا الزمام و من توجيه البلاد ، فمنها وزراء التربية ، و منها وزراء الداخلية ، و منها وزراء الخارجية ، و منها وزراء التخطيط فأصبحت آلة التوجيه و التأثير فى صياغة الجيل و فى تخطيط البلد و المدنية بيد هؤلاء الجامعيين الذين يتخرجون من الجامعات ، و هذه الطبقة تعيش فى عالم آخر ، و تحلق فى جو آخر ، إنها تعيش فى عزلة عن الشعب ، و هنالك فجوة واسعة عميقة بين الجمهور و بين هذه الطبقة ، و هذه الطبقة لا تزال فى شقاء وعناء من الجمهور ، و الجمهور كذلك يشكون و يتململون و لا ينسجمون مع هذه الطبقة ، فوجود هاتين الطبقتين المتنافيتين المختلفتين فى التفكير و فى أسلوب الحياة وفى القيم والمثل ، و فى الأهداف ، كان كفيلا بوجود هذ الصراع المستميت ، هذا الكفاح النضال الحامى الدامى فى هذه البلاد .

و نتيجة هذا أن أفضل مواهب هذه الطبقة تضيع فى التغلب على مشكلة الشعب ، مشكلة محاربة هذه العواطف والأحاسيس ، والمشاعر - المتطرفة أوالمتزمتة كما يسمونها - بل فى إزالة الأنقاض التاريخية كما آثر كثير من قادتنا أن يسموا بها هذه العملية ، عملية إزالة الأنقاض ، إنهم يتصورون أن فى البلاد ركاما تاريخياً ، و ركاماً فكرياً ، و ركاماً عاطفياً ، و ركاماً علمياً ، و ركاماً ثقافياً ، فلا بد من إزالة هذا الركام ، حتى يخلولهم المجال ، و يصفولهم الجو ، إن الجهود التى كانت كفيلة باسعاد شعب و بانهاض أمة ، ضاعت الآن مع الأسف الشديد فى كثير من البلاد الاسلامية فى هذه التجربة القاسية الفاشلة القاتلة ، ليست عملية نحر و انتحار فى وقت واحد ، إزالة أنقاض ؟ ، يا سادة ، يا جماعة ! الله سبحانه و تعالى أكرمكم بشعب هو و الله من أقوى الشعوب عاطفة ، و من أسلم الشعوب طبعاً ، و من أكثر الشعوب حماساً ، إنكم تستطيعون به أن تفتحوا به العالم ، إنكم كنتم

تستطيعون أن تفتحوا به الغرب ،ـ هذا الغرب الناهض الذى سلمنا إم
ليست عنده هذه القلوب الصافية ، و الضمائر الحية ، هذا الايمان ال
الحماس الدافق ، سلامة الفكرة الوادعة ، و حسن الظن و الثقة بصا
و احترام الانسانية ، ليست عنده هذه القلوب المؤمنة ، و النفوس ا
كل واحد فى الغرب الآن ، وإن كان فى معسكر شرقى أو معسكر غ
صاحبه بعين الشك ، و بعين الاتهام ، ما عاد أحد فى الغرب واثقاً
بزميله الذى يعمل معه ، واثقاً بسيادة البلاد ، ساد الشك و ساد
المعسكرين جميعا ، أن لدينا ثروة هائلة ، هذه الثروة التى استطاعت أن
بأى شئ استطاع محمد ﷺ ، و هو النبى المويد لا شك فى ذلك ـ
جنود السماوات و الأرض ـ و كيف استطاع أصحابه أن يفتحوا العال
لا نزال نعيش فى ظلاله و مائدته ، نحن الآن لا نزال نأكل من رفد
و من صدقة الرسالة التى جاء بها ، و لكن كيف أمكن ذلك ، هل
تلك الجيوش المسلحة بالتسليح العصرى ، التى كانت تستطيع أن تخرج كسرى
هل كانت عندهم هذه الموارد الضخمة التى لا تنتهى ، هل كانت عندهم
العسكرية التى حصلتها الرومان و الفرس بالحرب الأخيرة الطاحنة التى
الدولة البيزنطية و الفارسية ، لا ! ، إنما فتحوا العالم بالنفوس المطمئنة
المؤمنة ، و بهذه الثقة و التوكل على الله تبارك و تعالى ، و رو
و الجلادة ، و تحمل المشاق و التضحية بالمقاصد الشخصية ، فى سـ
الجماعية ، فى سبيل صالح الانسانية .

هذه الثروة كنا نملكها ، ولا نزال نملكها — والحمد لله — فى كل بلد
و لكن شقاءنا و محنتنا من هؤلاء الزعماء ، و من هؤلاء القادة ، و

الموجهين ، الذين عرفوا أن الحرب الحقيقية إنما هى بينهم و بين الشعب ، ليست بينهم و بين الرذيلة ، ليست بينهم و بين شعب منافس ، ليست بينهم و بين من يريد أن يغزو بلادهم ، لا ! ، أذكروا لى مثالا واحداً ، أى شعب من الشعوب الاسلامية وأى قيادة من القيادات الاسلامية المعاصرة قدر لها أو وفقها الله لمحاربة الصهيونية و غزو إسرائيل ، كل الحروب التى قامت و كل المعارك الدامية التى دارت ، وكل الطاقات التى استهلكت كانت فى سبيل التغلب على المشكلات الداخلية ما هى المشكلات الداخلية ؟ ، هى مشكلات الشعب ، الشعوب الاسلامية إلى الآن مع تقدمها فى الثقافة الجامعية لا تفهم إلا لغة الايمان ، إذا خوطبت هذه الشعوب بلغة الايمان اندفعت و تدفقت وأصبحت لا تملك نفسها ، كيف حررها الجزائر كيف أنشأنا دولة باكستان كيف استطعنا أن نطرد الطاليان من أرض ليبيا ، إنما تمكنا من ذلك بفضل هذا الايمان الدافق . هذا الايمان الموجود فى نفوس الشعب سلامة القلوب ، صفاء النفوس ، الثقة المشتركة المتبادلة بين الأفراد ، حسن الظن بالمسلم « لو لا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً و قالوا هذا إفك مبين » ، هذا هو المثل الخلق الأعلى الذى لا يتصور فوقه .

فاستطاع الرسول بهذه النفوس السليمة القوية الممتلئة بالحياة والنشاط ، المليئة بالثقة والاعتزاز ، أن يفتح القلوب ، واستطاع به المسلمون أن يفتحوا العالم ، ولكن هذه الثروة الهائلة الزاخرة تضيع فيماذا ؟ ، إنما تضيع فى الحروب الداخلية ، ينظر إليها قادتنا وسادتنا ، و زعماؤنا كأكبر عدو يجب أن يقضى عليه ، الشعب لا يزال مؤمناً الشعب لا يزال يندفع ، يندفع إلى الدعوات الايمانية الدينية ، الشعب لا يزال يحب هذا الدين ، الشعب لا يزال يتغنى بالحنين إلى الشهادة والجهاد . هذا والله خطر عظيم ما دام الشعب مؤمناً ، ما دام الشعب عنده قابلية لهذا الاندفاع ، فيجب علينا أن نقضى عليه بوسائل التربية والاعلام ، و أدوات التسلية ، وحملات التشكيك و الالحاد

إن نظام تربيتنا أوجد طبقة لا تؤمن بهذه القيم ، ولا تؤمن بهذه المثـ
و لا تفهم هذه المعانى ، و لا تتحمس لهذه المقاصد ، فهى تنظر دائماً إلى الشعـ
الذى اختار هذه القيادات لسبب من الأسباب ، شعباً متخلفاً يعيش فى القرون الماضيـ
ينظرون إلى هذه الخصائص التى تتميز بها الشعوب الاسلامية كرواسب غير « العـ
الجاهلى » فى تصورهم .

فالآن المعركة الحقيقية التى يخوضها العالم الاسلامى فى كل بلد ، و يخوضـ
سادتنا وزعماؤنا ، هى المعركة التى تدور بين قادة البلاد وساستها ، وزعماء السيا
ورؤساء الأحزاب المتملكين لزمام البلاد ، بين الشعوب الوادعة السليمة المؤمنـ
المحبة لله و رسوله ، هذه هى المأساة الكبرى التى نعيشها الآن فى العالم الاسلامى
إن هذه الطاقات التى كانت كفيلة باسعاد المجتمع ، و باسعاد الأمـة والبلاد . الآ
تضيع فى غير عدو ، وفى جهاد غير جهاد ، والسر فى ذلك أن نظام التعليم لباس فصـ
فى جانب بعيد عنا ، غريب منا ، لم يكن يعرف البارعون فى الخياطة ، لأى أ
يفصل هذا اللباس ؟ و الله ليس الذنب ذنبهم لأنهم لم يدعوا أبداً أن هذا اللبـاس
يفصل ليكون لباس الأمة الاسلاميـة أنا لم أطلع حتى الآن فى دراستى القاصرة ؟
قول لأحد أقطاب التربية فى أوربا ، و فى أمريكا ، و فى روسيا ، اننـا نحـ
الكفيلون ، و نحن المسئولون عن تفصيل اللباس الثقافى للشعوب الاسلامية ، إنـ
لم يدعوا ذلك أبداً إنما هى عمليتنا فقط ، نحن استوردنا هذا اللباس من متاجر
ومن جامعاتهم ، فالذنب ذنبنا ، ليس ذنبهم ، فلذا لم يفصل هذا اللباس على قامتنا فا
لباس يؤذينا ، و يضايقنا ، ونحن نعيش منه فى عذاب ، لماذا لا نجد هذه الفجو
فى الهند مثلا ، لأن نظام التربية لم يكن يتنافى مع قيم البراهمـة مثلا ، و مع قيـ
الشعب الهندوسى و لم يكن يتناقض مع ما يعتقده دينه ، عنـده مرونة زائدة
فيما يتصل بالعقائد ، وعنده الاطلاقية الزائدة التى امتازت بها الشعوب الآرية .

فاذا كان هذا هو وضع شعب ، فكل نظام تربية ينسجم معه ، ولا يتناقض عقائده و مع مشاعره ، فهو فى هذا النظام فى أمان ، و هدوء ، و لكن ليست قضية المسلمين ، قضية الشعوب الاسلامية ، لهم عقائد معينة ، ولهم قيم ومفاهيم ، لهم مثل عليا ، قد حددها الرسول عليه الصلاة و السلام .

و الحقيقة التى يجب أن نعترف بها أن القيادات اللادينية مع عملية إزالة نقاض الطويلة العريضة ، القديمة إلى الآن ما نجحت فى أى بلد إسلامى من تركيا اندونيسيا ، فشلت هذه العملية فى تركيا ، و فشلت فى باكستان ، و فشلت فى ان أخيراً ، إن الملك الراحل قد بذل كل جهوده ، و استهلك طاقاته فى عملية الة الأنقاض وفى صياغة الجيل صياغة جديدة و لكن قد رأى العالم جميعاً أن هذه ملية كانت فاشلة ، و أن الشعب قد برز كما يبرز الذهب من الكير ، كما يبرز نسان من السجن أو الطائر من القفص ، فمعنى ذلك أن هذه العملية عملية فاشلة ، لكن مع الأسف الشديد نحن ضيعنا هذه المدة الطويلة ، أنفدنا هذه الطاقات ائلة التى كنا نستطيع أن نخدم بها بلادنا ، ونخدم بها الانسانية فى هذه العملية السلبية ، تاريخ العالم الاسلامى اليوم الثقافى إنما هو تاريخ هذه العملية فقط لا غير ، أكثر و لا أقل ، محاولة تغيير نفسية الشعب ، ثم الفشل ، الفشل الذريع ، اولة التغلب على مشاعر الشعب ، ثم الفشل الذريع و الاخفاق التام .

فالجامعات تستطيع أن تمثل دوراً بنائيا ايجابيا حاسما مصيريا إذا عرفت اجبها ، أن تحدث الانسجام التام بين العقائد التى يؤمن بها الشعب و تهئ لها الدلائل علمية ، فى الحقيقة إن وظيفة التربية كما يقول أحد أئمة التربية فى أوربا هى تدعيم فكر و تهيئة الدلائل العلمية ، و الثقة العلمية لما أقر به الشعب و لما يؤمن به ، إن ل جامعة أو كل نظام تربية يريد أن يكسر هذا الخيط الذى يربط هذه الأمة به عقائدها ، إنها جامعة هدامة ليست بناءة ، فوظيفة الجامعة أن تسلح الفكر الشعبي

و العقلية الشعبية بدلائل علمية فتجد الثقة علمياً كما أنها تجد الثقة إيمانياً ، و عاطفياً ، هذه وظيفة الجامعة . و لكن إذا كانت وظيفة الجامعة هى خرق هذا الخيط ففى ذلك أنها تحدث فراغاً فى هذه الأمة لا يملأ ، وإنى أذكر بيتاً لشاعر هندى قاله قبل خمسين سنة ، لما كان الاحتلال الانجليزى جاثماً على صدر الهند ، إنه قال نظراً فى ضوء تجاربه ، و فى ضوء إنتاج الجامعات الهندية حوله ، و كان يعيش فى بلد تقوم فيه كبرى جامعات الهند و هو الهآباد ، و معذرتى فان الشعر فيه شئ من التنكيت و من التبكيت ، يقول : إنى أرثى لفرعون إنه أضاع جهده ، وجنى على نفسه إذ بدأ يقتل أطفال بنى إسرائيل إنه إذا بدا له أن يؤسس جامعة تقوم على الفلسفة الفرعونية ، و على سياسة جديدة للشعب المصرى غسل المخ كان قد تفادى سوء السمعة وسوء الأحدوثة فى التاريخ ، إنه خلد اسمه فى التاريخ كقاتل بنى إسرائيل . و كسفاح للدماء ، و لكنه لو أنشأ عدداً من الجامعات فى وادى النيل ، و أنفق عليها بسخاء ، وجلب لها أساتذة بارعين ، أنشأ لها مكتبات ، استطاع أن يعمل فى تغيير نفسية إسرائيلية عن طريق التاريخ ، يدرسون تاريخاً يصور لهم أن الفراعنة كانوا منقذى مصر ، و أنهم كانوا بنائين لأكبر حضارة عرفها الانسان ، و لأول حضارة قامت فى العالم ، و يدرسون الجغرافية و يقنعون بأن مصر هى أفضل البلاد ، و أغنى البلاد ، و هكذا يدرسون علم النفس ، و هكذا يدرسون تاريخ الأديان ، و هكذا يدرسون علم الأخلاق ، إلى مواد جامعية أخرى ، فيقول لسان عصر الشعب ، القاضى السيد أكبر حسين أسفاً لفرعون إنه قد فاته أن ينشئ جامعة فى وادى النيل ويجند له جيشاً من الأساتذة البارعين الحاذقين فيتفادى بذلك عن سوء السمعة ، و عن تلقيبه بفرعون السفاك للدماء و الظالم ، فقد أصبح مثلا و رمزاً للقسوة و السفك للدماء و لكنه قد فاته الطريق القويم .

و قولى أخيراً ، إن الجامعات فى بلادنا الاسلامية إذا شعرت بمسئوليتها نحو

ـة ملأت هذه الفجوة الواقعة الآن بين الطبقة المثقفة ، و الشعب المسلم ، هذه
ـوة واقعة موجودة فى كل بلد لا أستثنى منها بلداً إسلامياً شرقياً ، بل هذه الفجوة
جودة بين الطبقين ، الشعب العامل ، الشعب القوى فى السواعد ، الغنى فى المواهب ،
ـب السليم الفطرة ، و الطبقة المثقفة ، هنالك فجوة و هنالك جفوة بين الطبقين ،
ا جاءت الجامعات ـ وفقها الله تبارك وتعالى ـ و فيكم الثقة ، و فيكم القابلية فى
ا البلد الاسلامى العربى الذى يمر بالمرحلة التجريبية فى تاريخ الجامعات ، و فى
ـكانكم أيها الاخوان ! أن تملئوا هذه الفجوة ، هذا الخليج ، ليس هذا الخليج الذى
ـيش عليه ، هنالك أخلج أخر ، أخطار وأعمق و أوسع ، وهو الخليج الواقع بين
طبقة المثقفة ، و بين عامة الشعب ، هذا الخليج الواقع بين عقائد الأمة و قيمها
ـ مثلها ، و بين تصورات الطبقة الجامعية المثقفة التى تتخرج كل سنة ، هذا الخليج
ـو الخليج الهائل الذى مازال و لا يزال خطراً على قوة هذه الأمة وعلى مستقبلها ،
ـ رسالتها ، و دورها العظيم الذى قدره الله لها ، فاذا وفقت الجامعات على الأقل
ى الأقطار العربية الاسلاميـــة ، وفقت لتجربة بنائية جديدة هو ملأ الفجوة بين
الطبقتين ، و الانسجام العاطفى و الفكرى الثقافى ، كانت تجربة مباركة تاريخية تكون
مثالا لكل الجامعات فى العالم الاسلامى ، وما دامت هذه الجامعات تعيش فى عزلة
و تعيش فى واد آخر ، و تعيش الشعوب فى واد آخر ، و أكثر مجهودها و أكثر
ذكاء أساتذتها و مخططيها يضيع فى إساغة الشعب ما لا يهضمه ، و فى تلقين الشعب
ما لا يتحمس له و فرض الشئ الذى لا يندفع إليه ، معنى ذلك إضاعـة المجهود
و إضاعة الطاقات فى غير جدوى ، جهاد فى غير جهاد .

هذه كلمتى التى تقدمت بها إليكم ، و إذا كان فيها شئ لا يليق بمقامكم الجامعى
الكبير ، وبمقام الأستاذية ، فانى أعتذر إليكم ، فانما تحدثت إليكم حديث أخ لأخ
و حديث زميل لزميل ، و السلام عليكم و رحمة الله و بركاته .

الخلافة شروطها و التزاماتها

الحلقة الثالثة

الأستاذ خالد سالم

طريقة نصب الخليفة :

حين أوجب الشرع على الأمـة نصب خليفة عليها ، حدد لها الطريقـة التى يجرى بها نصب الخليـفة ، وهـذه الطريقة ثابتة بالكتاب والسنة وإجماع الصحابة . وتلك الطريقة هى البيعة . فيجرى نصب الخليفة ببيعة المسلمين له على كتاب الله وسنة رسوله . أما كون هذه الطريقة هى البيعة فهى ثابتة من بيعة المسلمين للرسول ، ومن أمر الرسول لنا ببيعة الامام . أما بيعة المسلمين للرسول فانها ليست بيعة على النبوة وإنما هى بيعة على الحكم ، إذ هى بيعة على العمل وليست بيعة على التصديق . فبويع ﷺ على اعتباره حاكما لا على اعتباره نبيـاً و رسولا . لأن الاقرار بالنبوة والرسالة إيمان وليس بيعـة ، فلم تبق إلا أن تكون البيعة له باعتباره رئيس الدولة . وقد وردت البيعة فى القرآن و الحديث قال تعالى (يا ايها النبى إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئاً و لا يسرقن و لا يزنين و لا يقتلن أولادهن و لا يأتين ببهتان يفـترينه بين أيديهن و أرجلهن و لا يعصينك فى معروف فبايعهن) و قال تعالى : (إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم) . و روى البخارى قال : حدثنا إسماعيل حدثنى مالك عن يحيى بن سعيد قال أخبرنى عبادة بن الوليد أخبرنى أبى عن عبادة بن الصامت قال : بايعنا رسول الله ﷺ على السمع و الطاعة فى

المنشط والمكره ، وأن لا ننازع الأمر أهله وأن نقوم أو نقول بالحق حيثما كنا لانخاف فى الله لومة لائم » و روى البخارى قال : حدثنا على بن عبد الله حدثنا عبد الله بن يزيد حدثنا سعيد هو ابن أبى أيوب قال حدثنى أبو عقيل زهرة بن معبد عن جده عبد الله بن هشام وكان قد أدرك النبى ﷺ وذهبت به أمه زينب ابنة حميد إلى رسول الله ﷺ فقالت يا رسول الله بايعه فقال النبى ﷺ : هو صغير . فمسح رأسه و دعا له » و روى البخارى قال : حدثنا عبدان عن أبى حمزة عن الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ « ثلاثة لايكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم : رجل على فضل ماء بالطريق يمنع منه ابن السبيل، ورجل بايع إماماً لا يبايع الالدنياه إن أعطاه ما يريد وفى له و إلا لم يف له ، و رجل يبايع رجلا بسلعة بعد العصر فحلف بالله لقد أعطى بها كذا و كذا فصدقه فأخذها و لم يعط بها » . فهذه الأحاديث الثلاثة صريحة فى أن البيعة طريقة نصب الخليفة ، فحديث عبادة قد بايع الرسول على السمع والطاعة وهذا للحاكم ، وحديث عبد الله بن هشام رفض بيعته لأنه غير بالغ مما يدل على أنها بيعة حكم ، وحديث أبى هريرة صريح ببيعة الامام ، وجاءت كلمة إمام نكرة أى أى إمام ، وهناك أحاديث أخرى تنص على بيعة الامام . ففى مسلم أن النبى ﷺ قال : « من بايع إماماً فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه إن إستطاع ، فان جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر » و فى مسلم ايضاً عن أبى سعيد الخدرى قال : « قال رسول الله ﷺ : « إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما » وروى مسلم عن أبى حازم قال : « قاعدت أبا هريرة خمس سنين فسمعته يحدث عن النبى ﷺ قال : « كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبى خلفه نبى و إنه لا نبى بعدى و ستكون خلفاء فتكثر ، قالوا فما

تأمرنا ؟ قال : « فوا ببيعة الأول فالأول » . فالنصوص صريحة من الكتاب والسنة بأن طريقة نصب الخليفة هى البيعة . وقد فهم ذلك جميع الصحابة وساروا عليه . فأبو بكر بويع بيعة خاصة فى السقيفة و بيعة عامة فى المسجد ثم بايعه من لم يبايع فى المسجد ممن يعتد ببيعته كعلى بن أبى طالب رضى الله عنه ، و عمر بويع بيعة من المسلمين ، و عثمان بويع بيعة من المسلمين ، و على بويع بيعة من المسلمين . فالبيعة هى الطريقة الوحيدة لنصب خليفة للسلمين .

أما التفصيلات العملية لاجراء هذه البيعة ، فانها ظاهرة فى نصب الخلفاء الأربعة الذين جاؤا عقب وفاة الرسول ﷺ مباشرة وهم أبوبكر وعمر و عثمان و على رضوان الله عليهم ، و قد سكت عنها جميع الصحابة و أقروها مع أنها مما ينكر لو كانت مخالفة للشرع ، لأنها تتعلق بأهم شئ يتوقف عليه كيان المسلمين ، وبقاء الحكم بالاسلام . و من تتبع ما يحصل فى نصب هؤلاء الخلفاء نجد أن بعض المسلمين قد تناقشوا فى سقيفة بنى ساعدة وكان المرشحون سعد و أبو عبيدة وعمر و أبو بكر ، ليس غير ، بنتيجة المناقشة بويع أبو بكر . ثم فى اليوم الثانى دعى المسلمون إلى المسجد فبايعوه ، وبهذه البيعة الأخيرة صار خليفة للسلمين . و حين احس أبو بكر بأن مرضه مرض موت دعا المسلمين يستشيرهم فيمن يكون خليفة للسلمين . وكان الرأى فى هذه الاستشارات يدور حول على و عمر ليس غير ، ومكث مدة ثلاثة أشهر فى هذه الاستشارات . و لما أتمها وعرف أكثر رأى المسلمين أعلن لهم أن عمر هو الخليفة بعده ، و عقب وفاته مباشرة حضر المسلمون إلى المسجد وبايعوا عمر بالخلافة ، فصار بهذه البيعة خليفة للسلمين و ليس بالاستشارات و لا باعلان أبى بكر . و حين طعن عمر طلب منه المسلمون أن يستخلف فأبى . فألحوا عليه فجعلها فى ستة ، ثم بعد وفاته أناب المرشحون أحدهم

وهو عبد الرحمن بن عوف فرجع لرأى المسلمين و استشارهم ، ثم أعلن بيعة عثمان ، فقام المسلمون فبايعوا عثمان فصار خليفة ببيعة المسلمين لا باستخلاف عمر و لا باعلان عبد الرحمن ثم قتل عثمان ، فبايع جمهرة المسلمين فى المدينة والكوفة على ابن أبى طالب فصار خليفة ببيعة المسلمين .

ومن ذلك يتبين أن التفصيلات العملية لاجراء البيعة للخلافة هى أن يتناقش المسلمون فيمن يصلح للخلافة ، حتى إذا استقر الرأى على أشخاص ، عرضوا على المسلمين ، فمن اختاروه منهم طلب منهم أن يبايعوه كما طلب من باقى المرشحين أن يبايعوه ففى سقيفة بنى ساعدة صار النقاش فى سعد و أبى عبيدة و عمر و أبى بكر ثم بويع أبو بكر ، فكانت بيعته بمثابة اختيار ، ولكنها لم تلزم المسلمين ، ثم جرت بيعته من عامة المسلمين و أبو بكر تذاكر مع المسلمين فى على و عمر ثم أعلن اسم عمر ثم بويع ، وعمر جعلها فى ستة ، وبعد الرجوع إلى المسلمين أعلن عبد الرحمن اسم عثمان ، ثم بويع . وعلى بويع مباشرة فقد كان الوضع وضع فتنة ، وكان معروفاً أنه لا يدانيه فى الترشيح للخلافة عند المسلمين أحد حين قتل عثمان . وبذلك يكون أمر البيعة جارياً على أن يحصر المرشحون للخلافة بعد المناقشة فيمن يصلح لها ، ثم يجرى انتخاب خليفة منهم ، ثم تؤخذ له البيعة على الناس . ولئن كان هذا واضحاً فى استشارات أبى بكر فانه يظهر أوضح فى بيعة عثمان . روى البخارى عن الزهرى أن حميد بن عبد الرحمن أخبره أن المسور بن مخرمة أخبره أن الرهط الذين و لاهم عمر اجتمعوا فتشاوروا . قال لهم عبد الرحمن : « لست بالذى أنافسكم على هذا الأمر ، و لكنكم إن شئتم اخترت لكم منكم ، فجعلوا ذلك إلى عبد الرحمن . فلما و لوا عبد الرحمن أمرهم فمال الناس على عبد الرحمن حتى ما أرى أحداً من الناس يتبع أولئك الرهط و لا يطأ عقبه . و مال

الناس على عبد الرحمن يشاورونه تلك الليالى حتى إذا كانت الليلة التى اصبحنا منها فبايعنا عثمان. قال المسور طرقنى عبد الرحمن بعد هجع من الليل فضرب الباب حتى استيقظت فقال: «أراك نائماً، فوالله ما اكتحلت هذه الليلة بكبير نوم، انطلق فادع الزبير و سعدا، فدعوتهما له فشاورهما ثم دعانى فقال: «أدع لى علياً فدعوته فناجاه حتى ابهار الليل، ثم قام على من عنده وهو على طمع، وقد كان عبد الرحمن يخشى من على شيئاً، ثم قال: «أدع لى عثمان فدعوته فناجاه حتى فرق بينهما المؤذن بالصبح. فلما صلى للناس الصبح واجتمع أولئك الرهط عند المنبر فأرسل إلى من كان حاضراً من المهاجرين و الأنصار و أرسل إلى أمراء الأجناد و كانوا وافوا تلك الحجة مع عمر، فلما اجتمعوا تشهد عبد الرحمن ثم قال: «أما بعد يا على إنى قد نظرت فى أمر الناس فلم أر هم يعدلون بعثمان فلا تجعلن على نفسك سبيلا، فقال أبايعك على سنة الله و رسوله و الخليفتين من بعده، فبايعه عبد الرحمن و بايعه الناس والمهاجرون و الأنصار و أمراء الأجناد و المسلمون».

فالمرشحون للخلافة حصروا فى الرهط الذين سماهم عمر بعد أن طلب إليه المسلمون ذلك، وعبد الرحمن بن عوف بعد أن أخرج نفسه من الترشيح للخلافة أخذ رأى المسلمين فيمن يكون خليفة، ثم أعلن اسم الذى يريده المسلمون بعد أن شاور الناس وبعد إعلان اسم من يريده الناس كانت البيعة له، فصار خليفة بهذه البيعة. و على ذلك فالحكم الشرعى فى نصب الخليفة هو أن يحصر المرشحون للخلافة من قبل من يمثلون رأى جمهرة المسلمين، ثم تعرض أسماؤهم على المسلمين و يطلب منهم أن يختاروا واحداً من هؤلاء المرشحين ليكون خليفة لهم، ثم ينظر من تكون جمهرة المسلمين أى أكثريتهم بجانبه، فتؤخذ له البيعة على المسلمين جميعاً

من اختاره أو من لم يختره، لأن إجماع المسلمين إجماعاً سكوتياً على حصر عمر
ن للخلافة فى ستة أشخاص معينين، وإجماع المسلمين أيضاً على أخذ عبد الرحمن
المسلمين جميعاً فيمن يكون خليفة عليهم، ثم إجماعهم على إجراء البيعة لمن
عبد الرحمن اسمه بأنه هو الذى اختاره المسلمون خليفة لهم حين قال «إنى
ت فى أمر الناس فلم أرهم يعدلون بعثمان» كل ذلك صريح فى الحكم الشرعى
صب الخليفة.

بقيت مسألتان، إحداهما من هم المسلمون الذين ينصبون الخليفة؟ هل هم
الحل والعقد أم هم عدد معين من المسلمين؟ أم هم جميع المسلمين؟ و المسألة
ة هى: هل الأعمال التى تجرى فى هذا العصر فى الانتخابات كالاقتراع السرى
صناديق الاقتراع و فرز الأصوات، هى ما يأمر به الاسلام أم لا؟

أما المسألة الأولى: فان الشارع قد جعل السلطان للأمة و جعل نصب
يفة للمسلمين عامة، و لم يجعله لفئة دون فئة، ولا لجماعة دون جماعة، فالبيعة
ض على المسلمين عامة «من مات و ليس فى عنقه بيعة فقد مات ميتة جاهلية»
هذا عام لكل مسلم. و لذلك ليس أهل الحل و العقد هم أصحاب الحق أشخاصاً
ين، وإنما هذا الحق لجميع المسلمين دون استثناء أحد، حتى الفجار و المنافقين
داموا مسلمين بالغين، لأن النصوص جاءت عامة و لم يرد ما يخصصها سوى
ض بيعة الصغير الذى لم يبلغ، فتبقى عامة.

إلا أنه ليس شرطاً أن يباشر جميع المسلمين هذا الحق، لأنه حق لهم،
هو و إن كان فرضاً عليهم، لأن البيعه فرض، و لكنه فرض على الكفاية
ليس فرض عين، فاذا قام به البعض سقط عن الباقين، إلا أنه يجب أن يمكن
يع المسلمين من مباشرة حقهم فى نصب الخليفة، بغض النظر عما إذا استعملوا

هذا الحق أم لا يستعملوه ، أى يجب أن يكون فى قدرة كل مسلم التمكن من القيام بنصب الخليفة بتمكينه من ذلك تمكيناً تاماً . فالقضية هى تمكين المسلمين من القيام بما فرضه الله عليهم من نصب الخليفة قياماً يسقط عنهم هذا الفرض و ليست المسألة قيام جميع المسلمين بهذا الفرض بالفعل لأن الفرض الذى فرضه الله هو أن يجرى نصب الخليفة من المسلمين برضاهم ، لا أن يجريه جميع المسلمين ، ويتفرع على هذا أمران : أحدهما أن يتحقق رضاً جميع المسلمين بنصبه ، و الثانى أن لا يتحقق رضا جميع المسلمين بهذا النصب مع تحقق التمكين لهم فى كلا الأمرين .

أما بالنسبة للأمر الأول فلا يشترط عدد معين فيمن يقومون بنصب الخليفة ، بل أى عدد بايع الخليفة و تحقق فى هذه البيعة رضا المسلمين بسكوتهم ، أوباقبالهم على طاعته بناء على بيعته ، أو بأى شئ يدل على رضاهم ، يكون الخليفة المنصوب خليفة للمسلمين جميعاً ، و يكون هو الخليفة شرعاً و لو قام بنصبه ثلاثة أشخاص إذ يتحقق فيهم الجمع فى إجراء نصب الخليفة ، و يتحقق الرضا بالسكوت و المبادرة للطاعة ، أو ما شاكل ذلك ، على شرط أن يتم هذا بمنتهى الاختيار و التمكين من إبداء الرأى تمكيناً تاماً . أما إذا لم يتحق رضا جميع المسلمين ، فانه لا يتم نصب الخليفة إلا إذا قام بنصبه جماعة يتحقق فى نصبهم له رضا جمهرة المسلمين ، أى أكثريتهم ، مهما كان عدد هذه الجماعة ، ومن هنا جاء قول بعض الفقهاء : يجرى نصب الخليفة ببيعة أهل الحل و العقد له . إذ يعتبرون أهل الحل و العقد الجماعة التى يتحقق رضا المسلمين بما تقوم به من بيعة أى رجل حائز على شروط انعقاد الخلافة . و على ذلك فليس بيعة أهل الحل والعقد هى التى يجرى فيها نصب الخليفة و ليس وجود بيعتهم شرطاً لجعل نصب الخليفة نصباً شرعياً ، بل بيعة أهل الحل و العقد أمارة من الامارات الدالة على تحقق رضا المسلمين بهذه البيعة ، لأن أهل

الحل و العقد کانوا یعتبرون الممثلین للسلمین ، و کل أمارة تدل علی تحقق رضا المسلمین ببیعة خلیفة یتم بها نصب الخلیفة ، و یکون نصبه بها نصباً شرعیاً .

وعلی ذلك فالحکم الشرعی هو أن یقوم بنصب الخلیفة جمع یتحقق فی نصبهم له رضا المسلمین بأی أمارة من أمارات التحقق ، سواءاً کان ذلك بکون المبایعین أکثر أهل الحل والعقد أوبکونهم أکثر الممثلین للسلمین ، أوکان بسکوت المسلمین عن بیعتهم له ، أومسارعتهم بالطاعة بناء علی هذه البیعة ، أوبأی وسیلة من الوسائل ، ما دام متوفراً لهم التمکین التام من إبداء رأیهم . ولیس من الحکم الشرعی کونهم أهل الحل والعقد و لا کونهم أربعة أو أربع مائة أو أکثر أو أقل ، أو کونهم أهل العاصمة أو أهل الأقالیم . بل الحکم الشرعی کون بیعتهم یتحقق فیها الرضا من قبل جمهرة المسلمین بأیة إمارة من الامارات ، مع تمکینهم من إبداء رأیهم تمکیناً تاماً .

و المراد بجمیع المسلمین ، المسلمون الذین یعیشون فی البلاد الخاضعة للدولة الاسلامیة ، أی الذین کانوا رعایا للخلیفة السابق إن کانت الخلافة قائمة ، أو الذین یتم بهم قیام الدولة الاسلامیة و تنعقد الخلافة بهم إن کانت الدولة الاسلامیة غیر قائمة من قبلهم ، و قاموا هم بایجادها و استئناف الحیاة الاسلامیة بواسطها ، أما غیرهم من المسلمین فلا تشترط بیعتهم و لا یشترط رضاهم . لأنهم إما أن یکونوا خارجین علی سلطان الاسلام ، أو یکونوا یعیشون فی دار کفر و لا یتمکنون من الانضمام إلی دار الاسلام . و کلاهما لا حق له فی بیعة الانعقاد ، و إنما علیه بیعة الطاعة ، لأن الخارجین علی سلطان الاسلام حکمهم حکم البغاة . و الذین فی دار الکفر لا یتحقق بهم قیام سلطان الاسلام حتی یقیموه بالفعل ، أویدخلوا فیه . و علی ذلك فالمسلمون الذین لهم حق بیعة الانعقاد ، و یشترط تحقق رضاهم حتی یکون نصب الخلیفة نصباً شرعیاً ، هم الذین یقوم بهم سلطان الاسلام بالفعل

ولا يقال : هذا الكلام بحث عقلي . و ليس هنالك دليل شرعى عليه . لا يقال ذلك لأنه بحث فى مناط الحكم وليس فى نفس الحكم ، و لهذا لا يؤتى له بدليل شرعى و إنما هو بيان حقيقته . فأكل الميتة حرام ، هو الحكم الشرعى ، وتحقيق ما هى الميتة هو مناط الحكم ، أى الموضوع الذى يتعلق به الحكم . فقيام المسلمين بنصب الخليفة هو الحكم الشرعى ، و إن يكون هذا النصب بالرضا و الاختيار هو الحكم الشرعى أيضاً ، و هذا هو الذى يؤتى له بالدليل . أما من هم المسلمون الذين يتم بهم النصب ، و ما هو الأمر الذى يتحقق فيه الرضا و الاختيار ، فذلك مناط الحكم أى الموضوع الذى جاء الحكم لمعالجته ، و انطباق الحكم الشرعى عليه هو الذى يجعل الحكم الشرعى فيه متحققاً . وعليه يبحث هذا الشئ الذى جاء الحكم الشرعى له ببيان حقيقته .

و لا يقال إن مناط الحكم هو علة الحكم فلا بد له من دليل شرعى ، لا يقال ذلك لأن مناط الحكم غير علة الحكم ، وهنالك فرق كبير بين العلة و المناط ، فالعلة هى الباعث على الحكم أى هى الشئ الدال على مقصود الشارع من الحكم ، و هذه لا بد لها من دليل شرعى يدل عليها حتى يفهم أنها هى مقصود الشارع من الحكم، أما مناط الحكم فهو الموضوع الذى جاء به الحكم أى هو المسألة التى ينطبق عليها الحكم و ليس دليله و لا علته ، و معنى كونه الشئ الذى نيط به الحكم هو أنه الشئ الذى علق به الحكم أى أنه قد جئ بالحكم له أى لمعالجته لا أنه جئ بالحكم لأجله حتى يقال إنه علة الحكم . فمناط الحكم هو الناحية غير النقلية فى الحكم الشرعى . وتحقيقه غير تحقيق العلة فان تحقيق العلة يرجع إلى فهم النص الذى جاء معللا وهذا فهم للنقليات أوليس هو المناط بل المناط هو ما سوى النقليات والمراد به الواقع الذى يطبق عليه الحكم الشرعى . فاذا قلت الخمر حرام فان الحكم

الشرعى هو حرمة الخمر . فتحقيق كون الشراب المعين خمراً أم ليس بخمر ليتأتى الحكم عليـه بأنه حرام أو ليس بحرام هو تحقيق المناط ، فلا بد من النظر فى كون الشراب خمراً أو غير خمر حتى يقال عنه إنه حرام ، وهذا النظر فى حقيقة الخمر هو تحقيق المناط . و إذا قلت الماء الذى يجوز الوضوء منـه هو الماء المطلق فان الحكم الشرعى هو كون الماء المطلق هو الذى يجوز منه الوضوء . فتحقيق كون الماء مطلقاً أو غير مطلق ليتأتى الحكم عليه بأنه يجوز الوضوء منه هو تحقيق المناط ، فلابد من النظر فى كون المـاء مطلقاً أو غير مطلق حتى يقال إنه يجوز الوضوء منه ، و هذا النظر فى حقيقـة الماء هو تحقيق المناط . و إذا قلت إن المحدث يجب عليه الوضوء للصلاة ، فتحقيق كون الشخص محدثاً أو ليس بمحدث هو تحقيق المناط و هكذا ، و قد قال الشاطبي فى الموافقات « فهـذه المواضع و أشباهها مما يقتضى تعيين المناط لابد فيها من أخذ الدليل على وفق الواقع بالنسبة إلى كل نازلة » و قال « قد يتعلق الاجتهاد بتحقيق المناط فلا يفتقر فى ذلك إلى العلم بمقاصد الشارع كما أنه لا يفتقر إلى معرفة علم العربية لأن المقصود من هذا الاجتهاد إنما هو العلم بالموضوع على ما هو عليه و إنما يفتقر فيه إلى العلم بما لا يعرف ذلك الموضوع إلا به من حيث قصدت المعرفة به فلا بد أن يكون المجتهد عارفاً و مجتهداً من تلك الجهة التى ينظر فيها ليتنزل الحكم الشرعى على وفق ذلك المقتضى » .

فان تحقيق العلة يرجع إلى فهم النص الذى جاء معللا وهذا فهم النقليات و ليس هو المناط بل المناط هو ما سوى النقليات و المراد به الواقع الذى يطبق عليـه الحكم الشرعى ، فاذا قلت الخمر حرام فتحقيق كون الشئ خمراً أو ليس بخمر هو تحقيق المناط ، و إذا قلت الماء المطلق هو الذى يتوضأ منه كان تحقيق كون المـاء

مطلقاً أو غير مطلق هو تحقيق المناط ، و إذا قيل إن المحدث يجب عليه الوضوء كان تحقيق كون الشخص محدثاً أو ليس بمحدث هو تحقيق المناط . فتحقيق المناط هو تحقيق الشئ الذى هو موضوع الحكم ، ولذلك لا يشترط فيمن يحقق المناط أن يكون مجتهداً او مسلماً بل يكفى أن يكون عالماً بالشئ ، و من هنا كان البحث فيمن هم المسلمون الذين تكون بيعتهم دالة على الرضا هو بحث فى تحقيق المناط ،

هذا من ناحية المسألة الأولى ، أما المسألة الثانية و هى ما يحصل فى هذه الأيام من إجراء الانتخابات بالاقتراع السرى ، و اتخاذ صناديق اقتراع ، و فرز الأصوات وما شاكل ذلك ، فان هذا كله أساليب لأداء الاختيار بالرضى ، ولذلك لا تدخل تحت الحكم الشرعى ، و لا فى مناط الحكم الشرعى الذى هو الموضوع الذى جاء الحكم لمعالجته لأنها ليست من أفعال العباد ، ولا هى محل انطباق الحكم الشرعى عليها ، و إنما هى وسائل لفعل العبد الذى جاء الحكم الشرعى له ، أى الذى جاء خطاب الشارع متعلقاً به ، إلا و هو نصب الخليفة بالرضا فى حالة من التمكين التام من إبداء الرأى ، و عليه ليست هذه الأساليب و الوسائل مما يبحث فيه عن الأحكام الشرعية ، و هى تدخل فى الأشياء التى جاء النص عاماً بإباحتها ، ولم يرد دليل خاص بها بحرمتها ، فتبقى مباحة ، فللمسلمين أن يختاروا هذه الأساليب و لهم أن يختاروا غيرها فأى أسلوب يؤدى إلى تمكين المسلمين من القيام بفرض نصب الخليفة بالرضا والاختيار ، يجوز للمسلمين أن يستعملوه ما لم يرد دليل شرعى على تحريمه ، ولا يقال إن هذا الأسلوب فعل العبد فلا يجرى إلا وفق حكم شرعى فلا بد من دليل يدل على حكمه ، لا يقال ذلك لأن فعل العبد الذى يجب أن يجرى وفق الحكم الشرعى و لابد من دليل يدل على حكمه إنما هو الفعل الذى يعتبر أصلا أو يعتبر فرعاً لفعل لم يأت دليل عام لأصله و إنما جاء دليل أصله

ما . و ذلك مثل الصلاة فان دليلها خاص بالقيام بها و لا يشمل كل فعل من
الها . و لذلك كان لا بد من دليل لكل فعل من أفعالها . أما الفعل الذى هو
ع لفعل ورد دليل عام لأصله فانه ينجر الدليل العام على جميع فروعه ، ويحتاج
ريم الفعل الذى هو فرع إلى دليل يحرمه حتى يخرج عن حكم أصله و يأخذ
كما جديداً ، و هكذا جميع الأساليب ، و فى مسألة الانتخابات هذه ، الفعل
لأصل هو نصب الخليفة بالرضا و الاختيار ، أما الأفعال التى تتفرع عن ذلك
ن مثل الاقتراع و اتخاذ صناديق الاقتراع و فرز الأصوات و ما شاكل ذلك
انها تدخل تحت حكم الأصل و لا تحتاج إلى دليل آخر ، و إخراجها عن حكم
لأصل أى تحريمها من الذى يحتاج إلى دليل ، وهكذا جميع الأساليب التى هى أفعال
العباد ، أما الوسائل و هى الأدوات مثل الصندوق الذى توضع فيه الأوراق فانها
تأخذ الحكم الذى أخذته الأشياء لا الأفعال وتنطبق عليها قاعدة « الأصل فى الأشياء
الاباحة ما لم يرد دليل التحريم » ، و الفرق بين الطريقة و الأسلوب هو أن
الطريقة هى الفعل الذى يعتبر أصلاً من حيث هو ، أو فرعاً لأصل لم يأت دليل
عام لأصله بل كان دليله خاصاً به . أما الأسلوب فهو الفعل الذى يكون فرعاً
لفعل قد جاء له - أى للأصل - دليل عام . و من هنا كان لا بد أن تكون
الطريقة مستندة إلى دليل شرعى لأنها حكم شرعى ، و لذلك يجب أن تلتزم و لا
يخير فيها المسلم مالم يكن حكمها الاباحة ، بخلاف الأسلوب فانه لا يستند إلى دليل
شرعى بل يجرى عليه حكم أصله . و لذلك لا يجب التزام أسلوب معين ولو فعله
الرسول صلى الله عليه و آله و سلم ، بل كل أسلوب للمسلم أن يفعله ما دام يؤدى
إلى القيام بالعمل ، فيصبح فرعاً له ، ولذلك قيل إن الأسلوب يعينه نوع العمل.

« يتبع »

★ ★ ★

اقتصادنا في ضوء الإسلام

الشيوعية و إخفاقها فى مجال الاقتصاد

(الحلقة الثانية الأخيرة) بقلم فضيلة الأستاذ محمد إسحاق الندوى

«معرب»

الرأسمالية الجماعية :

فى الدول الشيوعية و الاشتراكية تكون الدولة نفسها كجماعة رأسماليــة ، ، تليها الهيئات الادارية الأخرى التى تقوم الدولة على أكتافها ، و ذلك كالشرطة و الجيش ، إن هذه الهيئات الادارية تستغل العمال البسطاء و الادارات والمصالح التى لا تتمتع بالسلطة و النفوذ إلا قليلا ، كما أسلفت القول بأن هــذه الظاهرة شنيعة سببت انقسام الرأسماليين والمستغلين إلى فئات شتى ، فكما يستغل أصحاب نظام الرأسمالية العمال وفقاً لنظرية الشيوعية كذلك يجرى الاستغلال الجماعى فى الدول الشيوعية و الاشتراكية ، فالجماعات و الفئات المذكورة أعلاه تستغل كافــة العمال الكادحين ، و هذا الاستغلال لا يكون أقل شناعة و إيذاء و إيلاماً من نظام الرأسمالية لأنه يحرز فيه المستغلون قوة سياسية كما ينص القانون على حمايتهم ، كأنما تبتلع الأسماك الكبيرة الأسماك الصغيرة بشكل جماعى فى هــذه النظم ، بينما تبتلع الأسماك الكبيرة الأسماك الصغيرة فى نظام الرأسمالية بصورة فردية .

المقياس الخاطئ للعدل :

و فى النظام الاشتراكى يتغير مقياس العدل و الانصاف أيضاً ، و يأخــذ الأمر مكانة التنفيذ بعد أن يجرى الاختبار و النقد عليه بمقياس خاطئ بعيد عن الصحة ، فالاستحقاق بالحقوق يتوقف على الارتباط بالشيوعية ، فيعتبر كل شئ ينافى النظرية و مصالح الدولة جريمة ، و لكنه لا يعتبر جريمة فى غير ذلك ، و مهما

كان أقبح وأشنع فى ميزان الأخلاق العامة، بالاضافة إلى أن القانون يحمى الشخ
الذى ينشط فى نشر هذه النظرية وكان يظلم الناس، و لا يسمح القانون بالمؤا
عليه، أما إذا كان الوضع بالعكس فيأخذ الجهاز القانونى يتحرك ضد فرد لا ي
شغفه بالحزب و رغبته إليه.

و مهما كانت النظم السياسية تعتبر ما ينافيها من الشئون جريمة، و لـ
النظام الاشتراكى يحاول خصيصاً أن يصهر سلوك كل فرد و عقليته فى بوتقتـ
الخاصة، وأن يرغم الشعب على الايمان بنظريته الخاصة، فالذى لم يرض بأن يه
سلوكه وعقليته فى ذلك القالب الخاص، ولم يستعد له، يعتبره النظام السابق الذ
مجرماً سواء عاكسه أم لم يعاكسه، وفى جانب آخر لا يعتبر مثل هذا الفرد ا
يلتزم بالسكوت و يخرس إزاء القانون مجرماً فى النظم الاخرى، وإن كان يتحا
عن إبداء تاييده و دعمه لذلك النظام قولا وعملا بصورة إيجابية، و بكلمة أخ
لا يسمح لأحد بأن يمـــارس حرية الفكر و الرأى فى النظام الاشتراكى، عند
يعترف كل نظام فى الكون مهما كان سياسياً أو اقتصادياً بحرية الفكر والرأى للفر
اللهم إلا أن يفرض القيود على القول و العمل فى بعض الأحوال.

الدكتاتورية و القضاء على الجمهورية.

يبدو أن النظامين: الشيوعية و الاشتراكية يعتنيان بالاقتصاد أصلا، ول
طبيعتهما تميل إلى نظام سياسى دكتـــاتورى سواء كانت فردية أو جماعية، و ي
وجود الدكتاتورية لذينك النظامين، اللذين لا يلائمان الديموقراطية قطعاً.

لا شك أن رغبة الملكية الذاتية و الفردية رغبة طبيعية يصعب القضاء
بصورة عامة، فبعد رفضها وإنكارها و إبداء السخط ضدها تمس الحاجة إلى
غاشمة جبارة تمنع و ترد مقتضياتها و تقوم كسد مانع فى سبيلها، و لكن هـ
السلطة لا تتحقق إلا بالدكتاتورية.

و بصرف النظر عن هذا الدليل تدل المشاهدات على وجود الدكتاتور
المطلقة باسم الاشتراكية مثلا الدول الشيوعية كالاتحاد السوفياتي والصين ويوغسلا
وما إليها تتفشى فيها هذه الظاهرة بصورة واضحة ، تتحقق أن الاشتراكية والرأسما
عادتا محنة للانسانية تسلبان حرية الجماهير ، و ترغمانهم على أن يعيشوا حياة أسو
و أشنع من حياة الأرقاء و العبيد .

و الحقائق التي تبدو من خلال جميع التحليلات السابقة هي :

١ ــ الشيوعية والاشتراكية أخفقت كلتاهما في حل المشكلات التي تواجه الانسا
٢ ــ بحكم العقل و المشاهدات و التجارب فان في هذين النظامين و على الأخ
الشيوعية تتحول أشكال الرأسماليين و نوعيتهم فحسب ، لأن الرأسمالي و رو
المادية لا تزالان باقيتين في أعضائهما و الطبقة التي تتولى إدارة الحكومة رأسم
ويليها كثير من الادارات و المصالح التابعة لها كرأسماليات صغيرة ، تستغل الجما
و الطبقات الكادحة

٣ ــ و حماية هذين النظامين تحتاج إلى دكتاتورية و حكم مطلق لأنهما لا يلا
الفطرة الانسانية فان المشاهدات تدل على أن مثل هـــذا النظام يقوم على أسا
الدكتاتورية .

٤ ـ يتغير نظام العدل في هاتيك الدول الشيوعية ، وتصبح مصلحة الحزب
مركزية لها .

٥ ــ لا يقام لرأى الجماهير فيها أى وزن من أجل الدكتاتورية و إنهم يعيش
أسوأ وأشق من العبيد ، وتتحول الدولة كلها معتقلا يزج فيه أهل البلد ، ويرغ
على أن يعملوا كأدوات الماكينة .

إن الحركة التي قام بها ماركس و إنجاز بنعرة استرداد حقوق طبقة ال

لا يمكن أن نقول إنها فشلت وفشل مؤسسوها بل إنها فى الصف الأول من الآراء والأفكار التى نجحت فى العالم ولا شك أن القارىء يتعجب من هذا القول ويتحير بقولى ولكن سيذهب عنه القلق ويزول والعجب و تنحل هذه اللغزة الغريبة بأن هؤلاء الأفراد ، و تلك الأفكار و النظم التى فشلت فى أهدافها البادية لم يكونوا يتخيلون أنهم سيأتون بها ويوفون بل كانت هذه أهدافاً ظاهرية ولكن الأهداف التى تولوها حقيقة نجحوا فيها نجاحاً كاملا ، إنهم لا يستهدفون أن يعدموا الرأسمالية ولا يريدون استرداد حقوق طبقة العمال .

قد كانت النعرات لعامة من الناس و ما كانت فيها حقيقة و لا واقعية أما أهدافهم الحقيقية فكانت غير تلك التى أضمرها مؤسسوها فى ملف « التقية » فى الصدور سأستعرضها فى السطور التالية .

إن الذين أسسوا الشيوعية و الاشتراكية و نشروها كانوا يهود و كذلك كان ماركس يهودياً أيضاً . . ومما يذكر أن يهودياً ولو صار لا دينياً لا تتغير طبيعته الدينية و القومية لأن أثره يكون قوياً و عميقاً فى أفكاره وأخلاقه وعاداته إذاً يسهل على الدارس فهم تلك الحقيقة بعد ما فهم هذه الحقيقة النفسية .

ليست الغاية الأصيلة و الهدف المنشود لتلك الحركات و الأفكار التى قام بها أصحابها إلا ليستغلوا اليهود و ينتفعوا بهم و ينتصروا على أعدائهم .

إن التاريخ يشهد أن اليهود فى أدوارهم الانحطاطية التى استمرت طويلا كان يراهم العالم صاغرين أذلاء ، وكان المسيحيون أشد الناس حقداً عليهم .

وقد وقعت العداوة والبغضاء فى قلوبهم لأنهم يظنونهم أعداء للمسيح عليه السلام فكانوا فى أقبح الحال فى أوربا خاصة ، لأن المسيحيين كانوا فى الأغلبية الساحقة و كانوا أصحاب حكومة و سيطرة ، وهم عبيدهم و رعاياهم يعيشون عيشة خسيسة ،

هم كانوا متلطخين بجميع الرذائل و الأفعال الشنيعة المنكرة التى تدعو إلى استنكار لجميع و تنديدهم ، من الربا و الخيانة والشح و الحرص الزائد ، والحسد والحقد ، يبيعون كل شئ بعرض من الدنيا ، فأينما حلوا و نزلوا رأهم الناس عبيداً خساء ، و رجالا أذلاء ، و لم تنعدم هـذه الأخلاق الرذيلة بعد ظهور الاسلام ل صاروا أعداء للاسلام كما كانوا أعداء للمسيحية ، فأصبح المسلمون يتقززون نهم وكان يبتنى هذا العداء على شيئين ، الأول مشاعرهم الدينية وميولهم المذهبية ·

و الثانى الشعور الخلقى الذى يستقذره كل مسلم و يعافه كل مسيحى و قد ناسبنا فى هذا المقام أن أذكر أن المسلمين ما عاملوا اليهود كما كان المسيحيون - خاصة هل أوربا - يعاملونهم حيثما عاشوا تحت استيلاء المسلمين عاشوا فى عز وشرف وأمن سلام حتى منحهم المسلمون مناصب ، وما منعوا عن أى شركة تجارية وهو جائزة فى الشريعة الاسلامية ، و لكن جميع هذه الأعمال ذهبت سدى ولم تنشأ فى قلوب اليهود عاطفة مستحسنة لمن أحسن إليهم و لم تزل نار العداوة تلتهب فى قلوبهم وهم يشتعلون فيها ، و كلما منحت لهم الفرصة لم يألوا جهداً فى الاضرار بالمسلمين ·

و لم تزل هذه الأمة الفاسدة تعيش تحت سيطرة المسيحيين و ترغم أنوفها تحت أقدام المسيحين والمسلمين ولم تزل تحاول أن تتخلص من شبكة الذلة والصغار ، فرأى ماركس ذالك الطريق فاتخـذه سبيلا و اقام بنشر فكرة الشيوعية و ترويجها فى الأوساط العالمية ، فقام بثورة غيرت أحوال اليهود ورفعتهم من المنزل الوضيع إلى المنزل الرفيع ، وإذا سرحنا النظر إلى تلك الفكرة ونتائج نظامها العملية المحسوسة نلمس أهدافها الأساسية بارزه غير خفية ، فكل من له عقل و إلمـام يستطيع أن يعرف هذه الأهداف التى أخفوها فى ملف رشيق من العطف و الرحمة على العمال الكادحين و من التسلوى بين الناس فى المعيشة و الاقتصاد ·

الأول : تدمير الميول الدينية من العالم عامة و من العالم المسيحى خاصة وإن خبثت العواطف الدينية فتنطفى شعلة العداوة والنفرة التى تقوم على الدين والايمان.

الثانى : السيطرة الكاملة على الكنوز العالميـــة و الأموال المنتشرة كى تؤثر مخططاتهم الاقتصادية على العالم كله .

الثالث : إن هذا الهدف يسهل الحصول عليه بعد الهـــدف الثانى و هى أن يستولوا على السياسة العالمية كعنصر فعال .

و قد نال اليهود أهدافهم الثلاثة بهتافات الشيوعية المتطرفة و الاشتراكيـــة و كذلك عرفوا وصفة مجربة لتسيير البلاد و الأقوام جنونياً .

سيطرة اليهود على العالم اقتصادياً و سياسياً :

قـــد بات واضحاً جلياً أن قسطاً أوفر مـــن مجموع ذخائر الذهب و الفضة و الثروات الأخرى سيطر عليها اليهود و قـــد بسطوا نفوذهم فى تجارة و تعامل البنوك و نظمها بحيث أصبح من المستطاع لهم أن يصيبوا أى بنك من بنوك العالم بخسارة فادحـــة و إفلاس كبير كلما شاؤا ، كما أنهم تدخلوا فى النظام العالمى لمبادلة النقود تدخلا قوياً أدى إلى استيلائهم على غلاء و رخص المواد الاستهلاكيـة فى عدة من الدول ، كأنهم سيطروا على الأسواق الدولية .

و تقدموا فى المجال السياسى إلى حد أنهم تسلطوا على العمال آخذين بزمام القيادة السياسية بعد أن قدموا نظرية الشيوعية والاشتراكية إلى الجماهير ، واستمالوا قلوبهم بعد أن أبدوا تعاطفهم على العمال ، وشدوا أعناقهم بحيث لا يستطيعون أن يخرجوا عن نطاق أمرهم و أن يقولوا كلمة أف ضد عدوانهم و اضطهادهم .

كل شخص من ذوى البصيرة يستطيع أن يشـــاهد أن المعسكرين القويين فى

العالم أمريكا و الاتحاد السوفياتى سيطر عليهما اليهود ، و خضعت فيهما الأغلبية المسيحية تماماً للأقلية اليهودية .

قد ثبت مما أسلفت أنه لم تتحقق بعد الأهداف المنشودة من تطبيق نظام الشيوعية و الاشتراكية التى أظهرها ماركس و أتباعه ، و يقوم دعاة نظرياتها باذاعتها على نطاق واسع ، و لكن الأمور التى ينتهيا هى فى الواقع نتيجة هذه النظريات و هى تدل دلالة قوية على أن بث هذه النظريات و إحلالها محل التطبيق العملى هى نفس الأهداف والأغراض الأساسية التى يتمتع بها اليهود الآن . فمكافحة التفاوت الطبقى و الحدب على الطبقة الكادحة و تحقيق المساواة و العدل اقتصادياً و ما إلى ذلك من الأغراض التى تعلنها أبواق الشيوعية إن هى إلا خداع سافر ، يقتنصون به الجهال و السذج من الناس لتحقيق أغراضهم الشخصية والنفسية ، وقد أشار القرآن الكريم إلى سلوكهم هذا معبراً بمنهج الاضلال عن الشيطان الذى يعد الناس و يمنيهم « يعدهم و يمنيهم و ما يعدهم الشيطان إلا غروراً » (١) قد انتهج نفس هذا التكتيك تلاميذ الشيطان من الشيوعيين و الاشتراكيين بمواعيد معسولة من تهيئة الخبز والثوب والبيت ، ويخادعون الناس بمظاهرة الرفاهية والرخاء ، بل تستغل هذه الطبقة من المفسدين و الخادعين الجماهير و على الأخص الكادحين منهم و تخسرهم ديناً و دنيا .

(١) سورة النساء

دراسات وأبحاث

الأساليب الخداعة لانكار السنة
و مكانتها فى التشريع الاسلامى

[هذا المقال فى الواقع رد على رسالة بعث بها أحد الأخوة الغيارى على الكتاب والسنة إلى سماحة مولانا الشيخ أبى الحسن على الندوى و قد واجه فتنة إنكار السنة من فئة مسلمة بأسلوب جميل يغرى الشباب و المثقفين .

و طلب سماحة الشيخ الندوى إلى فضيلة الشيخ محمد برهان الدين مدير مجلس الدراسات الشرعية و أستاذ العلوم الدينية بكلية الشريعة بدارالعلوم ندوة العلماء أن يرد على هذه الرسالة، فقام بالرد عليها فى صورة هذا المقال الضافى الذى نقله إلى العربية الأخ محمد صدر الحسن الطالب فى السنة الثانية للدراسات العليا ، وننشره لكى يعم نفعه بين أوساط العلماء وطلبة العلم فى كل مكان] التحرير

الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على رسوله الكريم الذى أمر الله بطاعته ، و نسأل الله التوفيق والسداد والعصمة عن الخطأ و الزلل فانه يهدى إلى سبيل الرشاد .

أما بعد! فقد وصل كتابكم إلى سماحة الشيخ الندوى (حفظه الله) الذى يعبر عن الشعور بمسئوليتكم وقلقكم على القوى المضادة للاسلام والمسلمين التى تبذل قصارى جهودها لأحداث الفجوة بين الاسلام والمسلمين ، و إن الفتنة الكبرى التى تحدثتم

ا فى كتابكم و التفاصيل التى ذكرتموهـــا لدعاة هـــذه الفتنة ، و الشبهات التى
هذه الفئة حول الأحاديث النبوية الشريفة على صاحبها ألف ألف تحيـــة
سلام ، ليست ظاهرة حديثة للاسلام و المسلمين ، و نحمد الله ألف مرة أن
ماء الغيارى على الاسلام قد نجحوا فى الدفاع عن السنة بنجاح باهر ملموس مرات
كرات ، إن هذه النفسية هى فى الحقيقة صدى للحقد الدفين نحو الاسلام فى قلوب
اء الاسلام من المستشرقين و اليهود و النصارى ، و نخص بالذكر منهم « جولدزيهر »
« شبرنجر » و « فون كريمر » و « شاخت » الذين فرضوا على أنفسهم أن
يفوت منهم شئ إلا الحق و الصداقة ، فقد اعترف بعض منهم بهذه الحقيقة و قد
ع منهم بعضهم بتوفيق الله و عونه (١) أما الشبهات التى نقلتموها لذلك الرجل
ثوم فقد زاد عليه المستشرق اليهودى « جولدزيهر » فى كتابه « دراسات إسلامية »
ى شوه شخصية أبى هريرة (رضى الله عنه) الفذة وانتقدها نقداً شنيعاً هو
برنجر » وقد حذا حذوه أبورية فى أسلوب غير مناسب فى كتابه « أضواء على
ة المحمدية » وجزى الله الدكتور مصطفى السباعى المرحوم (رئيس الفقه الاسلامى
اهبه فى جامعة دمشق سابقاً) عنا وعن سائر المسلمين ، فانه من بكتابه « السنة
مكانتها فى التشريع الاسلامى » على المسلمين أجمعين ، بل إنه أدى الواجب عن
، الاسلام و المسلمين جميعاً ، فلم يكتف الأستاذ مصطفى السباعى المرحوم فى كتابه
. على الشبهات بدلائل علمية مفحمة فحسب بل إنه أماط اللثام عن مكائد أعداء
سلام و أراجيفهم ، فنلتمس منكم أن تراجعوا هذا الكتاب القيم و أشيروا على

---

(١) راجعوا للتفصيل كتاب الأستاذ مصطفى السباعى المرحوم « السنة و مكانتها فى التشريع الاسلامى » و خاصة الصفحات من ٢٩ ، ٣٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٢١٤ ، (الطبعة الأولى) .

يشك فى صحة الأحاديث النبوية بهذا الكتاب ، لعل الله يوفقه لأن
ب ، فقد طبع هذا الكتاب عدة طبعات و قد طبع لأول مرة
مروية (القاهرة ١٣٨٠ - ١٩٦٠) .
ه الفتنة حينما احتل المستعمرون و القوى المضادة للاسلام والمسلمين
ن الهند و الدول العربية فى استهلال هذا القرن ، فقد تولى فى الهند
ملاء الانكليز المتسمين بأسماء المسلمين و لكنها بفضل العلماء الغيارى
رياح و لم يبق لها عين و لا أثر ، و الذين قاموا باثارة هذه الفتنة
سهم أيضاً « أهل القرآن » كما صرحتم فى كتابكم ، و قد ألفت فى
لموضوع كتب و مقالات ضافية قيمة فى اللغة المحلية ، الأردية ،
المجلات الشهرية مقالات قيمة حول هذا الموضوع ، كان فيها لمقالات
م السيد أبى الأعلى المودودى تأثير كبير فى هذا المضمار ، و جمعت
فى كتاب أسماه « تفهيمات » فاذا عثرتم على ترجمته العربية ، استفدتم
ع ، و هنا كتاب قيم للعلامة السيد سليمان الندوى اسمه « الرسالة
ذا الكتاب هو مجموعة ثمانى محاضرات قيمة ألقاها العلامة الندوى فى
ن ، باللغة الأردية و قام بنقلها إلى اللغة العربية الأستاذ محمد ناظم
جعوا هذا الكتاب و خاصة « المحاضرة الثالثة من هذا الكتاب » وهنا
لمتقدمين على حجية الحديث وخاصة حول حجية الآحاد من الأحاديث
الرسالة » و « كتـــاب الأم » المجلد السابع للامام الشافعى ،
العلم » للخطيب البغدادى و « جامع بيان العلم » للحافظ ابن عبد البر
« الأحكام فى أصول الأحكام » لابن حزم الظاهرى ، هذه الكتب
مفيدة جداً فى هذا الموضوع و فيها فائدة جمة و جواب مقنع .

بعد هذه التوطئة الموجزة نبحث عن الشكوك التى أثارها ذلك الرجل الذى يشك فى صحة الأحاديث النبوية . أرجو الله أن يكون البحث مقنعاً و ذاهباً بكثير من الشكوك و الشبهات الناشئة فى الأذهان ، اللهم أرنا الحق حقاً و ارزقنا اتباعه و أرنا الباطل باطلا و ارزقنا اجتنابه .

من شبهات ذلك الرجل قوله : « تقسم السنة ، قسمين ، قسم يسمى سنة قولية ، و هو ما قاله الرسول ﷺ ، و القسم الثانى ، و يسمى سنة فعلية ، و هذا ما وصل إلينا بالتواتر مثل الصلاة . . . و الذى نريد أن نصل إليه ، هو أنه يجب أن نتمسك بالسنة الفعلية و نترك السنة القولية » .

هذه العبارة تنم عن قلة علم ذلك الرجل و تشتته الفكرى ، لأنه يقول فى السنة الفعلية « هذا ما وصل إلينا بالتواتر » و هذه القولة تشف عن أن الرجل المذكور يعلم فحسب أن السنة الفعلية هى التى وصلت إلينا نقلا عن التواتر ، وبالعكس نجد أن السنة القولية وصلت إلينا أيضاً نقلا عن التواتر كالسنة الفعلية ، نذكر على سبيل المثال أحاديث متنوعة متواترة فى هذا الشان ، منها .

١- ليبلغ الشاهد الغائب (١)

٢- نضر الله أمرءاً سمع مقالتى فوعاها و أداها إلى من لم يسمعها (٢)

---

(١) قد جعله الكتانى من الأحاديث المتواترة كما فى هامش أدب القاضى ص ٣٦٩ ج ١ ، مطبعة الارشاد ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م ، نقلا عن « اتحاف ذوى الفضائل » ص ٥٢

(٢) جعله السيوطى متواتر الرواية عن أكثر من عشرة من الصحابة كما فى « الأزهار المتناثرة » حديث رقم ٢ ص ٥

٣- من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار (١)

٤- أحاديث ختم النبوة (٢)

٥- أحاديث نزول عيسى عليه الصلاة و السلام (٣)

و توجد عدا هذه أحاديث متواترة ، و الأحاديث التى تواترت بعد الصحابة فلها عدد لا يستهان به ، منها .

١- حديث « إنما الأعمال بالنيات » فقد رويت عن سبعمائة طريق (٤)

و قال العلامة سراج الدين البلقينى فى « محاسن الاصطلاح » فى صدد النقد ذكر ابن مندة فى « المستخرج » أنه رواه (حديث إنما الأعمال إلخ) عن النبى ﷺ على بن أبى طالب ، و سعد بن أبى وقاص ، و ابن مسعود ، و ابن عمر ، و أنس ، و ابن عباس ، و معاوية ، و أبو هريرة و عبادة بن الصامت ، و عتبة

(١) فقد أجمع العلماء تقريباً على أن هذا الحديث من الأحاديث المتواترة و كتب العلامة النووى شارح مسلم « فهو حديث عظيم فى نهاية الصحة و قيل إنه متواتر . . . . . . و ذكر بعض الحفاظ أنه روى عن اثنين و ستين صحابياً و فيهم العشرة المشهود لهم بالجنة ، و قال لا يعرف حديث اجتمع على روايته العشرة إلا هذا إلخ ، شرح مسلم للنووى ج ١ ص ٨ (طبع الهند) .

(٢) كما فى هامش نزهة النظر لابن حجر العسقلانى ص ٢٢ ، و رد الحافظ بن حجر على الذين يقولون إنه يندر وجود الأحاديث المتواترة ، (نزهة النظر ص ٢٣) .

(٣) كما حققه و بينه العلامة المحقق أنور شاه الكشميرى فى كتابه « اكفار الملحدين » ص ١١ طبع فى سنة ١٩٦٨م .

(٤) « تدوين الحديث » العلامة مناظر أحسن الكيلانى ص ٥٤ .

ابن عبد ، هزال بن سويد ، و عقبة بن عامر ، و أبوذر الغفارى ، وجابر وعتبة ابن النذر ، و عقبة بن مسلم و ذكر أحاديثهم فيه (١) ، إن هذا الحديث لم ينل قبولا عامـــا بين الأمة من عصر النبى ﷺ فحسب بل هو بمثابة أصل الأصول للعبادات كلها ، معناه : أنه لا يصح أى عمل عند الله مع فقدان النيات الصحيحة ، و هذا المعنى مستفاد من هذا الحديث النبوى الشريف لا من غيره . و لا تقل الأحاديث القولية المتفق عليها بين الأمة لتفريع القوانين الشرعية ، مثلا .

١- يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب

٢- لا تنكح المرأة على عمتها و خالتها

٣- لا وصية لوارث

بعد ذلك الاجماع ، من يختار سبيلا غيره ، فانه يدخل النار بنص القرآن ، يقول القرآن : « من يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى و يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى و نصله جهنم » (٢) هذه الآية القرآنية تشير إلى أمرين مهمين اللذين يدخلان بصاحبهما جنهم ، الأول : مخالفة سنة النبى ﷺ سواء كانت قولية أو فعلية إذا تبينت ، الثانى : مخالفة إجماع الأمة .

و فى الآية إشارة أيضاً إلى أن الأمة كلها لا يمكن أن تجتمع على الخطأ - فى ضوء التفاصيل المذكورة أعلاه - يمكن أن نقيس مدى وخامة قول ذلك الرجل ، و عدا ذلك لا بد من التفكير فى الأحاديث المتواترة التى ذكرناها فى رقم ١ ، ٢ والأحاديث المتواترة هى المفيدة لليقين وهى المعترف بها لدى الجميع (٣) أمر فيها النبى

---

(١) « محاسن الاصطلاح » ص ١٧٤ (تحقيق عائشة بنت الشاطئ) طبع دار الكتب ١٩٧٤م .

(٢) سورة النساء : ١١٥ .

(٣) راجعوا « المستصفى » للغزالى . ص ٨٥ ج ١ ، الطبعة الأولى و « أدب القاضى » للماوردى ص ٣٧٢ ج ١ .

ﷺ بتبليغ الأحاديث إلى الآخرين و دعا للمبلغين ، فاذا كان امتثال السنة القولية غير لازم ، فماذا يفيد هذا الأمر؟ هل الغاية منها أن تردد هذه الألفاظ على سبيل حصول البركة ؟ و هذا أمر لا يختاره عاقل ، بل قالها ﷺ بصدد بيان الأحكام و امتثالها ، فقد جاء فى صحيح البخارى فى كتاب المناسك « باب الخطبة أيام منى » أن النبى ﷺ قال: إن دماءكم و أموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا ، فى شهركم هذا ، فى بلدكم هذا ، إلى أن قال : « فليبلغ الشاهد الغائب » و الأمر أظهر من أن نقول ، إن هذا الأمر كان لتمتثل الأمة حسب الأحكام الواردة فى الحديث لا لترددها باللسان فحسب ، لا تشير الأحاديث المتواترة فحسب إلى لزوم اتباع أقوال النبى ﷺ (السنة القولية) بل تدل عليها الآيات الكثيرة من الذكر الحكيم ، نكتفى بنقل بعض الآيات ، منهـــا « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله و يغفرلكم ذنوبكم ، و الله غفور رحيم ، قل أطيعوا الله و أطيعوا الرسول فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين » (١) يؤمر فى هذه الآيات باتباع النبى ﷺ و طاعته كليهما ، و تكفر هذه الآية الكريمة الذين يتولون عن طاعته و اتباعه و لا نحتاج إلى شرح هذا الأمر بأنه لا بد من طاعة قول النبى ﷺ و له قرائن أيضاً لأن الله تعالى أمر المؤمنين فى مواضع بهذا التعبير منها ، « اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم » (٢) « هذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه » (٣) من الواضح الملموس أن « ما أنزل إليكم » و « كتاب » هى مجموعة « القول » لا العمل ، و هكذا تكون الطاعة فى القول و العمل كليهما ، وجاء فى القرآن الكريم وهو ينقل قول الرسول و المؤمنين : « و قالوا سمعنا و أطعنا (٤) و من الأمر البين أنه لا يمكن إطاعة الله إلا باطاعة قوله : و يعرف الجميع أنه تكررت الآيات فى اتباع النبى ﷺ

(١) آل عمران : ٣١ و ٣٢ . (٢) الأعراف : ٣ .

(٣) الأنعام : ١٥٥ (٤) البقرة ٢٨٥ .

إلى مدى يتعذر فيه الاحاطة بها ، وقد عبر القرآن فى آيات كثيرة إطاعة الرسول مع إطاعة الله و عصيان الرسول من عصيان الله ، فعلى الذين يقولون بترك السنة القولية (مع أن العلماء قد رجحوا فى مواضع كثيرة « السنة القوليــة » على « السنة الفعلية » اذا كانتا متعارضتين فى بادىء الأمر) (١) أن يتأملوا فى ماذا يكون مصيرهم .

و قد بين القرآن الكريم مصير هؤلاء الناس فى موضع آخر فقال « فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم » (٢) و يعرف من له أدنى إلمام بالعلم أن « الأمر » ـ فى الحقيقة ـ يطلق على القول كما يقول القرآن الكريم و هو يصف صفــات المــلائكة « لا يسبقونه القول و هم بأمره يعملون (٣) و من البين أن من ميزات المــلائكة أنهم يمتثلون قول الله تعالى كما قيل فى القرآن الكريم فى موضع آخر « لا يعصون الله ما أمرهم (٤) » لأنه لا يمكن العثور على فعل الله تعالى مباشرة ، وعدا ذلك فان الله تعالى أطلق لفظ الوحى على نطق (القول والكلام النبى) ﷺ فقال « وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى (٥) » وقد أمر باتباع « الوحى » مراراً فى القرآن الكريم (٦) .

و جملة القول أنه لا بد من اتباع السنة القولية للنبى ﷺ ، و اتبـاع النبى ﷺ بعد أن توفى هو اتباع الحديث ، لأن الحديث يطلق على أقوال النبى ﷺ و أفعاله ، و هذا حكم يستمر إلى أن تقوم الساعة ، علم من هذا أن الحديث

(١) انظروا « إرشاد الفحول » للشوكانى ، المبحث السادس ص ٣٩ ، ٤١ .

(٢) النور : ٢٣ (٣) الأنبياء : ٣٧

(٤) التحريم : ٦ (٥) النجم : ٣

(٦) فمثلا قال الله تعالى اتبع ما أوحى إليك من ربك ، الانعام ١٠٦

سيكون مصانا إلى يوم القيامة ، أما قول المعترض بأننا نكذب السنن القولية لأن العقل لا يصدقه ، فهو استدلال واه عجيب ، أيلزم أن يكذب أحد حادثة أو قولا على أساس أن تلك الحادثة أو القول يفوق إدراك عقله فقط و إن كان ناقلوهما ضابطين عادلين متقنين ، فاذا سلمنا هذا المحك ، محكا صحيحاً ومقياساً عادلا فلا يمكن أن نصحح و نصدق أية حادثة طريفة معضلة أو قول نادر غريب .

أكان من الممكن أن يقيس ويفكر إنسان القرن السابع عشر أن الانسان سيطير فى الفضاء كالطيور بعد مأتى سنة و يقطع مسيرة شهر وسنة فى ساعات وثوانى ، أفكتذب هذه الحوادث اعتباراً بتلك المقاييس والمقادير التى كانت سائدة فى ذلك الأوان ، فاذا كان هذا المقياس مقياساً صحيحاً فسنضطر إلى أن نكذب آيات كثيرة من القرآن الكريم فضلا عن الأحاديث النبوية الشريفة ، كالآيات التى جاء فيها ذكر الجنة و النار و البعث بعد الموت ، ولذلك نرى أن الذين كذبوا الرسل فى هذه الأمور كانوا يفكرون فيها من وجهة هذا النظر ، فأنكر من أنكر قائلا : أ إذا كنا عظاماً ورفاتاً أ إنا لمبعوثون خلقاً جديداً »(١) فهل قبلت معذرتهم هذه على أساس أنها تفوق من أن تدركها عقولهم ، فاذا لم يحدث كذلك ، فعلم أنه ليس مقياس صحة شئ أن ينسجم ذلك الشئ مع الناس مهما كان مستوى عقولهم وأفكارهم ، و لا هو شرط ضرورى للتصديق ، بل الأمر على عكس ذلك ، وهو أن الأمر إذا ثبت أنه من عند الله بالوسائل و الدلائل الموثوق بها ، فتجب إطاعته و العمل على مقتضياته ، و إلا يعد منكروه و تاركوه من الكفار و العصاة يستحقون بهذا عذاباً اليماً .

بناءاً على هذا الأصل يصح أن يقال إن الوسائل التى وصلت بها هذا الأمر ،

(١) الاسراء : ٩٨

هل هى موثوق بها أم لا ؟ ، ليطمئن قلبه فاذا ثبت أنها موثوق بها و جـديرة بالثقة بها فتجب إطاعته إذا كان ذلك الأمر ينتمى إلى الشخصية التى هى المطاعة ، و إن كان ذلك الأمر مما تحار فيه العقول ، أما نفس العقل فهو يختلف و يتفاوت تفاوتاً فاحشاً ، نرى أن عقلا يخترع صاروخاً و دبابات وطائرات و أقماراً صناعية و لكن توجد عقول فى هـذا العالم لا تصدق هذا كله بل تنكره انكاراً باتاً ، فأى عقل نجعله مقياساً للتميز بين الحق و الباطل وبين الصحيح والخطأ .

بعد هذه التوطئة نستعرض تلك الأحاديث التى قـدمها المعترض ، إنه قدم الحديث الأول و هو « ليس الايمان بالتمنى إلخ ، » فنقول فى هذا الصدد ، أن هذا الحديث لا يوجد فى أى كتاب للحديث موثوق به ، بل نقله السيوطى فى « جامع الصغير » نقلا عن « مسند الفردوس للديلمى » واتفق العلماء على أن مسند الفردوس للديلمى يحتوى على أحاديث ضعيفة بل توجد فيها الكثير من الأحاديث الموضوعة ، و الحديث الثانى هو حديث « سبع تمرات » (٢) فأى شئ فى هـذا الحديث يستحيله العقل (و هناك فرق بين أن يكون الشئ مستحيلا و بين أن يكون مستبعداً) هل يستحيل العقل وجود شئ من العقاقير يزيل أثر السم إذا أكله أحد فنرى أنها توجد أشياء من العقاقير تزيل بل تمنع تأثير السم لأبد الدهر ، لا لأيام و أسابيع فحسب . نذكر على سبيل المثال لقاح الجدرى ، فانه يحصل من رطوبة القروح الجدرية ، و هى التى تمنع الأجسام من أن تسيطر عليها مكروبات الجدرى السامة القبيحة . فهل كان للعقل أن يسلم هذه الحقيقة قبل اختراع هذا اللقاح بزمن كثير ، وهل يمكن أن يسبب هذا الأمر إلى تكذيب هذه الحقيقة التى هى شائعة فى

(٢) نص الحـديث : من تصبح سبع تمرات عجوة لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر (باب الدواء بالعجوة للسحر) « كتاب الطب » للصحيح البخارى

هذه الايام و تعد من البديهيات ، و كذلك من الأشياء المستغربة هي ايجاد حقنة دوائية « لبنسلن » ـ هي تصنع ـ كما يقول الأطباء ـ من شبكة العنكبوت ، هذا أيضاً كان مستغرباً لدى العقول قبل إيجاد هذا الدواء ، الذى هو بمثابة بلسم شاف وناجع للجروح ، فهل هذا مبرر لأى شخص أن يكذب تأثير أى شئ و يكـــذب ذلك الرجل الذى يقول بتأثيره على أساس أنه لم يجربه أبداً ، و مع ذلك هنا شروط لتأثير أى شئ و قد يفقد الشئ تأثيره لكون الرجل الذى استخدمـــه غير صالح لذلك الدواء أو لأنه لم يستخدمه مع مراعاة الشروط التى لا بد له من أن يباشرها ، فكما نرى أن « بنسلن » ـ ومن تأثيره أن يلتئم الجرح به ـ لا يؤثر على جروح الرجل الذى أصيب بمرض السكر بل يزيده خطورة ، فهل من المعقول أن يقـال إن « بنسلن » لا يلتئم الجرح به .

فاذا كان الأمر كذلك بأننا لا نبالى بحياتنا ـ فى بعض الأحيان ـ بقول طبيب فى دواء جربه هو بنفسه (مثلا نستعد لاجراء عملية جراحية قلبية) و نثق بقول ذلك الطبيب و لا نحقق فيما إذا كان قوله صحيحاً أم لا ، و لكن إذا كان إنتماء شئ إلى رسول الله الأمين بسند متصل ـ و توجد تراجم هؤلاء الرجال الذين هم من رواته ويمكن أن نعلم اليوم أهم متقنون ، عادلون ضابطون أم لا ! ـ ومع ذلك فهل يرفض ذلك الحديث ويقال « لا نصدق ذلك الأمر الذى لا يقبله العقل » لا ، كيف يفعلون ذلك ؟ هل يقيمون (هؤلاء الناس) وزنا لرسول مع تصديقه صادقاً كما يقيمون وزنا لأى طبيب ؟ ! أسألهم بالله هل يوجد كتاب لأى طبيب وصل إلينا بكل صحة كما وصل إلينا الكتب الستة من الصحاح وخاصة صحيحى البخارى ومسلم .

فقد تجشم أصحاب الصحاح الستة أعباء السفر الشاقة و أنفقوا قناطير مقنطرة من المال للحصول على تراجم الرواة ، وهذا كله كان صوراً ظاهرة لقول الله عز وجل

« إنا نحن نزلنا الذكر و إنا له لحافظون » لو لم يكن وعد الله بصيانة الدين لما تيسر أن توجد أمثلة منقطعة النظير للجهودات الجبارة التى بذلها رجال الحديث فى القرن الثانى و الثالث ، الذين يبلغ عددهم إلى الآلاف ، فلا نرى اللامبالاة بمآثر المحدثين الذين قاموا بتدوين الحديث وعدم الاكتراث بها وتكذيب الأحاديث التى تصح على شروطهم الشديدة إلا افتراء الكذب على الله ، تأملوا ! كان قد بلغ حنينهم إلى الحديث النبوى و شغفهم به و فرط الحيطة فيه بأنهم سافروا للاستماع إلى حديث واحد فقط ، كما نقله الحافظ ابن عبد البر فى كتابه القيم المنقطع النظير « جامع بيان العلم » و هو كما يلى :

« بلغنى حديث عن رجل من أصحاب النبى ﷺ فابتعت بعيراً فشددت عليه رحلى ثم سرت إليه شهراً حتى قدمت الشام فاذا عبد الله بن أنيس الأنصارى ، فأتيت منزله وأرسلت إليه أن جابراً على الباب ... فخرج إلى فاعتنقته واعتنقنى ، قلت حديث بلغنى عنك أنك سمعته من رسول الله ﷺ ... لم أسمعه أنا منه ، قال سمعت رسول ﷺ يقول » تأملوا فى هذه الحادثة التى هى بمثابة غرة فى جبين التاريخ ، وهذه الحادثة ليست لرجل لم يتشرف بصحبة النبى ﷺ بل لصحابى صحب النبى ﷺ وسمع الحديث منه مباشرة - كتب العلامة الشيخ ولى الدين البغدادى عنه فى كتابه « الاكمال فى أسماء الرجال » كنيته أبو عبد الله الأنصارى السلمى من مشاهير الصحابة و أحد المكثرين من الرواية شهد بدراً و ما بعدها مع النبى ﷺ ثمانى عشرة غزوة (١) كان له هذه المكانة السامية فى الحديث النبوى الشريف .

و الذين جاؤا من بعدهم وتحملوا المشاق فى سبيل التعمق والتوفيق للحديث

(١) الاكمال ص ٦٢٠ المجلد الثالث لصاحب المشكاة طبع المكتب الاسلامى

النبوی الشریف لا یمکن لأمثالنا المترهلین فی الکسل و البعیدین عن لذة العلم أن نقیسها ، ومن لایعلم عن المسروق ذلك التابعی المحدث الشهیر أنه قطع مسافة طویلة للتفتیش عن لفظ واحد للحدیث فحسب (٢) ولم تکن هذه الحالة لراو أو لراویین فحسب بل هی کانت متعدیة إلی کل راو وناقد للفن ، کما نجد تفاصیلها فی أسماء الرجال التی تحتوی علی تراجم خمس مائة ألف شخص - وهذا مایمتاز به الاسلام عن سائر الأدیان ، فالعالم لا یستطیع أن یقدم نظیره - فسببت هذه المحاولات کلها إلی أن صارت الأحادیث کلها منقحة ممیزة و لم یبق واحد منها إلا و یعلم مدی صحته .

ویستطیع الیوم أی رجل له إلمام بعلم الحدیث أن یستعرض الأحادیث ویحکم علیها بالصحة وعکسها ، أما الأحادیث الغیر الصحیحة فانها تسع وأربعون درجة (٣) وهذا هو السبب الوحید الذی من أجله کان النقاد من أصحاب الحدیث یقولون - وعلی ثقتهم یقول کل واحد ممن له إلمام بصناعتهم - من غیر مبالاة لوضاع الحدیث أن الامة فی مأمن من أحادیثك الموضوعة ، فقد قال هارون الرشید ذلك الخلیفة الخبیر لواضع حدیث فی قولته النادرة المشهورة : أین أنت یا عدو الله من أبی إسحاق الفزاری و عبد الله بن المبارك ینخلانها فیخرجانها حرفاً حرفاً (٤) فقد أثبت المعترض لنفسه جهلا بقوله « إنه یجب أن نضع کتب الأحادیث جانباً حتی یأتی من یغربلها » فقد رأینا أن هارون الرشید کان لدیه معرفة تامة (ولم یکن محدثاً) بأن المحدثین الناقدین میزوا بین الحدیث الصحیح و الأحادیث الموضوعة بالتحقیق و التدقیق (بالغربلة و التنخیل) وقد تمت هذه العملیة قبل اثنی عشر قرناً ، لکن المعترض

(٢) تدوین الحدیث للعلامة مناظر أحسن الکیلانی ص ٤٧

(٣) مقدمة ابن الصلاح ص ٢٠

(٤) ابن عساکر ص ٢٥٤ ج ٢

لم يعثر عليه حتى الآن ، فقد صدق من قال : الناس أعداء لما جهلوا » يعلم الجميع و يتفقون على أن علم الحديث قد كمل و لا يحتاج إلى من يزيد فيه ، و ما أبلغ وأروع ذلك الرأى الذى أبداه عارف به ، قال : العلوم ثلاثة علم نضج وما احترق ، وهو علم النحو والأصول ، وعلم لا نضج ولا احترق وهو علم البيان و التفسير ، و علم نضج و احترق و هو علم الحديث و الفقه (١) و من هنا يعلم أن علم الحديث لم يبق فيه شئ حتى يزيد فيه رجل ولد فى القرن العشرين ، نرى أن للتعريف بالرواة من الصحابة إلى جامعى الكتب أنشئ مبحث باسم « الاعتبار » و يعلم به « المتابعات » و الشواهد للاحاديث .

و ركز بعض المحدثين جهودهم على هذه الناحية كالامام الترمذى ، وأنه ينقل أسماء الصحابة و الرواة بعد سرد الحديث الشريف ، و شمر بعض شراح الترمذى عن ساق الجد فى هذا الميدان و ذكر الروايات كلها بذكر الرواة ، علم من هذا أن رواة الأحاديث التى رويت فى الصحاح الستة هم أكثر عدداً فى كل مرحلة ، و بعض الحديث تبلغ طرقه إلى مائة طريق بل أكثر منه ، و للتعريف بالأسانيد للصحيين ألفت كتب مستقلة باسم « المستخرج » و من الكتب المعروفة فيها صحيح الاسماعيلى (مستخرج البخارى) و صحيح أبى عوانة (مستخرج مسلم) (٢) علم من التفاصيل التى سردناها أن السنة النبوية القولية و الفعلية كلتيهما بمثابة فلق الصبح توجد بين أيدينا ونحن لا نعترف بها فحسب بل قد اعترف بها الأجانب ، منهم مؤلف إنجليزى معروف ، إنه قال : لا يمكن أحداً أن يخدع نفسه ولا يمكن

(١) الدر المختار مع رد المحتار ج ١ ص ٣٤

(٢) « بستان المحدثين ٤٠ - ٣٨ للعلامة الكبير و المحدث الشهير الشيخ عبد العزيز نجل الامام ولى الله الدهلوى (رحمهما الله)

غيره فى السيرة النبوية لأنها كضوء الشمس فى منتصف النهار . (١)

المبوة صارت مثار الحقد و الشحناء للاعداء ، لأن سيرة مقيمى الملل
ة حالكة ولا يمكن عليها العثور فى هذا الزمان فرأوا من الفراسة والحزم
يض أن يسودوا سيرة الرسول ﷺ بتشويه الرواة الذين بلغت السنة إلينا
، وازدادت هذه المحاولات لما انهزموا فى الحروب الصليبية بأيدى المسلمين ،
ت هذه الحقائق بالدلائل المقنعة ، من رأى المتشرقين عن كثب و تحدث
هذا الموضوع ونبهم على أخطائهم ، وكشف القناع عن أباطيلهم وخرافاتهم ،
لأستاذ المرحوم الدكتور مصطفى السباعى .

ل هنا بعض المقتطفات من كتابه القيم « السنة و مكانتهـــا فى التشريع
إنه يقول : فى مذكرتى عن المستشرقين الذين لقيتهم خلال تلك الرحلة
أوربا و زيارة معاهدها العلمية و شخصياتها الفذة) اتضحت لى الحقائق
، المستشرقين فى جمهورهم لا يخلو أحدهم من أن يكون قسيساً أو استعمارياً
يا . . إن الاستشراق يسير مع الكنيسة ووزارة الخارجية جنباً إلى جنب
ا كل تائيد (٢) و يقول عند اختتام الكتـــاب : و شاء الله أن ترتد
الصليبية كلها مدحورة مهزومة بعد حروب دامت مائى سنـــة كاملة . . .
قلوبها الحسرة و فى جباهها الهزيمة . . . ملوكهـــا و أمراؤها ، رجعوا
على الاستيلاء على هذه البلاد مهما طال الزمن و كثرت التكاليف ورأو
نفاق فى الاستيلاء عليها عسكرياً أن يتجهوا إلى دراسة شئونها و عقائدها

حياة محمد (ترجمة محمد) ص ١٠٨ باسورث إسمث

سنة و مكانتها فى التشريع الاسلامى الدكتور مصطفى السباعى ص ١٦

تمهيداً لغزوها ثقافياً و فكرياً و من هنالك كانت النواة الأولى لجمعيات المستشرقين التى ما زالت تواصل عملها حتى اليوم . . . أكثر الذين يشتغلون منهم بهـذ الدراسات . . يعنون بتحريف الاسلام و تشويه جماله (١) و بعـد ذلك بين شيئاً كثيراً من ميزاته .

١ – سوء الظن و الفهم لكل ما يتصل بالاسلام .

٢ – سوء الظن برجال المسلمين و علمائهم وعظمائهم .

٣ – تصوير الحضارة الاسلاميـة تصويراً دون الواقع بكثير تهويناً لشأنهـا واحتقاراً لآثارها .

٤ – إخضاع النصوص للفكرة التى يفرضونها حسب أهوائهم .

٥ – تحريفهم للنصوص فى كثير من الأحيـان .

٦ – تحكمهم فى المصادر التى ينقلونهـا . . و يصححون ما ينقله الدميرى فى «كتاب الحيوان» ويكذبون ما يرويه مالك فى الموطا ، كل ذلك انسياقاً مع الهوى ، وانحرافاً عن الحق بهذا الروح التى أوضحنا خصائصها بحثوا فى كل ما يتصل بالاسلام و المسلمين من تاريخ و فقه و تفسير و حـديث و أدب و حضارة وقد أتاح لهم تشجيع حكوماتهم .

«يتبع»

(١) نفس المصدر ص ٣٦٤ - ٣٦٥ - ٣٦٦

المرأة

المرأة قبل الاسلام و بعده

- ٤ -

الأستاذ سعيد بن عبد الله سيف الحاثمى

نقرأ فى الأناجيل المعترف بهـا رسمياً كما رأينا فيما اقتبسناه ـ أن حواء هى سبب كل المشاكل و سقوط آدم من الجنة نتيجة خطيئتها حيث مربنا هذا المعنى فى عرضنا للنحل المختلفة .

لا نجد ذلك فى إنجيل برنابا فقط .

أما إذا جئنا إلى الاسلام فاننا نجده لا يلقى اللوم على حواء وحدها و إنما يخاطب آدم و حواء معاً و فى بعض الأحيان نرى العتاب موجها لآدم وحده دون حواء يقول لنا القرآن الكريم ما يلى :

« فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك و لزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى . . إن الله ألا تجوع فيها و لا تعرى ، و أنك لا تظمؤا فيها ولا تضحى ، فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد و ملك لا يبلى فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما و طفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة ، و عصى آدم ربه فغوى ، ثم اجتباه ربه فتاب عليه و هدى » (الآيات من ١١٧ إلى ١٢٢ من سورة طه) .

« و قلنا يا آدم اسكن أنت و زوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ، فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه و قلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الأرض مستقر و متاع إلى حين ، فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم » . (الآيات ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧

من سورة البقرة) .

قارن بين قول الحق تبارك و تعالى و بين ما يقرأه أو يسمعه الواحد منا عن الخطيئة و سببها .

- نقرأ فى الترجمة الانجليزية لكتاب الشيخ / عبد الله بن خياط ما يلى :

يروى عن النبى ﷺ أنه قال : كل طفل يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه » .

يعنى هذا أن كل طفل يولد حديثاً يحمل معه الطبيعة البريئة المستقيمة و هذا يخالف تماماً ، الاعتقاد السائد لدى النصارى بالخطيئة الأبدية وذلك أنه حسب عقيدة المسلمين لا يرث الطفل شيئاً من الخطيئة الأبدية و وصمة الجسد المرذول ،

ولا يعتبر الاسلام آدم مخطئاً ، إنما هو مجرد أنه نسى أوامر ربه و لم تكن له نية عصيان أوامر ربه ، و يفهم هذا من تعاليم القرآن الكريم فقد عصى آدم و حواء معاً و تابا فغفرلهما .

« فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه » (الآية ٣٦ من سورة البقرة) .

« فوسوس لهما الشيطان ليبدى لهما ماورى عنهما من سوآتهما » (الآية ٢٠ من سورة الأعراف) .

« قالا ربنا ظلمنا أنفسنا و إن لم تغفرلنا و ترحمنا لنكونن من الخاسرين » (الآية ٢٣ من سورة الأعراف) .

الحقوق الانسانية للمرأة فى الاسلام

من أعظم الحقوق الشرعية التى منحها القرآن الكريم رفع لعنة الخطيئة الأبدية عن المرأة فكل من الزوجين قد وسوس له الشيطان و كلاهما ظلم نفسه و استحق الغفران و التوبة و الندم ، وليس على ذرية آدم و حواء جريرة تلحقهم بعد أبويهم

أو تلحق أحداً من الأبناء لجريرة الآباء (١) .

« تلك أمة قد خلت لها ما كسبت و لكم ما كسبتم و لا تسئلون عما كانوا يعملون (الآية ١٤١ من سورة البقرة) .

جاء الاسلام ليعالج حقوق المرأة و يحقق إنسانيتها فى الوقت الذى كانت تعقد فيه المؤتمرات للبحث عما إذا كانت المرأة إنساناً و لها روح أم لا ؟ و عما إذا كانت من البشر من عدمه أو هل كان يجب عليها أن تعبد الله كما يعبده الرجل أم لا ؟ وهل تدخل الجنة أم لا ، و غيرها من الأمور المزرية بحقها المضيعة لقيمتها وقدرها ، و لقد عقدت هذه المؤتمرات ما بين القرن الخامس و السابع الميلادى و فى نفس الفترة بعث نور الهدى وسمعنا النداء يدوى فى كل مكان ، ارهف حسك لتسمع ما قاله القرآن الكريم عن مكانة المرأة :

« يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر و أنثى و جعلناكم شعوباً و قبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير » (الآية ١٣ من سورة الحجرات) .

« يا أيها الناس ، اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة و خلق منها زوجها و بث منهما رجالاً كثيراً و نساءً ، و اتقوا الله الذى تساءلون به و الأرحام ، إن الله كان عليكم رقيباً » (الآية الأولى من سورة النساء) .

« هو الذى خلقكم من نفس واحدة و جعل منها زوجها ليسكن إليها فلما تغشاها حملت حملا خفيفاً فمرت به ، فلما أثقلت دعوا الله ربهما : لئن آتيتنا صالحاً لنكونن من الشاكرين » (الآية ١٨٩ من سورة الأعراف) .

« خلقكم من نفس واحدة ، ثم جعل منها زوجها و أنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج ، يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلق فى ظلمات ثلاث ، ذلكم الله

(١) عباس محمود العقاد : المرأة فى القرآن .

ربكم له الملك لا إله إلا هو فأنى تصرفون (الآية ٦ من سورة الزمر) .

« و من آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها ، و جعل بينكم مودة و رحمة ، إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون » (الآية ٢١ من سورة الروم) .

و لا يخفى على أحد كيف يؤثر أحد الجنسين فى الآخر و كيف يشغل مشاعره و وجدانه ، و إن لهذه المشاعر أهمية كبرى فى حفزالهمم و شحذها و تحريك نشاط الناس و تغيير أنماط حياتهم .

و لوجود هذه الأمور و غيرها من الصلات التى تربط بين الرجل و المرأة فلقد استغل أعداء الاسلام هذه الغريزة أو الميل أكبر استغلال .

لله در من قال : إن الناس يعرفون مشاعرهم تجاه الجنس الآخر و تشغل أعصابهم و مشاعرهم تلك الصلة بين الجنسين و تدفع خطاهم و تحرك نشاطهم تلك المشاعر المختلفة الأنماط و الاتجاهات بين الرجل و المرأة ، و لكنهم قلما يتذكرون يد الله التى خلقت لهم من أنفسهم أزواجاً و أودعت نفوسهم هذه العواطف والمشاعر و جعلت فى تلك الصلة سكنا للنفس و العصب وراحة للجسم و القلب واستقراراً للحياة و أنساً للأرواح و الضمائر و اطمئناناً للرجل و المرأة على السواء ، و هذه كلها و أكثر منها موجودة لأن تركيبهما العضوى والنفسى والعصبى ملحوظ فيه تلبية رغائب كل منهما الآخر و ائتلافهما و امتزاجهما فى النهاية لانشاء حيـــاة جديدة تتمثل فى جيل جديد .

حقوق المرأة و واجباتها

لا يفرق الاسلام بين الرجل و المرأة فى الحقوق و الواجبات إننا نجد فى بعض الأوقات أن لها نوعاً من الامتياز عن الرجل إذا كنا نريد أن نسميها إمتيازات

فلا مانع من ذلك و لو أن الرسول ﷺ سماها نقصاً فى الدين إن المرأة تمتاز عن الرجل فى أموره لنذكر بعضاً منها :

يعفيها الاسلام من الصلاة و الصوم أيام عادتها الشهرية و فى أيام النفاس ولا يطالبها الاسلام قضاء ما فاتها من الصلوات فى تلك الفترة أما الصوم فعليها القضاء .

و الحامل لها مطلق الحرية فى الصيام أو عدمه إذا كان الصوم مضراً لصحتها أو صحة الجنين ولا يعفيها الاسلام الصلاة ، وعليها قضاء الأيام التى افطرت فيها .

نرى أن الاسلام قد أخذ فى نظر الاعتبار إلى التغييرات الجسمية و النفسية للمرأة و لنضرب مثلا لذلك : قد تكون المرأة مشغولة بطفلها من رضاعة و تربية و رعاية و غير ذلك من الأمور التى تأخذ جل وقتها و عليه لم يلزمها الاسلام حضور الجمع و الجماعات (١) بينما الاسلام أجبر الرجل حضورها و خاصة إذا كان يعيش بالقرب من المسجد .

أعطاها الاسلام شيئاً من حق الطلاق وهو كالآتى : إذا نص فى عقد الزواج ذلك الحق أو رفع الشكوى إلى القاضى و الخلع .

منحها الاسلام حق الملكية الخاصة و كذلك منحها الحق فى فسخ الخطبة إن لم ترض بالزوج . . إلخ .

« يتبع »

(١) يطالب بعض الكتاب باعادة هذا الحق : حق المرأة فى صلاة الجماعة ، إقرأ مثلا كتاب روح الاسلام للسيد أمير على .

ظاهرة العصر الجديدة

واضح رشيد الندوى

القلق النفسى أصبح ظاهرة عامة فى هذا العصر، عصر الكشوف والدراسات، و التجارب، و التحليل، و التنافس و التزاحم، عصر المطالب النامية والدوافع إلى حياة أفضل، و كسب مزيد من التفوق والسبق، ليس فى ميدان واحد، بل فى ميادين كثيرة فى وقت واحد، و صار الانسان لا يكبح جماحه و لا يشبعه و يروى غلته شئ مهما كسب من سمعة، ومهما قهر من عدو، وبسط أمره على غيره، فيظل دائما متعطشاً، نهما، يعانى من الشعور بالنقص - لا نقول مركب النقص لأن طبيعة الانسان اليوم أنه يشعر بالتفوق الذاتى والكمال الذاتى فى الصفات و الشمائل و يشعر بالنقص فى المادة فى آن واحد.

و كل ما نشاهده فى العالم من حروب، ومشاحنات و من حركة و ضجة، ينبع من هذه الظاهرة، فيعانى الانسان من شعور التضايق، و الخناق فى كل بيئة و محيط، بقدر التقدم فى المدنية و الحضارة، و بقدر الدراسة، و كسب العلم، و بقدر استيلائه على المواهب الطبيعية، والمادية، وبقدر دعاويه الباطلة والحقيقية.

وقد زاد هذا التضايق بالتلوث الفضائى، والبحرى، والجوى وبالتلوث الفكرى و العقلى، فيحتاج إلى وسائل للهدوء الفكرى و تطهير البيئة، و تصفية الجو، أما التلوث فيزداد، و المضايقة و الاختناق فيستمران باطراد، لتضارب المذاهب و الفلسفات و تزاحم بعضها للآخر، و لتمكير الحياة الصناعية.

و قد كثرت حوادث هذا القلق الذى ينشأ من جماح الانسان و تلونه ، و تلقيح الأفكار المتعارضـــة ، و غلبة المادية الجامحة ، و تضاؤل روح التسامح و الاقتناع فى البلدان المتحضرة بحيث صار ذلك مسألة تشغل بال المفكرين و علماء النفس و الاجتماع ، و السياسة .

صار القلق النفسى مرضا نفسيا نتيجة للصراع الفكرى ، وللظواهر الاجتماعية المزاحمة لأن الحضارة الحاضرة كانت باعثا على زيادة طموح الانسان فى حياته ، وحمله على كسب مزيد مما يتمتع به من رفاهية ، أو سيادة ، أو نفوذ ، أو قدرة ، بدون أى يكون هناك رادع أو توجيه خلق ، فيزداد فى الانسان الجشع والنهامة ويكدس لنفسه ما استطاع إليه سبيلا ، و إن كان على حساب غيره من بنى جلدته .

إن هذا التهور و الجماح فى طبيعة الانسان المثقف اليوم الذى ترك الحبل على غاربه بعد أن انسلخ من تعاليم الأديان ، ومثل الأخلاق ، و طغت عليه المادة ، و النفعية الذاتية ، خطر كبير للاجيال القـادمة ، و قد زادت الموازين الجديدة للعلم و الثقافة هذا الجوح ، وزادت من القلق النفسى للانسان نتيجة له ، بالاضافة إلى ما يعانى الانسان اليوم من أمراض طبعية معقده ، نتيجـــة للتلوث الصناعى ، و زحمة الحياة ، و الارهاق فى المعيشة .

و أكثر البلدان تعرضاً لهذه الظاهرة ، القلق الصحى ، و القلق النفسى ، هى البلدان المتقدمة المتحضرة ، حيث تمت ميكنة الحياة ، وهى التى تشعر الآن بضرورة الهدوء النفســـى .

اكتشف أحد الخبراء فى العلاج النفسى إن تهيئة ظروف نفسية و مناخيـــة تبعد عن الانسان الخوف و القلق و الغضب و تهيئ فيه الانسجام مع بنى جنســه و تنمى قابليته الفكرية و العقلية وتخلق فيه الشعور بالسعادة ومن شأنه إطالة عمره

ليصل إلى مائة سنة لحد أدنى ، وإن هذه الظروف تودى إلى زيادة التآلف وتنشئ الادراك الحسي وقابلية الاستجابة للقوى الروحية .

كان هذا القلق النفسي هو الدافع الكبير إلى نزح عدد كبير من سكان المدن المتحضرة إلى أماكن يستريحون فيها ، و إلى اكتشاف و تهيئه فرص للاستجمام ، فتتوجه أفواج من الباحثين عن الراحة والطمأنينة ، إلى دول الشرق ، فراراً من ضوضاء المدن ، وضجيجها ، و تعب الحياة ، وذلك هو الدافع وراء الشباب الذين يحومون فى البلاد الشرقية فى البحث عن الحرية و هدوء الفكر ، وقد استغل هذه الظاهرة عدد من اليوغيين الهنود و جذبوا إلى مذهبهم و طرق تربيتهم عدداً كبيراً من الشباب فى الغرب الباحثين عن هدوء النفس ، و فتحوا فى الهند مراكز تربية ، فى مختلف المناطق ، يحضرها ألوف من الشباب الغربيين ويقضون فيها مدة على طريقة النساك الهنود و يرتدون ازياءهم الخاصة و يقاسون خشونة العيش ، و يقومون برياضات وتمرينات شاقة ، و يتجردون عن سائر مستلزمات المدنية الحاضرة .

و قد سبب ذلك فى انتشار هذه الفرق اليوغية التى تتخذ لجــذب الشباب و المترفين وسائل إغراء كثيرة وكان منهم المهاريشى الذى قد زار عدة بلدان عربية بتروابة حيث أحدث حب المدنية و الترف مسائل اجتماعية ، و مشاكل نفسية ، وكسب له إقبالا ونفوذاً ، وأمثال المهاريشي منتشرون فى العالم ومركزهم فى الهند ، ومنهم من عرف نفسه بـ « سائين بابا » فى ناجبور بالهند الذى يقبل عليه الشباب و الكهول من المثقفين و أصحاب النفوذ ، و النشاط الاجتماعى ، و أغلبيتهم من البلدان الأجنبية المتحضرة كأمريكا ، و ألمانيا و بريطانيا و دول عربية أخرى .

تقدم الانسان فى الثقافة و المعيشة فى كثير من العهود السابقة فى التاريخ وأدى التقدم فى العلم والاجتماع والمدنية إلى مسائل للانسان ، فقامت الأديان والفلسفات

خلاقية بدورها فى ردع هذه الأخطار ، و منع الانسان من أن تجره الحضارة حافة الأنحلال و الذوبان .

و قد قام الاسلام بدوره عندما كانت الحضارة الفارسية و الحضارة الرومية وصلتا إلى هذه النقطة من شقاء الانسان بسبب طموحه ، وجماحه ، و انغماسه إشباع نفسه ، فأخذ بحجزه و إليه اشار القرآن الكريم .

« و اذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته وانا ، و كنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها »

لقد حلت الامبراطوريتان الشيوعية المادية ، و الصليبية الغربية ، محل مبراطوريتين الفارسية و الرومية المتناحرتين اللتين اقتسمتا العالم وتطحنان الانسان م ، و يشق الانسان فى كل مكان بجراء الحضارة المادية و النظم المادية ويرزح ت وطأة الفكر المادى الجامح ، وتحدق به الأخطار من كل جانب ، فما أحوجنا م إلى نظام الاسلام ومثله الخلقية والروحية ، وتعاليمه السمحة وتطبيقها على الحياة نذ أنفسنا ونهدى غيرنا إلى سعادة الحضارة ونخرجه من ضيق الدنيا إلى سعتها .

شبح الحرب الفيتنامية يطارد الأمريكيين

لا يزال المجتمع الأمريكى يعانى من ويلات حرب الفيتنام ، فقد انتهت رب عملياً ، و انسحبت القوات الأمريكية ، لكن الجنود الذين اشتركوا فى مليات العسكرية ، و سببوا شقاء الشعب الفيتنامى و تدميره ، عسكرياً و خلقياً ، اجتماعياً ، يقاسون مرارة تلك المعاناة الوحشية ، و يتعرضون لعواقبها الخطيرة نزعة ، أنفسهم و أهلهم و ذووهم فى بلادهم .

لقد مرت على حرب الفيتنام عشر سنوات ، ولكن استخدام المواد الكيماوية

المدمرة أثناء عمليات القصف لتدمير الأرياف الفيتنامية قد ترك أثراً سيئاً على صحة الجنود الأمريكيين أنفسهم الذين عادوا إلى الوطن بمخلفات تلك الحرب، وانعكاساتها حاملين معهم ميكروبات فتاكة، تولد أمراضاً، و أدواء مخيفة مثل السرطان، نتيجة للتسمم أثناء العمليات

و قد قتل ألوف من الجنود الأمريكين فى القتال، و لكن الذين نجوا فى الحرب و عادوا إلى الوطن سالمين، يعانى منهم عدة آلاف من الأمرض التى أعيت الأطباء، وقد ظهرت آثار التسمم فى أولاد الجنود كذلك و قد شوهد أن عدداً من أولاد هؤلاء الجنود الذين حاربوا فى فيتنام، ولدوا بدون أذن، وبعضهم ولدوا بأيد قصيرة للغاية، و كذلك يظهر النقص فى أعضاء أخرى من الجسد، و يعتقد الأطباء أن هذه الظاهرة ترجع إلى ذلك التسمم فى الحرب.

كانت القوات الأمريكية تستخدم مادة كيماوية سامة فى محاربة القوات الفيتنامية التى كانت تأوى إلى أجمات و أدغال كثيفة فقامت بالقاء (Agent Orange) التى كانت تحتوى على مادة سامة للغاية لتجريد الأشجار عن الأوراق لتتعرى المخابيء و تنكشف للغارة الجوية، و تصفى المنطقة من المقاتلين التابعين لـ « فيت كونج ».

و قد قدم حوالى خمسمائة من الجنود الأمريكيين دعاوى ضد الشركات الكيماوية الأمريكية التى زودت الجيش الأمريكى بمبيدات Agent Orange وطالبوا بانشاء صندوق تبلغ ماليته عدة بليارات من الدولار لتحمل نفقات العلاج، و تكفل العجزة، و أولادهم الذين يخشى أن يتضرروا بهذه المادة السامة.

ويخشى الدوائر العايمة أن عدد المتضررين سيزداد، و يبلغ أكثر من ٤ر٢ مليون، و ستنظر فى هذه القضية محكمة فدرالية فى نيويورك.

أخذت القوات الأمريكية فكرة إبادة الأجمات من البريطانيين الذين استعملوا

مادة عائلة تعرف بـ « 2، 4، 5، T » لابادة الأجمات فى الملايزيا لتأمين طرق
و التعزيزات العسكرية .

وقد رفضت الشركات التى صنعت هذه المواد المبيدة الدعوة وحملت ا
المسئولية بقولها إن الضرر لحق بسبب الاكثار من استعمال هذه المواد و
فيها و إغفال ضررها .

وقد تضرر بهذه المواد السامة الجنود الذين قاموا باستعمالها ، و الجنـ
اشتركوا فى العمليات العسكرية التى جرت فى المنطقة التى تمت تصفيتها بالمواد
و معظمهم من قوات المشاة .

لم يكن بحسبان أحد أن المواد الفتاكة ستصيب القوات الأمريكية نفسم
ستصبح مصدر شقاء مستمر لها و للاجيال القادمة ، و ليس ذلك إلا لعنة
و وبال الدمار وإراقة الدم التى اشتركت فيها أمريكا وخلفاؤها فى فيتنام ،
مستمرة يدفعها الشعب الأمريكى .

لقد بلغت الخسائر الأمريكية فى الحرب التى دامت أكثر من عشر سـ
٥١٠٠٢ قتيلا ، وقد صرح ماك أرثهى (Me Carthy) أنه يعتقد أن نفسر
يعانى من التسمم بالاضافة إلى ٠٠٠ ر ٣٥٠ ممن تظهر عليهم آثار التـ
المستقبل ، و يعانى خمسة آلاف من السرطان .

رغم هذه التكاليف و الخسائر التى تحملتها الولايات المتحدة فى ا
و الممتلكات لم تستطع أن تحتفظ بسيادتها واستيلائها و أرغمت على الانسـ
و فى ذلك عبرة لمن أحب أن يسير على الخط الاستعمارى ويضطهد ا
و يستعبد الناس و تغره الوسائل المادية .

« فاعتبروا يا أولى الأبصار » .

أخبار اجتماعية و ثقافية

الاحتفال المئوى لجامعة دار العلوم ديوبند

قلم التحرير

بعد معاناة من الانتظار الطويل آن لكبرى جامعات الهند الاسلامية « دار العلوم بديوبند » أن تحتفل على الصعيـــد الدولى بمناسبة مرور ١١٧ عاماً على تأسيسها ، و دوت الهند كلها بصدى هذا الاحتفال العظيم الذى يقوم على أرض ديوبند ، بل و تجاوز صداه إلى أرجاء المعمورة ، وتوافد الناس من كل مكان إلى هذا الاحتفال لكى يشهدوا تجمعا إسلامياً عظيماً ، يمثل كل طبقة من طبقات الشعب المسلم ، يمثل علماء الاسلام و قادة الفكر ودعاة الأمة ورجال التعليم وخبراء المناهج التربوية والعاملين فى القطاعات الاعلامية من كل نوع ، بالاضافة إلى عامة الشعب التى يربو عددها ـ كما يقدر ـ نصف مليون شخص .

هذا التجمع الكبير فى الحقيقة دليل أكبر على حيوية الشعب الاسلامى الذى يستجيب لكل نداء يرتفع باسم الاسلام ، ويهرع إلى كل واقع يرجو فيه خيراً لنفسه و لأمته و لدينه ، و جامعة ديوبند الكبيرة التى أسست على التقوى ، إذا وجهت نداء إلى عامة المسلمين باسم الدين ، باسم العقيدة ، باسم التربية و التعليم باسم الوحدة و التضامن كيف لا تجد تجاوباً مخلصاً من الأمة الاسلامية ، وكيف لا تقر عينها بتلك الشرارة الايمانية التى كانت كامنة تحت الرماد فانطلقت من ورائه وتكونت جمرة وضاءة ، شملت الأرض بهاء نوراً .

بعد فترة طويلة تمتد على سبعين عاماً تحتفل دار العلوم ديوبند بهذه المناسبة الدينية وتكتسي أرضها حلة النور والسرور، و تهتز جدرانها ابتهاجاً بمكسبها الكبير في حقل التعليم الديني و بانتاجها الضخم في مجال العلوم الدينية و هي تحتضن اليوم أبناءها البررة الذين تربوا في حضنها العريق فيما بين هـــذه الفترة الطويلة فارتضعوا من لبانها أفاويق العلم و الدين و التقوى ، وهي تتناولهم بيد الأم الحنون ، و تثبت على جبينهم قبلات الحب و الحنان و تتوجهم بتاج الفضيلة و العزة ، إن الباعث على هـذا الاحتفال المئوي الكبير الذي تعقده هذه الجامعة الاسلامية الكبيرة هو شعورهـا بالحاجة الملحة إلى استعراض إمكانيات تجديد الفكر الاسلامي و التوصل إلى منهج دراسي موحد يبتني على التفهم التام للاوضاع الراهنة وعلى الاتزان الدقيق الكامل ، و يجمع بين القديم النافع و الجديد الصالح حتى يتمكن من أداء دوره في بعث التوعية الاسلامية في المسلمين و رفع مستواهم الديني و الفكري .

و ذلك هو الهدف الأصيل لهـــذا الاحتفال العظيم ، كما جاء في إعلانات المسئولين عن الاحتفال مراراً و تكراراً ونشرتهـا وسائل الاعلام على أوسع نطاق قبل الاحتفال ، و تأملنا في هذا الهدف الأصيل فاذا هو مبدأ ندوة العلماء بالذات الذي دوى صداه في أرجاء هذه البلاد وخارجها منذ ٩٠ عاماً ، فندوة العلماء قامت على أساس تطوير المناهج الدراسية وفق حاجات و متطلبات العصر ، مـــع الجمع بين القديم الصالح و الجديد النافع ، و بين الايمان و الراسخ و العلم الواسع .

هذا ما دعت إليه ندوة العلماء منذ ٩٠ عاماً و لا تزال تدعو إليه ، وقد أقامت مهرجانها التعليمي في عام ١٣٨٥هـ فضغطت على هذا المبدأ و نجحت في كسب التأييد العام له .

و من هنا نرجو بحق أن يتسع نطاق التعاون فيما بين جامعة ديوبند الكبرى و جامعة ندوة العلماء فى تحقيق مبدء التطوير و التعديل و فكرة الجمع بين الجانبين من الحياة و إعطاء كل منهما حقه ، و لا يكون هناك من يرى ندوة العلماء بعين و يرى جامعة ديوبند بعين أخرى ، بل يعتبرهما شقيقتين متعاونتين تتوخيان غرضاً واحداً ، و تناديان بهتاف واحد .

إذا تحقق هذا الأمل فذلك هو المكسب الحقيقى الكبير للاحتفال الذى يعقده علماء جامعـــة ديوبند ، و يسهرون على إنجاحه ، و تحقيق الهدف الذى يتوخونه من ورائه ، وما ذلك على الله بعزيز .

دكتور يوسف القرضاوى فى ندوة العلمـاء

فى ١٨/ من ربيع الثانى ١٤٠٠هـ استقبلت ندوة العلماء الداعية الاسلامى الشه و الكاتب الكبير فضيـــلة الشيخ الدكتور يوسف القرضاوى كأستاذ زائر يقو بالقاء محاضرات فى مواضيع الدعوة والفكر الاسلامى فى دار العلوم ، بناء على دع سماحـــة الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى ، و استقبل فضيلة الدكتور يوس القرضاوى لدى وصوله إلى ندوة العلمـاء أساتذة الجامعة و الطلبة ، استقبالا حار و أقيمت له حفلة تكريم و استقبال فى قاعة اتحاد الطلبة « جمعية الاصلاح » المساء و قدم فضيلته الأستاذ محمد الرابع الندوى رئيس كلية اللغة العربية ، ثم الأستاذ سعيد الأعظمى كلمـــة ترحيب ، جاء فيها : « من بواعث الغبطة السر الكبير ، بل و من دواعى الاعتزاز و السعادة أن نرحب بصـــاحب الفضـــ العالم الجليل و الداعيـــة الاســلامى الكبير الدكتور يوسف القرضاوى فى رحا

دار العلوم جامعة ندوة العلماء الواسعة ، نرحب به بقلوب تملؤها عواطف الحب الخالص ، و دوافع الشكر و التقدير على ما تكرم به فاستجاب دعوتنا المتواضعة لزيارة هذه الدار كأستاذ ومحاضر و داعية و مرب لكى نفتح بذلك صفحة جديدة مشرقة من صفحات التربية و التوعية الاسلامية ، و نفتتح بذلك بابا جديداً من أبواب الدعوة و الفكر الاسلامى لا فى هذه الدار وحدها بل فى هذه البلاد التى عرفت بعنايتها الزائدة و شغفها الكبير بالعلم و الثقافة الاسلامية و الدعوة إلى الله و عرفت بنوابغها من العلماء الأجلة ورجال التربية و الدعوة والاصلاح و عرفت بكثرة مدارسها الدينية وجامعاتها الاسلامية ومراكزها الثقافية ، و جهودها الواسعة فى مجالات العلم و الدين و خدماتها المشكورة فى حقول الدعوة و الاصلاح و التزكية و الجهاد .

إننى بهذه المناسبة الكريمة أتذكر ذلك المبدء الوسط الجميل الذى أقام عليه سلفنا أساس ندوة العلماء . أتذكر مبدء الجمع بين الدين والدنيا ، بين العلم والايمان بين السيف والمصحف ، بين الحديد و الحرير و بين العقل و القلب ، أتذكر ألمعية أولئك العلماء الربانيين الذين كانوا ينظرون ببصيرتهم الايمانية وباشراقهم الروحى إلى مستقبل بعيد . وكانت تتمثل أمام أعينهم تلك الأخطار القادمة المحدقة بالأمة الاسلامية ، التى كانت تتقدم إليهم بخطى واسعة حثيثة ، فرأوا من واجبهم الايمانى و مسئوليتهم الدينية أن يقوموا بتخطيط للمستقبل و يخططوا مناهج التعليم و التربية للمسلمين فى الهند بوجه خاص و فى العالم الاسلامى بوجه عام على أوسع نطاق و يستهدفوا إعداد الأجيال المسلمة ذات الشخصية الاسلامية القوية التى تحارب الحضارة الغربية و تزيف بريقها و لمعانها الكاذب وبالتالى تصمد فى وجوه أعاصير الردة الفكرية التى كانت تكفى لعصف أقوى المراكز الدينية واقتلاع جذور الايمان والعقيدة من القلوب .

و قد نجح علماء الندوة فى تخريج أجيال من العلماء و أصحاب الدعوة والفكر و القلم و اللسان ، ممن مثلوا الاسلام تمثيلا قوياً فى جميع القطاعات و على كل المستويات ، و حسبنا كمثال شخصية أستاذنا الكبير سماحة مولانا الشيخ أبى الحسن

على الحسنى الندوى الذى مثل شخصيــة العالم المسلم الجامعة لجميع خصائص السيرة والدعوة والتوجيه والتربية .

هذه جامعة ندوة العلماء يا ضيفنا الجليل ونحن أبناؤها المتواضعون و إن كنا لم نحسن حمل الأمانة ولم نحمل أداء المسئولية ، ولكن رغم تقصيراتنا الكثيرة فى الوفاء والولاء ، و فى التمثيل و الأداء ، نرحب بكم على صعيد هذه الدار طلاباً و أساتذة و عاملين و مسئولين ، نرحب بكم من صميم قلوبنا ، و أعماق نفوسنا ، و نتمنى لكم إقامة طيبة و نزولا مباركاً بين إخوانكم و محبيكم ، رجاء أن ننتهز فرصة الاستفادة منكم ، و لا نضيعها فى ما لا يعنينا فنكون قد كفرنا النعمة وخسرنا الفرصة ، ونحن نؤكد أن لكم فى قلوبنا مكانة كبيرة و احتراماً عظيماً سوف نستعين بهما فى الاستفادة و نجعلهما رائداً فى تقدير هذه الساعات الغالية »

ثم ألقى فضيلة الدكتور القرضاوى كلمته رداً على كلمة الترحيب ذكر فيها صلته بسماحة الشيخ الندوى التى ترجع إلى أكثر من ثلاثين سنة عند مازار سماحته مصر فى ١٩٥١م واستعاد إلى الأذهان بعض ذكريات تلك الزيارة ، وامتداد هذه الصلة و وثوقها بمر الأيام على درب الدعوة و نشر الفكر الاسلامى ، فى مختلف اللقاءات و المؤتمرات ، ثم توثقت هذه الصلة بزيارته فى أيام المهرجان التعليمى لندوة العلماء فى عام ١٩٧٥م و ألقى فضيلته الضوء على فكرة الجمع بين القديم الصالح و الجديد النافع التى تبنتها ندوة العلماء ووصفها بأنها فكرة جامعة ، ويكمن فيها حل المسائل التى يواجها المسلمون نتيجة للفجوة بين القديم والجديد ، و الانزواء إلى أحدهما ، وحث على تمثيل هذا الشعار وتجسيده ، وجعله حقيقة وقدوة فى سائر مجالات الحياة .

و احتوى برنامج الدكتور القرضاوى على محاضرات فى المواضع الآتية : فقــه السيرة ، الغزو الفكرى ، الاقتصاد الاسلامى ، الانتاج والاستهلاك ، الصحوة الاسلامية ، أبعادها وآثارها ، حيرة الشباب المسلم وعلاجها ، الفقه الاسلامى وتجديده ، التربية الاسلامية وخصائصها ، وقد كان لزيارة فضيلة الدكتور القرضاوى تأثير كبير على النشاط العلمى فى ندوة العلماء ، و قد ارتجت أرجاء الندوة كلها بمحاضراته المدوية

وكان فى الأساتذة والطلبة إقبال كبير على الاستفادة منه ، وانتهاز هذه الفرصة الغالية التى أتيحت لهم بفضل الله و رعايته .

و قد حضر فضيلته عدة برامج أخرى فى المدينة ، وألقى محاضرات فى اجتماعات عامة ، وخاصة ، وغادر فضيلته فى ٢٨ / ربيع الثانى ١٤٠٠هـ - ١٦/ مارس ١٩٨٠ إلى دلهى لزيارة جامعة عليكراه ، و للحضور فى الاحتفال المئوى لدار العلوم ديوبند المزمع عقده بين ٢١ و ٢٣ فى مارس ١٩٨٠ كما يشتمل برنامجه على زيارة حيدرآباد ، الهند ، وداكا فى بنغلاديش و لاهور فى ، باكستان ، قبل عودته إلى إمارة قطر .

وسننشر مقتطفات من محاضراته نقلا عن الشريط فى الأعداد القادمة إن شاء الله .

قرارات و توصيات مؤتمر الدعوة و التعليم

للجامعة السلفية (وارانسی)

انتهى مؤتمر الدعوة و التعليم فى الجامعة السلفية بعدة قرارات و توصيات مفيدة فى مجالى الدعوة الاسلامية و التعليم الدينى ، و قد ناقش أعضاء اللجنتين الموضوع و بحثوا فى جوانبه المختلفة ، و توصلوا إلى عدة نقاط مهمة فيما يختص بالدعوة الاسلامية ، و يتعلق بالتعليم الدينى فى هذه البلاد و غيرها من الأقطار الاسلامية .

و المعلوم أن وفداً مكونا من أساتذة دارالعلوم لندوة العلماء حضر فى المؤتمر برئاسة سماحة مولانا الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى ، و قد كان لكلمة سماحة الشيخ الندوى التى ألقاها فى مفتتح المؤتمر تأثير قوى فى نفوس الحفل والحاضرين فى المؤتمر .

كما حضر المؤتمر وفود تمثل عدة دول إسلامية عربية منها الكويت ، و السعودية والمغرب وليبيا ، ودولة الامارات ، وشرف المؤتمر بسماحة الشيخ محمد بن عبدالله بن سبيل إمام الحرم المكى الشريف و صلى بالناس صلاة الجمعة فى أول أيام المؤتمر ، كما شرفه العلامة الكبير أستاذنا الجليل الدكتور محمد تقى الدين الهلالى ، المراكشى حفظه الله .

البعث الإسلامي

شهرية للتوجيه

إلى الإسلام من جديد

تصدرها: ندوة العلماء، لكهنؤ (الهند)

العدد القادم

و هو العدد الأول للمجلد الخامس و العشرين سيصدر - بإذن الله - في غرة رمضان ١٤٠٠هـ (يوليو واغسطس ١٩٨٠م) فنرجو القراء أن لا يترقبوا المجلة في شهر شعبان ١٤٠٠هـ (يونيو و يوليو ١٩٨٠م)   « التحرير »

البعث الإسلامي

أنشأها في عام ١٣٧٥هـ الأستاذ محمد الحسني

(في عام ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م)

شخصية إسلامية مستقلة

ندعو إلى تكوين شخصية إسلامية قوية بارزة تتجلى في دوائر الحكم كما تتجلى في دور العبادة، تتجلى في البرلمان، كما تتجلى في المسجد، وتتجلى في أوساط التربية و أجهزة الاعلام، كما تتجلى في كلام الواعظين، و جهاد المصلحين وجهود الدعاة والعاملين.

و حينئذ يكون العالم الاسلامي كله كتلة واحدة ذات شخصية إسلامية مستقلة لا يصنع مؤسسة، ولا يقيم إدارة، و لا يقف موقفاً إلا و هو وفي بعقيدته، حريص على شخصيته، محافظ على سماته و ملامحه، متمسك بأهدافه و غاياته، مسلم في السلم و الحرب، مسلم في الغنى و الفقر، مسلم في الحكم والادارة، مسلم في الاعلام و التربية، مسلم في الصناعة و العلم، مسلم في السياحة و الفن.

محمد الحسني (رحمه الله)

رئاسة التحرير

سعيد الأعظمي   واضح رشيد الندوي

٢٤   (١٥)

⊛ العدد العاشر   ⊛ المجلد الرابع والعشرون

⊛ رجب ١٤٠٠هـ   ⊛ مايو - يونيو ١٩٨٠م

في هذا العدد

أنى القارئ

الأوضاع التي يعيشها عالمنا المعاصر ليست عادية لاتسترعى الانتباه ، وليست خافية على أصحاب البصر والبصيرة ، إنها أوضاع فى غاية من الخطورة ، تتطلب اهتمام الجهات المعنية ، و تحتاج إلى وضع الحد على العقلية القاصرة أو بالأصح على الجنون « الحضارى » الذى يتخطى جميع الحـدود و القيم الانسانية و تحطم كل القيود الخلقية فى إشباع الغرائز وإرضاء الشهوات .

لقد أصبح من هم كل إنسان أن تكون عنده عصا سحرية تحوله من الفقر إلى الغنى و تنقله من الكوخ إلى القصر بين عشية و ضحاهـا ، فظل يعيش أحلاماً خيالية ويسعى إلى تحقيقها بكل حيلة ممكنة ، ولو كلف ذلك أبهظ ثمن وهبط به إلى أسفل درك ، وأدى به إلى ارتكاب جرائم وحشية وخيانات و اغتيالات ، ولا يبالى بما إذا تعرى وراء ذلك عن لباس الانسان و عاد حيواناً مفترساً أو سبعاً ضارياً .

هذه الحالة النفسية يعيشها العالم اليوم أفراداً وجماعات و دولا وحكومات ، فكل صبح يطلع بمحزنات مبكيات ، و كل شمس تشرق بأحداث و مفاجئات لا تعالى بالمصادفات بل تؤكد تسفل الانسان إلى آخر ما يمكن أن يتصور .

كل ذلك نتاج الحضارات المادية و ثمار العقليات القاصرة التى لا تدرك أن هناك شيئاً غير النفع العاجل أو ربحاً يترقبه الانسان يوم لا ينفعه مال و منصب و لا يفيده مكاسبه المادية .

فحاجة العالم إلى استنقاذه من هذه الهوة السحيقة أشد من حاجته إلى التزود بالعلم و المال و بالنفط و السلاح ؟

سعيد الأعظمى

كلا، إنها ليست فلسفة عقلية

بل إنها عقيدة إيمانية

لا شئ أشد ضرراً بل أشد خسارة للعقيدة الاسلامية من أن تتحول إلى فلسفة من الفلسفات، أو تنقلب نظرية من النظريات فقط، كما حدث فى أيام المعتزلة ومن نحا نحوهم فى الدين، و نحن إذ نبدى فرحنا بأنباء الصحوة الاسلامية التى تعم العالم اليوم، و نتفاءل بما إذا رأينا تباشير يقظة إسلامية أو سمعنا ببعض تفاصيلها فى جزء من أجزاء العالم المتحضر الراقى و عواصم الغرب أو الشرق الكبرى، نخشى أن لا يكون ذلك تجربة جديدة للتخلص من الحياة الروتينية، التى تشد المرء كالماكينات، أونتيجة السآمة من لون واحد أو ألوان متكررة للحياة الفردية والجماعية.

نخشى أن لا يصبح الاسلام موضة من موضات التقاليد و العادات، فينحسر فى نطاق من ظاهر العمل والقول، وفى ممارسة بعض الطقوس والشعائر، والهتاف ببعض الأفكار، من غير أن يستند إلى عقيدة لها الكلمة النافذة و الحكم النهائى فى ميزان الأعمال، ومن غير إيمان خالص يتغلغل فى الأحشاء ويخالط بشاشة القلب.

لا أريد أن أمعن فى أعماق التاريخ و استخرج أمثلة لهذا النوع من الاسلام و لكنى أريد أن ألفت الأنظار إلى ما يقوم به أعداؤنا من إعدادات هائلة للقضاء على العقيدة الاسلامية و هدم الصرح الاسلامى، فى سرية وحكمة تامتين، و من بينها تربية أناس من الشباب و الكهول على التنكر لما هم فيه والتزيى بزى الاسلام الكاذب، لكى ينضموا إلى صفوف المسلمين مخلصين لهم الدين فى الظاهر، ومضمرين

عداوة و حقداً و الضرب على جذور الاسلام فى باطن أمورهم ، و هذا أسهل مرام بالنسبة إليهم خاصة وقدجربوا أساليب كثيرة واخترعوا طرائق للهدم والتدمير .

و لعل هذا النفاق أرقى من النفاق القديم و أسرع نتيجة منه ، و لقد كان اليهود منذ فجر التاريخ أحسن الناس إتقاناً لسياسة النفاق فقد عرفوا عبر التاريخ بأساليب الدهاء و المكر و الخديعة والعداوة للاسلام و المسلمين ، و لا يزال لهم جولة وصولة فى هذا المضمار ، كيف لا وقد وصفهم القرآن الكريم بأعدى الأعداء للمؤمنين و أشد الناس عداوة لهم « لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا » و هم الذين عادوا النبي ﷺ و عرقلوا مسيرة الاسلام وحاربوا الدعوة و أرادوا أن يطفئوا نور الله بأفواههم .

إذا فتشنا بجدية تامة عن هؤلاء المندسين فى صفوفنا و جماعتنا و المتسترين بقناع الدعوة والعمل الاسلامى أصابتنا دهشة ، وعلمنا كيف أن العدو يبلغ من الذكاء و الدهاء مبلغاً يحقق فيه غرضه الخبيث من إخراج هيبة الدين و أهمية العقيدة من النفوس و إحلال الشكوك و الزيوغ محلها ، و زرع الشبهات فى القلوب و إفقاد الثقة بشمول الدين ، و الاعتقاد بتطويره و إدخال تعديلات و تحسينات فى ضوء متطلبات الحياة الجديدة و العالم المتغير الحديث .

أعتقد أن العدو قد ركز على تزوير الاقبال على الدين الاسلامى و التظاهر بالاهتداء إلى العقيدة الاسلامية فى الزمن الأخير ، واتخذ ذلك سلاحاً من أسلحة الهدم و الضرب ، حتى جربه على الصعيد الدولى و على أرقى المستويات ، و بعث شبابه و رجاله إلى كل مركز استراتيجى حساس يمكن أن يشن منـــه الغارة على الأفكار و العقائد فيزعزع الايمان فى القلوب و يضعف الثقة بالدين .

وكانت النية التى تعمل وراء كل ذلك هو نشر الانحلال الخلقى فى صف الدعاة

و العاملين للاسلام وإيجاد دين بأكمله لا يعتنى باللباب ، و يركز على القشور ، يهمل فيه العقائد الأساسية ، و يؤخذ ببعض الأشكال و الجوانب الظاهرة بالاهتمام ، و ذلك طبعاً من أمضى الأسلحة التى تستعمل على أقل تقدير لانشاء روح التسامح والمرونة فى الداعية ، و الرؤية إلى العقيدة الايمانية من خلالها ، حيث إن الديانات كلها تهدف إلى غاية واحدة فلا فرق بينها و لا خلاف فى أساسها ، كما لا فرق بين المسلم واليهودى والنصرانى فكلهم يدينون بالديانات السماوية ، ويؤمنون برب واحد .

هكذا يسرى الداء من موضع التفكير إلى مركز الايمان فى القلوب ، وتترسخ جذوره إلى الأعماق من غير أن يشعر بها الداعية ، ومع مضى الوقت ينشأ فيه نوع من اللين و الضعف فى أمر العقائد الثابتة بذاتها ، و ينتقل من طور إلى طور حتى يتم فيه عمل التطور ، فاذا به يتصور الاسلام نظاماً كسائر الأنظمة ، وفلسفة كالفلسفات السائدة ، و قد يدعى أنه فلسفة للحياة تحتاج إلى شئ من التجديد و التطوير فى ضوء الحياة الجديدة والحضارات الحديثة ، بدليل أن الحياة تطورت فلا بد من تطوير الاسلام لكى يساير الزمن ويفيد العالم المعاصر ، ولا يتأخر عن الركب الحضارى .

من هنالك واكب المد الاسلامى فكر منحرف و نظرة قاصرة و رؤية خاطئة و مفهوم زائغ ، و وجد دعاة وكتاب ظهروا على منبر الدعوة الاسلامية صوروا الدين كشئ مقدس لا ينبغى أن يناله مكروه أو تحريف ، و لكنهم فى الواقع تناولوا القضايا الدينية الخالصة بنوع من التحوير و التغيير و أدخلوا فيه ما لم يكن منه ، و حاولوا قلب الحقائق الدينية والعقائد الايمانية بأسماء مختلفة جذابة كحرية الرأى و الفكر ، و مراعاة للظروف المتجددة و مصالح الدعوة و الحكمة ، والمعايشة مع الأمم ذات الديانات السماوية وتجديد الفقه الاسلامى واستراتيجية العمل الاسلامى ، ومنهجية الحكم الدستورى ، وما إلى من مصطلحات وتعبيرات جديدة ،

إنني لا أنكر الصحوة الدينية التي تهب رياحها في أنحاء العالم و ليست متشائماً من التحركات الجديدة التي شهدتها الدعوة الاسلامية و لا من آثار اليقظة الإسلامية التي نتراءى هنا وهناك ، و لكنني أقول: إنه لا ينبغي أن نتناسى في موجة الفرح الغامر أن عدونا لا يزال بالمرصاد و أنه لم يرتجع عنا ولم ييأس من النجاح ، بل إنه بات يهددنا أكثر من ذي قبل ، و يدس في صفوفنا عملاءه الذين يعملون على حساب الهدم و الاضرار بنا كأنشط ما يكون عميل لسيده ، و لن يكون أكثر منا اغتراراً بمكر العدو و انخداعاً بالألاعيب إذا حسبنا أن ذلك كله ضمن الصحوة التي تعم العالم اليوم .

لا خلاف في آثار الصحوة الاسلاميـــة التي بدت في عديد من الشئون الحيوية ، فهنالك إقبال كبير في المسلمين أنفسهم على الدين واتباع تعاليمه ، لا لشيء بل لأجل أنهم فشلوا في التجاريب التي أجروها في البحث عن السعادة و الحصول على الضمان فيما يخص بالأمن و الإستقرار و الهدوء و السلام .

أما غير المسلمين من الشعوب فانهم رغم تقدمهم الهائل في مجالات العلم و الصناعة فقدوا أغلى شيء في الحياة ، و هو الشعور بالسلامة و الأمن ، فعاشوا حياة كلها جحيم و شقاء ، و ملؤها فساد و عذاب ، الواقع الذي دفعهم إلى البحث عما ينعمهم الهدوء و الطمأنينة ، و يضمن لهم حياة مطمئنة راضية ، فاندفعوا إلى إجراء تجاريب بحثاً عن ضالتهم و نشداناً لغايتهم ، و لم يجدوا ما أرادوه إلا في الاسلام ، ذلك الدين الذى يعارضونه و يرون محاربته واجباً محتماً .

فالمنصفون منهم - و عددهم قليل - ندموا على ما فرط منهم نحو الاسلام ورأوا من سعادة الحظ أن يعتنقوا به و يعيشوا فيه ، عيشة راضية مسرورة ، وقد كان هولاء الناس مخلصين في اهتدائهم إلى الاسلام وقبول هديه و تعاليمه ، و لكن كثيراً منهم أخذتهم العزة بالاثم فاستمروا على منهج العداوة و الرفض ، و ظلوا يكرهون الاسلام و المسلمين ظلماً و علواً فكان عاقبتهم أنهم في عذاب و شقاء رغم علومهم و صناعاتهم و حضاراتهم و مكاسبهم المادية ، و لنذيقنهم من العذاب الأدنى

دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون » .

و من ثم لم تكن مسئولية الدعوة إلى الله و شرح رسالة الاسلام للناس أمراً هيناً سهلا ، إنمـــا كانت مسئولية دقيقة و ضخمة فى وقت واحد ، فان أدنى زلة و أقل غلطة فى بيان المفهوم الصحيح للعقيدة الاسلامية تؤدى بالأمة إلى التردى ، و تورثها زيغاً لا تستطيع معه أن تدرك الهدف المنشود و تحظى بالطاعة لله ولرسوله و بالهداية الكاملة التى تضمن لها النجاح والسعادة و الفوز المبين فى الدين والدنيا .

و بالمناسبة فأرى من واجبى أن أشير إلى أن المنهج الاسلامى للحياة هو الاعتقاد بوحدانية الله و برسالة محمد ﷺ قبل كل شئ ، ومن هذا الأساس تنبع تفاصيل هذا المنهج من العبادات و المعاملات ، و الأخلاق و الأعمال ، والسلوك الفردى و الاجتماعى ، و العلاقات بين الانسان و الانسان و بين الانسان والرب تبارك وتعالى ، و كل هذه التفاصيل و التعاليم مبينة مشروحة فى كتاب الله تعالى و سنة رسوله ﷺ ، و كلها واضحة المعانى ، ظاهرة المعالم و المبانى ، ليس فيها أى خفاء ولا تعقد ، و إنما تولى العلماء الأعلام و الأئمة العظام تدوينها و تفسيرهـا فى الكتب و الدواوين .

فلم يكن الاسلام فى زمن من الأزمان فلسفة من الفلسفات أو ديناً عقلانياً يتعلق بالعقل و الذكاء ، و بعبقريات الحكماء و نظريات العقلاء ، إنما كان ديناً إنسانياً أنزله الله للناس عن طريق رسوله الكريم محمد ﷺ ، فكان آخر الأديان الذى نسخ ما سبقه من الديانات و كان أشمل منهج للحياة و أخلده . لا ينقصه شئ مما تحتاج إليه الحياة الانسانية فى أى زمان و مكان ، فهو دين القلب و الروح و دين الايمان و العقيدة ، دين العمل و التطبيق ، دين الحب و العاطفة ، لا دين العقل المجرد ، و الفلسفة و الأوهام ، و العادات و التقاليد ، و الطقوس و الأساطير .

إنه « هدى للتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون » ؟

سعيد الأعظمى

التوجيه الإسلامي

مصادر العلوم الاسلامية

[ألقى سماحة الأستاذ الداعية مولانا السيد أبى الحسن على الحسنى الندوى هذه الكلمة فى الجلسة الختامية للمؤتمر المنعقد فى كانون الثانى عام ١٩٧٧م تحت رعاية قسم الدراسات الاسلامية فى جامعة عليكره بحضور عدد كبير من أساتذة و ممثلين عن الجامعات و المعاهد الاسلامية . وقد نشرت هذه المحاضرة فيما بعد تحت عنوان « مصادر العلوم الاسلامية » و ترجمت إلى اللغة الانكليزية ونشرت فى كتيب صغير مع الكلمة الافتتاحية التى ألقاها الأستاذ الندوى فى نفس المؤتمر المذكور تحت عنوان « الاسلام فى عالم متغير » .

وقد كلف الأستاذ الندوى الأستاذ على مستو عثمان بترجمتها إلى اللغة العربية ، و المجلة بدورها تحظى بنشرها و تقديمها إلى قرائها الكلام]

« التحرير »

أيها السادة !

إنه لمن أعظم دواعى سرورى أن أرى علماء المعاهد الثقافية الحديثة قد بدأوا يهتمون بالعلوم الاسلامية ، و المؤتمر الحالى هو البرهان على ذلك ، و باعتبارنا أناساً مكرسين لهذه العلوم يمكن أن نقول مع « إقبال » :

« ولت تلك الأيام التى كنت فيها وحيداً فى الاجتماع كثيرون هم الذين يشاركوننى أسرارى هذا اليوم » .

لم تكن كنوز المعرفة فى يوم ما احتكاراً لطبقة اجتماعية دون أخرى و ما كان يجب ذلك ، أما فيما يتعلق بالاسلام ، فانكم تعلمون أنه ليس هناك طبقة تتوارث

الكهنوت أباً عن جد ، إن مفاهيم الكهنوت هى من صلب العالم النصرانى وغريبة فى عالم الاسلام ، وإذا ما وجدت عبارات أو تعابير كهذه فى كتابات بعض العلماء فرد ذلك فقط إلى التقليد الأعمى للغرب ، أصبحت عبارة « رجال الدين » فى أيامنا هذه شائعة - حتى بين الكتاب العرب ! ! - وبدأوا يستعملونها بنفس المفهوم الذى تعنيه كلمة « الكهنة » فى العالم النصرانى . أما الكتاب الحذرون المتمسكون بالدين و الذين يريدون التعريف الصحيح بالفكر و الروح الاسلاميين فقد اجتنبوا بحذر شديد استعمال عبارات كهذه .

و فى الوقت الذى أعبر فيه عن شعورى بالغبطة للاهتمام المتزايد من قبل المراكز العلمية بالعلوم الاسلامية ، أود أن أضيف إلى أنه على الرغم من أنه لا مكان للقساوسة و الكهنوت فى الاسلام . . إلا أنه كان دائماً لدينا علماء ذوو خبرة و اختصاص ، و لم يعد بامكان المرء أن يضطلع فى كل شئ نظراً للتوسع الطارىء المحسوس الذى حدث فى شتى فروع المعرفة . . ففى أوربا بدأت عملية التقدم عندما كرس الناس أنفسهم للتخصص فى فروع خاصة من الدراسات ، ولم يعد علماؤها يسيطرون على كافة فروع المعرفة ، وأعتقد أن هذا المبدأ - وحتى فى وقتنا الحالى - متبع فى أوربا أكثر منه فى الشرق ، و هناك يعترف الخبراء فى أى مجال كان - و بدون تردد - بمهنة أو بمجال دراسة لا تدخل ضمن مجال اختصاصهم . و الآن . . علينا نحن أيضاً أن نصمم بتحديد مساعينا الأدبية والفكرية لتقتصر على موضوع أو فرع دراسى خاص بمفرده .

مستوى الثقافات :

إننى فخور بأن أكون رفيق درب ،. و انتهز ذلك لأتجرأ فأقدم بعض الاقتراحات :

ربما وافقتم معى على أن مستوى الثقافة يتدنى فى وسطنا و لقــد التمست ذلك فى الغرب أيضاً . و قــد قال لى بعض العلماء هناك : إن الفساد تسرب إلى دراسة العلوم الشرقية أيضاً . إن الجيل الحالى من العلماء يفتقر إلى المثابرة والانكباب ، و ذلك لأسباب عديدة بعضها سياسية و أخرى اقتصادية .

الســـر فى نمو الاستشراق :

هناك بعض البواعث وراء كل فرع من فروع المعرفة ، و لقد رفعت هذه العوامل الاستشراق فى يوم من الأيام إلى القمة ، وباستثناء القليل من العلوم الطبيعية و الاجتماعية فقد كانت الدراسات الشرقية تحظى بشرف عظيم ، و كان المستشرقون بكتاباتهم يتمتعون بأهمية بارزة ، إذ كان العامل القوى الذى يعمل عمله وراء ذلك هو عامل الامبريالية (١) ونحن مسرورون على أن ذلك العامل لم يعد فعالا ، ولحسن الحظ أو لسوئه فقد كانت أغنى بلدان الشرق تحت حكم المسلمين ، و كان الغرب ينظر إليهم نظرة غيرة و حسد لما عندهم من خيرات .

أرادت الامبريالية الغربية إقامة مستعمرات جديدة لذا كان من الضرورى لها : دراسة الخصائص القومية لتلك البلدان . . ولقد كان هؤلاء المستشرقون هم طلائع المستعمرين . فقد لقوا رعاية الجهات الرسمية و وضعت أموالا طائلة تحت تصرفهم ، و كانوا يستقبلون بحفاوة و تقدير فى بلاط الملوك و رؤساء الدول . . لقد زال هذا العامل من الوجود ، أما الدافع الآخر فقد كان الكسب الاقتصادى الذى فقد فعاليته هو أيضاً ، فقد خضعت البنية الاقتصادية للتحول بحيث لم يعــد مواصلة الدراسات الشرقية تدر النفع المادى كما كانت من قبل .

---

(١) المقصود بها بسط النفوذ عن طريق الشركات و المؤسسات الاقتصادية ..

التفرغ :

إن روح التكريس قد ضعفت بين علماء و مثقفى عصرنا . : فقد ضعف حب
المعرفة و نضب معه معين القدرة على الجد و الاجتهاد ، و إننى لا أشير بذلك
إلى أى كلية أو جامعة دون أخرى إنما هى ملاحظة عامة كما وجدتها و يلمس ا
كل مكان - تقريباً - أن التكريس الكامل الذى كان يتميز به علماء الماضى لم يعـ
له وجود فى وقتنا الحاضر .

ونستطيع أن نحرز فكرة من كتاب « علماء السلف » الذى كتبه نواب صد
يار جنگ مولانا حبيب الرحمن خان شروانى هنا فى عليكراه حيث جاء فيه ، كم كان عل
تلك الأيام مشغولين بالدراسة و البحث ! ! و أى فساد ملحوظ حل بها الآن ؟
لماذا ؟ ؟ ! .

إن الأسباب تتعلق بالسياسة و الاقتصاد ، و الأدب و الأخلاق ، سو
بسواء . . و ليس من الممكن - أو من الضرورى - مناقشتها هنا . . و الأ
الواضح جداً هو أن حب المعرفــة الذى يسمو فوق كل شئ ، و يجعل الانس
لا يبالى حتى بالحاجة إلى الطعام و الملبس ، و قـــد أصبح ذلك الحب نادراً
لم نقل قد همد .

خذ حال مولانا لطف الله من عليكراه . . كم كان اهتمامه لعمله شديداً و ل
دعه وشأنه . . إليك من بين العلماء الأوربيين رجل يدعى « لين » والذى يعتبر معـ
العربى أساساً لا غنى عنه ليس فقط عند طلاب اللغة العربية وحدهم من الان
بل حتى عند العلماء العرب ، و لقد سمعت أنه عند ما كان يعمل فى معجمه هـ
فى القاهرة لم يغادر شقته لأشهر ، و لم يتعرف إلى السوق ، و لم يهتم أبداً
يذهب لرؤية الأهرامات ، ربما تستطيع أن تسمى ذلك بلادة أوافتقاراً إلى الذ

السليم . . . حسبما تريد ، و لكنك إذا تمعنت فى تاريخ روائع الفن و المعرفة ستجد أن صانعى هذه الروائع ومؤلفيها قد عاشوا فى عالم خاص بهم ، وكان عملهم هو العاطفة بالنسبة لهم و ما كان لديهم وقت لأى شئ آخر أو ميل إليه .

الشخصيات الأدبية المعاصرة :

إننى أتكلم إلى أولئك الذين اتخذوا القراءة و الكتابة مهنة لهم . . عند ما قرر مولانا شبلى الكتابة عن مكتبة الاسكندرية كان الطلاب المسلمون هدفاً لأقوال السخرية : آه . . أجل ! تنتمون إلى الدين و المجتمع الذى أحرق خليفته مكتبة الاسكندرية ! ! . . كان هذا الكلام على لسان كل الناس ، وأولئك الذين عاصروا تلك الأيام لا يزالون على قيد الحياة و يحكون أنهم احتاروا أين يخفون رؤسهم أو كيف يجيبون .

و الرواية الشائعة هى أن الخليفة عمر - رضى الله عنه - أخبر أن مكتبة الاسكندرية مليئة بالكتب الفلسفية ، وأنه أجاب : « إذا كانت تلك الكتب تتوافق مع القرآن لتبق على حالها ، أما إذا كانت تتعارض معه فيجب أن تحرق . . . » و يزعم أنه تقرر أن الكتب كلها كانت مناقضة لما جاء به القرآن لذا أحرقت حتى آخر كتاب فيها دون أن تفتح لمعرفة مضمونها ! !

إنها قصة ملفقة بالكامل . . حتى أن مؤرخاً مثل تونبى (Toynbee) قد أسهم فى استمرار تداول هذه القصة ، و فى مجال تعليقه على تبديل الأبجدية التركية من قبل أتاتورك يقول تونبى : « إنه لو تعلق الأمر بالوقت الحاضر لما أحرقت مكتبة الاسكندرية . . إن التبديل فى الأبجدية كان كافياً » . و لقد جر العلامة شبلى الأسطورة إلى الأبد وأصبح الآن من غير اللائق برجل مثقف أن يقول بأن مكتبة الاسكندرية أضرمت فيها النار بناء على أوامر الخليفة عمر - رضى الله عنه - فى

خلافته لقد قدم أدلة لا تدحض على أن النار أتت على مكتبة الاسكندرية قبل تولى عمر - رضى الله عنه - الخلافة بزمن طويل .

لقد رفع العلامة شبلى أيضاً قضية الجزية و ناقشها حتى أنه لم يترك شيئاً لمن أتى بعده . و يعتبر مؤلفه « شعر العجم » دراسة و بحثاً رائعين حتى فى إيران و يقول البروفيسور براون فى كتابه (Literary History of Persia) لو أنه رغب فى تعلم اللغة الأردية لكان ذلك فقط من أجل تمكينـه من دراسة « شعر العجم » مباشرة ، كان كل هذا بسبب استغراق العلماء فى المعرفة مثل العلامة شبلى ،

ولقد ألف العلامة سليمان الندوى - الذى تتعلق مواضيعه الرئيسة التى يكتبها بالقرآن و السيرة النبوية و التاريخ الاسلامى - كتاباً رائعاً عن عمر الخيام حتى أنه استحوذ على إعجاب الأوساط الأدبية فى إيران أيضاً ، وكتابه Arab-O-Hind Ke Talluqat يمثل قمة المثابرة و البحث العلمى .

ويجدر بى هنا أن أذكر كتاب « نزهة الخواطر » الذى كتبه والدى مولانا عبد الحى . لقد كتبه بالعربية ، و يقع فى ثمانيـة مجلدات و يبحث فى ما يزيد على ٤٥٠٠ شخصية بارزة فى الهند ، وكان قد صمم أن يصنفه فى بداية القرن العشرين حينما كان هناك القليل من التسهيلات لتعلم اللغة العربيـة و الكتابة بها فى بلادنا ، و لقد استغرق منه العمل حوالى خمساً و عشرين سنة لاتمامـه ، و يعتبر الآن حتى فى أوربا - أثمن مرجع من نوعه ، و كتابه « الثقافة الاسلامية فى الهند » يحتوى تاريخاً كاملا للبحوث والعلوم العربية ، و وصفاً تفصيلياً للكتب والمخطوطات التى خلفها العلماء الهنود ، و لقد نشر فى عام سبعـة و خمسين و تسعمائة و ألف من قبل المجمع العلمى فى دمشق ، و لقد سمعت شخصياً علماء سورية و هم يتكلمون عنه بتقدير .

المعرفة من أجل المعرفة :

كان عالم بمفرده - فيما مضى - يقوم بعمل أكاديميات علمية بكاملها ، أما الآن فقد أقيمت الجمعيات و المؤسسات الضخمة لكن مردودها - إجمالا غير مشجع ، و قليلا ما تقوم بأعمال أصيلة مبتكرة .

إن ما نحتاجه هو رفع مستوى الثقافة ، و المعرفة الأكد و جنى ثمرته ، و عطش و ارتواء ، و جوع و شبع . .

على المرء أن يكرس كامل جهده لعمله و أن يعتبره مكافأة فى حد ذاته ، لا رئاسة فرع معين فى هذه الجامعة أو تلك .

إن علماء عصرنا الحاضر يستعجلون لجمع المحصول وينصب اهتمامهم الأكبر على الشهرة و الترفيع فى الخدمة وزيادة التعويض و إن قسماً كبيراً من طاقتهم يصرف فى السعى وراء هذه الأغراض ، و إن الربح المادى هو الأساس فى نظرهم ولابد أنكم سمعتم بمبادىء كثيرة ، و المبدأ الجديد الذى ينتشر فى مؤسساتنا الثقافية ألا و هو المهنية « Careerism »

الظمأ للمعرفة يجب ألا يكون حالة عابرة :

و شئ آخر هو : ألا يكون الاهتمام بالنشاطات الثقافية اهتماماً عابراً فنختار موضوعاً للبحث فيه ثم نجتره بسرعة فنلقيه خارجاً كحيوان يجتر فلا يكون هناك التزام بالموضوع و لا تعلق ثابت به فاذا ما انتهى البحث غسلنا أيدينا من الأمر كله و لنذكر قول إقبال :

« إن هدف الفن هو لهب الحياة الخالدة :

و ليس فورة نشاط أو اثنتين تختفيان كالشرارة » ، منابع الدراسة الاسلامية تكمن فى الايمان :

ربما تقرأون بالطبع فى بعض البحوث عن الحاجة إلى الاجتهاد فى العلوم

الاسلامية ، وكلنا نوافق على ذلك . . و لكن لماذا أغلق بابه و ما أسباب ذلك و ما مدى صحته ؟ ؟ فتلك قضية أخرى ، وسوف أشير إلى أن بعض أصول العلوم الاسلامية تكمن فى الدين ، إنه المصدر الرئيسى لها ، لذا يجب أن نختلف فى موقفنا حيالها عن المستشرقين ، و ألا يكون هذا الموقف أكاديميا بأن نقوم بمناقشتها فقط دون أى شعور بالالتزام ، و ينبغى علينا أن نعتقد بها شريطة أن تكون مرتبطة بأركان الايمان و تهذيبها فى حياتنا العمليـــة ، و لقد سمعت فى طفولتى أن عشرة مندات (١) من الحكمة ضرورية لمند واحد من المعرفة ، و إلا . . . لا يتمكن المرء من استنتاج فائدة حقيقة من المعرفة و لا استعمالها بشكل ملائم ، و سأدخل تحسيناً على ذلك و أقول : إن التقوى يجب أن تكون موجودة أيضاً بشكل متناسب مع البحث ، لأن القضية هى قضية العلوم الاسلامية ذات الصلة الوثيقة بالدين ، و لا نستطيع أن نخضعها التشريح كجثة ، أجل : ليس من العدالة أن يكون كذلك ، فيجب أن يكون النقد خالياً من الازدراء و السخرية . .

إن أولئك الذين هم على وعى بمسئوليات الدراسة و البحث و تغير الأفكار و الآراء لا يقدمون آراءهم و أحكامهم بطريقة جازمة موثوقـــة و لا يفسرون نظرية كما لو أنها كانت آخر كلمة فى السطر ، و ينبغى أن يكون موقفهم كمن توصل إلى نتيجة ظهرت بأنها صحيحة فى تلك اللحظة ،

وفى جلسة أمس أخر السيد بدر الدين طيب جى الذى كان يترأسها أحد المتكلمين الذين انتهى الوقت المخصص له ، فلم يقل له : إن وقته قد انتهى ، و إنما قال له : « أخشى أنه قد انتهى الوقت المخصص لك » ، نستطيع أن نتعلم الكثير من ذلك ، علينا أن نمارس الكبح فى تفكيرنا ، و أن نتعلم إبداء الاحترام و التقـــدير للعلم

(١) المند : وحدة وزن هندية تعادل ٢٨ و ٨٢ باوند .

للشخص الذى كرس حياته و طاقاته له .

أهمية اللغة العربية :

إن اللغة العربية ذات أهمية جوهرية . . فالمرء لايستطيع أن يقوم بأى دراسة العلوم الاسلامية دون أن يكون على درجة من الكفاءة فى معرفتها ، وإن العلماء ذين لايتقنون معرفة اللغة العربية معرضون لارتكاب أخطاء فظيعة عند ما يكتبون ن القرآن و الحديث و الدراسات الاسلامية ، و ذلك بسبب افتقارهم إلى المعرفة للغة العربية .

أخبرنى أحد أصدقائى - ذات مرة - إن رجلا قد ترجم معانى القرآن إلى للغة الانكليزية كان يتكلم فى مؤتمر فى مدينة دلهى . وحدث أن الأديبة المعروفة «بنت لشاطئ » كانت حاضرة أيضاً ، ولقد طلبت منه أن يتكلم بالعربية فأجاب - بدون خجل - بأنه لا يعرف هذه اللغة ، ثم سألته بنت الشاطئ بتعجب : وكيف تستطيع ذن أن تترجم معانى القرآن ؟ ! ! . . و حين عودتها إلى بلدها كتبت سلسلة من لمقالات فى جريدة الاهرام فى القاهرة عن تلك التجربة الغريبة التى مرت بها وعلقت ائلة : « لقد رأيت شيئاً من عجائب الدنيا . و كان هذا : إن سيداً قـــد ترجم القرآن و يجهل اللغة العربية ! ! » .

تستطيعون الحصول بسهولة على معرفة كافية باللغة العربية و تنجوا بأنفسكم من الوقوع فى الأخطاء ، و المدارس العربية سوف تقدم لكم كل العون من أجل ذلك .

تجنبوا إحداث الفوضى :

يتسرع بعض الناس فى التعبير عن آرائهم ، ثم لايلبثون بعد فترة أن يتراجعوا عنها ! ! . لا شك بأنهم يؤدون واجبهم ، ولكن ماذا عن أولئك الذين كان عليهم أن يغادروا هذه الدنيا وهم على ظلال من جراء اتباع الناس ؟ ! . وتصبح المشكلة

خطيرة عند ما تتعلق هذه الآراء بالعقيدة و الدين لذا ينبغى أن لا ننفذ الصبر فى التعبير عن آرائنا ، وخاصة عند ما تخص عالم الدين و علينا أن نفكر فيها مليا ، و نتفحصها ، و نعرضها على أهل الخبرة و ننتظر حكمهم . حينذاك فقط يمكن أن تنشر .

إن عصرنا هو عصر الفوضى و الانسان هادىء يميل إلى الاهمال بطبيعته لحضارة العصر و الخطوات السريعة للتقدم العلمى ، و الارتفاع المستمر فى مستوى المعيشة . . يفضى به إلى أن يكون أكثر حبا للراحة و تعرضا للفوضى ، و علينا و الحال هذه أن نحجم عن قول أشياء يمكن لها أن تزيد فى الاضطراب الفكرى عند الناس .

عند ما هزم العرب فى حربهم مع إسرائيل عام ١٩٦٧م قلت يومذاك فى مقابلة أجريت معى : « إن المسؤلية عن تلك الهزيمة تقع إلى درجة كبيرة على عاتق أولئك المشككين من مفكرينا الذين زعزعوا الأسس الأخلاقية و الفكرية للشباب . و القوا بالقيم التقليديه فى رحاب الفوضى » .

بعض مقومات الحضارة و نظم الحكم الاسلامية
فى عهد الرسول ﷺ

- ٢ -

للدكتور عبد الشافى غنيم عبد القادر
جامعة قطر

ثالثاً : التوجيهات المكية للجتمع الاسلامى من السابقين إلى الاسلام :

اهتم الاسلام اهتماماً كبيراً بالعلاقات الاجتماعية للجتمع الاسلامى فى فترة الدور المكى لأكثر من سبب :

أولا : لأن رسول الله ﷺ بما فطره الله عليه من سعـــة أفق و ذكاء ، كان يعلم أنه يعيش فترة فجر الدعوة ، بين قدوة المسلمين من السابقين إلى الاسلام و بقدر ما تنجح هذه المدرسة الاسلامية فى إعطاء القدوة السليمة للآخرين بقـــدر ما يتأثر به المجتمع الاسلامى الشامل فيما بعد ، وأكبر دليل على ذلك أن هذه النخبة الأولى من السابقين إلى الاسلام ظلت طيلة حياتها قبلة أنظار المسلمين جميعاً ، يقتدون سلوكهم و يسمعون عنهم و يتأسون بأعمالهم .

ثانياً : كان رسول الله ﷺ ، يعلم أن أية حضارة إنسانيـة لا يمكن أن تتم إلا فى إطار مجتمع سليم فى تصرفاته ، متكافل فى علاقاته ، حريص على صدق القول و الفعل و العمل ، و من هنا امتلأت آيات السور المكية فى فترة الدور المكى بالتوجيهات الاجتماعيـة حتى وصلت إلى النهى عن الغش فى المكاييل ، و الموازين و لغو الحديث ، و أكل حقوق الأرامل و الأيتام إلى غير ذلك من الأمور التى أراد الاسلام أن ينقى منها مجتمع القـدوة من السابقين إلى الاسلام ، و لعل ذلك

كان من بين الأسباب التى فضل بها الله بعد ذلك (فى السور المدنية) المهاجرين السابقين إلى الاسلام المضحين بكل غال و رخيص على غيرهم ، لأنهم جمعوا بين تعاليم و توجيهات الفترتين المكية والمدنية، فكانوا بذلك أساتذة المدراس الاسلامية فى كل مكان و زمان ، و فى ذلك يقول سبحانه و تعالى « ويل للطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون ، وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ، ألا يظن أولئك أنهم مبعثون ليوم عظيم » (١) و قوله فى سورة الاسراء « و أوفو الكيل إذا كلتم و زنوا بالقسطاس المستقيم (٢) وقوله تعالى فى سورة الشعراء « أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين و زنوا بالقسطاس المستقيم و لا تبخسوا الناس أشياءهم و لا تعثوا فى الأرض مفسدين (٣) .

و يتوخى القرآن الكريم فى السابقين إلى الاسلام البعد عن الافتراء والكذب ، يقول تعالى « إنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله و أولئك هم الكاذبون (٤) وقوله فى سورة القصص « وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه » (٥) و لما كان الاسلام يعتبر الكذب من كبائر الاثم نزل قوله تعالى فى سورة الشورى « والذين يجتنبون كبائر الاثم و الفواحش » (٦) و نحن لا نستطيع أن نحصى عشرات الآيات الكريمة التى كانت تستهدف تنقية المجتمع الاسلامى ، من آفة الكذب لما تجره على الشعوب من مخاطر اجتماعية أقلها النفاق ، و الرياء ، و شهادة الزور ، وأخذ الناس بالباطل ، مما يؤدى إلى فقدان الثقة و تفتيت وحدة المجتمعات ولذلك لا نعجب إذا رأينا رجلا كأبى بكر الصديق يفتتح حديثه أمام المسلمين

(١) سورة المطففين (من ١ - ٥) (٢) آية رقم ٣٥
(٣) آية رقم ١٨٣ (٤) سورة النحل ١٠٥
(٥) آية ٥٥ (٦) آية رقم ٣٧

غداة تسلمه الخلافة فى خطابه العميق الذى قال فيـه « الصدق أمانة و الكذب خيـــانة » .

أما أكل حقوق الأرامل واليتامى ، فقد اهتمت به الآيات المكية فى أكثر من موضع لأنه كان من العادات الشائعة فى مجتمع ما قبل الاسلام ، يقول الله سبحانه و تعالى فى سورة الأنعـــام (١) « و لا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن حتى يبلـغ أشده ، و أوفوا الكيل و الميزان بالقسط » و قوله تعالى فى سورة الأعراف « قل إنما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها و ما بطن و الاثم و البغى بغير الحق » و قوله تعالى فى سورة النحل « إن الله يأمر بالعــدل و الاحسان و إيتاء ذى القربى و ينهى عن الفحشاء و المنكر و البغى » (٣) و أى منكر أشد و أنكى من الاجحاف بحقوق الأرامل و اليتامى . و قوله تعالى فى سورة الشعراء : « و لا تبخسوا الناس أشياءهم (٤) » و قوله تعالى فى سورة المعارج « و الذين هم لأماناتهم و عهدهم راعون (٥) » و قوله تعـــالى فى سورة الفجر « كلا بل لا تكرمون اليتيم و لا تحاضون على طعام المسكين وتأكلون التراث أكلا لما وتحبون المال حباً جما » (٦) .

لقد أراد الاسلام منذ فجر الدعوة أن ينقى المجتمع الاسلامى من كل الشوائب التى تفت فى عضـــده أو تضعف من جهده و ما أظن أن كتاباً آخر سماوياً كان أو ضعيا قد مس هذه الأمور الهامة بالصورة التى مسها به القرآن فى السور المكية

(١) آية رقم ١٥٢ (٢) آية رقم ٣٣

(٣) آية رقم ٩٠ (٤) رقم ١٨٣

(٥) رقم ٣٢ (٦) من ١٧ - ٢٠

تارة فى صيغة الأوامر والنواهى و تارة فى صيغ التعجب و الاستغراب وأخرى فى صيغ التحقير و الازدراء .

بمثل هذه القيم الاجتماعية خاض المسلمون معاركهم الكلامية ومعاركهم العسكرية و معاركهم الحضارية و التنظيمية لخضعت لهم الفلسفات و العقائد السالفة و تكسرت تحت أقدامهم مختلف وسائل الأسلحة و التحمت بثقفاتهم الثقافات و الحضارات السابقة و اللاحقة .

رابعاً : الدعوة إلى العلم والعمل وتسخير كل مخلوقات الله لخدمة الحضارة الانسانية:

يذكر أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبي صاحب الكتاب الكبير (١) نقلا عن ابن الطيب أن أول ما نزل من القرآن الكريم «اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ و ربك الأكرم ، الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم ».

وكان على بن طالب قبل الاتفاق على مصحف الامام يضع هذة الآية المكية فى أول مصحفه ، و على كما هو معلوم من كتاب الوحى و إن دل ذلك على شئ فانما يدل على أن الله سبحانه و تعالى و هو أعلم العالمين أراد أن يبدأ رسول الله ﷺ رسالته بالقراءة و العلم ، و وسيلة الانسان فى ذلك التعلم الذى جعله الله سبحانه و تعالى أداة فى يد الانسان المسلم ليتعلم بقدرة الله ما لم يكن يعلم و من هنا لا نجد فى أى ديانة من الديانات السابقة على الاسلام من انكبوا على القراءة و العلم و التعلم قدر ما رأيناه من علماء المسلمين سواء أولئك الذين نهجوا مذهب

(١) الجزء الأول طبعة دار الكتب المصرية ص ٥٩ فى باب ما جاء فى ترتيب سور القرآن و آياته .

(القول بالمأثور) من الملتزمين بالكتاب و السنة و هم أصحاب المنهج المدرسى أو أولئك الذين نهجوا مذهب (الأخــذ بالرأى) من أصحاب المنهج الفلسفى - و بلغ ما ألفــه أو كتبه بعضهم ما ينوف على المائة مؤلف بالدرجة التى أثرت فى الحضارة الاسلامية و ما زالت تثرى الحضارة الانسانية بزاد لا يتوقف و معين لا ينضب .

و آيات الله الكريمــة التى نزلت على رسول الله ﷺ فى فترة الدور المكى مليئة بالدعوة إلى العلم و السخرية من الجهل و تسخير كل ما فى الأكوان لخدمـة الانسان ،أنظر إلى قوله تعالى فى سورة غافر « ما يستوى الأعمى و البصير (١) » وليس القصد من هذه الآية الكريمة منطوقها اللفظى بقدر ما تتجه إلى توضيح البون الشاسع بين غير المتعلم والمتعلم ، و لذلك يخاطب الله سبحانه و تعالى رسوله بقوله « سنقرئك فلا تنسى (٢) » وقوله تعالى فى سورة النحل « ضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شئ و هو كل على مولاه أينما يوجهه لا يأت بخير هل يستوى هو و من يأمر بالعدل و هو على صراط مستقيم (٣) » و قوله تعالى فى سورة فاطر « و ما يستوى الأعمى و البصير ولا الظلمات ولا النور و لا الظل ولا الحرور و ما يستوى الأحياء و لا الأموات (٤) » و قوله تعالى « أفمن يعلم كمن لا يعلم » كما يحذر الله سبحانه و تعالى رسوله من مجانبة العلم فيما يعمل فيقول له آمراً « و لا تقف ما ليس لك به علم إن السمع و البصر و الفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا (٥) »

---

١) آية رقم ٥٨ ٢) آيه رقم ٦

٣) آية رقم ٧٦ ٤) آية رقم ١٩ - ٢٢

٥) الاسراء آية رقم ٣٦

ولقد أمر الله رسوله (ﷺ) أن يسخر العلم فى خدمة الانسان وبذلك يحسم قضية طال الجدل من حولها ، هل العلم للعلم أو العلم للمجتمع ، وعلى الرغم من أن الدنيا ليست دار قرار و استمرار و الآخرة هى دار البقاء و الخلود إلا أن الله سبحانه و تعالى يوجه الناس عن طريق رسوله بقوله تعالى « و ابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة و لا تنس نصيبك من الدنيا » (١) .

و هنا تبدو عظمة الاله القادر و هو يدعو السابقين إلى الاسلام فى فترة الدعوة المكية إلى التدبر فى عظمة خلقه و الافادة من كل ذلك فى عشرات الآيات والسور ، فيقول سبحانه و تعالى « هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا ، فامشوا فى مناكبها » (٢) هنا نجد الدعوة إلى العلم و التعلم و الافادة من كل ما خلق الله ، و السعى فى العمل خاصة حين تستكمل الآية بقوله تعالى « وكلوا من رزقه » وهنا تتعدد الآيات الداعية إلى العلم و العمل كقوله تعالى « و جعلنا لكم فيها معايش (٣) وقوله تعالى عن أصحاب الأيكة « كانوا ينحتون من الجبال بيوتاً (٤) و قوله تعالى فى سورة إبراهيم «وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره وسخر لكم الأنهار (٥) » فهى دعوة واضحة ليتعلم الانسان كيف يستفيد من البحار فى تنقلاته و تجارته و مختلف اتصالاته و كيف يستفيد من الأنهار فى زراعة الأرض و استغلال سر الله سبحانه و تعالى فيها خاصة حين يقول سبحانه و تعالى « ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات » (٦) ولما كانت الأنهار لاتشكل المصدر الوحيد للزراعة رأينا الله سبحانه و تعالى يقول فى آية أخرى « هو الذى أنزل من السماء ماء لكم منه شراب و منه شجر فيه تسيمون (٧) » و يربط الله سبحانه و تعالى نزول الأمطار بظاهر الرياح فيقول عز من قائل « وأرسلنا الرياح

---

١) سورة القصص آية ٧٧
٢) سورة الملك آية رقم ١٥ — ٣) سورة الحجر ٢٠
٤) نفس السورة آية رقم ٨٢ — ٥) آية رقم ٣٢
٦) سورة النحل رقم ١١ — ٧) نفس السورة رقم ١٠

لواقع فأنزلنا من السماء ماء » كل ذلك قبل أن يتضح علم الجغرافيا و يتعرف الجغرافيون على حقيقة ارتباط اتجاه الرياح و اصطدامها بالجبال مما يؤدى إلى سقوط الأمطار ونشأة الأنهار وتتوالى آيات الله المكية فى تسخير كل شئ للانسان تنشيطاً لعقله و فكره و تطويراً لعمله فيقول « و سخر لكم الشمس و القمر دائبين و سخر لكم الليل و النهار » (١) « و الخيل و البغال و الحمير لتركبوها و زينة و يخلق ما لا تعلمون » « و سخر لكم الليل و النهار و الشمس و القمر و النجوم » (٢) وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً و تستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه » و تلك دعوة إلى صيد البحر و الغوص و استخراج ما به من لؤلؤ يتحلى به الانسان و قوله تعالى « و ألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم و أنهاراً و سبلا لعلكم تهتدون و علامات و بالنجم هم يهتدون (٣) و هنا نجد مبادىء علوم الجغرافيا و الفلك .

وحتى علم الرياضيات علمه رسول الله لصحابته بعد نزول الآية المكية الكريمة « و جعلنا الليل و النهار آيتين فمحونا آية الليل و جعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم و لتعلموا عدد السنين و الحساب » و من هنا كان التقويم الزمنى الاسلامى و مبادىء الرياضيات و قوله تعالى « وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون » (٤) .

وبعد فان هذه العجالة القصيرة لا يمكن أن تتسع لذلك الفيض من المعلومات التى يمكن أن يستخلصها الباحثون فى سور الله الكريمة و آياته البينات التى نزلت على رسول الله ﷺ فى مكة المكرمة و كانت المعين الأصيل الذى اغترف منه السلف الأول من السابقين إلى الاسلام وأبناء المدرسة الأولى التى تخرج منها أساتذة الفقه و الشريعة و الحضارة الاسلامية و كان منهم الأئمة فى كل مجال و ميدان .

(١) إبراهيم ٣٣　　(٢) سورة النحل ٨

(٣) سورة النحل ١٢　　(٤) يس ٣٧

البعث الاسلامى وتحررنا من نير العبودية

الكاتبة الأمريكية المسلمة مريم جميلة

(الحلقة الأخيرة الخامسة)   تعريب : واضح رشيد الندوى

تمخضت المادية و العلمانية فى أوربا إثر النهضة الأخيرة عن العلم الحديث الذى كان أنفذ وأحد سلاح للغرب لغزو البلاد ، وقهر الأذهان ، و تسخير القلوب ، و استخدمت أوربا هذا السلاح على الكنيسة الرومانية الكاثوليكية ، ثم أبطلت بها سائر الأديان و المعتقدات بوصفها خرافات و أوهاماً ، فصارت المادية ديناً جديداً ينسخ سائر الأديان السابقة ، و نالت نظريات هذا الدين الجديد قدسية بحيث إنها تقبل بدون نقد ، و إعمال رأى ، و معالجة فكر و رد و قدح . كما كانت العقائد الدينية القديمة تقبل فى الماضى ، و تمكنت المادية منذ ذلك الوقت من الاستيلاء الكامل و القول الفصل فى أمور الحياة إلى أن فسدت الكنيسة الرومانية نفسها فساداً كاملا شاملا ، ونتيجة لفساد الكنيسة الرومانية أتت إلى حيز الوجود حركة بروتستنت الاصلاحية و الدولة العلمانية القومية التى حطمت صلب الدولة المسيحية ثم ألحقت الثورة الفرنسية بالكنيسة الرمانية ضربة قاضية ، و تمخضت الفلسفات المادية الخالصة التى دفعت إلى الثورة الفرنسية عن ثورة صناعية ، و من الثورة الصناعية نبعت الشيوعية .

يقوم العلم الحديث و التكنولوجيا على أساس المادية الخالصة و تغيرت نظرة الانسان إلى الطبيعة بجراء العلم الحديث ، فلا ينظر الانسان إليها فى ضوء العلم

الحديث إلا نظرة استغلال و انتفاع بدون تحفظ و بدون قيد ، ثم تعدى استغلال الطبيعة و الانتفاع بمواهبها و ودائعها عن طريق العلم و التكنولوجيا إلى حد تدمير البيئة الطبيعية التى تستمد منها حياتنا و تعتمد عليها معيشتنا ، فنشأت أخطار جديدة كالتلوث و تدفق السكان ، و الكثافة فى البيئة و تدنسها ، و بتدمير الفضاء الطبيعى نتيجة للتكنولوجيا الحديثة التى تسعى إلى مكاسب عاجلة قصيرة الأمد لا تنتفع بها إلا الدول الغنية فى الغرب ، يتجه العالم إلى تدمير الجنس البشرى إذا بقيت الحياة على صفحة الحياة ، لقد كان تلوث الأرض ، نتيجة حتمية لتلوث الروح الذى كان نتيجة عاجـلة للتصور المادى الملحـد ، و لدراسة العلم بدون الرجوع إلى الخالق ، فيجرى استنفاد المصادر و استنزافها على الأرض ، لأن العلماء لا يشعرون بواجبهم و مسئولياتهم التى تعود إليهم و يهملون عواقب نشاطاتهم .

و فى وجه هذا الخطر الجسيم يتحتم على علمائنا ، من أجل التحرر الكامل من نير الاستعمار الأجنبى . أن يقوموا بدراسة ناقدة ، شاملة ، و مقنعة للتصور العلمى التقليدى الذى يسود العالم منذ ثلاثة قرون ، و يتوجب علينا فى هذا المضمار أن نمسك عن النظر إلى بلادنا ، وشعوبنا فى مرآة التقدم ، والقياس بمقياسه ، والواجب الأول فى تحرير أنفسنـا أن نحرر العلم من فلسفة المادية ، و نقاوم تأثيرها غير الانسانى و نوجد تصوراً موحداً للعلم فى سبيل إيجاد علم إسلامى جـديد بجهود أنفسنا و تفكيرنا الخالص .

وفى النهاية يجب أن نتخلى عن التصور الخاطئ للتقدم المادى والرفاهية المادية كهدف للحياة الانسانية ، و لا نخدع أنفسنا بالشعارات الزائفة ، بأن الفقر و المرض ، و المعاناة ، و الموت ، أمور يمكن القضاء عليها أو مكافحتها ، فان ذلك تفكير غير مجد و غير مثمر ، بل من العبث أن نحوم حولها ، و إنما الحل الواقعى والطريق الحق أن نعالج مثل هذه المعاناة ، حيث وجدناها بقدر إمكاننا ، و بقدر وجودها و حجمها .

إن المجتمعات التی حاولت سد متطلباتها الخارجية كلياً . لم تنجح إلا فی إيجاد فقر روحی داخلی يحل محل الثراء الخارجی لها . فتعانی المجتمعات الغنيـة نتيجة لذلك من الفقر الروحی معاناة سافرة لا تساويها معاناة .

هذه المرحلة المفزعة للتطور كانت مسئولة عن تحويل أمريكا إلی عبودية الآلات و الماكينات ، لقـد سيطرت أمريكا بدون منازع لها علی سائر أنحاء العالم بتفوقهـا فی الصناعة و يلاحظ وجودها فی كل مكان ، و يدها فی كل حركة فی العالم ، و لا يوجد بلد إسلامی و غير إسلامی حراً عن نوع من سيطرة أمريكا و نفوذهـا ، و لكن أمريكا التی تستعبد العالم كله بطريق حياتها ، تستعبدها الآلات و الماكينات فهی عبيد الماكينات ، و هی عبيد نمط خاص للحياة ، للتقـــدم المادی ، تأسرها المصانع ، و المختبرات ، و الكاليات ، و الأجهزة ، و قد ذابت شخصيـــة الانسان فی بوتقة الحياة الآلية و التكنولوجية بحيث إن أفكاره و عواطفه و مشاعره قـــد صهرت فيها وصارت ميكانيكية ، فلا يحمل فی صدره قلباً إنسانياً وإنما يحمل صفات الصخر و الفولاذ فأصبح ضيق الفكر ، و مفرضاً شحيحاً بارداً لا تثور فيه العاطفة و لا تتحرك فيه المشاعر ، و فقد قلبه الحرارة و عيونه الندی . و هذه هی الحقيقة التی لمستها أثناء إقامتی فی أمريكا (١) .

يحق لكل مسلم فی المجتمع الاسلامی أن يعمل كجندی أو شرطی يتمتع بحق حمل السلاح للدفاع عن نفسه ، و للدفاع عن أسرته ، فان واجب المسلم لا يقتصر علی الدفاع عن الوطن ، و الملة ، و إنما يتوجب عليه كذلك أن يحـارب للدفاع عن نفسه كلما لزمه الأمر ، و إن الشريعة الاسلامية تمنح كل مسلم حق حمل السلاح ،

(١) From the Depth of the Heart in America by Syed Abul Hasan Ali Nadwi Academy of Islamic Research & Publication Lucknow 1978 P 15

كذلك يتحتم توحيد صفوف سائر الحركات و الجمعيات الاسلامية التى تكافح من أجل الشريعة لتتمكن من تنسيق جهودها ، و تخطيط مشاريعها ، و تشكل كتلة واحدة للجهاد ، و تنحرف عن الاتجاه الخطير للنضال فى ظل الحركات القومية للتحرير ، وإنما يجب على المسلمين ، فضلا عن ذلك ، أن يعارضوا القومية ، و أن يوحدوا كلمتهم و يضموا صفوفهم بصرف النظر عن القوميات والعناصر ، ويجتمعوا متكاتفين و يستفيدوا فى ذلك من المناسبات الخاصة كالحج و العمرة . إن وحدة الجنسيات و الوطنيات المختلفة للمسلمين ، أمر مهم لايجاد جبهة متحدة ولخلق التفاهم ، و التعاون بينهم ، وقد حان الأوان لأن نتقدم و نوجه النداء علنا إلى سائر الحكام المسلمين أن ينفذوا الشريعة ، فاذا رفضوا هذا النداء أو ماطلوا فيه ثبت نفاقهم و بذلك يجب إقصاؤهم و طردهم بحركة إسلامية ، كما أطيح بنظام شاه إيران ، فى إيران .

و إن الخروج من حالة الانعزال خطوة هامة فى سبيل إعادة مجد الاسلام و تقديم تعاليمه وعرض فكره فقد اقتصرت صلاتنا و عبادتنا على المساجد ، وأماكن مخصصة للعبادة ، فلننقل صلاتنا إلى الأماكن العامة نؤديها فى الحدائق ، و فى الحى الجامعى ، و على الشوارع ، و فى حالة الخطر و فى أماكن محذورة ، و نبعد عن أنفسنا الانكماش و الانزواء .

إن الجهاد مهم لتحرير أنفسنا من الاستعمار ، و للوصول إلى هذه الغاية ، يجب أن نعد أنفسنا ، و ندرب المجاهدين من جهتين .

١- التربية الذهنية والتوعية الاسلامية وغرس الايمان و ترسيخه فى القلوب ، و التربية على الاحسان و ابتغاء رضا الله ، ويتحقق ذلك بالطرق الآتية :

وذلك عن الاكثار من تلاوة القرآن الكريم وتذوقه ودراسته ودراسة السنة ،

وتشرب معانيهما ، فيكونان نبراساً ومشكاة فى طريق الدعوة والجهاد ، وأسوة فى الحياة .

٢ـ الاكثار من ذكر الله ، و التسبيح له ، و الاهتمام بصلاة التهجد ، و إن الذكر الدائم و استحضار عظمة الله ، شرط لازم للنصر فى الجهاد .

٣ـ التدريب على القتال ، فان الحرب خدعة .

فاذا جمعنا بين التربية الذهنيـة ، و الاحسان فى العمل ، و التربية العسكرية تحققت شروط الجهاد ، و استحق المجاهدون وعد الله و نصره ، فاذا كان يصلى المجاهد أثناء القتال فان الله قادر على أن يفتح بصيرته ، و يحفظه بنصر من عنده ، فيجاهد عازماً واثقاً بوعد الله ، لا تخيفه الكثرة الكاثرة للعـــدو ، أو قلة المعدات و التموينات ، لديه .

و فى مثل هذه الحالة لا يجاهد المجاهد ضـــد الكفار لمجرد محاربة الكفر والطغيان ، و إنما يجاهد لأنه يريد إقامة مجتمع إسلامى نزيه ، طبقاً لتعاليم رسوله الكريم ﷺ مقتدياً بغزوات النبى ﷺ التى قادها من المدينة المنورة (١) ،

فاذا لم نبدأ العمل والاعداد ، لهذا الهدف السامى فاننا نكون مقصرين فى تأدية واجبنا ، و الاستجابة لما يطالبه القرآن منا .

« إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم و أموالهم بأن لهم الجنة ، يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون و يقتلون ، وعداً عليـــه حقاً فى التوراة و الانجيل و القرآن ، و من أوفى بعهـــده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به ، و ذلك هو الفوز العظيم ، التائبون العابدون الحامـدون السائحون الراكعون الساجـــدون الآمرون بالمعروف و الناهون عن المنكر و الحافظون لحـــدود الله و بشر المؤمنين » . (التوبة ١١١ - ١١٢) .

(١) Ihad a Ground plan Abdul Qadir as Snfi, Dawan Press, England 1978, P. 40

الدعوة الإسلامية

عقيدة يوم القيامة فى الاسلام

و بين الفلسفات القديمة والحديثة

، العلامة الدكتور سيد سليمان الندوى (رحمه الله)

« معرب »

المسلم يعتقد فى ثقة و إيمان أن الدنيا بجميع ما فيها من حركة و نشاط وما فيها من عمل و حياة تفنى يوماً ما، لا يبقى فيها شئ من النظام المتقن الدقيق الذى يتولى إدارتها و تنظيمها مما يتعلق بالشمس والقمر و الأرض و حركاتها، فكل شئ مما فيها يتبعثر و ينحل و يتفتت و يذوب ، من غير أن يوجد على وجه الأرض أثر من حياة أو كائنة من الكائنات ، و يتلو هذا الفناء عهد جديد يبعث فيه كل شئ من جديد و ينشر الانسان فيه فيعود إلى حياة جديدة حيث يحاسب وينال جزاء أعماله .

و نعنى بالقيامة العهد الأول ، و العهد الثانى هو الحشر و النشر .

و قد تكرر ذكر القيامة فى القرآن الكريم و عبر عنها الله سبحانه و تعالى بأسماء مختلفة إذا استقصيناها وجدنا أنها كما يأتى :

﴿ يوم القيامة ﴾ الساعة ﴾ القارعة ﴾ الغاشية ﴾ الطامة الكبرى ﴾ النبأ العظيم ﴾ اليوم الحق ﴾ الحاقة ﴾ الوعد ﴾ الواقعة ﴾ أمرالله ﴾ يوم الآزفة ﴾ يوم معلوم ﴾ الصاخة ﴾ الوقت المعلوم ﴾ اليوم الآخر .

و لكن هذه الأسماء كلها كما تبدو بمعانيها ليست فى الحقيقة أسماء أصيلة

موضوعة للقيامة بل إن الله سبحانه عبر عن القيامة حسب صفاتها بأوصاف متعددة.

و مما يعلم أن أكثر قضايا العقيدة الأسلامية تختلف فى إثباتها و أساليب الاثبات آراء الفرق المختلفة ، و لكن عقيدة يوم القيامة يتفق عليها الفرق الاسلامية كلها ، كما أشار إليه ابن حزم فى كتاب الملل ، بينما نجد أن أكثر حكماء و فلاسفة أوربا ، و اليونان ، و الهند لا يؤمنون بفناء العالم و ينكرون عقيدة القيامة .

أما فلاسفة الهند فانهم يرفضونها بناء على عقيدة التناسخ الذى تؤمن بتقييد النفوس و الأرواح فى الهياكل الجسيمة إلى الأبد و انتقال الأرواح من هيكل إلى هيكل آخر ، و الدلائل التى يستدلون بها على إثبات هذه العقيدة تبلغ من الركاكة و الضعف مبلغاً لا تحتاج فيه إلى إبطال ، ورغم ما فى الاسلام من براهين قاطعة ضد التناسخ نسائل أنصار التناسخ و المعتقدين به :

١- هل الحيوانات و الأنعام من البقر و الثور و الغنم و الابل و البغال وما إلى ذلك من أنواع تتمتع بوجود مستقل برأسه ، أو أنها صور متغيرة للمذنبين المجرمين من البشر ، فالصورة الأولى تنافى دعوى التناسخ . أما الصورة الثانية فانها تلزم أن الانسان قد أتى عليه حين من الدهر كان ساكناً وحيداً فى هذه الكرة الأرضية ، و كانت حياته و معاشه فى ذلك الوقت خلافاً لما هو عليه الآن ، الذى نحتاج فيه إلى وجود أنواع مختلفة ، و لا يسلم العاقل هذه النتيجة ، ثم إن وجود الانسان قبل وجود الحيوان يضاد الفلسفة المعاصرة أيضاً .

٢- يزعم دعاة التناسخ أن إنساناً مجرماً حينما يرتكب ذنباً أو جريمة فى قالبه البشرى يحول حيواناً بنسبة تلك الجريمة كعقاب له ، وذلك لكى يتمتع بالرقى بعد نبوغه فى الكمال ، و لكن لا يقر به أحد . إذ أن إنساناً إذا لم يتمكن من التوصل إلى

درجة الكمال و هو فی قالبه الانسانی فكيف يتوصل إليها فی قالب حيوانی هو أحط من القالب الانسانی .

٣- يجمع جميع أهل الديانات على أن الكمال النفسی يتوقف كلياً على العقائد و الأخلاق ، و على ذلك فيلزم من وجهة نظر التناسخ أن تصدر الأخلاق والعقائد من الحيوان التی هی قوالب لرق الانسان المجرم ، و لكن لم يثبت ذلك إلى الآن ولم تصدر منها الأخلاق والعقائد التی هی اسم لمراعاة الحقوق والدرجات بين الخالق و المخلوق .

٤- يزعم أنصار التناسخ أن نظام العالم المعاصر قديم. وكل ديانة تحرص على أن يتحول الناس جميعاً إلى أناس صالحين ورعين روحانيين ، وعلى ذلك إذا سلمنا أن تتحول النفوس البشرية كلها تقية صالحة يتحطم بذلك تنوع الانسان الذی هو من مدارج رقيه و الذي يقوم عليه نظام العالم .

٥- يقول دعاة التناسخ : إن الانسان عندما يكون مذنباً بل مجموعة من أخلاق سيئة فانه يتحول فی نشأته الثانيـــة إلى حيوان بقدر ذلك ، فمثلا إذا كان هنـاك إنسان متملق فانه يتحول فی نشأته الثانية إلى قط أو كلب . و آخر سارق فيتحول إلى فار ، و ثالث ظالم غشيم فيتحول إلى ذئب ، و لـــكن يتعسر الأمر إذا كان إنسان يجمع فيه سوءات وجرائم كثيرة فی آن واحد فيكون سارقاً و متملقاً وظالماً و يجمع فيه أوصافاً مذمومة أخرى فانه يحتاج فی نشأته الثانيـــة إلى حيوان عجيب يجمع فيه جميع هذه الصفات فی وقت واحد .

٦- هناك إنسان متملق مثلا فمات و نشأ ثانيـــة فی صورة قط لكی يترقی ويكتسب نبوغاً روحانياً ، ولـكن العجب كل العجب أنه ظل متملقاً مادام فی شكل الانسان فلما تحول إلى القط تمتع بحرية الرأی وحماية الحق .

هذه الوجوه توضح أنه لامساغ لانكار القيامة بناء على فكرة التناسخ التائهة ،

أما حكماء اليونان فانهم يستدلون على إنكار القيامة بدليل أن الهيولى لا ينفصل عن الصورة الجسمية لأنه قديم ، و لذلك فان الصورة أيضاً قديمة و ما دامت الصورة و الهيولى قديمتين فان الجسم الذى نشأ بتركيبهما يكون قديماً كذلك ، و الجسم الذى نشأ بتركيبهما يكون قديماً كذلك ، و الجسم حقيقة و كل حقيقة تحتاج إلى الجنس ، و الجنس لا يوجد بدون النوع ، و النوع لا ينفك عن وجود الأفراد و لذلك فان الأجناس و الأنواع بالذات و أفراد الأنواع كلها قديمة لا يطرأ عليها الفناء .

و ما أوهى هذا الدليل ! أولا : لأن هذه اللوازم الخاطئة بالتسلسل لايعترف بها أحد ،

ثانياً : إن هذا الدليل لايدل على أكثر من حقيقة تخلد فى الدنيا ، والحقيقة تستلزم الجنس و الجنس يحتاج إلى النوع و النوع لا يتصور بدون الأفراد و كل ذلك قديم ، فهذا لا يثبت به قدم الأنواع الموجودة كلها .

أما الماديون والملحدون فى أوربا فانهم ينكرون القيامة كذلك إلا أن إنكارهم هذا ينبع من رؤيتهم نحو المادة و اعتقادهم بقدمها .

و لكن خلود و قدم المادة لادليل عندهم عليهما ، كما أن عقيدة القيامة لا تستلزم الاعتراف بفناء المادة .

و تحدث العلامة التفتازانى فى شرح المقاصد أن المتكلمين يتوزعون على ثلاث فرق فى عقيدة القيامة .

١ـ فرقة تقول : إن الأجسام كلها تفنى فى القيامة ، ولا تبقى من المادة ذرة .

٢ـ و الفرقة الثانية : تقول إن القيامة تسلب من الأجسام حياتها ، و تتبعثر

الأجزاء فی الجو حیث یبقی لها و جود غیر منظم فی الكون .

٣- أما إمام الحرمین و أتباعه فآثروا السكوت فی هذه المسألة .

و الفرقة الأولی تستدل علی دعواها بالآیات التالیة :

(الف) « هو الأول والآخر » الآیة تدل بوضوح علی أن وجود الله هو الأول و الآخر .

(ب) « كل شئ هالك إلا وجهه » (ج) « كما بدأنا أول خلق نعیده » .

و قد شبه الله تعالی الخلق الأول بالخلق الثانی الذی یكون بعد القیامة ، والخلق الأول وجد من العدم المحض ، ولذلك یلزم من هذا التشبیه أن الخلق الثانی كذلك یكون من العدم المحض ، و معنی ذلك أن القیامة تفنی كل خلق و تجعله معدوماً محضاً .

(د) « كل من علیها فان » .

لكن هذه الدلائل كلها واهیة فی هذا الموضوع ، فقد أبطلها الامام الرازی فی المحصل ، إذ أن كون الله تعالی الأول و الآخر لا یلزم فناء كل ذرة من العالم یوم القیامة ، بل یعنی أن وجود الله القدیم كان من الأزل إلی الأبد ، و كذلك الآیة الثانیة لا تستلزم فناء العالم ، إذ لیس معنی الهلاك هو الفناء المحض بل المعنی هو بطلان الحیاة والموت ، و لا شك أن كل شئ هالك ومیت سوی الله تعالی .

أما الدلیل الثالث (كما بدأنا أول خلق نعیده) فتتوقف صحته علی أن یسلم أن المشبه یشترك المشبه به فی كل حال علی أن ذلك یخالف قواعد فن البلاغة ، هناك تشبیهات كثیرة مثل تشبیه الشجاع بالأسد ، والندی باللؤلؤ ، والوجه بالشمس و لكن المشبه و المشبه به یختلفان فیها كل الاختلاف سوی وجه الشبه .

و الآیة فی الحقیقة جواب علی سؤال من منكری المعاد الذین كانوا یقولون

« أ إذا متنا و كنا تراباً أ إنا لفى خلق جديد » فرد الله عليهم بقوله « كما بدأنا أول خلق نعيده » .

و فى الآية الرابعة دليل على أن ما على الأرض يفنى و لكنها لا تدل على فناء جميع ما عليها ، إن الفناء مطلقاً معناه عدم الحياة وصحيح أن الانسان والحيوان و الطيور و الأشجار و كل ما على الأرض يفقد حياته ، كما أن الآية ساكتة عن فناء الأرض ذاتها بل فيها إشارة إلى بقائها .

و قد آثر إمام الحرمين السكوت على هذه المسألة و وافقه عليه العلامة التفتازانى ، إلا أن هذا السكوت لابد من الكلام عليه ، فقد صرح القرآن الكريم حيث ذكر القيامة بأن القيامة تفرق الأجزاء وتبطل نظام العالم وستبقى المادة على حالة غير منظمة ، و قد صرح بذلك الأئمة كلهم ، الرازى فى المحصل والغزالى فى الرسائل و ابن تيمية فى كتاب العقل .

و نحن لا نرفض أن قدم العالم و عدم فناء المادة مما يعارض المعتقدات الاسلامية ، و أن دعوى قدم المادة واهية لا تستند إلى دليل ، و لكن الذى نريد أن نقول هو أن تعاليم القرآن حول القيامة ليست فى الفناء المحض و العدم المحض ، بل إنه يعلمنا أن نظام العالم ينتثر و أن الشمس و القمر و الأرض و الجبال و النجوم كلها تتبعثر ، وأن الحياة تنعدم ، إن هذا الاعتقاد لايستلزم قدم المادة و يمكن أن تكون المادة شيئاً حادثاً فى الأزل ، و القرآن يصرح فى سور و آيات كثيرة بأن القيامة إنما هو انشقاق و تفرق الأجزاء و فساد النظم ففى الآيات التالية تصريح و تأكيد بما نقول :

« القارعة ما القارعة و ما أدراك ما القارعة يوم يكون الناس كالفراش المبثوث و تكون الجبال كالعهن المنفوش » (القارعة ١ - ٥)

« إذا زلزلت الأرض زلزالها ، وأخرجت الأرض أثقالها وقال الانسان مالها يومئذ تحدث أخبارها » « الزلزال ١ ٤ » .

« إذا السماء انشقت و أذنت لربها و حقت و إذا الأرض مدت و ألقت ما فيها و تخلت (الانشقاق ١ - ٤)

« إذا السماء انفطرت و إذا الكواكب انتثرت و إذا البحار فجرت و إذا القبور بعثرت علمت نفس ما قدمت و أخرت » (الانفطار ١ - ٥) .

« إذا الشمس كورت و إذا النجوم انكدرت و إذا الجبال سيرت و إذا العشار عطلت » (التكوير ١ - ٤) .

« إنما توعدون لواقع ، فاذا النجوم طمست وإذا السماء فرجت وإذا الجبال نسفت » (المرسلات ٧ - ١٠) .

« فاذا برق البصر وخسف القمر وجمع الشمس والقمر » (القيامة ٧-٩)

« يوم تكون السماء كالمهل و تكون الجبال كالعهن » (معارج ٨ - ٩)

فاذا نفخ فى الصور نفخة واحـــدة و حملت الأرض و الجبال فدكتا دكة واحدة ، فيومئذ وقعت الواقعة وانشقت السماء فهى يومئذ و اهية (الحاقة ١٣-١٦) .

« يوم ترجف الأرض و الجبال وكانت الجبال كثيباً مهيلا » (المزمل ١٤)

« فكيف تتقون إن كفرتم يوماً يجعل الولدان شيباً ، السماء منفطر به كان وعده مفعولا » (المزمل ١٧) .

« يوم تبدل الأرض غير الأرض » (إبراهيم ٤٨)

« فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان » (الرحمن ٣٧)

« إذا وقعت الواقعة ليس لوقعتها كاذبة خافضة رافعة ، إذا رجت الأرض رجاً و بست الجبال بساً فكانت هباءاً منبثاً » (الواقعة ١ - ٦) .

« و فتحت السماء فكانت أبواباً و سيرت الجبال فكانت سراباً » .

يعلمنا القرآن فى هذه الآيات البينات عقيدة القيامة فى غاية من الوضوح والبيان ، ذلك أن لهذا النظام نهاية ينتهى فيها نظام العالم الموجود و تنتهى فيها حياة السكان على الأرض ، و تنكسف الشمس بضوئها التى يدور عليها نظام الدنيا ، و تنتثر الكواكب و تنكدر النجوم و تسير الجبال و تزلزل الأرض و تسجر البحار ، فيومئذ تقع الواقعة .

وقد أوضحنا فى السطور السالفة وجهة أنظار معظم حكماء الهند و اليونان نحو القيامة و نريد أن نوضح الآن ما يراه حكماء اليونان القدامى و الفلسفة الحديثة عن يوم القيامة .

يقول راغب باشا فى « السفينة » إن سقراط يرى وفق العقيدة الاسلامية وطبق الفلسفة القديمة من أسباب القيامة كون الأرض على الماء ، و الماء على الهواء والهواء على النار ، والنار تؤثر حرارتها فى مناطق الهواء المجاورة يوماً فيوماً وحرارة الهواء تؤثر فى الماء حتى نقطة الغليان و بهذا الماء الساخن تتأثر الأرض و تزداد سخونة من حرارة الشمس ، و البخارات الحارة التى ترتفع إلى الجو ثم تهبط إلى الأرض تزيد حرارة الأرض أضعافاً مضاعفة ، الأمر الذى ينتج أن الحياة تفنى و الجبال تذوب و البحار تسجر .

هذا هو الظن القديم نحو القيامة إلا أن النظام الشمسى الذى تقره الفلسفة الحديثة يرى أن نظام العالم يتوقف على بقاء حرارة المادة ، فان ثبت أن المادة تنتقص حرارتها رويداً رويداً يستلزم ذلك فساد نظام العالم و وقوع القيامة .

أما باعتبار علم طبقات الأرض « Geology » فتفصيل ذلك أن ذرات المادة كانت شديد الحركة و الجاذبية أول الأمر ، والحركة هى التى أوجدت الحرارة فوق ما كانت فيها من الحرارة الطبعية ، فكانت المادة شيئاً ذائباً ، وبعد مدة تفاعلت قلة الحرارة و الجاذبية و نشأ منهما تركيب غطى حرارة الذرات ، ثم نشأت حالة

(البقية على ص : ٩٨)

الخلافة شروطها و التزاماتها

— ٥ —

الأستاذ خالد سالم

عزل الخليفة :

ينعزل الخليفة إذا تغير حاله تغيراً يخرجه عن الخلافة ، ويصبح الخليفة واجب العزل إذا تغيرت حاله تغيراً لا يخرجه عن الخلافة ، و لكن لا يجوز له شرعاً الاستمرار فيها ، و الفرق بين الحال التى تخرج الخليفة عن الخلافة ، و الحال التى يصبح فيها واجب العزل ، هو أن الحالة الأولى و هى التى تخرج عن الخلافة لا تجب فيها طاعته بمجرد حصول الحالة له ، وأما الحالة الثانية وهى التى يصبح فيها واجب العزل فان طاعته تظل واجبة حتى يتم عزله بالفعل ، و الذى يتغير به حاله فيخرجه عن الخلافة ثلاثة أمور هى :

أحدها - إذا ارتد عن الاسلام و أصر على الارتداد ،

ثانيها - إذا جن جنوناً مطبقاً لا يصحو منه .

ثالثها - أن يصير مأسوراً فى يد عدو قاهر لا يقدر على الخلاص منه ، و كان غير مأمول انفكاك من الأسر .

فى هذه الأحوال الثلاثة يخرج عن الخلافة و ينعزل فى الحال ، و لو لم يحكم بعزله ، فلا تجب طاعته و لا تنفذ أوامره من قبل كل من ثبت لديه وجود واحد من هذه الصفات الثلاث فى الخليفة . إلا أنه يجب إثبات أنه حصلت له هذه

الأحوال ، و أن يكون إثبات ذلك أمام محكمة المظالم فتحكم بأنه خرج عن الخلافة و تحكم بعزله حتى يعقد المسلمون الخلافـــة لغيره . أما الذى يتغير به حاله تغيراً لا يخرجه عن الخلافة ، و لكنــــه لا يجوز له فيها الاستمرار فى الخلافة فخمسة امور هى :

أحدها ـ أن تجرح عدالته بأن يصبح ظاهر الفسق .

ثانيها ـ أن يتحول إلى أنثى أو خنثى مشكل .

ثالثهـا ـ أن يجن جنوناً غير مطبق بأن يصحو أحياناً ، و يجن أحياناً ، و فى هذه الحال لايجوز أن يقام عليه وصى أو يوجد له وكيل لأن عقد الخلافة وقع على شخصه فلا يصح أن يقوم غيره مقامه .

رابعها ـ العجز عن القيام بأعباء الخلافة لأى سبب من الأسباب ، سواءاً كان عن نقص أعضاء جسمه أو كان عن مرض عضال يمنعه من القيـــام بالعمل ولا يرجى برؤه منه . فالعبرة بعجزه عن القيام بالعمل ، وذلك أنه بعجزه عن القيام بالعمل الذى نصب له خليفة تعطلت أمور الدين و مصالح المسلمين ، وهذا منكر تجب إزالته و لا يزول إلا بعزله حتى يتأتى إقامة خليفة غيره ، فصار عزله فى هـــذه الحال واجباً .

خامسها ـ القهر الذى يجعـــله عاجزاً عن التصرف بمصالح المسلمين برأيه و فق الشرع ، فاذا قهره قاهر إلى حـد أصبح فيه عاجزاً عن رعاية مصـالح المسلمين برأيه وحـــده حسب أحكام الشرع فانه يعتبر عاجزاً حكماً عن القيام بأعباء الخلافة فيجب عزله ، و هذا يتصور واقعه فى حالتين :

الحالة الاولى ـ أن يتسلط عليه فرد أو أفراد من حاشيتـــه فيستبدون بتنفيذ الامور و يقهرونه و يسيرون برأيهم بحيث يصبح عاجزاً عـن مخالفتهم مجبوراً على

السير برأيهم . فى هذه الحال ينظر ، فان كان مأمول الخلاص من تسلطهم خلال مدة قصيرة يمهل هذه المدة القصيرة لابعادهم و التخلص منهم ، فان فعل زال المانع و ذهب العجز و إلا فقد وجب عزله .

الحالة الثانية ـ أن يصير فى حال يشبه فيها المأسور و ذلك بوقوعه تحت تسلط عدو ، و تحت نفوذه ، يسيره كما يشاء و يفقده إرادته فى تسيير مصالح المسلمين . فى هذه الحال ينظر ، فان كان مأمول الفكاك من الوقوع تحت التساط خلال مدة قصيرة يمهل هذه المدة القصيرة ، فان أمكن فكاكه و تمكن من الخلاص من تسلط العدو ، زال المانع و ذهب العجز و إلا فقد وجب عزله .

فى هذه الأحوال الخمسة يجب عزل الخليفة عند حصول أية حالة منها . إلا أن حصولها يحتاج إلى إثبات أنها حصلت ، و إثباته يكون أمام محكمة المظالم فتحكم بفسخ عقد الخلافة و عزل الخليفة ، فيعزل و يعقد المسلمون الخلافة لغيره خلال ثلاثة أيام .

نظام الخلافة نظام متميز

هذا البحث ـ بحث الخلافة ـ بحث سياسى ، فهو بحث فى أعلى منصب من مناصب الحكم ، و بالطبع هو بحث فى أفكار الحكم . و من الخطأ الفاحش أن يجعل القارىء غير صدق هذه الأفكار و مطابقتها للواقع مقياساً له لقياس صحتها إن كان قارئها غير مسلم ، وغير كتاب الله و سنة رسوله إن كان قارئها مسلماً . وذلك لأن الفكر لا يتخذ لمقياس صحته فكر آخر ، إلا إذا كان فرعاً ، وإنما يتخذ مقياسه مطابقته للواقع ، أومطابقته لأصله الذى ثبت لديه مطابقته للواقع ولذلك فاننا ننذر القارىء بضرورة قراءة هذه الأفكار بدقة و وعى على الواقع الذى تعبر عنه ، فانه و هو يلمس أزمة الحكم فى العالم الاسلامى [الشرقين الأدنى و الأوسط و بعض

أجزاء الشرق الأقصى] و يلمس أزمة الحكم فى كثير من أجزاء العالم ، حرى به أن يتعرف أفكار الحكم هذه ، ليدرك إدراك تدبر أنه وقع على علاج أزمات الحكم فى العالم، وعلى العلاج الصحيح الذى لا علاج سواه لحكم البشر ورعاية شؤونهم. لا شك أنه ـ أى القارىء ـ إذا تدبر هذه الأفكار ، حاصراً مقياسه فى موضوع انطباقها على الواقع ، أو انطباق الدليل الشرعى عليها ، فانه سيوقن أنه وقع على العلاج الصادق لحكم الناس .

و الذى يخشى منه جعل الديمقراطية مقياساً لصحة هذه الأفكار ، أو التأثر بمفاهيمها أثناء القراءة . لأن الديمقراطية شاعت فى العالم حتى عم اسمها كمثل أعلى عند جميع الدول و الشعوب و الأمم ، و تبنتها الدول الشرقية بعد تبنى جميع الدول الغربية لها مع الاختلاف فى مدلولها عنـــدهم ، و تأثر بها المسلمون فى جملتهم ، لا فرق بين من يعتقد أن الخلافة يقيمها المسلمون ، و من يعتقد أن الخليفة قد عينه الله ورسوله ، فانهم جميعاً يقربون آراءهم للناس باسم الديمقراطية ، أوببعض أفكارها . و من أجل ذلك نكرر إنذار القارىء بأن لا يتخذ فى قراءته لهـذه الأفكار ، أى أفكار غيرها مقياساً ، و لاسيما اسم الديمقراطية أو أفكارها ، فمثلا سبق لبعض من بحثوا فى الحكم أن شاهدوا أشكالا من الحكم فى البــلاد التى يعرفونها ، و قرأوا تاريخياً عن أشكال من الحـــكم . و بالفروض المنطقيـــة كتبوا عن أشكال الحكم ، فقالوا : إن الحكم إذا فوض إلى جميع الشعب أو إلى أكبر قسم منه فانه يطلق على شكل هذا الحكم اسم « الديمقراطية » ، و إذا حصر الحكم فى يد عدد قليل فانه يطلق على هذا الشكل من الحكم اسم « الاريستوقراطية » . أما إذا فوض الحكم إلى يد حاكم منفرد يستمد الآخرون كلهم سلطانهم منه فانه يطلق على هذا الشكل من الحكم اسم « الملكيـة » . وهم يريدون بالحكم السلطان و التشريع ،

على هذا الأساس بنى تفرع جميع أشكال الحكم ، وتفرع عن ذلك أنواع الدول ـ أنواع الاتحادات بين الدول كما تفرع عنه أنواع الحكومات و الانتخابات وحق لتصويت ، إلى غير ذلك .

فهذه الأفكار هى غير أفكار الحكم بالاسلام كلياً و جزئياً . و المغايرة بينهما كبيرة جداً ، لأن نظام الحكم فى الاسلام هو نظام خلافــة ، و هو طوله متميز كل التميز عن أى طراز حكم ، فالشريعة التى تطبق فى إيجاد الحكم ، و فى رعاية شؤون الرعية ، و فى العلاقات الخارجية ، هى من عند الله تعالى ، فليست هى من الشعب ، و لا من عدد قليل منه ، أو من أى فرد ، و لكل فرد ممن يعتنقون الاسلام الحق فى فهم هذه الشريعة الفهم الذى يصل إليه من معرفته اللغة العربية و النصوص الشرعية ، و له مطلق الحق فى حدود اللغة العربية و النصوص الشرعية أن يفهم ما يوصله إليه عقله ، و يكون رأيه شريعة فى حقه و حق كل من يقبل فهمه و يأخذه ، و له أن يحكم به الناس إذا كان حاكماً أو قاضياً ، إلا أنه إذا تبنى الخليفة ـ أى رئيس الدولة الاسلاميــة ـ أى رأى ، كان الرأى الذى تبناه الخليفة هو وحده القانون ، و وجب على جميع الرعية حينئــذ ترك العمل بآرائهم لا ترك آرائهم ، فيجب عليهـــم شرعاً أن يعملوا بالقانون أى بالرأى الذى تبناه الخليفة ، و أن يخضعوا له وحده ، و لكنهم لا يمنعون من تعليم آرائهم و الدعوة إلى الاسلام بها . و يطلق للناس التفكير فى الاسلام على الأساس الذى قام عليه و هو العقيــدة الاسلامية ، فلهم أن يفكروا فى التشريع و غيره كما يشاءون ، كما لهم أن يفكروا فى غير ذلك ، على أن يكون ذلك كلــه منبثقاً عن العقيدة من حيث التشريع ، و مبنياً على العقيدة من حيث غير التشريع .

هذا من الناحيــة التشريعية و الفكرية ، أما ناحيــة الحكم فهى غير التشريع ، إذ أنها تعنى السلطان لا نظام الحكم ، لأن نظام الحكم من التشريع ، فهو أحكام

شرعية ، والسلطان قد جعله الشرع للمسلمين جميعاً ، أى للأمة ، لكل فرد من أفراد الأمة ، ذكراً كان أو أنثى . فكل مسلم يملك حق السلطان . و يملك مباشرة هذا الحق كلما اقتضت مباشرته . و بهذا السلطان الذى تملكه الأمة نقيم عليها رجلا واحداً لينفذ شرع الله ، فتبايعه على الكتاب و السنة بيعة رضا و اختيار منه و منها و يكون من ذلك بينه و بين الأمة عقد خلافة لا عقد إجارة . لأنه عقد لتنفيذ الشرع . لا عقد لخدمتها ولمنفعتها ، و إن كان تنفيذ الشرع هو لخدمتها و لمصلحتها لأنه رحمة لها و للعالمين . إلا أن الذى يجب أن يلاحظ فى العمل ، و الذى يجري عليه عقد الخلافة هو تنفيذ الشرع لا منفعة الأمة ، فاذا تعارضت منفعتها العاجلة مع الشرع كان الشرع وحده الواجب التنفيذ ، و لذلك إذا طلبت ترك حكم شرعي أجبرها الخليفة عليه ، و إذا تركت الشرع وجب عليه قتالها حتى ترجع ، فهو نصب لتنفيذ الشرع ليس غير . و أيضاً فانه لا حق للأمة بعزل الخليفة كما تشاء و إنما لها حق عزله فى حالات معينة ، و ينعزل من نفسه و يخرج عن الخلافة فى حالات معينة ، و يجب قتاله فى حالة واحدة هى إذا طبق غير الاسلام . فأمره ليس بيد الأمة و إن كانت هى التى نصبته ، و إنما أمره بيد الشرع .

إلا أن السلطان الذى هو حق الأمة لا ينتهى بنصب الخليفة ، بل يبقى السلطان لها دائماً ، و يكون مظهره فى حال و جود الخليفه بمحاسبته على أعماله فى تطبيق الشرع ، و فى رعاية شؤنها ، بالأسلوب الذى تراه ، فى حدود أحكام الشرع و يجب عليه أن يخضع لمحاسبتها ، و أن يبين لها الحال التى تشكو منها و تحاسبه عليها . حتى لو شهرت السلاح عليه لا يحل له أن يقاتلها حتى يبين لها الشبهة التى لديها ، و وجه الحق الذى يراه .

هذا هو الحكم فى الاسلام ، وعلى هذا الأساس يقوم نظام الحكم . وهو لا يتفرع عنه أنواع للدول ، بل هو نفسه شكل واحد . فهو نظام وحدة لا نظام اتحاد ، ويوجب

إعلان القتال فوراً لحفظ نظام الوحدة ، و القضاء على نظام الاتحاد . و لا توج فيه أنواع للحكومات ، بل لا توجد فيه حكومات . فالدولة و الحكومة فيه ش واحد ، هو الخليفة و المعاونون . أما ما يتفرع عن ذلك من طريقة نصب الخليف و من ضرورة ضمان الرضا و الاختيار لكل مسلم فى انتخاب الخليفـــة و بيعته والتمكين للأمة فرداً فرداً من هذا الرضا و الاختيار ، فذلك قد جاءت به أحكا شرعية خاصة فيه وعامة فى كل عقد من العقود ، ومنها عقد الخلافة ، وهو وإن تشابه مع النظام الديمقراطى من حيث حرية الانتخابات ، وحرية التصويت ، وحري القول ، و لكنه لا يصح أن يلاحظ هذا الشبه ، لأن ذلك فى النظام الديمقراطى ناتج عن الحريات ، و هنا ناتج عن شروط عقد الخلافة ، و شروط كل عقد من العقود و هو ـ أى الرضا و الاختيار ـ إذا لم يتحقق فى عقد الخلافة بطل العقد و لا يكون الخليفة حينئذ خليفة شرعاً .

و الفرق بين ضمان الحرية فى الانتخابات و بين ضمان تحقق الرضا والاختيار فى العقد هو أن الحرية هو حكم للناس ، فاذا لم تتحقق لا تؤثر فى صحة العقـد ، و لكن ضمان الرضا و الاختيار هو العقد وليس حكم الناس ، فاذا لم يتحقق فان العقد يكون باطلا و لا ينعقد ، و هكذا جميع أفكار الاسلام هى مغايرة لأفكار الديمقراطيـــة و هى فى نفس الوقت مغـــايرة للارستقراطيـــة و الملكيـــة ، و بديهياً هى مغايرة للامبراطورية ، فاذا بحثت فيجب أن تبحث باعتبار نظام حكم متميز عن أى نظام ، وباعتبار انطباقها على واقع الحكم ولكن لا أى حكم بل على واقع حكم معين هو الحكم الذى يحكم به الانسان حكما واقعياً للبشر على أعظم مستوى من القيم الرفيعة ، أوباعتبار الأدلة الشرعية التى استنبطت منها هذه الأفكار فى الحكم .

على هذا الأساس نطلب إلى القارىء أن يقرأ هذا البحث السياسى باعتباره بحثاً فى نظام حكم متميز عن غيره كل التميز ، غير متخذ أى مقياس لصحة أفكاره سوى انطباقها على واقع أسمى نظام من أنظمة الحكم التى يحكم بها البشر ، أوانطباقها على الأساس الذى انبثقت عنه وهو كتاب الله و سنة رسول الله ﷺ .

دراسات وأبحاث

الأساليب الخداعة لانكار السنة

و مكانتها فى التشريع الاسلامى

فضيلة الشيخ محمد برهان الدين السنبهلى
(الحلقة الثانية) مدير مجلس الدراسات الشرعية بندوة العلماء
تعريب : محمد صدر الحسن الندوى

تحت هذه النوايا الخبيثة قام هؤلآء الناس بتوجيه الافتراءات و الأراجيف إلى رواة الحديث الموثوق بهم و خاصة اتهموا شخصية أبى هريرة (رضى الله عنه) بالكذب ، و هكذا تولوا كبر هذه المحاولات الشنيعة ضد رواة الحديث ، و من هؤلآء المفترين الدجالين المشهورين عدا « شبرنجر » الذى اتهم أبا هريرة بالكذب اتهاماً شنيعاً بعــد وفاته رضى الله عنــه بثلاثة عشر قرناً ، و لم يكتف هؤلاء المستشرقون على هذا الدجل والكذب فحسب بل أنشأوا أجيالا أكفاء من المتسمين بأسماء المسلمين و أعدوهم للهجوم على الاسلام و المسلمين بتقديم الاغراءات المادية لهم ، منهم « أبورية » الذى هجم على شخصيــة أبى هريرة فى كتابه « أضواء على السنة » و ننقل هنا ما قاله الدكتور مصطفى السباعى فى كتابه « السنــة و مكانتها فى التشريع الاسلامى » فى أبى رية . إنه قال : « أبورية » كان أكثر منهم بذاءة و أطول لساناً ، و بعد ذلك قدم له أمثلة كثيرة (١) .

لكن هذا المعترض قد فاق أقرانه فى تلبيس الحق و تشويه الحقيقة ، وخطا خطوة أخرى فى التقول على أبى هريرة ، و قال إنه كان يهودياً (نعوذ بالله من ذلك) كيف يتجرأ هذا الرجل أن يقول حول شخصية أبى هريرة ، ذلك الصحابى

(١) للمزيد راجعوا الكتاب المذكور من ص ٣٠٥ إلى ٣٦٣ .

العظيم هذه الكلمة الكبيرة المنكرة ، ألم يعلم أن الله يحاسبه على هذا يوم القيامة ، يوم لا ينفع مال و لا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم . إنه اجترأ و لم يتأمل و لم يفكر ماذا يتفوه بلسانه وكان جديراً بأن يتفكر و يتأدب ، لكنه أطال لسان القدح و النقد على الصحابي العظيم العادل ، فما نقول فى هـذا إلا ما قال الله : « و سيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون » من الحقائق المعترف بها « و يؤيدها العقل العام » أن الصورة الصحيحة لأى شخصية ما يقدمه أحباؤه وجلساؤه ، وعند ما نرى بهذا المنظار شخصية أبي هريرة نجدها حافلة بالاعترافات الجميلة والثناء العاطر عليه من أحبائه و جلسائه .

و يعلم من حديث رواه البخارى أن رسول الله ﷺ أثنى عليه و على شغفه بالعلم ، وقد نقل هذا الحديث الحافظ ابن حجر العسقلانى (١) أما ماتحمله أبوهريرة من مشاق فى سبيل العلم فحدث عن البحر و لا حرج ، و ذلك إن دل على شئ فانما يدل على تفانيه فى العلم ، ولانعلم أحداً من معاصريه يقول إنه كان كاذباً فضلا عن أن يقول إنه كان كافراً أو يهودياً .

و من الافتراء على عائشة رضى الله عنها أنها كانت تكـذب أبا هريرة فى حضوره وهذا من الفرية الكبيرة على أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها فقد ثبت عن عائشة رضى الله عنها أنها صدقت حديث أبي هريرة (٢) و قد أجمعت الأمة كلها على أن الصحابة كلهم عدول (٣) حتى نرى أن الفريقين (فريق على وفريق معاوية اللذين جرت الحرب الدامية بينهما لم يكذب بعضهم بعضاً فى الحـديث .

(١) الاصابة ج ٧ ص ٤٣٣

(٢) الاصابة ج ٧ ص ٤٢٩

(٣) مقدمة ابن الصلاح ص ٢٦ بحث المرسل .

و من المضحك و الكذب السافر أن يقول فى أبى هريرة أنه كان يهوديا ، فقد أجمع المترجمون كلهم على أن أبا هريرة كان من قبيلة دوس و أجمعوا على أن اسمه الجاهلى كان عبد شمس (١) ،

ومن الواضح الملموس أن اليهود مهما كانوا بعيدين عن جادة الحق والصواب كانوا يجتنبون مظاهر الشرك و يعتقدون التوحيد و من أجل ذلك ترى أن اليهود لم يكونوا يرضون فى أسمائهم باضافة كلمة « العبد » إلا إلى الله ، بل من المعلوم و كما يشف عن اسمه الجاهلى - أن أبا هريرة - قبل أن يسلم - كان من المشركين كالعرب عامتهم ، ولكن المشركين بعد ما آمنوا تنحوا عن الشرك بل كان يشق عليهم أن يتصوروا الشرك ، و هكـذا كان أبو هريرة ، فانه وقف حياته كلها للتشرف بصحبة النبى ﷺ صباح مساء ، و لذلك كثرت رواياته و قد اعترف بها الصحابة كابن عمر و طلحة (٢) .

و إنه قد بين بنفسه سبب إكثار الحديث ، إنه قال : و إن إخوانى من الأنصار كان يشغلهم عمل أرضهم و أما إخوانى من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق ، و كنت الزم رسول الله ﷺ على ملأ بطنى ، و أشهـد إذا غابوا وأحفظ إذا نسوا ، ولقد قال رسول ﷺ يوماً أيكم يبسط ثوبه فيأخذ من حديثى هذا ثم يجمعه إلى صدره فانه لم ينس شيئاً سمعه ، فبسطت بردة على حتى فرغ من حديثه ثم جمعتها إلى صدرى فما نسيت بعد ذلك اليوم شيئاً حدثنى به ولو لا آيتان أنزلهما الله فى كتابه ما حدثت شيئاً : « إن الذين يكتمون ما أنزلنا من

(١) الاصابة ابن حجر ج ٧ ص ٤٢٧

(٢) راجعوا للتفصيل البداية و النهاية ج ٨ ص ١٠٩

البينات و الهدى إلى آخر الآيتين (١) فمن كان يخاف الله إلى الدرجة التى يحدث الأحاديث لأجلها ، أيمكن أن يكذب على رسول الله ﷺ ، و هو يروى هذا الحديث عن النبى ﷺ « من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » .

و قد نوه الحكام الجائرون الصحابة بهذه الميزة ، و منهم مروان ـ الذى هو مطعون لدى العامة من الناس ـ فقد نقل الامام مسلم فى صحيحه . قصـــة مروان و هى : إن أروى بنت أويس ادعت على سعيد بن زيد أنه أخذ شيئاً من أرضها فخاصمته إلى مروان بن الحكم ، فقال سعيد أنا ما كنت آخذ من أرضها شيئاً بعد الذى سمعت من رسول الله ﷺ؟ قال وما سمعت من رسول الله ﷺ؟ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : من أخذ شبراً من الأرض ظلماً طوقـه إلى سبع أرضين فقال له مروان « لا أسألك بينة بعد هذا » إذا كان الأمر كذلك فهل من الممكن أن يتجرأ صحابى و يكذب على رسول الله ﷺ ، لما لم يكن فيه أية منفعة دنيوية و أخروية بل فيها ضرر فادح على عكس ذلك .

و لأبى هريرة قصص عديدة تدل على قوة حفظه و إتقانه و ننقل هنا قصة واحدة فحسب ، نقلها المترجمون كلهم فى ترجمة أبى هريرة نقلها الامام البخارى ، ذلك المحدث الورع الناقد البصير فى كتابه « كتاب الكنى » (٢) ونقله الحافظ ابن حجر العسقلانى بالألفاظ التالية : قال أبو الزعيزعة كاتب مروان ، أرسل مروان إلى أبى هريرة فجعل يحدثه و كان أجلسنى خلف السرير أكتب ما يحدث به حتى إذا كان فى رأس الحول أرسل إليه فسأله و أمرنى أن أنظر ، فما غير حرفاً عن

---

(١) صحيح مسلم ج ٢ ص ٣٠٢ و ٣٠١ (طبع الهند)

(٢) كتاب الكنى للامام البخارى ص ٣٣

جرف (١) و كذلك حدث للمحدث الكبير الامام ابن شهاب الزهرى ، اختبره في الحديث النبوى الشريف ، الخليفة الأموى أبي هشام بن عبد الملك ، جاء فى هذا « ثم قابل بالكتاب الأول فما غادر حرفاً » (٢) .

و الشيئ الذى يزيد فى فضل أبي هريرة رضى الله عنه أن عمر ، و عثمان ، وطلحة ، وعلياً ، كانوا يسألونه عن أحاديث الرسول ﷺ (٣) تأملوا لما كان عمر ذلك الرجل العادل البصير المتيقظ (٤) يره أحفظ الناس لحديث رسول الله ﷺ ، فلا مبعث للعجب على إجماع المحدثين على أنه كان أحفظ أصحاب رسول الله ﷺ ، كما نقله الحافظ ابن حجر العسقلانى ، وفيهم الامام الشافعى وأبو عبد الله النيشابورى ، فأى مثار للاستعجاب إذا روى عنه التابعون المتقنون ممن يبلغ عددهم إلى ثمان مائة شخص كما نقله البخارى ، رأينا أن معاصريه من الصغار و الكبار يبدون ثقتهم به ، فاذا نهض رجل فى القرن الرابع عشر الهجرى ويتقول عليه ويتهمه بأنه كان يهوديا و كذاباً ، فأقل واجب على المسلمين كردود فعل لتلك الأكاذيب أن يقاطعوه .

و قد نقلتم أيضاً قول المعترض هذا : « إن باستطاعتك أن تفهم القرآن ما دمت تتكلم بالعربية » و استدل بهذه الآية القرآنية « إنا أنزلناه قرآناً عربياً » و « بلسان عربى مبين » فنقول هل يمكنه أن يجيد فهم القرآن ، بالنسبة إلى الذين صحبوا النبى ﷺ ، إذا كان جوابه نعم ، فلا يحق لى أن أقول شيئاً ، و إذا كان جوابه لا ، فنقول له ، إذا كانت معرفة اللغة العربية تكفى لفهم القرآن ، فما كانت الحاجة ماسة إلى إرسال الرسل بل كان يكفى أن ينزل الكتب من الله تعالى ،

(١) الاصابة ص ٤٣٣ ج ٧ (٢) تذكرة الحفاظ للذهبى ج ١ ص ٩٧

(٣) راجعوا للتفصيل الاصابة من ص ٤٢٥ إلى ٤٤٥

(٤) كما نقله الأستاذ السباعى فى كتابه « السنة ومكانتها فى التشريع الاسلامى » ص٢٧٥ (ج ٧

ولما بعث الرسل فما كان من وظيفتهم تلاوة القرآن فحسب بل كان من وظيفتهم أيضا «التعليم» و «التبيين» فقد جاء فى القرآن الكريم فى سورتى آل عمران و الجمعة «يتلو عليهم آياته و يزكيهم و يعلمهم الكتاب و الحكمة» وهنا آيات كثيرة فى القرآن تشير إلى هذه الناحية المهمة، فقد جاء فى سورة النحل «و أنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم». لما كانت تلاوة القرآن تكفى لفهم القرآن فكانت جماعة الصحابة رضى الله عنهم جديرة بها، لكن الرسول ﷺ لم يكتف بتلاوة القرآن فحسب بل كان يبين معانى الآيات الكريمة و يشرحها لهم، و التعلم ليس تعبيراً عن تصحيح الألفاظ لأن لفظ التلاوة كان يكفى لهذا الأمر، فعلم أن التلاوة و التعليم شيئان متباينان، و لم يكتف القرآن فى تبيين وظيفة النبي ﷺ على التعليم فحسب بل زاد على ذلك تعليم «الحكمة» أيضاً، وقد بين الامام الشافعى معنى الحكمة فقال هى «السنة» النبوية (١) خاصة «السنة القولية» و بين القرآن عدا هذا كله وظيفة الرسول. فقال «يحل لهم الطيبات و يحرم عليهم الخبائث (٢) و الأشياء التى حرمها النبى ﷺ أو أحلها، لا بد أن تكون عدا الأشياء التى أحلها أو حرمها الله تعالى، لأن الأمر إذا كان عكس ذلك، فتكون نسبة التحريم والتحليل إلى النبي كلاماً فارغاً، لا داعى له، كما يشير إلى هذه الحقيقة الناصعة الحديث النبوى الشريف، قال رسول الله ﷺ: «الا إنى أوتيت القرآن و مثله معه، الا يوشك رجل شبعان على أريكته، يقول عليكم بهذا القرآن، فما وجدتم فيه من حلال أحلوه وما وجدتم فيه من حرام حرموه، وإن ما حرم رسول الله كما حرم الله، الا لا يحل لكم الحمار الأهلى، و لا أكل ذى ناب من السباع (٣)

(١) الأم ج ٧ ص ٢٥١　　　(٢) الأعراف : ١٥٧

(٣) مشكاة المصابيح ص ٢٩

علم من هذا الحديث أن إنكار السنة هو علامة التمرد و التجبر و التكبر و هذا هو المراد بـ « شبعان » لأن الانسان تنشأ فيه هذه الصفات الخسيسة إذ كان تهيأله الرخاء والبحبوحة من العيش . فيصعب عليه التغلب على رغبات النفس لأجل هذه الحياة الرغيدة ، والأحاديث هي التي تفرض الحظر على رغبات النفس وإيحاءاتها تفصيلا ، و من عادة القرآن أنه يشير إلى ذلك إجمالياً ، فالذين يريدون إشباع البطن و الشهوة و الرغبات ، و رتع كل رطب و يابس يقولون « حسبنا القرآن و قولهم يصدق عليه هذه القولة المشهورة «كلمة حق أريد بها الباطل » نقول على سبيل المثال إن القرآن حرم الخمر ، والأحاديث تحرم المسكرات كلها ، لكن الذين تعودوا المسكرات يجدون فرصة سانحة فى القرآن لارضـــاء شهواتهم و رغباتهم فيقولون ، لا نشرب الخمر التى حرمهـا الله تعالى بل نشرب الأنبذة ، أو المسكرات من « وائن » و « واتر » و « شنبين » وما إلى ذلك من المشروبات المسكرة نابذة سنة الرسول وراء ظهورهم ، لأن الأحاديث تفرض الحظر على المسكرات كلها

نجد الأشخاص المصابين بالفساد العملى يجعلون القرآن ستاراً لأعمالهم القبيحة كما نجد ـ أيضاً ـ الرجال الذين هم ينغمسون فى العقيدة الفاسدة يرفضون السنة بتاتاً و التاريخ حافل بمثل هذه الأمثلة ، فالفرق الباطلة الضالة التى وجدت عبر القرون كان من زيغهم ، أنهم بينوا معانى القرآن بأنفسهم بدون أن يستندوا إلى السنة النبوية على صاحبها ألف ألف تحية وسلام ، وكذلك أثبتوا عقائدهم الباطلة بالآيات القرآنية فضلوا و أضلوا ، فرقة الخوارج التى هى من أشهر الفرق الضالة قد بنوا أساس عقيدتهم الآية القرآنية « إن الحكم إلا لله » و فسروا هذه الآية من قبل أنفسهم فأحلوا دماء الصحابة الأجلاء الأبرياء ، ومنهم سيدنا على كرم الله وجهه ، وأوجبوا قتلهم ، فقتل على يد رجل منهم اسمه ابن ملجم ـ و كذلك نرى فرقة المعتزلة التى كانت تؤمن بالفلسفة الاغريقية رفضت ضرورة السنة النبوية وحجيتها رفضاً باتاً .

هناك حقيقة لا تنسى أن الفرق الضالة كلمـــا أنكرت السنة النبوية و حاجتها و ضغطت على الاستدلال بالقرآن بغض النظر عن تفاصيل الأحاديث .

والشئ الذى يبعث على الاستعجاب أن المتزعمين لهذه الفرق كلها قاموا بالتنديد بشخصية أبى هريرة ، و الرجل الذى تولى كبر هـــذا النقد اللاذع لأول مرة من المسلمين باسم المسلمين هو « النظام » إمام المعتزلة و قدوتهم فرد عليـه المحدث ابن قتيبة فى كتابه « تأويل مختلف الحديث » رداً مفحما بالدلائل المقنعة (لكن أبورية يتقول على ابن قتيبة بأنه كان ينتقد أبا هريرة) و هذا كذب صراح ، وننقل هنا ملتقطا للمحدث أحمد محمد شاكر نقله الأستاذ مصطفى السبــــاعى المرحوم فى كتابه (السنة ومكانتها فى التشريع الاسلامى) « وقد لهج أعداء السنة ، أعداء الاسلام فى عصرنا و شغفوا بالطعن فى أبى هريرة و تشكيك الناس فى صدقه وروايته وما إلى ذلك أرادوا ، و إنما أرادوا ، أن يصلوا - زعموا - إلى تشكيك النـــاس فى الاسلام تبعاً لسادتهم المبشرين و إن تظــــاهروا بالقصد إلى الاقتصار على الأخذ بالقرآن أو الأخذ بما صح من الحديث فى رأيهم ، وما صح من الحديث فى رأيهم إلا ما وافق أهواءهم و ما يتبعون من شعائر أوربا و شرائعها . . وما كانوا بأول من حارب الاسلام فى هذا الباب ولهم فى ذلك سلف من أهل الأهواء قـديماً . . ومن عجب أن تجد ما يقول هؤلاء المعاصرون ، يكاد يرجع فى أصوله و معناه إلى ما قال أولئك الأقدمون . . ولقد رأيت الحاكم أبا عبد الله الحاكم المتوفى ٤٠٥هـ حكى فى كتابه المستدرك (ص ٥١٣ ج ٣) كلام . . إمام الأئمة . . ابن خزيمة (المتوفى ٣١١هـ) فى الرد على من تكلم فى أبى هريرة فكأنما هو يرد على أهل عصرنا هؤلاء و هذا نص كلامه « و إنما يتكلم فى أمر أبى هريرة لدفع أخباره ، من قد أعمى الله قلوبهم ، فلا يفهمون معانى الأخبار إما معطل جهمى يسمع أخباره التى يرونها خلاف مذهبهم - الذى هو كفر - فيشتمون أبا هريرة ويرمونه بما قد نزه الله تعالى عنه . . وإما خارجى يرى السيف على أمة محمد ﷺ . . إذا سمع أخبار أبى هريرة خلاف مذهبهم ، الذى هو ضلال ، لم يجد حيلة فى دفع أخباره بحجة وبرهان كان مفزعه الوقيعة فى أبى هريرة ، أو قدرى اعتزل الاسلام وأهله أوجاهل (١) .

(١) السنة و مكانتها فى التشريع الاسلامى ص ٣٥٢ و ٣٥٠ « يتبع »

المفهوم الاسلامى لحقوق الانسان الأساسية !

(الحلقة الرابعة)

الأستاذ محمد صلاح الدين
« معرب »

هذه هى مكانة الذميين فى الدولة الاسلامية ، و الغرض من هذا البيان أن نشير إلى أسلوب تفكير الدولة الاسلامية عن الذميين .

أما بالنسبة إلى المساواة بين حقوق المسلمين وغير المسلمين لحكم القرآن واضح فى ذلك تمام الوضوح إذ لا يستوى المؤمنون و الكافرون ، و إن كانوا متساوين فى الحقوق الانسانية ، فالحقوق التى يتمتع بها المسلمون كبشر يتمتع بها الكافرون أيضاً كبشر ، كما أنهم متساوون فى تعين حقوقهم من الله و رسوله ﷺ ، وكما أن حقوق المسلمين لها أهمية لا تقبل الانفكاك و التدخل كذلك حقوق غيرهم لا تقبل الانفكاك و التدخل ، و إن كانت الدولة لا تستطيع أن تقوم بتعـديل فى حقوق المسلمين لا تقدر على تعديل فى حقوق غيرهم كذلك ، وإذا كان المسلمون لهم الحق فى الحصول على حقوقهم فى ضوء أحكام الكتاب و السنة و نظائر الخلافة الراشدة من المحاكم الاسلامية كان لغيرهم الحق أيضاً فى الحصول على حقوقهم بنفس الطريق .

لما أراد بعض العمال فى العهد الفاطمى أن يستولوا على ممتلكات الرهبان من النصارى واليهود فى سيناء وفرضوا عليهم بعض الضرائب الجديدة امتثل هولاء إلى دار الخلافة و عرضوا على الخليفة وثائق العهود القديمة حتى قضى لهم بهرام وزير عبد المجيد الحافظ والعباس و الطلائى وزيرا الظفر ، و كتبوا إلى العمال حول

احترام العهود القديمة وامتثال ما تم فى عهد الخلافة الراشدة فى حق هؤلاء الناس ، كما صدر مرسوم لانهاء الضرائب الجديدة كلها من غير تاخير و صيانة حقوق النصارى و اليهود من كل جهة .

توافرت هذه النظائر فى خلافة بنى العباس والأدوار التى تلتها ، وهى أوضح دليل على أن الذميين أيضاً يتمتعون بالصيانة كالمسلمين بازاء الدولة الاسلامية ، على أن هذه الصيانة لم يوفرها إلا الله تبارك وتعالى الذى لا يعترف الذميون بحاكميته و وجوده .

ورغم تساوى المسلمين و الذميين فى نظر القانون فان هناك فرقاً فى الحقوق الأساسية بينهم ، و ذلك هو الفرق فى الحقوق السياسية ، و ليس السبب فى ذلك تمييز فى السلوك أو العصبية المذهبية ، بل إن نوعية صلة المسلمين و وفائهم لسلطة الدولة الاسلامية تختلف عن صلة الذميين بها ، فان غير المسلم لا يؤمن بنظام الاسلام السياسى الذى يقوم على أساس حاكمية الله و دستور الكتاب والسنة ، ولا يحلف بالوفاء الكامل لهذا النظام كمسلمين ، أما المسلم فانه يعاهد بايمانه بالله و رسوله أنه يقيم حاكمية الله على أرضه ، و يجاهد فى رفض كل حاكمية غيرها ولا يبالى ببذل النفس والنفائس فى اقتلاع ذلك ، ولذلك فانه يستحق سلطة الخلافة (Delegated- Powers) - و كل فرد يحلف بذلك و يعاهد الله عليه فانه يشارك هذه السلطة تلقائياً . أما من ليس عنده استعداد لحمل هذه المسئولية ولا يؤمن بحاكمية الله السياسيه فكيف يمكن إشراكه فيها .

هل هناك سلطة ترضى بتفويض خيارها و امتيازاتها (Delegate) إلى فرد أو جماعة لا تسلمها و لا تعترف بوجودها ، و رغم وجود هذا الفرق الأساسى بين المسلم وغيره لم يحرم الاسلام غير المسلمين حقوقهم السياسية ، إلا أنه لاحترام

أهلا لشغل مناصب أساسية تتطلب منهم حلف الوفاء للـدستور وهم لا تتوفر فيهم شروط الأهلية ، و نظراً إلى مكانتهم هذه يجب أن توزع الحقوق الأساسية إلى ثلاث دوائر .

١ — الحقوق المشتركة بين المسلمين وغيرهم

٢ — حقوق المسلمين الأساسيه النسبية

٣ — حقوق غير المسلمين الأساسية النسبية

و ستكون قائمة الحقوق المشتركة طويلة ، ذلك لأن الله تعالى قد منح المكانة الخلقية فى أمر الحقوق الانسانية أهمية قصوى . أما القائمتان الثانية والثالثة فستنطويان على عدة حقوق تقوم على أساس الفرق بين المسلم وغيره .

الجانب الخلقى :

بعد استعراض الحقوق الأساسية و مكانتها القانونية فى الاسلام ينبغى أن ندرسها حقوقاً خلقية ، و نحن حينما نقول الحقوق القانونية فلا نريد بها إلا القوانين التى تدخل فى عداد القانون الوضعى (POSITIVE LAW) والتى تكون صالحة للتنفيذ بواسطة الجهاز الادارى و صالحة للحصول عليها بواسطة المحاكم العدلية ، و ذلك كصيانة النفس و المال و حرية التنظيم و الاجتماع وما إلى ذلك ، و لكن الحقوق التى تخرج عن نطاق الادارة و العدلية و سلطتها ، و التى تترك لكى ينفذها الانسان على وخز من ضميره و وجدانه ، فهى حقوق خلقية ، ذلك كعيادة المريض مثلا أو إغاثة البائسين و إطعام الضيوف و المساكين و حسن الجوار مع الجيران ، معنى ذلك أن الحقوق القانونية تحميها قوة الدولة التنفيذية و أن الحقوق الخلقية يتوقف تنفيذها على صوت الضمير الانسانى ، يقول الامام الغزالى وهو يصف الأخلاق :

« فالخلق إذا عبارة عن هيئة النفس و صورتها الباطنة » (١)

(١) أحياء علوم الدين للغزالى ، ج ٣/٥٦

و بما أن صورة الانسان الباطنة و هيئته خارجة عن قوة المشاهدة ، و عن نطاق العلم المحدود للحواس لم يجعلها القانون ضمن دائرة عمله ، إن حدود وضع القانون و تنفيذه ، تنتهى إلى أعمال الانسان الظاهرة و الصالحة للشاهدة ، لا علاقة لها بعوامل تلك الأعمال الداخلية و بالأفكار و العقائد و الاتجاهات و الميول التى تقوم بدورها المعلوم فى تشكيل و بناء حياة الفرد الفكرية ، هذه الأمور هى فى الحقيقة موضوع الأخلاق ، و تعيين الحقوق الانسانية التى تدخل فى حدود الأخلاق ليس من شأن المشرعين المقننين بل إنه وظيفة المربين و المعلمين للأخلاق ، يتحدث الشيخ حفظ الرحمن سيوهاروى (رحمه الله) حول دائرة العمل القانونية و الخلقية فيقول :

« حكم القانون الوضعى لا ينطبق إلا على الأعمال الخارجية ، و لكن القانون الخلقى يراقب كلا من أعمال الانسان و أسبابها و عللها ، و ينفذ حكمه فى كلا الجانبين ، حتى إن بعض تلك الأعمال التى تبدو جيدة النتائج لكنها تعتبر شراً لأن الباعث عليها شر ، إن القانون الوضعى ينفذ بالقوة الخارجية كالحكام و الجيش و الشرطة ، و الدستور ، و السجون ، و الأساليب الحديثة الأخرى ، أما القانون الخلقى فينفذه الوجدان و الضمير ، و إذا كان القانون الوضعى يكلف الواجبات التى يتوقف عليها بقاء الجماعة كصيانة النفس و المال و الحرمة فان القانون الخلقى يكلف الفرائض و الفضائل فى وقت واحد ، و يعود الانسان على بذل مجهودات طيبة لغايات صالحة ، و يحثه على إدراك الكمال و النبوغ عن طريقه » (١) ،

و على هذا الفرق الموجود بين القانون و الأخلاق يتصدى فقهاؤنا و يقيمون خطاً فاصلا بين الجانبين القانونية و الخلقية للحقوق الانسانية ، يقول العلامة سيد سليمان الندوى (رحمه الله) و هو يشرح حقوق الله و حقوق العباد :

---

(١) الاخلاق وفلسفة الاخلاق ، للشيخ حفظ الرحمن السيوهاروى ص ٤٠

« العلاقة التى بين الخالق و المخلوق و بين العبد و المعبود إذا كانت تختص بالقوة الفكرية و الأحوال القلبية فهى العقيدة ، و لكنها إذا كانت تتعلق مع ذلك بالنفس و المال و المتاع فهى العبادة ، و الاحكام التى تعود علينا من أجل العلاقة بين الانسان و الانسان أو بين الانسان و الخلق الآخر إذا كانت لا تعدو المكانة القانونية فهى تسمى بـ « المعاملة » و إذا لم تكن لها القيمة القانونية بل تنحصر فى النصائح الروحانية و التوجيهات الانسانية فهى التى نعبر عنها بالأخلاق »(١).

ذلك هو التقسيم الموجود فى كتب الفقه الاسلامى بين الحقوق القانونية و الخلقية إلا أن جانباً مهما منه يهمل بوجه عام ، أو أنه يقطع عن أصل الموضوع و يبين بعنوان آخر ، حتى إن الرابط الذى يربط بين الحقوق القانونية و الخلقية فى الاسلام يختفى و لا يطلع عليه الناس .

يصح هذا التقسيم بالنظر إلى أصول القانون و الأخلاق العامة فى هذا العالم و لكننا إذا رأينا إلى سلطة الله العليا و مكانة الخلافة للانسان تتغير نوعية هذا التقسيم مطلقاً ، إذ أن الحقوق القانونية و الأخلاقية كلها تعينت بأمر الحاكم الأعلى فى الاسلام ، و لذلك فليس هنا من الحقوق ما يتعين بتعيين سلطة تشريعية وتسمى بالحقوق القانونية ، ، و ما يتعين بواسطة معلم الأخلاق وتسمى بالحقوق الخلقية ، وكل واحدة منهما من حيث نفاذها أو عدم نفاذها لا تختلفان فيما بينهما ، فان المسلم مسئول عن الطاعة الكاملة لله و لرسوله بحكم الميثاق الذى واثقه مع ربه ، « قل إن صلاتى و نسكى و محياى و مماتى لله رب العالمين » (الأنعام - ١٦٢) .

و بجانب هذا الميثاق يعلن الله تعالى عن الاشتراء من المؤمنين أنفسهم ، فيقول « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم و أموالهم بأن لهم الجنـــة » (التوبة - ١١) .

---

(١) سيرة النبى (ﷺ) ج ٤/ ٣١٦

و أنى للسلم بعد هذا الميثاق و العهد أن يفرق بين الحقوق التى وضعها الله تعالى لمصلحة الانسان و يوزعها بين الحقوق القانونية و الخلقية و يعامل كل واحدة منهما معاملة متميزة ، فانه يعتبر كل حكم من أحكام القرآن قانوناً ، و إنه يمتثل جميع أوامر الله بشعور واحد بالمسئولية ، فليست الحقوق القـــانونية عنده واجبة التنفيذ والامتثال فحسب بل إن الحقوق التى هى ضمن الاخلاق واجبة التنفيذ والطاعة كذلك ، أما ما وضعه الانسان من حدود الأخلاق فانها تنتهى عند حد بعد ما تعين مقياساً للخير و الشر ، و يترك تنفيذها على ضمير الانسان و وجدانه ، و يعتبر ذلك تنفيذاً تطوعياً (VOLUNTARY) ولا يكون صالحاً للمحاسبة (ACCOUNT-ABLE-) و تتيسر لهذه الحقوق الخلقية القوة المنفذة فى صورة الضغوط الاجتماعية (PRESSURE SOCIAL) إلا أن الانحراف عنها لا يوفر حق المرافعة إلى المحاكم (COGNIZABLE) ولا يوجب العقاب عليه (PUNISHABLE) .

فهل فى الاسلام أيضاً تعتبر الحقوق الخلقية كشأنها فى القوانين الوضعية ؟ و معلوم أن الجواب على هذا السؤال يكون بالنفى ، فان المسلم مسئول عن الحساب الدقيق من غير ميزة قانونية أو خلقية لكل ذرة مما يعمل ، « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره و من يعمل مثقال ذرة شراً يره » (الزلزال - ٧ - ٨)

و ما دام الوضع فى الاسلام كما بينا ، فما الباعث لدى الفقهاء على توزيعهم الحقوق على الأسس القانونية و الخلقية ؟ وعلى أى أساس يعتبرون هذا الفرق ؟؟

هذا الفرق فى الواقع لا يمت إلا إلى أن الفرد المسلم مسئول عن الخضوع أمام أحكام ربه فى كل حال ، وهذه المسئولية لها طابعها القانونى ، لأن المسلم يحمل المسئولية عن أعماله أمام الحاكم الأعلى الذى يحكم على أساسها بالجزاء والعقاب ، وهو لا يستطيع أن يعتذر إليه عما إذا كان مقصراً عن الطاعة فى حدود ذاته ، و لكن

الأمیر أو الامام فقد کلفه الله تعالی تنفیذ حقوق یستطیع أن ینفذها إلی حد إدراکه و مشاهدته و فی حدود علمه و حواسه ، و تلك هی الحقوق التی نسمیها حقوقاً قانونیة فی الاسلام ، و معنی ذلك أن تقسیم الحقوق بین القانون و الاخلاق یبتنی علی وجهة نظر سلطات الحکومة لا علی وجهة نظر مسئولیة فرد ومحاسبته (ACC-OUNTABILITY) .

و الحقوق أیا کان نوعها بمثابة القانون للفرد ولکنها للامام بالنظر إلی حدود سلطته و مسئولیاته تتوزع بین الحقوق القانونیة و الأخلاقیه . فأول الحقوق التی أوجبها الله تعالی لجعل المجتمع متزنا عادلا مترفها سلیما و نظیفاً جعلها الامام بسلطته النیابیة صالحة للتنفیذ ، و منحه الله أحکاماً و امتیازات لازمة حول ذلك ، فالحقوق التی رآها لازمة لبناء المجتمع علی أسس خلقیة فاضلة ولتنظیم سیرة أفراده و سلوکهم اعتبر کل فرد منه مسئولا عن تنفیذها وأشرف هو بنفسه مباشراً علی محاسبتهم ، فالی حد تنفیذ الحقوق القانونیة یکون الفرد و الدولة کلاهما مسئولا لدی الحاکم الأعلی ، و لکن الحقوق التی هی خارجة عن نطاق سلطة الدولة یعتبر فیها الفرد مسئولا من غیر تمییز بین الحقوق القانونیة و الأخلاقیة علی السواء .

فالحقوق إذن تتوزع بین الحدود القانونیة و الأخلاقیة علی أساس ظهورها و نفاذها الخارجی فی نطاق العلاقة بین الفرد و السلطه النیابیة ، و لکن هذا التقسیم یتلاشی فی نطاق العلاقة بین الخالق و المخلوق و تتحول الحقوق کلها إلی قانون ، و لتأکید تنفیذ الحقوق القانونیة جعلها الله تعالی فی سلطة الدولة ، حتی إذا تناساها الفرد أو أعرض عن أدائها تفرضها علیه الدولة بقوة عن طریق العدلیة و الجهاز الاداری ، ولا تسمح بضیاع حق لصاحبه ، و بما أن الدولة لا تستطیع أن تودی هذه المسئولیة إلا فی حد السلوك الظاهر أعفیت عن مسئولیة التنفیذ العملی للحقوق

ـلاقية ، سوى الفرد فانه مسئول عن تنفيذها العملى مهما كان الحق عاديــاً حقيراً . .

أما بالنسبة إلى الدولة فانها مضطرة فى أى قضية منازع فيها إلى الاعتماد على ـر الشرطة و بيان المدعى و المنكر و الشهود لاقامة العدل ، و لا تقوم فيهـا ائلها الاعلامية إلا بدور خارجى من غير أن تتوصل إلى بواطن الأمور ، ونظراً هذه المواصفات البشرية فان الدولة مسئولة عن تنفيذ الحقوق القانونية التى لهـا ـقة بالدور الخارجى فحسب ، و فى هذه الحقوق أيضاً خص الله سبحانه و تعالى ـل الآخير بحكمته العالية ، فقد يمكن أن يفوت العدل فيها من أولى الأمر ـم التوصل إلى الحقائق رغم تحريهم الأمانة و الدقة فيها حتى إن الرسول ﷺ ـى كان أعلم الناس وأعدلهم ، يقول : عن (أم سلمة رضى الله عنهـا أن رسول ﷺ قال : إنمـا أنا بشر و إنكم تختصمون إلى و لعل بعضكم أن يكون ألحن ـجته من بعض فأقضى له على نحو ما أسمع منه فمن قضيت له بشئ من حق أخيــه ـ يأخـــذنه فانما أقطع له قطعة من النار » (١)

و يقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه و هو يتحدث عـن ـق العمل لدولة الانسان :

« كنتم على عهد رسول الله ﷺ توخذون بالوحى فمن أسر شيئاً أخذ بسريرته من أعلن شيئاً أخذ بعلانيته ، فأظهروا لنا أحسن أخلاقكم والله أعلم بالسرائر . ـ من أظهر لنا قبيحاً و زعم أن سريرته حسنة لم نصـدقه و من أظهر لنا علانية ـسنة ظننابه حسناً » (٢)

---

(١) مشكاة ج باب الأقضية و الشهادات ص ٣٢٧ .

(٢) تاريخ الطبرى ٥ / ٢٦ ـ جمهرة خطب العرب ص ٣٨

أيها الناس : إنه أتى على حين ، وأنا أحسب أن من قرأ القرآن إنما يريد به الله وما عنده ، ألا و إنه قد خيل إلى أن أقواماً يقرؤن القرآن يريدون به ما عند الناس ، ألا فأريدوا الله بقراءتكم ، و أريدوه بأعمالكم ، فانما كنا نعرفكم إذ الوحى ينزل . و إذا النبي ﷺ بين أظهرنا فقد رفع الوحى و ذهب النبي فانما أعرفكم بما أقول لكم . ألا فمن أظهر لنا خيراً ظننابه خيراً و أثنينا به عليه و من أظهر لنا شراً ظننا به شراً و أبغضناه عليه . » (١)

كان الحقوق التى نسميها حقوقاً قانونية لا يمكن تنفيذها إلا بقدر العلم و الادراك ، و الحكم الأخير لها إنما يكون عند الله ولذلك فان الحقوق التى تحتاج فى تنفيذها إلى العلم و المشاهدة الباطنة عدا الحواس الظاهرة جعلها الله تعالى وراء سيادة الانسان المحدودة و سلطته ، و تولى الحكم فيها بنفسه بعد ما كلف الانسان بصورة فردية ، ذلك لأن الباطن الذى لا يدركه الانسان يراه الله من غير أن يخفى عليه شئ منه ، فليحكم فى الحقوق كلها ، و ليصرف فى الأمور كلها كيف يشأ .

« أولا يعلمون أن الله يعلم ما يسرون و ما يعلنون » (البقرة - ٧٧)

« و لا يكتمون الله حديثاً » (النساء - ٤٢)

« إن الله على كل شئ شهيد » (الحج - ١٧)

« إن الله عليم بذات الصدور » (آل عمران - ١١٩)

كل ذلك شهادة على أن الله لا يخفى عليه شئ من نوايا الانسان و إرادته و أحلامه و آماله و أفكاره و عقائدة ، و ظاهره و باطنه ، و لذلك لا يبقى أى حق من الحقوق الانسانية عنده أخلاقياً بل كل حق حق قانونى يحكم فيه

(١) جمهرة خطب العرب ج ١ ص ٨٧ - البيان و التبيين ج ٣ ص ٧١ و العقد الفريد ج ٢ ص ١٣٢

حسب أساليب العرض و الادعاء والانكار المعروفة ، فيسمع الشكاوى مثلا « وإذا الموؤدة سئلت بأى ذنب قتلت » (التكوير - ٨ - ٩) ويستعرض التقارير التى وضعها كرام كاتبون « و إن عليكم لحافظين كراماً كاتبين ، يعلمون ما تفعلون » (الانفطار - ١١) ، و يستشهد الأرض التى صدرت على وجهها الأعمال « يومئذ تحدث أخبارها » (الزلزال - ٤)

و يشهد على المجرم لسانه و يداه ورجلاه « يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم و أرجلهم بما كانوا يعملون » (النور - ٢٤)

و يثبت بالشهادات التى يؤديها الأنبياء و الشهداء أن الحق كان قد بلغهم :

« و جيئ بالنبيين و الشهداء » (الزمر - ٦٩)

و أخيراً يعترف المجرم بذنبه :

« قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شئ » (الملك - ٩)

ثم يدلى بحكمه بعد ما أقام الحجة عليهم :

« و قضى بينهم بالحق و هم لا يظلمون ، و وفيت كل بما عملت وهو أعلم بما يفعلون » (الزمر - ٦٩ - ٧٠)

« يتبع »

أثر « ندوة العلماء لمسلمى الهند » فى الدعوة الاسلامية

الأستاذ أنور الجندى

لا ريب كان لندوة العلماء التى أنشأها علماء مسلمى الهند فى لكهنؤ فى كتاب مفكرى الاسلام فى البلاد العربية أثر عميق و بارز يبدأ بحركة المنار التى كان يقو العلامة الشيخ رشيد رضا الذى كان مع صلة قوية بالعلامة شمس العلماء شبلى النع والذى زار لكهنؤ عام ١٩١٣م و شارك فى مؤتمر ندوة العلماء السنوى ومنذ ذ اليوم التقى الرافدان اللذان كانا يستمدان مفاهيمهما من دعوة التوحيد التى حمل الشيخ محمد بن عبد الوهاب والتى كانت مصدراً أساسياً للنهضة الاسلامية على أ الدعاة الأبرار فى مختلف أجزاء العالم الاسلامى، والتى كانت قد سبقتها دعوة ولى الدهلوى هنا فى هذه الأرض الطيبة ، فقد توفى الامام الدهلوى ١٧٩٢ حينما الامام بن عبد الوهاب ١٧٩١م ومسبوقه أيضاً بذلك الامام الجليل أحمد السره الذى قاوم فى هذه الأرض حملة التحريف فى الدين حين وقف فى وجه السلط «أكبر» داعياً إلى بقاء الاسلام وحرية المسلمين فى أداء فروض دينهم ، وقد الله تبارك له هذا بعد أن امتدت المحنة أكثر من ثلاثين عاماً .

و من الذى يستطيع أن ينسى حجة الله البالغة للامام الدهلوى أو ينسى الامام السرهندى مجدد القرن الحادى عشر ، و فى ظلال دعوة التوحيد الخالص .

حركة الامام أحمد بن عرفان في مقاومة النفوذ الأجنبي الانجليزى الزاحف فكانت ثورة المسلمين المعروفة التي هزت قوائم الاستعمار باسم الجهاد الاسلامى المقدس .

وهذا كله تاريخ طويل لحركة اليقظة الاسلامية في شبه القارة الهندية كان من ثمرة مولد ندوة العلماء كمصدر للاشعاع امتـــد من أعماق الهند الاسلامية إلى أطرافها و زحف على البلاد العربية فكان له ثماره اليانعة ،

و الحق أن المدرسة الاسلامية الهندية التي شكلها الداعية الاسلامى و المربي الكبير الشيخ محمد على المونكيرى رحمه الله و قادها العالم الكبير الشيخ شبلى النعمانى رحمه الله وعدد من خيرة العلماء و عظماء الاسلام في شبه القارة الهندية قد صححت كثيراً من المفاهيم و قدمت الاسلام إلى البلاد العربية غضاً طرياً في أسلوب جديد يجمع بين أصالة المضمون الاسلامى المستمد من المنابع الصافية ، وبين حسن العرض بالأساليب العصرية الحديثة التي تستطيع أن تتجاوب مع شباب الأجيال الذى تعلم في المدارس الوطنية ، ولم يكن حظه من مفاهيم الاسلام إبان تعليمه كبيراً اوعميقاً ،

و لقد قاد هذه المسيرة رجال أفذاذ في مقدمتهم العلامة السيد سليمان الندوى الذى ورث ذلك لعدد من تلاميذه منهم الشيخ مسعود عالم الندوى منشئ مجلة الضياء العربية في لكهنؤ و صاحب الفصول التاريخية عن الهند التي نشرتها مجـــلة الفتح الزاهى التي كان يصدرها السيد محب الدين الخطيب .

و لا نستطيع أن ننسى الدور الضخم الذى قام به العلامة الشيخ عبد الحى الحسنى مدير ندوة العلماء و والد العلامة الشيخ أبي الحسن الندوى فقد خلف للمكتبة الاسلامية كتباً ذات ثقافات عالية و آثار فكرية بعيدة المدى .

ثم جاء أبو الحسن ـ أمده الله في عمره و أنار بصره و بصيرته ـ فاستحالت غرباً ، فقد قدم للفكر الاسلامى أبحاثاً ضافية تتعلق بأدق التحديات والقضايا المثارة في

هذا العصر ، و ما تزال آثارة المنقولة إلى اللغة العربية تسد فراغاً كبيراً و تغذى قلوباً وعقولا عاطشة تجد فى نتاجه الرى والغذاء الروحى والنفسى الوافر ، فجزاه الله أحسن الجزاء وجعل عمله هذا الكبير المبارك فى ميزانه يوم القيامة مثل جبل أحد .

و فى خلال هذه المرحلة الممتدة ، فان حصيلة الثقافة الاسلامية فى اللغة العربية من أعمال المجددين و المصلحين فى الهند الاسلامية كانت وفيرة وبالغة القيمة ، فقد ترجمت إلى اللغة العربية أغلب أعمال شاعر الاسلام « محمد إقبال » و كتب عنه الباحثون دراسات متعددة و قدمت عنه أطروحات خصبة ، أما مولانا أبو الكلام آزاد فقد عنى به الباحثون ، عالماً و سياسياً وما يزال كتابه « ثورة الهند السياسية» الذى طبعته المنار عام ١٣٤١ علامة على ذلك التقدير الواضح لهذا العلم الذى خاض معارك السياسة و الأدب و تفسير القرآن و كان الاهتمام واضحاً بدراسته عن « يأجوج و مأجوج » حيث تناولها غير واحد من الباحثين .

و أولت الدراسات الغربية اهتماماً كبيراً بكلية عليكره و للسيد أحمد خان و الدور الذى قام به مقارناً بالدور الذى قام به الامام محمد عبده .

أما العلامة شبلى النعمانى فقد حظى بقدر واف من التقدير ، حيث كشف للعرب عن فساد منهج دراسة جرجى زيدان عن كتابه التمدن الاسلامى و قد نشرته بجلة « المنار » عام ١٩١٣م وهو نفس العام الذى دعى فيه السيد رشيد رضا لزيارة ندوة العلماء وكانت صلات الود و المراسلة قد جرت بين العالمين الكبيرين منذ ١٩١١م اشتراكاً فى المنار وطلباً لاستقدام بعض المعلمات المسلمات للعمل .

و قد أشار العلامة النعمانى إلى وجهة نظره فى كشف زيف جرجى زيدان حيث يقول :

« لايخفى أن إغارات جرجى زيدان على أعراض العرب فى كتابه تاريخ التمدن

الاسلامى أكبر من أن تخفى وإن كل ما دسه وموه به لا أصل له أصلا ، وحين اطلعت على ذلك كاد قلبى يتميز من الغيظ غير أنى صبرت و أمعنت النظر فيما له نظر ولما عيل عنى الصبر قمت على ساق و ألفت رسالة اكشف فيها دسائسه .

و قد أشار العلامة شبلى النعمانى فى نقـــده لكتاب التمدن الاسلامى إلى أن الغاية التى توخاها « جرجى زيدان » ليس إلا تحقير الأمة العربية وإبداء مساويها و لـكنه لما خاف ثورة الفتنـة غير مجرى القول و ألبس الباطل بالحق ، و بيـان ذلك أنه جعل لعصر الاسلام ثلاثة أدوار فمدح الدور الأول ، و لمـــا غر الناس بمدحه الخلفاء الراشدين وبمدحه لبنى العباس و هم أبناء عم النبى ﷺ و رأى أن بنى أمية ليست لهم وجهة دينية فلا ناصر لهم ، تفرغ لهم و حمل عليهم حملة شنعـاء فما ترك سيئة إلا و عزاها إليهم ، و ما وجد حسنة إلا و ابتزها منهم » .

و لاشك أن العلامة جرجى زيدان قد صدر فى بحثه هذا و فى مختلف أبحاثه عن شخصية قادرة على العطاء فقد وصفه الشيخ رشيــــد رضا بأنه كان عالماً مستقلا لا عالماً رسمياً مقلداً وكان كأكثر العلماء المشتغلين والحكماء المصلحين أستاذ نفسه ، و تلميذ همته ، تلق قليلا عن الأساتذة ، ولـكنه بجده و اجتهاده صار أشهر نوابغ علماء الهند فى عصره ، ويقول : لا يوجد من يماثله أو يقاربه فى القدرة على نفع الناس بتعلم هذه العلوم أو التأليف فيها و لا يعرف له ضريباً فى إتقان اللغة العربية و طول الباع و حسن الذوق فى فهـم منثورها و منظومها و القدرة على الكتابة فى الموضوعات المختلف فيها .

و قـــد كان الشيخ شبلى من نوادر المجيدين ، فقد كان قادراً على الكتابة العربية السليمة فى العلوم و الفنون و الأدب و التاريخ كما يعلم من نقده تاريخ التمدن الاسلامى و غيره

ويقول كان رحمه الله أمة وسطاً بين أولى التفريط الجامدين على التقاليد القدي
و بين أهل الافراط من المفتونين بالتقاليد الحديثة إذ كان صاحب مشاركة صالحة
فى العلوم الاسلامية تمكن من التدريس و التأليف فيها بطريقة استقلالية إذا شاء
و صاحب مشاركة فى العلوم الكونية من رياضية وطبيعية و اجتماعية عرف بها حا
هذا العصر ، وما يحتاج إليه المسلمون فيه و قد أتقن علم التاريخ اتقاناً لعله لا يوج
فى العالم الاسلامى كله من يساويه فيه الآن .

و قـد اشتغل بالتدريس فى مدرسة العلوم بكليـة عليكره و استقل بأم
الجمعيات العلمية وساح فى الممالك والأقطار فكان بعلمه وأعماله وسعة تجاربه واحتكار
و بما أوتيه من قبل ذلك من ذكاء الذهن و علو الهمة و مضاء العزيمة جديراً بأ
يكون من زعماء الاصلاح .

و إذا كان السيد رشيد رضا قد عنى برفيقه العلامة النعمانى فان السيد محم
الدين الخطيب بمجلة « الفتح » قـد شهد المرحلة التالية لندوة العلماء فكان وثي
الصلة بالعلامة الكبير السيد سليمان الندوى ، هذا الامام الجليل الذى عرف بدراس
الواسعة الضخمة عن رسول الله ﷺ و التى ترجمت إلى عديد من اللغات .

و قد جرى بينهما تبادل الرسائل ، يقول الخطيب « ربيع ١٣٥٤ » :
إن الأستاذ الندوى من أعظم الرجال الذين أنجبتهم الهند الاسلامية وإذا عد إخوا
مسلمو الهند مفاخرهم كان السيد الندوى فى القائمة الأولى وحسبه أن تقر عينه برؤ
المئات بل الألوف من تلاميذه يحملون راية العلم فى آفاق كثيرة وتصدر عنهم أعما
الخير التى يعد منها و لا تعد .

و قد كتب إلى صاحب « الفتح » رسالة قال فيها :

« إنى و إن حرمت مبادلتكم الكتب منذ سنوات ولكن حبكم راسخة جذور

فى قلبى و ما يجود به قلمكم السيـال و تجرى به صحيفتكم إلى الأقطار تسقيه فى كل أسبوع فلاتزال شجرته مخضرة وربوته مخضلة - ولا زال لواء قلمكم مرفوعاً وصدى دعوتكم عن المسلمين فى أصقاع الأرض مسموعاً و أهنئكم بأنكم أعدتم ما كان لمصر من المكانة فى قلوب المسلمين ، وقد كادت أن تضيع بين المؤيد و اللواء ، ولكم يد بيضاء فى تعارف الأمم الاسلامية وتعانقها ، وقد كانت أصبحت بعد الحرب العظمى شجرة ممنوعة لبنى آدم ، وقد كادت أن تنسخ شريعة الجنسيات الكاذبة شريعته وتضلل طريقته » ،

قال هذا خليفة مولانا الشيخ شبلى النعمانى القائم على إمامته فى دار العلوم الاسلامية و دار المصنفين و على غرس الهداية المحمدية فى قلوب الناشئة المسلمين »

وقد طبعت « الفتح » لعلامتنا سليمان الندوى كتابه «خطبات مدراس» وهو مجموعة محاضرات عن السيرة النبوية ، ثم جاء دور العلامة مسعود عالم الندوى منشئ مجلة « الضياء » الهندية التى نشر بحثاً ضخماً عام ١٩٣٦ فى مجلة « الفتح » عن المسلمين فى الهند ماضيهـــم و حاضرهم اعتمـــد فى الجزء الخاص بانتشار المسلمين فى الهنـــد على بحث العلامة سليمان الندوى المنشور فى مجلة «المنار» ١٣٥٤هـ و قد دحض فيه كل شبهات الاستشراق والتبشير عن المسلمين فى شبه القارة الهندية مما أورده «جب» فى كتابه « وجهة الاسلام و غيره » و للأستاذ مسعود عالم كتـاب صغير الحجم جم الأثر عرفناه فى مصر و البلاد العربية وأخذنا منه كثيراً هو « نظرة إجمـالية فى تاريخ الدعوة الاسلامية فى الهند و باكستان » .

ومما يذكر فى هذا الصدد أن عامى ١٩٣٦م - ١٩٣٧ قد شهدت ترابطاً جديداً بين الأزهر وبين مسلمى الهند بارسال البعثة الأزهرية إلى الهند برئاسة الشيخ إبراهيم الجبالى ، و زيارة العلامة عبد العزيز الثعالبى للهند منتدبا من قبل المؤتمر الاسلامى

برئاسة السيد أمين الحسيني و الذی كلمه بالسفر لدراسة موضوع المنبوذين والاتفا
مع كبار المسلمين و جمعيات التبليغ و غيرها على ما يجب أن يكون فی شأنهم .

و قد نشرت جريدة « البلاغ » المصرية تقرير العالمين الجليلين ، و قد امتاز
تقرير العلامة الثعالبی بالاستفاضة فی شرح واقع المسلمين فی الهند و كشف كثير
من الحقائق عن دور المسلمين فی الحركة الوطنية .

هذا و قد زار مصر قبل ذلك السيدان مولانی محمد علی و مولانی شوكت
علی ثم كانت وفاة محمد علی يناير ۱۹۳۱م شعبان ۱۳٤۹ ودفنه فی القدس ، وكيف
أفاضت الصحف فی الحـــديث عن دورهما فی نصره الاسلام وموقفهما حين نشبت
الحرب بين تركيا و دول البلقان ثم بين تركيا و اليونان ، فقد سافرا أثناء الحرب
علی رأس وفد من مسلمی الهند للدفاع عن الخلافة الاسلامية فأثاروا الرأی العام
فی الهند و كان من جراء ذلك أن حبست إنجلترا مساعدتها عن اليونان ، و عنی
غير مرة بتوجيه عطف المسلمين إلی تركيا بصفتها دولة الخلافة و أسسا جمعيـــة
الخلافة فی الهند لاعتقادهما بأن الخلافة من دعائم الاسلام وكان ما قاله مولای محمد علی
فی جمعية الشباب المسلمين من أخطر ما قيل فی خطر الدعوة إلی الأقليات والقوميات
الضيقة والوطنيات و هی دعوات أريد بها هدم الجامعة الاسلامية والوحدة القرآنية
التی أقامتها العقيدة الموحدة الصافية و قد علق السيد محب الدين الخطيب علی هذا
القول ذاكراً أهمية ما كشف عنه هذا العلامة الجليل بعد أن كان مفكرو العرب
قد جروا شوطاً وراء القومية العربية و عجزوا عن فهم أخطارها .

هذه وجوه اللقاء بين حركة اليقظة الاسلامية التی قامت بها ندوة العلماء وبين
علماء المشرق العربی حتی بزغ ذلك النجم الثاقب : مولانا العالم المؤمن الداعيـــة
المحتسب السيد أبو الحسن علی الحسنی النـــدوی الأمين العام لندوة العلماء فی الهند

الذى يحظى فى البلاد العربية بتقدير خاص و بقـدر جليل من الحب و الاعجاب كفاء صراحته و صدقه و عزمته الفتية فى مواجهة الأحداث .

لقد أدخل العلامة الندوى إلى مجال البحث قضايا و تطورات العالم الاسلامى و دراسة الحركات القومية و الفلسفات المعاصرة والفتن الفكرية والتيارات السياسية الجارفة التى تهدد الفكر الاسلامى و أنشأ مجمعاً علمياً مقره دار العلوم ندوة العلماء لاعداد مواد قراءة تعالج المسائل الحاضرة السياسية والاجتماعية والكلامية والتشريعية، و لشرح رسالة الاسلام و صلاحيتها للقيادة فى العصر الحاضر بأسلوب عصرى سمى «المجمع الاسلامى العلمى» نشر بحوثاً و كتباً بالأردية والهندية والعربية و أولى اللغة الانجليزية اهتماماً خاصاً .

و كان ذلك فى مجموعه تصديقاً لنبوءة شاعر الاسلام الأكبر محمد إقبال منذ خمسين سنة حين قال: «إنى لا أزال أعتقد منذ مدة أن المسلمين فى الهنـد الذين لايستطيعون أن يمدوا يد المعونة إلى الدول الاسلامية الأخرى من الناحية السياسية يستطيعون أن يقدموا مساعدة كبيرة من الناحية العقلية و الفكرية وليس من الغريب أن تكون ندوة العلماء أنفع وأجدى من جامعة عليكره فى عيون الأجيال القـادمة» أرجع ذلك إلى دورهـا التربوى و التعليمى لتطبيق فكـرة الجمع بين المحـاسن فى مناهجها الدراسية و الاهتمام باللغة العربية و آدابها ،

و الحق أن ندوة العلماء كانت ولا تزال متجددة مع الزمن ، مدرسة فكرية وسطا تجمع بين الجامعتين : بين الدين الخالد الذى لا يتغير و بين العلم النامى الذى لا يتحجر ، و لقد كانت أعظم صيحاتها التى صكت أذن الزمن فى العالم الاسلامى كلـه هو الدعوة إلى منهج تربوى إسلامى أصيل ، و لا شك فان ندوة العلماء استطاعت تقـديم ذلك النتاج الخصب الفياض الذى يمثل فى مجموعـه دائرة معارف ثرة للتاريخ و السيرة و شارك فيه ذلك العديد من العلمـاء خلال قرن كامل ، و قد نقل كثير من ذلك إلى اللغة العربيـة فشعت أضواؤه فى البـلاد

العربية فصحح المفاهيم وحرر القيم و أعطى حركة اليقظة فيها طابع الأصالة و العلم و روح الاخلاص وعمق الايمان ، نعم كان لندوة العلماء و كتابها و رجالها أثرها البالغ فى تقديم المفهوم الاسلامى الصحيح (مفهوم أهل السنة و الجماعـة) حيث وقفت فى مواجهة انحرافات ومفاهيم الفاسفات و الكلام و النحل والدعوات الضالة و القاديانية و مفهوم الباطنية وغيرها ، كشفت زيف كتابات الاستشراق و التبشير و التغريب و ما زالت صحيفة الرائد و مجلة البعث تقـدمان للشرق العربى زاداً خصباً ، و لقد كانت عالمية (السيد أبو الحسن الندوى) علامة على هـذا التيار العميق لتصحيح المفاهيم ، و لا غرو فقـد قدم والده العلامة عبـد الحى الحسنى كتابه العظيم « نزهة الخواطر و بهجة المسامع و النواظر» فى تاريخ أعلام الثقافة الاسلامية فى الهند فى ثمانية مجلدات ضخمة و كتابه (الهند فى العهـد الاسلامى) أقول هذا و أنا أعلم الناس بأنه يكره الحديث عنه و لـكن نحن الآن فى موقف تسجيل التاريخ والأحداث ، فان ما قام به العلامة أبو الحسن الندوى بالغ الأهمية و بالغ الأثر فى ميادين عديدة .

أولا : كشف زيف الفلسفات و القوميات فى كتابه « رجال الفكر والدعوة »

ثانياً : كشف زيف منهج نقد الأدب العربى فى كتاباته عن الأدب العربى ،

ثالثاً : كشف زيف الحضارة الغربية و تبعيه أمراء المسلمين لها .

رابعاً : أعلن مفهوم التربية الاسلامية الأصيل المبرمج .

خامساً : كتب سيرة الرسول ﷺ على أصفى منهج .

سادساً : صك آذان القادة و المسئولين بكلمـة الحق خلال رحلاته إلى مختلف البلاد الاسلامية و العربية .

والحق أنى ما قرأت أسلوباً أجمل من أسلوبه و لا عبارة أحسن من عبارته براعة أداء و سلامة عرض ، تدخل القلوب فى قوة و تهز النفس فى رفعة وتشحذ الروح فى أناة و تقنع العقل فى ثقة ، و ما أرد هذا كله إلا إلى شئ واحد

هو ذلك الأخلاق العميق النابع من الايمان الزاخر .

والحق أنى ما هزنى أسلوب فى العصر الحديث مثل أسلوبه وأسلوب الأستاذ حسن البنا رضوان الله عليه ، كأنهما من نبع واحد و هو كذلك ، نبع النبوة ، نبع محمد ﷺ .

خلاصة البحث :

تعددت كتابات العرب وتعليقاتهم على الآثار الفكرية التى قدمها أعلام المدرسة الاسلامية فى شبه القارة الهندية و خاصة ما كتبه .

★ رشيد رضا عن العلامة شبلى النعمانى .

★ عبد المنعم النمر و أحمد حسن الباقورى عن دراسات أبى الكلام آزاد عن سد ياجوج و مأجوج .

★ عبد المنان الصعيدى عن ولى الله الدهلوى (المجددون فى الاسلام)

★ تقرير العلامة عبد العزيز الثعالبى عن مسلمى الهند (البلاغ ١٩٣٧).

★ ما ترجمه عبد الوهاب عزام و الصاوى شعلان عن شعر إقبال يضاف إلى هذا ما كتبه صاحب هذا البحث :

أولا : فى كتابه (أعلام الاسلام المعاصرين) عن

أبو الكلام آزاد و شبلى النعمانى

ثانياً : فى كتابه (العالم الاسلامى و الاستعمار)

عن : باكستان و مسلمى الهند

و الحركة الاسلامية فى الهند و باكستان

ثالثاً : ما كتبه عن الشهيد الامام أحمد بن عرفان

رابعاً : ما كتبه عن شاعر الاسلام محمد إقبال فى كتابه (آفاق جديدة) .

المَرْأَةُ

المرأة قبل الاسلام و بعده

- ٥ -

الأستاذ سعيد بن عبد الله سيف الحاتمى

زواج فى الاسلام :

يعتبر الاسلام الزواج من أرقى أخلاق الانسان . تلك الأخلاق التى تشمل شئ و به يصبح كل شئ جميلا ، و يعطى ثماره المرجوة .

نول الحق تبارك وتعالى فى محكم كتابه العزيز :

« و من كل شئ خلقنا زوجين لعلكم تذكرون » (الآية ٤٩ من سورة ريات) ، « سبحان الذى خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما يعلمون » (الآية ٣٦ من سورة يس) .

« ياأيها الناس ، اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها ث منهما رجالا كثيراً و نساء ، و اتقوا الله الذى تساءلون به و الأرحام ، إن كان عليكم رقيبا » ، (الآية الأولى من سورة النساء) .

« و من آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها . . » (الآية من سورة الزخرف) .

إن الزواج هو الرباط الطبيعى المقدس بين الزوجين (الذكر و الأنثى) كما فى بعض الآيات القرآنية السالفة الذكر : خلق كل شئ ، زوجين اثنين ، سبحان الخلاق . هذا هو الشئ الطبيعى لكل شئ فى حياتنا المتحركة ، تجد هذين الزوجين كل ما تفكر عنه وصل الحق حتى فى الأشياء التى يخترعها الانسان أو يعملها تجد

فيها الذكر و الأنثى و نسميها بأسماء مختلفة ومن هذه الأسماء السالب والموجب ولا يستطيع أن يعمل أحد هذين المتضادين عملا منتظماً و طبيعيـــاً بمفرده دون الشئ المضاد له .

عجباً من صنع الله فى كل شئ سبحان الذى خلق الأزواج كلها .

لنقف لحظة بسيطة تحت تأثير آية من الآيات السابقة ولتكن :

« و من آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها » .

نعرف من قول الحق تبارك و تعالى هذا أن الزواج ليس مجرد قضاء متعة أو رغبة جنسية حيوانية فحسب كما قد يبدو لبعض الناس و خاصة الشباب ومن على شاكلتهم و إن كان هذا لا يعنى أننا ننكر الرغبة الجنسية لأن من ينكرها كمن ينكر وجود الليل والنهار وإنما قصدنا إلى أن أهميتها تتضاءل أمام ذلك السر الذى لا يستطيع أى كاتب مهما برع قلمه فى التعبير عنه و نعنى بذلك الشعور الحقيقى الذى يشعر به كل من الزوجين و يزداد هذا السر وضوحا كلما كان الزوجان متقدمين فى السن ومن المحتمل جداً أن يكون ذلك السر هو الذى تحدث عنه القرآن بأسلوبه الايقاعى الجذاب المعجز ، تحدث عنه القرآن الكريم بالمعانى التالية : راحة النفس و الرحمة و المودة و التفاهم المتبادل و بناء الأسرة والمجتمع ككل وما هذا إلا فيضاً من تلك الفيوضات الربانية التى لو اقتبسناها لطال بنا الوقت ، هل سألت الزوجين الكبيرين فى العمر عن شعور الواحد منهما عند ما يغيب عنه زوجه و لو لفترة وجيزة ؟ إنهما عادة يشعران كأن شيئاً عزيزاً عليهما فقداه .

طبعاً فلا يكون نتيجة مثل هذا الرباط المقدس إنجاب الأولاد و تربيتهم مع إشباع الرغبة الجنسية ليس إلا و إنما هو سلوى و مواساة و راحة العقل و اطمئنان النفس و المحبة و المودة و التفاهم التام المتبادل و قيام كل واحد من الزوجين بدوره

البناء فى بناء المجتمع و العالم و تقدمه على المدى الطويل .

و من المؤسف حقاً أن قادة الجاهلية الحديثة ، و هم ليسوا أعداء الإسلام فحسب بل إنهم أعداء الانسانية جمعاء ، ينتهزون فرصة وجود الرغبة الجنسية فى الانسان فيعظمونها بالقاء الأضواء عليها وإثارتها ، ليس عند الشباب فقط بل ولدى المتقدمين فى العمر كذلك ، تراهم يثيرون الرغبة الجنسية بشتى الوسائل وقد ساعدتهم أمور كثيرة فى ذلك إذ تجدهم يعملون وراء الكواليس و قد تمسكوا بزمام الكلمات الثلاث : المرئية والمسموعة و المقروة ، وقد عرفوا ما للكلمة المرئية من تأثير على الانسان فقل أن تجد إذاعة مرئية خالية من أمور مثيرة للغرائز الجنسية بحجة أن الكبت يولد الانفجار . . بالله عليكم أنتم سبب هذا الكبت وإنكم باثارتكم كوامن الغريزة فى الشاب أو الشابة تثيرونها ثم تقولون لهما دوما روحا عن أنفسكما لأن الكبت يولد الانفجار و لا تقولون لهما ذلك إلا بعد أن رأيتم أن الدم يغلى فى عروقهما . . يا للكر إنكم تمكرون بهم و الله يمكر بكم .

لا رهبانية فى الاسلام

إن الاسلام يشجع الزواج بشتى الطرق لأنه يعتبر الرهبانية خارجة على الطبيعة الانسانية ، اقرأ معى هذه الآية الكريمة :

« ثم قفينا على آثارهم برسلنا و قفينا بعيسى ابن مريم و آتيناه الانجيل وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه رأفة و رحمة و رهبانية ابتدعوها ، ماكتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فمارعوها حق رعايتها ، فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم و كثير منهم فاسقون » (الآية ٢٧ من سورة الحديد) .

يقول الأستاذ / محمد المجذوب فى كتابه تأملات فى المرأة و المجتمع ما معناه : إن هؤلاء الذين ينادون بالرهبانية يريدون تعطيل الأدوات ولو نحن تبعناهم و عملنا

كما يقولون لما وجدنا لهم عذرا بل لوجدناهم أحق بالاتهام من غيرهم ، إن أقل تصفهم حينئذ به أنهم يؤثرون حياة الظلام على النور و أنهم يعيشون لصوصا أعراض الناس ، يكتفون باختلاس القبلة و سلوك مزالق الغش و التضليل حتى مهمتهم الكبرى تشويه معالم المجتمع و تخنـــه بأنواع من الجرائم التى غفل القـــانون .

إن المخلوق البشرى الذى يتمرس بوباء التصعلك الجنسى يتعذر عليه الا‌ة عن هذه المزلقة حتى ولو انتمى إلى الزواج أخيراً ، ذلك لأن نفسه الملوثة ب كبرقة البعوض لا سلامة منها إلا التخلص منها كلها ، فان « الزانى لا ينكح زانية أو مشركة ، و الزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمن (الآية الثالثة من سورة النور) .

من الملاحظ أن بعض الحكومات قد تنبهت إلى خطر العزوبة و رأت عدواناً صارخاً على حق المجتمع ، فألفت اللجان المختصة لمكافحتها و فوضت ا وضع المقترحات التى تراها جديرة بالتخفيف من شرها ، ولا غرو بذلك لأن الز صلة شرعية بين الرجل و المرأة ، تسن لحفظ النوع وما يتبعه من النظم الاجتما و شريعة الاسلام فى نظام الزواج بهذه المثابة شريعة تامة تحيط بجميع حالاته على أتمها فى الجانب الذى يتناوله أشد النقد من قبل المخالفين للاسلام عامة ، و الأستاذ / أبو الأعلى المودودى فى كتابه الحجاب : فيما هو بديهى معلوم أ مقصود الفطرة الرئيسى من خلق الانسان أزواجاً كجميع الأنواع الحيوانيةو من و الجاذبية الجنسية فيهما هو بقاء النوع و لكن الفطرة لا تطالب الانسان بهذا بل هى تطلب منه وراء ذلك أموراً نستطيع بقليل من التأمل أن نعرف ماهو المطالب و من أى نوع هى ؟ . . . هذه هى مطالب الفطرة الانسانية و أو

توجه إليه هذه المطالب هي المرأة و ذلك أن الرجل قد يكون منه أن يتصل بالمرأة ساعة من الزمن ثم يبتعد عنها و عن تبعة ذلك الاتصال ، ولكن المرأة لا تستطيع أن تفلت من نتيجة اتصالها بذلك الرجل مدة من السنين بل مدة العمر غالباً فانها إن حملت لا تفارقها نتيجة ذلك الاتصال بحال من الأحوال مدة خمس سنوات على الأقل ثم إن أرادت المرأة أن تقوم بجميع مقتضيات التمدن فمعناه أن تظل المسكينة التي ذاقت عسيلة الرجل ساعة من الزمان مثقلا كاهلها بتبعات الفعل مدة خمسة عشر عاماً علاوة فتتساءل النفس في هذا المقام : كيف يكون لأحد الفريقين أن يستعد لقبول تبعات الفعل الذي اشتركا فيه جميعاً .

و أنى للمرأة أن ترضى للنهوض بهذا الأمر الفادح ما لم تتخلص منه خشية الغدر من قبل شريكها في ذاك الفعل ، و ما لم تطمئن نفساً من جهة تربية أولادها ثم ما لم تعف عن العمل لكسب حوائج حياتها إلى حد كبير .

فالحمل لامرأة لا قيم لها من الرجال خطب جلل و نكبة عظيمة ، بل هو آفة الآفات ، من الطبيعي أن تبغي نفسها التخلص منها و أنى يكون لها أن ترحب بها و تهش إليها ؟ .

أنظر إلى الاسلوب القرآني الجذاب في الحث على الزواج ! !

« وانكحوا الأيامى منكم و الصالحين من عبادكم و إمائكم ، وإن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله و الله واسع عليم » (الآية ٣١ من سورة النور) .

وقد بريء رسول الله صلى الله عليه وسلم من الناس الذين لا يريدون الزواج أن قال فيها معناه : من كان موسراً لأن يتزوج ثم لم يتزوج فليس مني (رواه بيهقي) .

عن أنس رضي الله عنه قال : جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى

الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم فلما أخبروا بها كأنهم تقالوها فقالوا : وأين نحن من النبي ﷺ فقد غفرله ما تقدم من ذنبه وما تأخر فقال أحدهم : أما أنا فانى أصلى الليل أبدا وقال آخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر وقال آخر : أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا ، لجاء رسول الله ﷺ إليهم قائلا : أنتم الذين قلتم كذا وكذا أما والله إنى اخشاكم لله واتقاكم له لكنى أصوم وأفطر واصلى و أرقد و أتزوج النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى « رواه الشيخان » .

عن أبى أيوب رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : أربع من سنن المرسلين : الحياء و التعطر و السواك و النكاح « رواه الترمذى » .

روى النسائى و الترمذى و الحاكم قال رسول الله ﷺ : ثلاثة حق على الله عونهم : المكاتب الذى يريد الأداء والناكح الذى يريد العفاف والمجاهد فى سبيل الله .

عن أنس رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : حبب إلى من دنياكم : النساء و الطيب وجعلت قرة عينى الصلاة « رواه النسائى » .

هذه الآيات و الأحاديث الآنفــة الذكر وغيرها كثير تدل على مدى اهتمام الاسلام بالعلاقة الزوجية وتفند قول من يدعو إلى الرهبانية .

إن الزواج هو فطرة الانسان الأصيلة و عليه يرسم لنفسه خطة معينة وخاصا لتحقيق رغباته الجنسية و أنجع طريق لهذا هو الزواج ومما ينتج على هذا هو تكاثر الجنس البشرى ، هل جلست يوماً مع شخص وزوجته فى فترة المخاض ؟ أنظر إلى حركاته و سكناته و اضطرابه و قلقه و وساوسه ثم أنظر إليه عندما يبشر أن زوجته أنجبت طفلا كيف يتهلل وجهه وقد يبكى لكثرة فرحه ، ثم تراه يوزع الابتسامات على الجميع (١) .

(١) بهى الخولى : المرأة بين البيت و المجتمع بتصرف .

عدم الزواج من المرأة لحالتها الاجتماعية

يحث الاسلام المسلمين على الزواج و يروى عنه عليه الصلاة و الاسلام أنه قال : يا معشر الشباب من استطاع منكم البـاءة فليتزوج — و من لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء — (رواه الشيخان) .

وعلى هذا فقد نهى رسول الله ﷺ أتباعه من الزواج بالنساء لسبب حالتهن الاجتماعية أو لسبب ثروتهن يجب أن يكون الدافع إلى الزواج أقوى بكثير من الدافع المادى ودافع النسب ويروى عنه ﷺ أنه قال لا تزوجوا النساء لأموالهن، فعسى أموالهن أن تطغيهن (رواه ابن ماجة) .

و روى عنه عليه الصلاة و السلام أنه قال : من تزوج إمرأة لحسبها لم يزده الله إلا دناءة (رواه مسلم) .

و قال ﷺ فيما معناه : تنكح المرأة لأربع : لمالها و لحسبها ، و لدينها ، و لجمالها ، فاظفر بذات الدين تربت يداك (رواه الخمسة) .

إن الدنيا كلها متاع و خير متاع الدنيا المرأة الصالحة (رواه مسلم) أنظر إلى ما يصبو إليه الاسلام دونما إفراط ولا تفريط ، إنه دين الفطرة التى فطر الله الناس عليها إنه يتمشى مع ما فطر عليه الانسان .

كم رجل كان يعيش فى هناء و حسب ما رزقه الله ثم فكر فى زواج امرأة لحسبها أو نسبها فنراه قد انتقل إلى جحيم الدنيا يريد انفكاك منها و لا مفر .

ليفهم القارىء الكريم جيداً أن الاسلام لايمنع المسلمين من زواج نساء من الطبقات المذكورة ذات النسب و الحسب و إنما القصد من وراء ذلك نية الرجل من زواجه منها .

و من النساء التى حذرنا الرسول الكريم من الزواج بهن المرأة الجميلة التى

تربت فى بيت سيئ الأخلاق . فقد قال عليه صلوات ربى وسلامه ما معناه : إياكم و حسناء الدمن فى منبت سوء .

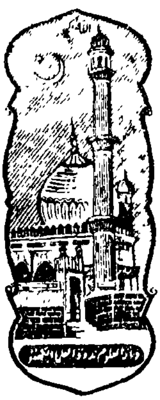
فليحذر المسلمون من مغبة نياتهم فى الزواج بمثل هؤلاء النساء .

لايتم الزواج إلا بعد موافقة المرأة (عصمتها فى يدها)

للمرأة (ثيبا كانت أم بكراً) الحرية الكاملة فى رفض زواج من لا تريده من أحرار المسلمين ولا يستطيع أحد إجبارها على الزواج بمن لا تريده حتى لوكان والدها وذلك لأن الاسلام قد أعطاها هذه الحرية ، حرية اختيار الزوج وأكرمها أيما اكرام و اعترف بشخصيتها و حقها فى ذلك .

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : لا تنكح الأيم حتى تستأمر و لا تنكح البكر حتى تستأذن . قالوا : يارسول الله و كيف إذنها ؟ قال : إذنها أن تسكت (رواه الخمسة) و فى رواية الثيب أحق بنفسها من وليها .

« يتبع »



حوار مع الداعية الكبير الأستاذ أبي الحسن على الندوى

حول قضية أفغانستان و العدوان السوفياتى

[إن ما نزل بأفغانستان - البلد الذى ظل فى تاريخ الاسلام معدن الفروسية ، و عرين الأسود ، و مولد الفاتحين ، و معقلا من معاقل الاسلام - نزل على قلب كل مسلم يهتم بأمر دينه و أحداث أمته ، و يغار على عقيدته ، و قد كان لهذا الحادث المفجع فى دعوات أصحاب القلوب و الايمان أكبر نصيب ، و حق له أن يكون كذلك .

« و الحوار الذى ننشره اليوم على صفحات البعث الاسلامى أجراه الأخ خليل الرحمن سجاد الندوى فى المدينة المنورة بمناسبة وجود الشيخ الندوى فيها مؤخراً للحضور فى دورة المجلس الأعلى للجامعة الاسلامية]

[التحرير]

إن كثيراً من الناس ما زالوا عاجزين عن تحديد السبب الذى تجرأ به السوفييت على الغزو العسكرى المباشر على البلد المسلم أفغانستان ، فهل نسمع من فضيلتكم ما فيه شفاء للصدور و إحياء للهمم وتنوير للسالكين على طريق الدعوة والجهاد؟

كان رده على هذا السؤل كما يلى : .

إن ما نزل بأفغانستان - على فظاعته و خطورته - ليس غريباً و ليس فيه ما يوصف بالمفاجأة بل الحقيقة أنه نتيجة طبيعية لمقدمات و عوامل لم تكن خفية لأولى الأبصار .

و قصة تلك المقدمات و العوامل و نتائجها طويلة ، بيد أنها ليست غريبة لمن أعطى حظاً من الوعى و البصيرة ، وفى زيارتى لأفغانستان فى عام ١٣٩٣هـ التى مكنتنى من معرفة واقع البلد و اتجاهه عرفت الشئ الكثير من تلك المقدمات و العوامل ، فلم أضن بها على المهتمين بأمور المسلمين و العاملين فى حركة البعث الاسلامى هناك ، بل أذكر أننى قد أوفيت - تعميما للفائدة - بيان تلك العوامل فى كتابى (من نهر كابل إلى نهر اليرموك) الذى سجلت فيه أخبار تلك الجولة - التى شملت بالاضافة إلى أفغانستان إيران و لبنان و سورية و العراق والأردن - و انطباعاتى و ملاحظاتى فيها ، و بامكانى أن ألخصها فأقول :

إن الغزو الفكرى - غالباً - يمهد الطريق للغزو العسكرى والسيطرة السياسية ، و ربما يسد مسده و قد وجدت أفغانستان حين زيارتى لها فى عام ١٣٩٣هـ قد سقطت أمام الغزو الفكرى الالحادى و قد تغلغت الثقافة الغربية فى المجتمع النسوى فيها بصفة خاصة وهو الجزء الحساس من المجتمع الانسانى الذى يكون انتشار الفساد فيه و انحرافه عن الجادة بصفة يستلزم تفكك نظام الأسرة و اختلال الميزان فى الحياة المنزلية و يؤدى إلى زهد النساء فيها والتهرب من مسؤولياتها - العامل الأقوى فى انهياره و سقوطه و انقراض ما يمتاز به من مدنية و حضارة .

وقد عرفت ذلك من خلال ندوات للسيدات المسلمات وجهن فيها إلى أسئلة كانت تنم عن مدى تأثير الغزو الفكرى والدعاية الدقيقة المصممة تصميما حكيما حول الاسلام و مبادئه و نظمه ، ولذلك فقد ركزت على تنبيه السيدات كلما سنحت لى

فرصة ـ إلى الخطر المحدق بالمجتمع الأفغانی المسلم ، و إلى أنه يجب عليهن أن يحرصن على أن لا يكن أقوى العوامل فی الوصول إلى هذه النهاية الأليمة .

والجدير بالاعتبار أن العامل الذی يساعد العدو فی تحقيق أهدافه ، بالاضافة إلى الغزو الفكری فی صياغة عقلية الجيل الناشئ فی القالب الغربی ، وإيجاد الفجوة بين الطبقتين ، طبقة العلماء ممثلی الدين و بين الطبقة المثقفة فی كل زمان و مكان ، هو تقصير علماء المسلمين و كتابهم و دعاتهم فی عرض الشريعة الاسلامية فی الأسلوب الفطری الجذاب ، الأمر الذی يستغله أولئك الهدامون شر استغلال فيصلون به إلى ما يريدون .

و لذلك كنت أركز فی أحاديثی مع رجال العلم فی أفغانستان على التنويه بضرورة العناية بالشباب و خاصة بالشباب الجامعی .

و ضرورة معرفة دقيقة بنفسيتهم و مشكلاتهم التی يعانونها ، و الأخذ بالأسلوب الجديد واللغة العصرية عملا بالوصية المأثورة : (كلموا الناس على قدر عقولهم أتريدون أن يكذب الله و رسوله) .

و خلاصة القول : أن الأمر الأول الذی مهد الطريق أمام دعاة الالحاد و الشيوعية أن يقتحموا أفغانستان بخيلهم و رجلهم إنما هو الغزو الثقافی و المسخ الفكری الذی غير به العدو عقلية شباب الأمة و الطبقة المثقفة و هم عصبها و جوهرها ـ ذكوراً و إناثا .

وهناك أمر آخر بالغ الأهمية له دور كبير فی إيصال البلد إلى هذا المصير ، و استطيع أن أعبر عنه باستغلال الحالة الاقتصادية للبلاد . والواقع أننا إذا نظرنا إلى هذا العامل بعين الاعتبار تعدت المسئولية أهل البلاد . إلى الحكومات الاسلامية التی فتح الله عليها أبواب الدنيا ، ولاحظت هذا الأمر حين وجودی فی أفغانستان

وأحسست بأن البلاد متجهة بسرعة خطيرة إلى السقوط الكامل فى احضان المعسكر الشيوعى إذا لم تسرع الحكومات الاسلامية فتمد إليها يد العون و المساعدة لتنقذها من براثن الفقر الذى كاد أن يكون كفراً فى بعض الأحوال .

وشعوراً بواجب أداء الأمانة والنصيحة أطلعت المسئولين فى بعض الحكومات الاسلامية التى اعتبرتها أحق بها وأهلها على هذا الاحساس و على تلك الملاحظة ، و حذرتهم سوء العاقبة إن لم يستعجلوا فى تحقيق الواجب بكل صراحة و وضوح فى كتابى المذكور (من نهر كابل إلى نهر يرموك) .

و يحلو لنا هنا أن ننقل للقارىء الكريم ما قاله سماحته فى هذا الصدد فى الكتاب المذكور تحت عنوان : (مسئولية الأقطار الاسلامية) قبل أن نحكى الجملة الاخيرة من رد سماحته) :

و ليست أفغانستان هى المسئولة وحدها عن الارتماء فى أحضان الشيوعية أو « العلمانية » و الاندفاع إلى الحضارة الغربية و مظاهرها و السير فى ركاب الشعوب الغربية ، بل الأقطار الاسلامية مسؤولة عن هذا الوضع أيضاً ، فكلنا يعلم أن أفغانستان مواردها محدودة ، و هى ليست من البلاد الغنية ، ذات الموارد الواسعة و المعادن الطبيعية و المناجم و « الذهب الأسود » و ليس عندها مرفأ ، فليست حرة فى حركة التوريد و التصدير ، وكل اعتمادها فى الاقتصاد على منتجات محدودة ، كالفواكه الناشفة ، و صوف الغنم و جلودها فكانت مضطرة بطبيعة الحال إلى أن تطالب العون من البلاد الراقية ، ومن الدول الكبرى التى عندها فائض من الأموال والايراد لسد عجزها المالى وتحقيق مشاريعها العمرانية والتعليمية والحضارية و الدفاعية ، فلو وفق الله الحكومات الاسلامية الكبيرة لتمد إليها يد المعونة و ساعدتها فى إكمال مخططاتها و إنجاز مشروعاتها لاستغنت عن الاستعانة بالدول

رى بل لاستطاعت أن تحافظ على شخصيتها الاسلامية و تنميتها ، و أفاد العالم
لامى ، و كانت مصدراً من مصادر قوته وكرامته و تفادى هذا الشعب المسلم
ن فى الدين ، و التاريخ الاسلامى ، القوى فى عاطفته الاسلاميـــة و غيرته
ة من أن يكون فريسة للغارات الثقافية و العقائدية .

و لكن - مع الأسف الشديد - كانت الحكومات الاسلاميـــة ذات الثروة
عة - لا تزال - فى شغل شاغل عن مساعدة الأقطار النامية و النهوض بها
درت البلاد السوفيتية و الصين الشعبية إلى مساعدة أفغانستان ، و قدمت
عدات السخية لانجاز مشاريعها ، و لترقية البلاد و ترفيهها ، فكان من الطبيعى
يكون لكل هذا مردود فكرى وثقافى وسياسى وأن تستفيد البلاد المساعدة فى
ت الحياة كلها .

كانت الجملة الأخيرة :

« فهل تعاد القصة المؤلمة فى البلاد الاسلامية الأخرى (نحو باكستان
كيا) التى تحبط بها المؤامرات الشيطانية فى مجالى التعليم و الاقتصاد و غيرهما
مجالات الحياة أو . . . . ؟ »

و لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً . .

تحارب من أجل تجارب

واضح رشيد الندوى

تاريخ المسلمين منذ استقلالهم سياسياً عن الحـكم الأجنبى ، تاريخ حافل بمنجزات و مآسى و نكسات ، يبشر جانب بخير ، و ينـذر جانب آخر بخطر و يهدد بعواقب مفزعة . فيبعث على قلق و تشاؤم وعلى استبشار و تفاؤل فى آن واحد ، و ذلك لأن المسلمين يظهرون ، فى مجال من مجالات الحياة كـأنهم يرتفعون إلى ذروة المجد و البناء و فى جانب آخر يظهرون كـأنهم يتردون و يتقهقرون ، فلا ينطبق عليهم تعبير التردى الشامل و لا التقدم الشامل ، ولا تتكون لهم صورة واضحة الملامح ، ولا طريق واضح المعالم ـ إلا أن المؤشر يشير إلى حركة وجهد فى جوانب مختلفة إلى حركات مختلطة ، و حركات متعددة الجوانب .

لقد خرج المسلمون على كل حال من حالة التعطل والتعقيم الفكرى ، وبدأوا يتحركون ، و لهم مجهودات تذكر فى التعليم و التربيـة و السياسية ـ و الدين ، و مجهود لنيل الاستقلال و مكافحة التبعية ، و قد بدأ فيهم الشعور و الوعى بأنهم كانوا مضطهدين فى التـاريخ ، و أنهم عانوا طويلا من الحرمان ، و أن عليهم أن يسعوا إلى حل مشاكلهم .

ونشأ هذا الشعور فيهم أثنـاء كفاحهم ضد الاستعمار ، و ظل هذا الشعور يساورهم ويشغل بالهم بعد الحرية ، وكان هذا الشعور رائد كفاح كثير من أقطاب الفكر ، و القادة فى ميادين التعليم ، و الـكفاح السياسى و الاجتماعى ، و كان

منطلق جهودهم فاذا تتبعنا حركات الكفاح المختلفة التی قامت فی شبه القارة الهندية وحدها بأسماء و لافتات مختلفة وجدنا أنها كانت منبعثة من روح واحدة - و إن كانت متعددة الجهات و السبل ، كذلك الحركات التی قامت فی البلاد العربية فی كلا شطريها الشرقی و الغربی ، كانت تستمد من هذه الفكرة الأساسية ، فقد كان زعماؤها وقادتها يتحرقون للنهوض بالمسلمين كأمة وانتشالهم من الهوة التی وقعوا فيها نتيجة للتخلف والجمود ، والركون إلى الدعة ، و التواكل ، وتسرب روح الهوان .

شهدت هذه الفترة التی تعتبر فترة الكفاح ، مجهودات جبارة ، و كان من طبيعة هذه المجهودات التی قام بها أعلام الاسلام أن تثمر و تكون أمة ، جديدة برسالتها الخالدة ذات شخصية مميزة بفكرها الأصيل القائم علی أسس متينة من المصادر التی لا تختلف فيها ولا تنازعها فئة من الفئات المؤمنة ، و لكن المدة الطويلة التی مضت و هی حوالی ثلاثين سنة من الجهود التی بذلت منذ أن أتی العالم الاسلامی إلى حيز الوجود سياسياً ، لم تؤد إلى التغلب كلياً علی الصعاب ، و مكافحة رواسب التردی و الانحطاط ، و تحقيق استقلال كامل فی سائر مجالات الحياة ، و بالعكس برزت مشاكل جديدة ، و أخطار جديدة ، استنزفت و استنفدت مجهودات جبارة من العاملين و الدعاة فی معالجتها ، وضاع فيها من الوقت الثمين للامة الاسلامية .

لقد خرجت أمم كثيرة فی هذه المدة من ركام التاريخ بل من مزبلة التاريخ ، أمم أعتبرها كثيرون فی بداية أمرها أنها خضرة الدمن ، ثم حاول أعداؤها أن تدوس أو تقتلع ذلك الغرس الجديد لكنها قاومت التيارات و العواصف الهوجاء ، و قامت علی ساقها ، رغم كيد الأعداء .

قامت الصين - وقد كان يصفها الغرب الصبی بالرجل السكير الذی يدمن الأفيون خلال هذه المدة التی قضاها العالم الاسلامی . فكونت لها شخصية ، و استقلت عن

القوتين الكبريين ، و حصلت على وزن سياسى ، و اقتصادى ، و فكرى ، لها فلسفة خاصة للحياة ، و لها أسلوب مميز لحل مشاكلها القومية ، فهى الآن قوة فى جالية الأمم المتحدة ، وتتمتع بحق النقض كاحدى كبريات الدول فى مجلس الأمن .

و اليابان و ألمانيا اللتان حطمتهما الحروب ، و صارتا أنقاضاً و ركاماً حقبة من الزمن ، يستبد بهما المستعمرون ، لكنهما خرجتا من الأنقاض و أقامتا بناءاً جديداً للاقتصاد ، و النظام السياسى ، و الاستقلال ، و استردتا مكانتهما فى جالية الأمم .

إن مدة ثلاثين سنة مدة يشب فيها الأطفال ، و يتحملون فيها مسئولياتهم على عواتقهم ، و يستغنون عن كفالة آبائهم ، و الأرتماء فى أحضانهم ، وهى مدة نشأت فيها دول و شبت واشتدت سواعدها .

و قد أدركت خلال هذه المدة عدة دول كانت مرتبطة بالدول الكبرى ، حاجة الاستقلال ، حتى المعسكر الشيوعى شهد حركة الاستقلال ، و الاكتفاء الذاتى ، فاستقل عدد من الدول عن سيطرة الاتحاد السوفياتى ، كالصين ، ورومانيا ، و يوغو سلاويا ، و ألبانيا ، و دول أخرى ، تسير فى نهج الاستقلال .

كذلك يلاحظ شعور الاستقلال عن المعسكر الغربى ، فتختلف الدول القريبة باختلاف مصالحها القومية ، و قد ظهرت هذه الخلافات جلية فى مسألة إيران ، و مسألة مقاطعة موسكو فى الألعاب الأولمبية .

ولكن على عكس هذا الشعور السائد فى العالم الذى كان حصيلة تجارب الأمم خلال فترة ثلاثين سنة أو أكثر من التحرر عن الاستعمار الحقيق ، و نشاط الاستعمار الحديث ، لم يخرج العالم الاسلامى بدوله و دويلاته ، و إماراته ، عن أحضان الدول الكبرى رغم شعار الحرية ، الذى رفعه القادة منذ عهد بعيد ،

فينتقل من حضن إلى حضن ، ويعيش على فتات مائدة سادته المستعمرين .

لا تزال الحرية الحقيقية حلما ، مثلما كانت الوحدة الحقيقية حلماً ، و كيف تتم الوحدة بدون حرية ، و كيف تحصل الحرية بدون وحـــدة ، و كلتاهما متلازمتان ، ملتصقتان تستمد إحداهما من غيرها قوة وصموداً .

ظلت الحرية شعاراً ، و الوحدة شعاراً ، و العالم الاسلامى لا يزال ، أبعد ما يكون عن الحرية ، و الوحدة ، رغم وجود عناصر الحرية و الوحدة فى صميم الفكر الاسلامى و نظامه .

قامت الثورات فى البلاد الاسلامية باسم الوحدة و الحرية و قامت الثورة فى سوريا بقيادة حسنى الزعيم فأعلنت هدفها الوحدة و الحرية ، ثم قامت الثورة فى مصر وجعلت من أهدافها الرئيسية الوحدة والحرية ، وكذلك الثورات الأخرى ، ولكن هذه الثورات زادت من فرقة العالم الاسلامى ، وزادت من تبعيته وارتمائه فى أحضان الدول الكبرى ، فنرى العالم الاسلامى موزعاً لارتباط دول متجاورة فيه بقوى دولية و نظم سياسية متعارضة متناحرة ، و تزداد ارتباطاتها ، وتتسع بها الفجوات بين مختلف وحدات الكيان الاسلامى .

لقد بذلت محاولة للوحدة باسم القومية العربيـــة فزادت الفجوة بين العرب وغير العرب ، وبين القوميين و الاسلاميين ، ثم قامت مجهودات باسم الاشتراكية فزادت الفجوة بين من يناصر الاشتراكية وبين من يعاديها باعتبارها معادية للاسلام ، ثم بذلت محاولات باسم الديموقراطية فخلقت فجوة بين النظم الديموقراطيـة و غير الديموقراطية و قامت لمحاربة هذه النظم حركات إسلامية فنشأ صراع بينهـا و بين النظم القائمة .

وكان الشعب المسلم بجراء هذه الصراعات شعباً محطماً ، ضائعاً ، يمر بتجارب

و يشهد التحارب من أجل التجارب ، فاذا قام نظام بعد نظام بمشروعاته ، وأهدافه ، و ضماناته الجديدة ، كانت مهمته الأولى أن يحول مابناه الأول إلى أنقاض ، ويبدأ من جديد ، فتستمر عملية الهدم و البناء ، كما قال شاعر :

و اما الناس إلا عاملان فعامل يتبر ما يبنى و آخر رافع

هذه هى قصة باكستان ، بين حكامها الثلاثة أيوب ، يحيى و بوتو ، وقصة مصر بين عبد الناصر ، و أنور السادات ، و قصة اندونيسيا بين سوكارنو ، و سوهارتو ، و قصة أفغانستان ، بين داؤد ، و تراقى و أمين و كارمل ، وقصة العراق بين القاسم و عارف ، و البكر ، و أمثله ذلك متوفرة فى تاريخ العالم الاسلامى المعاصر ، و ضاعت فلسطين نتيجة لهذه التجارب و تضيع أفغانستان ، و سوريا بجراء الانقسامات و غلبة المصلحة الفردية فى القادة و الحكام .

كانت مأساة العالم الاسلامى ابتعاد الشعوب المسلمة عن الكفاح ، فقد أدت الشعوب الاسلامية دورها فى الكفاح للحرية، لكن البلاد التى نالت الحرية السياسية أقصيت من تمثيل دورها وصنعت لها أقفاص من ذهب وفضة لتعيش فيها ، أقفاص النظم السياسية ، و الشعارات ، والهتافات ، و الفلسفات ، فحرمت الوحدة والحرية فى آن واحد ، و صارت عبيداً لأصحاب هذه الفلسفات و الشعارات .

بدأت الشعوب الاسلامية تنفض أجنحتها لكنها مكبلة و مقيدة . و حولها أسلاك من حديد و نار ، و لكن سيقيض الله لدينه و لأمة حبيبه ، شخصية فذة يحطم هذه الأغلال ، ويحرر المستعبدين ، لتتحد الأمة الاسلامية فى ظل الاسلام الحقيق ، و تتحرر ، و تصبح شعباً واحداً ، لا توزعه قوميات ، و لا فلسفات وضعية متناحرة ، و لا حدود سياسية ضيقة ، وتصبح أمة واحدة ، برسالة خالدة ، و بنظام حى يستمد أسسه من الرسالة الخالدة .

جمعية الرفق بالحيوانات أنشط من لجنة حقوق الانسان

ترد أخبار مذهلة من الدول الغربية عن حب الانسان و غرامه بالحيوانات حيث أصبح الغرام بالكلاب و القطط، و الطيور أمراً مالوفاً مقبولا، له قوانين و آداب، و خاصة الكلاب، التى كانت فى كثير من الأحيان سبباً للطلاق بين الزوجين، و قتل، أو إهانة و فرقة، و تدهور علاقات.

أصبح الكلب رفيقاً للانسان فى المجتمع الغربى، يستحق كل عناية و إكرام و حماية، ولطف، وتملق و دلال يستحقه محب وحبيب، وبلغ هذا الغرام، حد خرافة و سخرية تتناقلها الصحف و ترددها الألسن و تذكر على سبيل الدعابة و التنـــدر.

لا ينال الكلب بمفرده معاملة الترجيح و الاكرام و الحماية فى المجتمع الغربى وإنما تشترك فى هذه المعاملة حيوانات أخرى، وبغرض حماية الحيوانات العامة نشأت جمعية الرفق بالحيوان. بينما تستمر أعمال القسوة ضد الانسان فى مختلف أنحاء العالم و يميز بين الملون و الأبيض، و يعامل الملونون و المستعمرون معاملة أسوأ من البهائم، (وأمثلة ذلك كثيرة فى تاريخ المستعمرات الأوربية فى أفريقيا، وأميريكا، و آسيا حيث قتل السكان المحليون كما تقتل الحشرات و الطيور)

مهمة جمعية الرفق بالحيوانات وقاية الحيوانات، بما فيها الوحوش الضارية، و الطيور، و الدواجن، و الدفاع عنها، فتحاكم الجمعية كل من تجده سبباً لجراح قط، أو كلب، أو أرنب، أو طائر، ويعاقب الانسان إذا ثبتت جريمته، و قد حكمت أخيراً محكمة فى بريطانيا على رجل استعمل قفصاً كان أسلاكه قد كسر لجرح أرنبا، و فرضت على صاحب الأرنب غرامة كبيرة، و كذلك فرضت غرامة على رجل كان يطارد قطة فسقطت و جرحت.

توجد فروع لهذه الجمعية فى سائر أنحاء العالم، و لها نشاط ملموس فى حماية حياة الحيوانات، و إنقاذها من قسوة الانسان.

و قد نقلت الصحف اللبنانية خبراً جديداً لانتهاك حرمة الحيوانات ، فقد احتجت جمعية حماية الحيوان فى ألمانيا الغربية ، لدى حكومة لبنان على قتل طيور « اللقلاق » التى تسقط حالياً بكثرة فى لبنان ، فيقتنصها الصيادون ، منتهزين هذه الفرصة الغالية ، و قد ثارت حفيظة المسئولين عن الجمعية فهددوا بمقاطعة لبنان إذا استمر صيد هذا النوع من الطيور .

و من عادة هذه الطيور أنها تعبر الصحراء ، و البحر المتوسط ، و تتوجه إلى أوربا بعد قضاء فترة فى المستنقعات فى لبنان ، ويصبح ذلك موسما للصيد للسكان فى بيروت بالبنادق الخفيفة حتى المسدسات .

إن حماية حياة الطيور ، و الكلاب ، و الأرانب ، أمر لا ينازع فيه أحد وقد أمرنا فى التعاليم الاسلامية بالترفق بالحيوانات ، و قد وردت فى الحديث الشريف قصة امرأة غفرلها على سقى كلب كما عذبت امراءة على تعذيب قطة ، وكان النبي ﷺ يأمر أصحابه بالرفق أثناء الذبح ومنع المسلمين من التعذيب ، و الاحراق ، و قتل الحيوانات بلا حق .

و ما يدهشنا فى هذا الخبر هو التمييز الغريب بين الحيوان ، والانسان ، و نشاط جمعية الرفق بالحيوانات فى أوربا ، و تعطل جمعية حقوق الانسان رغم الدعاوى الكثيرة لصيانة حقوق الانسان فى المجتمع الغربى ، فقد هددت جمعية الرفق بالحيوانات بمقاطعة لبنان على صيد الطيور ، فى الوقت التى تتعرض لبنان لغارات إسرائيل و احتلالها ، و تتعرض سوريا لمذبحة بشرية قاسية يعامل السود و فى قلب بريطانيا ، وفرنسا ، والبرتغال وأميريكا معاملة أسوأ من الحيوانات ولكن جمعية حقوق الانسان تظل مكتوفة الأيدى لا تتحرك لحماية الانسان ، كما تحركت جمعية الرفق بالحيوانات فى ألمانيا الغربية على قتل الطيور .

أخبار اجتماعية و ثقافية

★ الأستاذ محمد مصطفى رمضان فى ذمة الله

تلقت أسرة المجلة نبأ اغتيال الأستاذ محمد مصطفى رمضان الصحفى المسلم البارع
ى أطلق عليه الرصاص رجال مشبوهون عند ما كان يخرج من المسجد بعد أداء صلاة
عة فى لندن وذلك يوم ١١/ من شهرأبريل ١٩٨٠م فانا لله و إنا إليه راجعون ☨

بقية المنشور على ص ٤٠)

لتهاب بمزيد من الحركة والجاذبية ، وكان هذا الشئ المركب فى شكل كرة ساخنة
.أ تدور حول مركزها بسرعة ، و معلوم أن الشئ الذى يدور حول مركزه يلقمس
، بعيد عنه وقد أنتج ذلك أن تلك الكرة الملتهبة تكونت منها كرات كثيرة سميت
. ذلك بالقمر والأرض والمريخ والمشترى و ما إلى ذلك ، وهى تدور من جراء
لجاذبية بعضها حول بعض، ولكن الحالة الالتهابية الطبعية ظلت تنتقص يوماً فيوماً ،
د كانت الأرض التى نعيش فوقها حارة ملتهبة و لكنها فقدت حرارتها الخارجية
دريجياً و أصبحت صالحة للعمران .

و يرى المحقق الأخير من علماء الطبيعة أن الحرارة غير العادية التى تحملها الشمس
. يقوم عليها نظام الكون تنتقص تدريجياً كحرارة الأرض ، وسيأتى عليها حين من
لدهر تنعدم فيه حرارة الشمس و ضوؤها و يتناثر نظام الكون كله ، فتنعدم الحياة
و تتصادم الشمس والقمر والنجوم والجبال بعضها مع بعض وتتمزق ، حيث يصدق
عليها قول الله تبارك و تعالى : « إذا السماء انفطرت ، و إذا الكواكب انتثرت ،
و إذا البحار فجرت ، و إذا القبور بعثرت ، علمت نفس ما قدمت و أخرت » .

* * *

✣ كان الأستاذ رمضان من خيرة الشباب المسلم و دعاة الاسلام المخلصين أقام
لندن من مدة طويلة ، كان يعمل فى إذاعة لندن فى القسم العربى ، و يكتب
الصحف الاسلامية ، و يثير قضايا إسلامية هامة مع قيامه بعمل الدعوة فى أو
و كان له نشاط وافر فى مجال العمل الاسلامى .

اتصل بمجلة البعث الاسلامى منذ عشر سنوات ، فكان يزودها بكتاباته الر
و أفكاره الناضجة ، و قد نشرت له كلمة ضافية فى العدد السابع للمجلد ٢٤ -
عيد الميلاد ، وكنا نقرأ كتاباته الاسلامية فى المجلات الاسلامية الصادرة من اا
الاسلامية العربية و إلى الآن لم نتلق التفاصيل عن اغتياله رحمه الله رحمة واسع

★ ندوة العلماء تستقبل وفود الدول العربية

استقبلت ندوة العلماء وفود الدول العربية التى وصلت إليها بعد حضور
الاحتفال المئوى لدار العلوم ديوبند فى الشهر المنصرم ، وكان من بين هذه
وفد الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة برئاسة فضيلة الشيخ الدكتور عبد الله
نائب رئيس الجامعة الاسلامية ، و وفد رئاسة إدارات البحوث العلمية و ا
و الدعوة والارشاد بالرياض برئاسة فضيلة الشيخ محمد بن إبراهيم القعود و
فضيلة الشيخ عبد العزيز بن ناصر الباز مـــدير مكتب الرئيس العام سماحة
عبد العزيز بن باز حفظه الله ، قامت هذه الوفود بجولة تفقدية واسعة لدار
و كلياتها و أقسامها و شاهدت المنشآت و المشاريع التى يجرى إنشاؤها الآ

كما زارها وفد سلطنة عمان برئاسة فضيلة الشيخ أحمد حمد الخليلى ، ووفد
مصر برئاسة معالى الدكتور عبد المنعم النمر وزير الأوقاف ، الذى كان زا
بعد حضوره فى احتفال ديوبند للحضور فى اجتماع إكاديمية مولانا أبو الكلا

و قد أقيمت حفلات ترحيبية بالضيوف الكرام فى ٢٤/ ٢٥/ و

شهر مارس ۱۹۸۰ الموافق ٦/ ٧/ ٩/ جمادى الأولى ١٤٠٠ﻫ و ألقى رؤساء الوفود و أعضاؤها كلمات عبروا فيها عن مشاعرهم الطيبة نحو ندوة العلماء .

كما ألقى فضيلة الشيخ عبد الله عبد الله الزائد محاضرة قيمة فى قاعة المحاضرات بالمعهد العالى للدعوة و الفكر الاسلامى حول الدعوة الاسلامية قوبلت بالاعجاب و التقدير ، وألقى كذلك فضيلة الشيخ أحمد بن حمد الخليلى مفتى عمان محاضرة جيدة حول الموضوع ، و ألقى سماحة الشيخ الندوى كلمته الضافيـة نوه فيها بالمحاضرات و الكلمات التى ألقيت ، وشكر عليها الضيوف الكرام وعلى تشريفهم ندوة العلماء .

★ القاضى عديل عباسى فى ذمة الله

انتقل إلى رحمة الله فى الشهر المنصرم المحامى الكبير والاجتماعى الشهير القاضى عديل عباسى فى وطنه «بستى» عن عمر يناهز ثمانين عاماً ، وكان مصاباً بانحراف فى صحته من زمن و لكنه كان يمارس وظيفته و نشاطاته رغم ذلك ، و لم يكن يتوقع أحد أنه يفارق الحياة فجاءة ، فانا لله و إنا إليه راجعون .

وللقاضى عديل عباسى مواقف مشكورة فى مجالات عديدة للخدمات الاجتماعية و الاسلامية ، أسهم فى حركة الخلافـة و حرب التحرير بحماس زائد ، و ظل متصلا بالقضايا الحيوية و المشكلات الاجتماعية إلى آخر لحظة من حياته ، وهو الذى أسس بايعاز من سماحة مولانا الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى و معاونته «هيئة التعليم الدينى» فى ولاية أترابراديش ، لتعليم المواد الدينية أطفال المسلمين الذين يحرمون من تعاليم الدين البتة فى مدارس الحكومة العلمانية ، فقامت تحت إشرافه آلاف من المدارس الدينية فى المدن و القرى لهذه الولاية ، و لا تزال يتسع نطاقها ، جزاه الله خيراً وأكرمه بالمغفرة و أسكنه فسيح جنانه .